

نوادير الإمام ابن حزم

خَرَّجَهَا وَعَلَّقَ عَلَيْهَا
أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عَقِيلٍ الظَّاهِرِيُّ
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

دار الغرب الإسلامي
بيروت، لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَوَادِرُ الْإِمَامِ ابْنِ حَزْمٍ

نَوَادِرُ الْإِسَامِ ابْنِ حَزْمٍ

خَرَّجَهَا وَعَلَّقَ عَلَيْهَا
أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عَقِيلٍ الظَّاهِرِيُّ
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

السَّفَرُ الْأَوَّلُ
يَتَضَمَّنُ ٢٢٠ نَصًّا

دَارُ الْفَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ
بِكَلْبُوت

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

وسلام على جميع أنبياء الله ورسله ومن اتبع هداهم إلى أن نسخ الله
شرائع كل من مضى بشريعة الإسلام، واحشرنا اللهم في زمرة أوليائك
وحزبك.

أما بعد، فإن هذا الكتاب بجميع أسفاره من أسهل أعمال التأليف
التي مارستها لأنه ليس لي فيه غير الجمع سوى ومضات من التحقيق
والتعليق ولكنني بحق اعتبره من أهم وأنفع وأمتع ما سطرته بقلمتي على
الإطلاق لأمر سأذكرها فيما بعد.

والدافع إلى جمع هذه النوادر أنني وأدت دراسات عن تاريخ ابن
حزم وعلمه أردت ترتيبها ترتيباً منهجياً أكاديمياً ريثما أحقق وأحرر مصادر
البحث عن هذا الإمام العظيم الذي طالت صحبتي له ما ينيف على
عشرين عاماً.

وكانت مصادر البحث التي قمت بتحريرها وتحقيقها قبل دراسة ابن
حزم دراسة منهجية على قسمين:

القسم الأول: أقوال الناس في ابن حزم وقد خرج من هذا العمل
أربعة أسفار بتقديم وعناية أستاذي العلامة الدكتور إحسان عباس،
صدرت عن دار الغرب ببيروت للأستاذ الحبيب اللمسي.

والقسم الثاني: أقوال ابن حزم نفسه عن نفسه وعن غيره، وهي التي سميتها (نوادير الإمام ابن حزم).

ولقد رشحت نفسي لجمع نوادر ابن حزم لسبب يسير ألمحت إليه في مقدمتي للسفر الأول من كتابي (ابن حزم خلال ألف عام) بقولي:

«وثمة استنباطات ضرورية غير محتملة الدلالة تأتت من وقف عشرين عاماً أو أكثر من حياتي في قراءة ابن حزم ودراسته، ولا أزال في دور التتبع في منتهى الشوق إلى مزيد من الاستكشاف.

ومثل هذا الظرف الجاد من حياتي العلمية مصدر لا نعوض عنه مصادر ترجمة ابن حزم. اهـ».

ولما كان الغرض من جمع هذه النوادر أن تكون مرجعاً لدراسة منهجية عن تاريخ ابن حزم وعلمه فقد حرصت على أن تكون تعليقاتي وتحقيقاتي بالقدر الذي يحتاجه دارس ابن حزم من تعريف بالأعلام الذين لهم علاقة بابن حزم من شيوخ وتلاميذ وأصدقاء وخصوم مع تعريف بمؤلفاته وأسانيده... إلخ.

ولم أحرص على ترتيب مواد هذا الكتاب ترتيباً منهجياً - وإن كان هذا أمراً ميسوراً لي الآن - بحيث تكون سيرة ابن حزم بقلمه على حدة، ومناظراته على حدة، وما رواه من أخبار على حدة، وآراؤه الفكرية وتحقيقاته العلمية على حدة... وهكذا لسبين جوهريين:

أولهما : أن المقاصد المترتبة على ترتيب مواد الكتاب ترتيباً منهجياً سأحققها إن شاء الله بفهرس فني ألحقه بآخر أسفار الكتاب يتضمن فهرساً بالأعلام والكتب والمعارف.

وثانيهما : أن إطلاق الكتاب على سجيته بحيث نجد فائدة تاريخية يتلوها كلام وجداني يأخذ بتلايب القلوب فتأملات فكرية تأسر العقل فترطيب يثماً الجفوف الفكري كل ذلك يحقق مدلول الكتاب (نوادير). ثم إن إطلاق الكتاب على هذه السجية

استحياء لطريقة عدد من الأسلاف كالجاحظ وابن قتيبة
والحريري فأبي الوفاء ابن عقيل وابن الجوزي والحصري إلى
عصر الصفدي فالعالمي... وعشرات غيرهم يرون في التفريق
لذاذة الامتاع.

وبحق فقد أصابتنا الأكاديمية الأوربية بالتبلد والملل.

وإذا كانت الأكاديمية المنهجية مبتغى فكرياً حازماً ترضي نزعة العقل
فيجب أن لا تطفئ هذه المنهجية على مكتبتنا العربية بل لا بد من الوفاء
لمنهج الأسلاف الذين كانوا أعرف وأدرى بالسياسة العلمية إذ يفرقون
المعارف في عدد من مؤلفاتهم لجلب المتعة والتحول بالموعظة العلمية، وما
الموعظة العلمية إلا أن يكون القارئ عاشقاً لما يقرأ وذلك لعمر الله هو
العلم الذي تلثمه الذاكرة فلا يضل ولا يتيه.

وقد جربت في حياتي العلمية أنه يستعان على القراءة بالقراءة
ويستدفع الملل من القراءة بتنوع القراءة.

هذا أمر يعرفه كل من جرب حلاوة العلم.

ولهذه الظاهرة، قلت: إن طريقة الأسلاف رحمة الله عليهم في تنوع
معارف الكتب أمتع وأنفع.

والنادر في العرف العام لرجال العلم - وهو مصطلح مأخوذ من
المعاني العربية لكلمة ندر - يعني التفرد على سبيل المدح فلا يقال للكلمة
العوراء: نادرة، إلا أن يكون وراءها جمال فني.

ثم توسع الاستعمال في العرف العلمي العام فصار يراد بالنادر كل
ما تتشوف له النفس وتبتغيه.

ومادة هذا الكتاب من أولها إلى آخرها، من نوادر ابن حزم بالنسبة
لثلاثة أطراف:

بالنسبة لابن حزم ذاته، كأن نجد له كلمة رقيقة في حوار خصومه

من المالكية أو الحنفية أو الأشاعرة أو اليهود أو الرافضة أو ملوك الطوائف.

لأن ابن حزم منجنيق المغرب ولسانه شقيق سيف الحجاج، فكل رحمة في حوارهِ فهي من فلتات حياته العلمية.

ومن أمثلة هذه النوادر بالنسبة لابن حزم نفسه، أن نجد له تعبيراً أدبياً مركباً يترجح لنا أنه أول من ركبهُ، فهو من نوادر ابن حزم، وإن كان مثل هذه النوادر كثيراً في كلامه لا سيما على سبيل السخرية.

ومثل ذلك، آراؤه النظرية في السياسة والاجتماع التي ظن ردحاً من الزمن أنها من ابتكار ابن خلدون.

ومثل ذلك، إفاداته التاريخية التي تفرد بها، كإفادته بأن شيخه ابن مفلت تزوج وطلق في مرض موته إحياءاً للسنة وتحدياً للمالكية، فهذا خبر لم لم يذكره كل من تكلم عن ابن مفلت من المؤرخين.

وهذا الكتاب من نوادر ابن حزم، لكل قارئ ليست له عناية بابن حزم، لأنه من كتب المتفرقات العلمية، ولأن ابن حزم نفسه بصمة خاصة في تاريخ حياته وفي فكره وفي علمه.

وهذا الكتاب من نوادر ابن حزم، بالنسبة للمعنيين بابن حزم وهذا هو بيت القصيد.

والندرة ها هنا من عدة وجوه:

أولها : أن هذا الكتاب يحتوي بإيراد نصوص من كتب ابن حزم المفقودة، فتجميع هذه النصوص يلقي ضوءاً على مؤلفات ابن حزم المفقودة وهو إضافة إلى نصوص ابن حزم الموجودة.

وثانيها : أن هذا الكتاب يحتوي بإيراد نصوص من كلام ابن حزم عن نفسه وعن أسرته.

ولم يستفد من هذه النصوص غير المستشرقين وبعض المعاصرين، ولم يستفيدوا من جميع هذه النصوص وإنما أخذوا

ومضات من طرق الحمامة ومداواة النفوس والإحكام.

فتجميع سيرة ابن حزم بقلمه من النوادر لأنه إضافة إلى تاريخ حياة ابن حزم.

ويدخل في ذلك مذكرات ابن حزم ومشاهداته ومناظراته.

وثالثها : أن هذا الكتاب يحتمي بإيراد المختار مما يستمتع به القلب من فن ابن حزم، وما يستعظمه العقل من علمه وفكره.

ووجه الندرة في هذا، أنه انتقاء لما يكتفى به في تشخيص فن ابن حزم وعلمه وفكره ومنهجه.

ولما كان هذا الأمر يطول جداً، فقد كان دوري دور الاختيار والانتقاء، أما في الأنواع الأخرى، فكان دور الاضطرار وهو التعب في البحث والتنقيب ومحاولة الاستيعاب في الإيراد.

ورابعها : أن هذا الكتاب يحتمي باستخراج نصوص من كلام ابن حزم من غير مظانها، فكتاب ضخمة كالأحكام في أصول الفقه أجد فيه نصاً نقدياً لابن حزم ينكر فيه توارد الخواطر فيما زاد عن نصف بيت بكل جراءة، وكتاب ضخمة كالمحل في الفقه أجد فيه معلومات جغرافية وتاريخية عن الأندلس ونباتها، وكتاب ضخمة كالفصل في الفلسفة والعقائد، أجد فيه نظريات جبارة في علم اللغة والتقنين لها.

فتجميع هذه النصوص، تجميع لنوادر أتحف بها من يكتب عن ابن حزم نحويّاً فقط، أو ابن حزم أدبياً فقط، أو ابن حزم مؤرخاً فقط... إلخ.

ويلاحظ في هذا السفر أن كثيراً من مواده من كتاب تلميذ ابن حزم أبي عبدالله الحميدي (جذوة المقتبس) لأن دراسة هذه النصوص وتجليتها تزيل وهماً كبيراً وقع فيه المعاصرون لا سيما أحد الباحثين الأسبان في بحث

له عن نصوص ابن حزم من الجذوة قدمه في مؤتمر ذكرى ابن حزم الذي أقيم بأسبانيا منذ سنوات .

فقد ظن هؤلاء أن الحميدي جلس ينقل هذه الأخبار التي أوردها في الجذوة نقلاً من شيخه في مجالسه العلمية، وقد بينت خطأ هذا الوهم في مقدمتي لكتاب (الذهب المسبوك في وعظ الملوك) للحميدي، الذي حققته بالاشتراك مع الزميل الدكتور عبد الحليم عويس .

وأذكر هنا ما تمس إليه الحاجة فأقول: إن ما نقله الحميدي عن شيخه في جذوة المقتبس لا يخلو من هذه الأمور:

أ - نصوص نقلها الحميدي من كتب آخرين لا علاقة لابن حزم بها، ككتاب الأماي للقيالي، وكتاب أخبار فقهاء قرطبة لخالد بن سعد .

وإنما ورد ابن حزم في الوسطة عندما نقل الحميدي عن الأماي للقيالي، لأن الحميدي روى الأماي عن ابن حزم عن ابن ربيع عن القالي .

وفي عرف أهل المصطلح، أن الراوي إذا روى جميع الكتاب عن شيخه جاز له أن ينقل نصاً من الكتاب، فيقول: حدثني شيخني فلان، أو أملى عليّ أو سمعته أو أخبرني .

والذين لم يعرفوا طريقة القوم في تحمل رواية الكتب، يوم كانت هوية الكتاب تعرف بنصوص إسناده وسماعاته، يظنون أن قول التلميذ: حدثني فلان بكذا، أن الشيخ أملى هذا النص بعينه على تلميذه، والواقع أنه روى عنه كتاباً بجملته يوجد فيه ذلك النص .

وطريقة القوم في تحمل الرواية التي يستجيزون بها قول: حدثني، وسمعته، وأملى عليّ، أن يقرأ التلميذ الكتاب من أوله إلى آخره على الشيخ وهذا نادر جداً .

أو أن يقرأ عليه طرفاً منه ويحيزه بالباقي، أو أن يناوله الكتاب ويملكه إياه، أو يأذن له في نسخه ومقابلته، أو يناوله فهرس مروياته

ويأذن له برواية ما تضمنه الفهرس من كتب، فهذا الحافظ أبو عمر
ابن عبد البر أذن للحميدي بمثل هذا.

قال الحميدي عن ابن عبد البر :
وقد لقيناه وكتب لنا بخطه في فهرسة مسموعاته ومجموعاته مجيزاً
لنا وكتاباً إلينا بجميع ذلك كله^(١).

قال أبو عبد الرحمن : وقد خرجت فهرسة الحميدي فوجدته يكثر
الأخذ عن ابن عبد البر بناء على هذا الإذن.

وأبو محمد بن حزم نفسه استجاز ذلك، فقد ذكر من وجوه
التحمل الصحيحة أن يقول الشيخ لتلميذه عن ديوان مشهور منقول
عند الناس نقل تواتر ليس في ألفاظه اختلاف : ديوان كذا، أخذته
عن فلان عن فلان حتى يبلغ إلى مؤلفه، فجائز أن يقول : حدثني،
وأخبرني، وهو محقق في ذلك وهو كله خبر صحيح... إلخ^(٢).

وأبو محمد بن حزم رحمه الله حريص على استجلاب الكتب
واقتنائها بأسانيدها وسماعاتها، وقد خرجت فهرسته فوجدت لديه
عدة كتب يروى بطرق شتى : كالموطأ والصحيحين. وقد وصفه
المؤرخون كالذهبي بالحرص على جمع الكتب، وصرح أبو محمد
بذلك في أكثر من موضع، كقوله لاحقاً عن نفسه :

ومن عني بروايات المصنفات والأحاديث المثورة وقف على ما
قلنا يقيناً^(٣).

وبيقين، فإن الحميدي لازم ابن حزم طويلاً، إلا أن كثرة روايته
عنه في الجذوة لا تدل على طول الملازمة وكثرة التلقي، بل هي من
باب الرواية بالإجازة على النحو الذي ذكرته آنفاً.

(١) جذوة المقتبس ص ٣٤٥ - ٣٤٦.

(٢) الإحكام ١٤٦/٢.

(٣) الإحكام ١٠٥/٥.

ب - نصوص نقلها الحميدي من مصنفات ابن حزم .
وقد روى الحميدي مصنفات ابن حزم على النحو الذي ذكرته آنفاً .
ج - نصوص سمعها الحميدي بذاتها مشافهة ، أو أملاها عليه ابن حزم ،
وهذا نادر جداً .

ولهذه الظاهرة ، حرصت على تخريج نصوص الحميدي من مصادرها
ما وسعني البحث على سبيل اليقين أو الرجحان .

وثمة كتب نقلت نصوصاً نادرة لابن حزم من مؤلفاته المفقودة ، لم
يتيسر لي الاطلاع عليها ، ورجائي ممن يطلع على هذه المقدمة أن يتكرم
مشكوراً بإتخافي بصور منها ، لأتم غاية هذا الكتاب وسأنوه بأسماء هذه
المصادر التي تنقصني في التقديم لكل سفر ، وأذكر منها الآن كتابين هما :

كتاب ياقوت الحموي عن الملل والنحل ، فقد نقل فيه نصوصاً من
كتاب ابن حزم المفقود : فضائح البربر .

وكتاب تاريخي للمحافظ الذهبي غاب عني اسمه الآن ، يوجد بالمكتبة
الظاهرية بدمشق ، وقد ذكر في الفهرس أنه أكثر النقل عن كتاب ابن حزم
المفقود عن الإمامة .

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على عباده المرسلين .

أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

- عفا الله عنه -

الرياض - دار ابن حزم -

آخر ليلة يوم السبت الموافق ١٩/١٢/١٤٠١ هـ

١ - قال أبو محمد عن رجل أتته المنية في الحرب، فمات وهو على ظهر دابته، دون أن يصاب بشيء وهو غالب يوم حربه مع ابن أبي عامر، وقد أشفى على الظفر:

(حدثني وهزني الوزير والذي نضر الله وجهه قال:

كان المنصور بن أبي عامر في القلب، وجعفر بن علي المعروف بالزاي في الميمنة، وأبوك وأبو الأحوص معن بن عبد العزيز التجيبي والحسن بن عبد الودود السلمي في الميسرة.

وكانني أنظر إلى غالب، وهو شيخ كبير قد قارب الثمانين عاماً، وهو على فرسه وفي رأسه طرطور عال، وقد عصب حاجبيه بعصابة.

ثم قال لمن حواليه (وكان قد جمع جمعاً عظيماً من المسلمين والنصارى):

من هؤلاء؟ - وأشار إلى الميمنة -.

فقال له: جعفر بن علي، وأخوه يحيى، والبربر. فحمل عليهم حملة قصفهم فيها قصفاً لم يثبت منهم أحد على صاحبه، واصطكت الهزيمة على الميمنة.

ثم انصرف فقال: من هؤلاء؟ - وأشار إلى الميسرة -.

فقال: أحمد بن حزم، وحسن بن عبد الودود، ومعن بن عبد العزيز.

فحمل علينا حملة، فانفلقنا بين يديه، ولم يلو أحد منا على صاحبه!
وابن أبي عامر في القلب يصفق بيديه، وتضطرب رجلاه في ركائبه
وقد أيقن بالهلاك.

فانصرف غالب إلى أصحابه، فقال لهم:
قد هزمنا الميمنة والميسرة، وإنما بقي لنا القلب وحده، وفيه هذا
الأجرب الملعون - يريد ابن أبي عامر - فالآن نحمل عليه ونهلكه.

وكان في أول الحرب قد دعا وقال:
اللهم إن كنت أصلح للمسلمين من ابن أبي عامر فانصرني، وإن
كان هو أصلح لهم مني فانصره.

ثم همز فرسه، وترك جهة القتال.
وأخذ ناحية إلى خندق كان في جانب عسكره.
فطن أصحابه أنه يريد الخلاء، فلم يتبعه أحد.

فلما أبطأ عليهم ركبت طائفة منهم نحوه، فوجدوه قد سقط إلى
الأرض ميتاً، وقد فارق الدنيا بلا ضربة، ولا طعنة، ولا رمية، ولا أثراً
وفرسه واقف بناحية يعلك لجامه!
ولا يعلم أحد بسبب موته.

إلا أن الناس ظنوا ظناً، وهو أن القربوس ضرب صدر هذا الذي
قد رزىء من قدراً!

فلما رأى ذلك أصحابه سقط في أيديهم، وطلبوا حظ أنفسهم.
فبادر مبادر منهم بالبشرى إلى ابن أبي عامر، فلم يصدق حتى وافى
مواف بخاتمه.

ووافاه آخر بيده، ووافاه آخر برأسه، ووقعت الهزيمة على النصارى،
وكان غالب قد استمد للموكهم فقتلوا أشنع قتل، وقتل في جملتهم رذمير بن
شانجة ملك البشاكس المعروف براى قرجة.

وسلخ جلد غالب، وحشي قطناً، وصلب على باب القصر بقرطبة.
وصلب رأسه على باب الزاهرة.

قال أبو محمد:

فأنا أدركته بها إلى أن هبط يوم هدم الزاهرة. وكانت هذه الحرب -
التي هلك فيها غالب - سنة إحدى وسبعين. اهـ^(١)

التعليق على النص

- * بمكتبة جستربرتي نسخة من نقط العروس ورد بها النص مختصراً هكذا:
(رجل أخته منيته في الحرب فمات وهو على ظهر دابته دون أن يصاب
بشيء: غالب يوم حربه مع محمد بن أبي عامر وقد أشفى على الظفر).
- * غالب هذا هو صهر ابن أبي عامر، وقد جاء بهامش نسخة جستربرتي
أنه العليج مولى عبد الرحمن الناصر الأموي خليفة الله في الأندلس،
وكانت بنته تحت الحاجب المنصور بن أبي عامر المعافري.
- * بموجب هذا النص يكون انتقال أبي عمر أحمد بن حزم إلى الدور
المستحقة بعد سنة ٣٧١هـ.

٢ - قال أبو محمد:

«ومات بقرطبة سنة ٤٢٢هـ، محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن
عبد الله بن مروان بن عبد الله بن مسلمة بن عبد الرحمن بن معاوية بن
هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الكاتب وهو آخر من بقي من
ولد مسلمة بن عبد الرحمن بن معاوية المعروف بكليب، وإليه تنسب أرحى
كليب التي على النهر بقبلي قرطبة.

فورثت أنا ماله محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن بن عبد الملك

(١) نقط العروس ص ٨١-٨٢ تحقيق د. شوقي ورسائل ابن حزم تحقيق د. إحسان
٩٤/٢-٩٥ وفيه مقارنة بكتاب أعمال الأعلام، وانظر دول الإسلام في الأندلس لعنان
٥٣٧/١-٥٤٠.

ابن عبد الرحمن بن سعيد الخير ابن عبد الرحمن بن معاوية بالقعدد ودفعته إليه وقضيت له به، وما كان عند محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن هذا علم بأنه مستحق هذا المال، ولا كان له طمع في أخذه.

فلولا علمي بالنسب لضاع هذا المال وأخذته غير أهله بغير حق. اهـ^(١).

وقال أبو محمد - مستعرضاً ولد عبد الرحمن بن معاوية -:

«وكليب واسمه مسلمة وإليه تنسب أرحى كليب انقراض عقب كليب هذا. وآخر من بقي منهم محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد الله ابن مروان بن عبد الله بن مسلمة - وهو كليب المذكور -، الكاتب.

فورثه بالقعدد محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن عبد الرحمن بن سعيد الخير بن عبد الرحمن بن معاوية.

ورجل من ولد يحيى بن عبد الرحمن بن معاوية اهـ^(٢).

التعليق على النص

• قال أبو عبد الرحمن: قوله: «ورجل من ولد يحيى» عطف على «فورثه» وهي زيادة على النص السابق.

• وحاكم قرطبة عام ٤٢٢هـ، هشام بن محمد المعتد بالله الأموي وقد خلع يوم الثلاثاء في ١٢/١٢/٤٢٢هـ^(٣).

• وقد ذكر صاعد: أن أبا محمد وذر للمعتد بالله فإذا أضيف هذا إلى نص أبي محمد هنا ترجح أن أبا محمد كان بقرطبة عام ٤٢٢هـ.

• القعدد: بضم القاف والذال، ويجوز فتحها أيضاً:

(١) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٥ - ٦.

(٢) جمهرة أنساب العرب ص ٩٤ - ٩٥.

(٣) البيان المغرب لابن عذاري ١٤٥/٣.

قريب الآباء من الجد الأكبر.
يقال: هو أقعدهم: أي أقربهم إلى الجد الأكبر.

٣ - قال أبو محمد :

(كنت معتقلاً في يد الملقب بالمستكفي محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر في مطبق.

وكنتم لا أؤمن قتله، لأنه كان سلطاناً جائراً ظالماً عادياً، قليل الدين، كثير الجهل، غير مأمون ولا متثبت.

وكان ذنبنا عنده صحبتنا للمستظهر رضى الله عنه .

وكان العيارون قد انتزوا بهذا الخاسر على المستظهر فقتله، واستولى على الأمر، واعتقلنا حيث ذكرنا.

وكنّت مفكراً في مسألة عويصة من كليات الحمل التي تقع تحتها معانٍ عظيمة كثر فيها الشعب قديماً وحديثاً في أحكام الديانة، وهي متصرفة الفروع في جميع أبواب الفقه.

فطالت فكري فيها أياماً وليلالي إلى أن لاح لي وجه البيان فيها،
وصح لي الحق يقيناً في حكمها وانبلج وأنا في الحال الذي وصفت.

فبإلله الذي لا إله إلا هو الخالق الأول مدير الأمور كلها الذي لا
يجوز القسم بسواه:

أقسم لقد كان سروري يومئذ وأنا في تلك الحال بظفري باحث فيما كنت مشغول البال به، وإشراق الصواب لي أشد من سروري بإخلاقي مما كنت فيه!

وما ألقنا كتابنا هذا وكثيراً مما ألقنا إلا ونحن مغربون، مبعدون عن الوطن والأهل والولد، مخافون مع ذلك في أنفسنا ظلماً وعدواناً، لا نستتر

هذا بل نعلنه، ولا تمكن الطالب إبطال قولنا في ذلك إلى الله نشكو، وإياه نستحكم لا سواء. لا إله إلا هو^(١).

التعليق على النص

✽ المستكفي بالله كنيته أبو عبد الرحمن:

ببيع بالخلافة مرتين أولاهما يوم السبت ١٣/١١/٤١٤هـ، وخلع يوم الثلاثاء ٢٥/٣/٤١٦هـ.

وكان أهل قرطبة خلعوه قبل ذلك ثم صدهم عنه حادث من حوادث الدهر. وأخراهما الفترة التي بين خلعه للمرة الأولى وبين ٢٥/٣/٤١٦هـ.

أجمع المؤرخون على أنه لم يكن من الأمر في ورد ولا صدر، وأنه عطل منقطع إلى البطالة مجبول على الجهالة.

مات مسموماً بعد خلعه بسبعة عشر يوماً.

قال عنه ابن حزم: إنه أبعد الخلفاء عن كل خير، واجمعهم لكل خلة سوء.

وعده من الخلفاء الذين ليس بيدهم من الخلافة إلا الرسم. وعده رذل قومه.

وعده من أكثر الخلفاء ولدأ^(٢).

وقال عنه، وعن ولي عهده سليمان بن هشام:

كانا في نهاية الضعة والسقوط والضعف والتأخر، وأخبارهما في ذلك عظيمة^(٣).

وقال الحميدي: وله أخبار يقبح ذكرها^(٤).

(١) التقريب ص ١٩٩ - ٢٠٠.

(٢) نطق العروس ص ٧٢ - ٧٤ و ٧٥ و ٤٩ ط شوقي.

(٣) جبهة الأنساب ص ١٠١.

(٤) الجذوة ص ٢٦.

ومعظم كلام الحميدي عن المستكفي مستفاد من أبي محمد^(١)، ولعل ذلك من كتاب أبي محمد أوقات الأمراء في الأندلس.

ومثل ذلك نص نادر أورده ابن عذاري عن رجل مجهول لعله أبو محمد^(٢).

وولادة صاحبة ابن زيدون بنت المستكفي المذكور.
ومن مقابحه أنه قتل المستظهر وكان أبو محمد وزيراً للمستظهر.

* من المحتمل أن يكون اعتقال أبي محمد في بداية عهد هذا المستكفي النذل.

* أشار في آخر هذه الفقرة إلى أنه ألف التقريب وكثيراً من مؤلفاته وهو مغترب مبعد، ومثل هذا ورد بآخر طوق الحمامة.

وسنحتاج إلى هذين النصين في تسجيل أحداث التاريخ في حياة ابن حزم.

* قال أبو محمد: وكنت لا أومن قتله!

قال أبو عبد الرحمن: إن لم تكن نسخة التقريب التي طبع عنها الدكتور إحسان عباس الكتاب محرفة فهذه الصيغة من آمن بالمد لا من (أمن)، لأن آمن من فعل ماضٍ رباعي، وحرف المضارعة في الرباعي يضم ويؤخذ المضارع بزيادة حرف المضارعة في أول الماضي، مع كسر ما قبل آخره، فيكون المضارع هكذا: أومن. فوقعت همزة ساكنة بعد همزة متحركة فلزم إبدالها بحرف عنة يجانس حركة الهمزة الأولى المضمومة، وهو حرف الواو، فصارت: أومن.

ومعناها: أصدق وهي تتعدى بحرف، وب herself مباشرة.

وأبو محمد عليم بأسرار اللغة والصرف.

ولكن المعنى يكون هكذا: وكنت لا أصدق قتله لي!

(١) الجذوة ص ٣٤.

(٢) البيان المغرب ١٤١/٢.

والسياق عندما علل ينقض هذا المعنى.
لأن معنى السياق وكنت لا أكذب قتله لي، لأنه جائز.
وبعد هذا التعب في التخريج نرجح أن النسخة محرفة وأن الصواب:
وكنت لا آمن قتله.

* كثرة القسم والمبالغة فيه ظاهرة في كتب أبي محمد، وهي ظاهرة غير حميدة.

٤ - قال أبو عبدالله الحميدي في كلامه عن الزبيري:

حدثني أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الفارسي
الفقيه وأملاه علي بالأندلس قال:

نا أبو البركات محمد بن عبد الواحد الزبيري قال:

حدثني أبو علي حسن بن الأشكري المصري قال:

كنت من جلاس تميم بن أبي تميم ومن يخف عليه جداً قال: فارسل
إلى بغداد، فابتيعت له جارية رائعة فائقة الغناء، فلما وصلت إليه دعا
جلساءه قال: وكنت فيهم، ثم مدت الستارة وأمرها بالغناء فغنت:

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى برق تسأل موهناً لمعانه
يسدو كحاشية الرداء ودونه صعب الذرى متمنع أركانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه والماء ما سمحت به أجفانه

قال: فأحسنت ما شئت، وطرب تميم وكل من حضر ثم غنت:

ستسليك عما فات دولة مفضل أوائله محمودة وأواخره
ثنى الله عطفه وألف شخصه على البر مذ شدت عليه مآزره

قال: فطرب تميم ومن حضر طرباً شديداً.

قال: ثم غنت:

أستودع الله في بغداد لي قمراً بالكرخ من فلك الأزارار مطلعته

قال : فاشتد طرب تميم ، وأفرط جداً ثم قال لها :

تمني ما شئت فلك منك؟! !

فقالت : أتمنى عافية الأمير وسعادته .

فقال : والله لا بد لك أن تتمني؟

فقالت : على الوفاء أيها الأمير بما أتمنى؟

فقال : نعم .

فقالت : أتمنى أن أغني هذه النوبة ببغداد .

فقال : فاستنقع لون تميم ، وتغير وجهه ، وتكدر المجلس وقام وقمنا .

قال ابن الأشكري : فلحقني بعض خدمه وقال لي :

ارجع فالأمير يدعوك ، فرجعت فوجدته جالساً ينتظرني ، فسلمت

وقمت بين يديه .

فقال : ويحك!

أرأيت ما امتحنا به؟

فقلت : نعم أيها الأمير، فقال :

لا بد من الوفاء لها ، وما أثق في هذا بغيرك فتأهب لتحملها إلى

بغداد فإذا غنت هنالك فاصرفها .

فقلت : سمعاً وطاعة .

قال : ثم قمت وتأهبت .

وأمرها بالتأهب ، وأصحابها جارية له سوداء تعادلها وتخدمها وأمر

بناقة ومحمل ، فأدخلت فيه وجعلها معي وصرت إلى مكة مع القافلة .

فقضينا حجتنا ثم دخلنا في قافلة العراق وسرنا فلما وردنا القادسية ،

أتتني السوداء عنها ، فقالت :

تقول لك سيدتي : أين نحن؟

فقلت لها : نحن بالقادسية .

فانصرفت إليها وأخبرتها .

فلم أنشب أن سمعت صوتها قد ارتفع بالغناء :

لما وردنا القادسية حيث مجتمع الرفاق
وشممت من أرض الحجاز (م) شميم أنفاس العراق
أيقنت لي ولمن أحب بجمع شمل واتفاق
وضحكت من فرح اللقاء (م) كما بكيت من الفراق

فتصايح الناس من أقطار القافلة:

أعيدني بالله؟! أعيدي بالله!؟

قال: فما سمع لها كلمة.

قال: ثم نزلنا الباسرية، وبينها وبين بغداد نحو خمسة أميال في
بساتين متصلة ينزل الناس بها يبيتون لينتهم ثم ييكررون لدخول بغداد.

فلما كان قرب الصباح إذ بالسوداء قد أتتني مذعورة.

فقلت: مالك؟

فقالت: إن سيدتي ليست بحاضرة.

فقلت: ويلك وأين هي؟

قالت: والله ما أدري.

قال: فلم أحس لها أثراً بعد.

ودخلت بغداد وقضيت حوائجي بها وانصرفت إلى تميم فأخبرته
بخبرها فعظم ذلك عليه واغتم له.

ثم ما زال بعد ذلك ذاكرها لها واجماً عليها^(١).

(١) جذوة المقتبس ص ٦٦ - ٦٨ ط م السعادة بمصر وسارمز لهذه الطبعة بحرف (ق) دلالة على
الطبعة القديمة وص ٧١ - ٧٣ ط الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر عام ١٩٦٦ وسارمز
لهذه الطبعة بحرف (ج). وقال الضبي: حدثني غير واحد عن شريح بن عجمد [عن]
علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الفارسي الفقيه. ثم ساق الخبر بغية الملتبس
ص ٩٦ - ٩٧ طبعة مجريط روضح سنة ١٨٨٤م تصوير المثني والخانجي وسارمز لهذه
الطبعة بحرف (ق) وص ١٠٦ - ١٠٨ نشر دار الكتاب العربي سنة ١٩٦٧م وسارمز لهذه
الطبعة بحرف (ج).

التعليق على النص

- * الزبيرى: هو أبو البركات محمد بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الله ابن محمد بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير الزبيرى. قال الحميدى: مولده بمكة سنة ٣٥٧هـ. وقال أبو محمد بن خزرج: كان ثقة متخرجاً فيها نقله. لقيته بأشبيلية وأخذت عنه سنة ٤٣٤هـ. وأخبرني أن مولده ٣٤٧هـ، وكان ممتعاً رحمه الله^(١).
- * هذه القصة أوردها ابن دحية في المطرب. وذكر الحميدى أن ابن حزم أملاها عليه بالأندلس. قال أبو عبد الرحمن: لعلها من طوق الحمامة الأصل أو من كتابه المرطار وهو الأرجح.
- * وتميم من الأمراء العبيديين الفاطميين، وله ذكر في نقط العروس.
- * وهذا النص أورده الدكتور إحسان عباس وخرجه مع مقارنة بالمصادر الأخرى^(٢).

هـ - قال ابن حزم^(٣):

أولى الكتب الصحيحان، ثم صحيح سعيد بن السكن، والمنتقى لابن الجارود، والمنتقى لقاسم بن أصبغ.

ثم بعد هذه الكتب كتاب أبي داود وكتاب النسائي ومصنف قاسم ابن أصبغ، ومصنف الطحاوي، ومسانيد أحمد والبخاري وابن أبي شيبة وابن بكر وعثمان وابن راهوية والطيالسي والحسن بن سفيان والمسندي وابن

(١) الجذوة ص ٦٦ ق والصلة لابن بشكوال ٥٦٣/٢.

(٢) رسائل ابن حزم - الملحق بتحقيق الدكتور إحسان عباس ٢١٩/٢ - ٢٢٠ صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر - الطبعة الأولى عام ١٩٨١. وسأمر هذه الطبعة بحرف (ج).

(٣) منقول عن كتابه مراتب الديانة وهو كتاب مفقود اليوم.

سنجر ويعقوب بن شية وعلي بن المديني وابن أبي عزرة وما جرى مجراها (من الكتب)، التي أفردت لكلام رسول الله ﷺ صرفاً. ثم بعدها الكتب التي فيها كلامه وكلام غيره، ثم ما كان فيه الصحيح فهو أجل، مثل: مصنف عبد الرزاق، ومصنف ابن أبي شية، ومصنف بقي بن مخلد، وكتاب محمد بن نصر المروزي، وكتاب ابن المنذر، ثم مصنف حماد بن سلمة، ومصنف سعيد بن منصور، ومصنف وكيع، ومصنف الفريابي، وموطأ مالك وموطأ ابن أبي ذئب، وموطأ ابن أبي وهب، ومسائل ابن حنبل، وفقه أبي عبيد، وفقه أبي ثور. وما كان من هذا النمط مشهوراً كحديث شعبة وسفيان والليث والأوزاعي والحميدي وابن مهدي وما جرى مجراها.

فهذه طبقة موطأ مالك بعضها أجمع للصحيح منه وبعضها مثله وبعضها دونه.

ولقد أحصيت ما في حديث شعبة من الصحيح فوجدته ثمان مئة حديث ونيفاً مسندة ومرسلاً يزيد على المئتين، وأحصيت ما في موطأ مالك، وما في حديث سفيان بن عيينة، فوجدت في كل واحد منهما من المسند خمس مئة ونيفاً مسنداً وثلاث مئة مرسلاً ونيفاً، وفيه نيف وسبعون حديثاً قد ترك مالك نفسه العمل بها وفيها أحاديث ضعيفة وهاها جمهور العلماء^(١).

وقال ابن حزم في موطأ مصعب هذا زيادة على سائر الموطآت نحو مئة حديث^(٢).

٦ - قال أبو محمد:

فصل أسواق العرب في الجاهلية.

(١) تدريب الراوي للسيوطي ص ٥٤ - ٥٥ نقلاً عن مراتب الدنيا لابن حزم.

(٢) التدريب ص ٥٤.

دومة الجندل / من أول ربيع الأول إلى نصفه بإلقاء الحجارة^(١).
 والمشقر / أول جمادى الآخرة بالملامسة والإيماء ولهمهمة.
 صحار / لعشر يمضين من رجب خمسة أيام.
 دبا / آخر رجب.
 الشحر / النصف من شعبان بإلقاء الحجارة.
 عدن / من رمضان إلى عشرين يمضين منه.
 صنعاء / من نصف رمضان إلى آخره.
 الرابية بحضرموت / من نصف ذي القعدة (٢٢ إلى آخره)^(٢).
 المجاز / من أول ذي الحجة آخر يوم التروية ثم يصيرون إلى منى.
 نظاة خيبر / من يوم عاشوراء إلى آخر الشهر.
 عكاظ بنجد / من نصف ذي القعدة إلى آخر الشهر.
 وكان القضاء بعكاظ والإفاضة بالناس من المزدلفة لعدوان وآخر من
 قضى منهم عامر بن الضرب.

وآخر من أفاض منهم أبو سيارة عميلة بن الأعزل.
 ثم صار القضاء والإفاضة إلى تميم، وآخر من قضى منهم الأقرع بن
 حابس، وآخر من أفاض منهم كرب بن صفوان من بني سعد بن زيد مناة
 ابن تميم.

وكان سدنتهم وأمناؤهم قريشاً ومفتوهم بني بكر من كنانة.
 وورث بنو تميم الرمي والنفر والإجازة من صوفة وورثها صوفة من
 أنحواله جرهم.

قال ابن إسحق: وقد ورث سعد بن القعدد من صوفة الدفع
 بالناس

من عرفة ومن جمع غداة النحر إلى منى والإجازة بهم إذا نفروا من منى^(٣).

(١) بإلقاء الحجارة: أي أن طريقة المبايع في تلك السوق بإلقاء الحجارة. حمد الجاسر.

(٢) في الأصل مكتوب تحت كلمة ذي القعدة كلمة رمضان. حمد الجاسر.

(٣) مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق ٢٥ ص ٢٤٧ - ٢٥٨.

التعليق على النص

* ذكر بروكلمان أن لأبي محمد بن حزم كتاباً عن أسواق العرب، ولم أر من ذكر لابن حزم كتاباً بهذا الاسم غيره، وهذا الفصل الذي أوردته عن أسواق العرب في الجاهلية فصل من كتاب ابن حزم (جمهرة أنساب العرب) إلا أن ناشري الكتاب: بروفنسال ثم عبد السلام هارون، أهملوا إيراد هذا الفصل في الجمهرة مع أنه موجود في النسخة المصورة بدار الكتب، وكلاهما يزعم أنها من النسخ التي اعتمد عليها.

قال شيخنا حمد الجاسر:
«ولم أهتم إلى تعليل عدم وجوده (أي هذا الفصل) في المطبوعة مع أن من ألفوا في الأنساب تكلموا عن أسواق العرب مثل القلقشندي في نهاية الأرب، والسويدي في سبائك الذهب».

قال أبو عبد الرحمن:
«وهذا الفصل استدركه شيخنا حمد الجاسر فنشره بمجلة المجمع العلمي العربي في دمشق ضمن مقالة بعنوان (نظرة في كتاب جمهرة أنساب العرب)، ولهذا أوردت هذا الفصل كما حققه شيخنا متعنا الله به».

٧ - قال أبو محمد:

رأينا من يقر بالخالق تعالى ولا يقر بالنبوة، ومن يذهب إلى ذلك وناظرناه على ذلك، فقلت: إن الذي تقول ممكن في قوة الله تعالى والذي نقول نحن من أنه تعالى خلق من النوع الإنساني ذكراً واحداً وأنثى واحدة تناسل الناس كلهم منها ممكن أيضاً، فمن أين ملئت إلى تلك الحيثية دون هذه، فتردد ساعة فلما لم يجد دليلاً قال: فمن أين ملتم أنتم أيضاً إلى هذه الحيثية دون تلك، فقلت: لبراهين ضرورية توجب ما قلنا وتنفي ما قلتم.

منها أنه لو كان ما قلت، لكان كل من أخرجته الله تعالى حينئذ من العدم إلى الوجود من الشبان والشيخوخ يعلمون ذلك ويحسونه من أنفسهم، ويوقنون أنهم لم يكونوا قبل ذلك لكن حدثوا الآن في حال توليهم

لصناعاتهم وتجاراتهم وأعمالهم من حرث وحصاد ونسج وخياطة وخبر وطبخ وغير ذلك، ولو كان هذا لنقلوه إلى أولادهم نقلاً يقتضي لهم العلم الضروري بذلك، ولا بد كما يقتضي العلم الضروري كل نقل جاء بأقل من هذا المجيء مما كان قبلنا من الملوك والدول والوقائع، ولبلغ الأمر إلينا كذلك ولعلمه جميع الناس علماً ضرورياً، لأن شيئاً ينقله جميع أهل الأرض عن مشاهدتهم له لا يمكن التشكك فيه أبداً، كما نقل طلوع الشمس وغروبها والموت والولادة وغير ذلك.

ونحن نجد الأمر بخلاف^(١) هذا لأننا نجد جميع أهل الأرض قاطبة، لا يعرفون هذا بل لا يدرية أحد منهم، وإنما قلته أنت ومن وافقته أو من وافقك برأي وظن، لا بخبر ونقل، أصلاً هذا ما لا تخالفنا فيه أنت، ولا أحد من الناس فمن المحال الممتنع أن يكون خبر نقله جميع سكان العالم أولهم عن آخرهم إلى كل من حدث بعدهم عما شاهدوه يخفى حتى لا يعرفه أحد من سكان الأرض هذا أمر يعرف كذبه بأول العقل وبديته.

فقال: والذي تحكمونه أنتم أيضاً قد وجدنا جماعات ينكرونه فينبغي أن يبطل بما عارضتنا به.

فقلت: بين النقلين فرق لا خفاء به لأن نقلنا نحن لما قلناه، إنما يرجع إلى خبر رجل واحد وامرأة واحدة فقط، وهما أول من أحدثهم الله تعالى من النوع الإنساني، وما كان هكذا فإنه لا يوجب العلم الضروري إذ التواطؤ ممكن في ذلك، ولولا أن الأنبياء والذين جاؤوا بالمعجزات أخبروا بتصحيح ذلك ما صح قولنا من جهة النقل وحده، بل كان ممكناً أن يكون الله تعالى ابتداءً خلق جماعة تناسل الخلق منهم، لكن لما أخبر من صححت المعجزة قوله بأن الله تعالى لم يبتدئ من النوع الإنساني إلا رجلاً واحداً وامرأة واحدة وجب تصديق قولهم.

وبرهان آخر وهو أنكم قد أثبتتم ضرورة صحة قولنا، من أن الله ابتداءً النوع الإنساني بأن خلق ذكراً وأنثى، ثم ادعيتم زيادة أن الله تعالى

(١) يعني علم الناس بحدوثهم لو كانوا غير متناسلين من ذكر وأنثى فقط.

خلق سواهما جماعات، ولم تأتوا على ذلك ببرهان أصلاً ولا بدليل إقناعي، فضلاً عن برهاني وقد صحت البراهين التي قدمنا قبل أنه لا بد من مبدأ ضرورة فوجب ولا بد حدوث ذكر وأنثى، وكان من ادعى حدوث أكثر من ذلك مدعياً لما لا دليل له عليه أصلاً وما كان هكذا فهو باطل ييقن لا مربة فيه.

وكل من ذكرت عنهم نبوة في الهند والمجوس والصابئين واليهود والنصارى والمسلمين، فلم يختلفوا في أن الله تعالى إنما أحدث الناس من ذكر وأنثى، وما جاء هذا المجيء فلا يجوز الاعتراض عليه بالدعوى وإنما اختلف عنهم في الأسماء فقط، وليس في هذا معترض لأنه قد يكون للمرء أسماء كثيرة فلم يمنع من هذا مانع وبالله تعالى التوفيق.

قال أبو محمد رضي الله عنه: فلم نجد عندهم في ذلك معارضة أصلاً، وما علمنا أحداً من المتكلمين ذكر هذه الفرقة أصلاً.

وقلت له في خلال كلامي معه: أترى العالم إذا خرج دفعة أخرج فيه الحوامل يطلقن والطباقون قعوداً على أطباقهم يبيعون التين والسرقين، فضحك وعلم أني سلكت به مسلك السخرية في قوله لفساده.

وقال لي: نعم. فقلت: ينبغي أن يكونوا كلهم أنبياء يوحى إليهم أولهم عن آخرهم بما هم عليه من العلوم والصناعات أو يلهمون ذلك، وفي هذا من بطلان الدعوى ما لا خفاء به.

وكان مما اعترض به أن ذكر الجزائر المنقطعة في البحار، وأنه يوجد فيها النمل والحشرات وكثير من الطير وكثير من حشرات الأرض، فقلت: إن كل ذلك لا ينكر ذو حس دخوله في جملة رحالات المسافرين الداخلين إلى تلك البلاد فقد شاهدنا دخول الفيران في جملة الرحل كذلك وليس في ذلك ما يوجب ما ذكرت أصلاً مع أن الحيوان نوعان: نوع متولد بخلقه الله تعالى من عفونات الأبدان وعفونات الأرض فهذا لا ينكر تولده بإحداث الله تعالى له في كل حين، وقسم آخر متولد قد رتب الله تعالى في بنية العالم أنه لا يخلقه إلا عن مني ذكر وأنثى، فهذا هو الذي صار في

تلك الجزائر عن دخول إليها بلا شك وبالله تعالى التوفيق.

وما ننكر في كل نوع ما عدا الإنسان، أن يخلق الله منه أكثر من اثنين فهذا ممكن في قدرة الله تعالى ولم يأت خبر صادق بخلافه، لأن الله تعالى قد قال: في أمر نوح عليه السلام وسفينته حين الطوفان: ﴿احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول﴾ ومع هذا فقد يمكن أن يكون نوح عليه السلام مأموراً بأن يحمل من كل زوجين اثنين، ولا يمنع ذلك من بقاء بعض أنواع نبات الماء وحيوانه في غير السفينة والله أعلم، وإننا نقول فيها لا يخرج العقل إلى الوجوب والامتناع بما جاءت به النبوة فقط.

وبرهان آخر، وهو أنه لو كان إخراج الله تعالى لكل ما في العالم من العلوم والعلماء بها، والصناعات والصانعين لها دفعة واحدة، لكان ذلك بضرورة العقل وأوله لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما: إما أن يكون ذلك بوحى إعلام وتوقيف منه تعالى، وإما بطبع مركب فيهم يقتضي لهم ما علموا من ذلك وما صنعوا. فإن كان بوحى إعلام وتوقيف، فقد صحت النبوة لجميعهم إذ ليست النبوة معنى غير هذا وهذه دعوى ممن قال بهذا القول بلا دليل، وما لا دليل عليه فهو باطل لا يجوز القول به، لا سيما والقائلون بها منكرون النبوة فلاح تناقض قولهم. وإن كان كل ذلك عن طبيعة تقتضي لهم كونهم عالمين بالعلوم متكلمين باللغة متصرفين في الصناعات بلا تعليم ولا توقيف، فهذا محال ضرورة وممتنع في العقل وفي الطبيعة. إذ لو كان ذلك لوجدوا أبداً كذلك، إذ الطبيعة واحدة لا تختلف وبالضرورة ندري أنه لا يوجد أحد أبداً في شيء من الأزمان ولا في مكان أصلاً يأتي بعلم من العلوم لم يعلمه إياه أحد، ولا يتكلم بلغة لم يعلمه إياها أحد، ولا بصناعة من الصناعات لم يوقفه عليها أحد.

وبرهان ذلك ما قدمنا قبل من أن البلاد التي ليست فيها العلوم وأكثر الصناعات كأرض الصقالبة والسودان والبوادي التي في خلال المدن، ليس يوجد فيها أبداً أحد يدري شيئاً من العلوم، ولا من الصناعات حتى

يعلمه ذلك معلم، وأنه لا ينطق أحد حتى يعلمه معلم. فظهر فساد هذا القول ببرهان وقبل البرهان بتعريه من البرهان^(١).

التعليق على النص

تقوم هذه المناظرة على دعويين:

- أ - دعوى ابن حزم أن الله خلق ذكراً وأنثى تناسل منهما البشر.
ب - دعوى خصم ابن حزم أن الله سبحانه وتعالى خلق جماعة دفعة واحدة تناسل منهم الخلق.

وقد أقام ابن حزم دعواه على عدة براهين يبين بها منهجه في الجدل وهي كالآتي:

١- لو كان بداية البشر خلق جماعة دفعة واحدة لنقل ذلك إلى الخلف نقل الكافة. فلما تخلف نقل الكافة هنا بطلت الدعوى.
وجعل أبو محمد نقل الكافة المتخلف ها هنا شرطاً لصحة دعواهم لأجل هذه الأسباب:

- أ - أن من خلقوا دفعة واحدة دون المرور بحضانة المهد مباشرين لأعمال الحياة منذ خلقهم، لا بد أن يتقلوا ذلك لأولادهم الذين كانوا بخلافهم إذ مروا بحضانة المهد.
ولا يتصور تخلف نقل الكافة ها هنا، لأن كل حدث وهو أقل من هذا لم يتعر من نقل الكافة كأخبار الملوك قبلنا.

(١) الفصل ٥٢/١ - ٥٥ ط م صبيح وسارمز لها بحرف (ق) والفصل ٦٥/١ - ٦٩ نشر دار المعرفة ببلدان عام ١٣٩٥ هـ وهو تصوير لطبعة القديمة وسارمز لهذه الطبعة بحرف (ج).
قال أبو عبد الرحمن: وشق علي المقارنة بالاصول الخطية مع أن لدي صوراً لعدد منها.
ومعنى آخر كلامه: أن قولهم باطل من ناحيتين:
أولاهما: إقامة ابن حزم البرهان على بطلانه.
وأخرهما: أن قولهم ذاته عار من البرهان.

ب- أن الخصم استبعد شهادة الشرع، فلا يتصور لإثبات دعواه أي وسيلة غير نقل الكافة وهذا معدوم.

وما دام نقل الكافة متخلف ها هنا فالدعوى باطلة بيقين، لأنه محال أن يوجد حدث يعم الجيل ثم يخفى عن الذي بعده. ومن المحال أيضاً اندراس نقل الكافة لتلاحم الأجيال.

٢- بيان الشرع لأنه خبر بلغ بواسطة من صححت المعجزة قوله وهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

٣- الأخذ بمبدأ بعض علماء أصول الفقه، وهو الأخذ بأقل ما قيل لأنه المتفق عليه. ودعوى ابن حزم هي أقل ما قيل. وفي دعوى خصمه زيادة غير متفق عليها فتحتاج إلى برهان مستقل ولا برهان عليها.

٤- التمسك بشاهد الحال لإقامة دعواه، وهو سنة الله الكونية في حضارة البشر منذ المهد إلى البلوغ، والإصرار على أن طبيعة البشر واحدة في كل زمان ومكان. وإنما يحدث الاختلاف بأمر زائد على الطبيعة كالتعليم والممارسة.

ومن أدلة خصم ابن حزم على خلق البشر متناسلين من جيل خلقوا دفعة واحدة: أنه يوجد في الجزائر المنقطعة حيوانات لا بد أنها خلقت بدءاً.

ويرد ابن حزم على ذلك بتقسيم جيد للحيوان، فمنه متولد يخلقه الله تعالى من عفونات الأرض والأبدان فهذا لا خلاف فيه.

ومنه متوالد يوجد من ذكر وأنثى، فإن وجد هذا النوع في الجزائر المنقطعة فهو وافد إليها، وذلك متصور كأن يرد في رحل المسافرين فيتوالد.

وأبو محمد نفسه شاهد دخول الفيران في جملة الرحل.

وأبو محمد بعد هذا يحدد موضع الخلاف بالبشر لأن الشرع نص على أنهم خلقوا من ذكر وأنثى فقط.

وما عدا البشر فهو في حكم الإمكان ما لم يرد برهان بالوجوب أو الامتناع.

٨- قال الحميدي :

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال :
حدثنا القاضي أبو الوليد بن الصغار قال :
سمعت يحيى بن مجاهد الفزاري الزاهد يقول :
هذا أوان طلبتي للعلم إذ قوي فهمي ، واستحكمت إرادتي .
قال . فقلت له :

فعلمتنا الطريق لعلمنا ندرك ذلك في استقبال أعمارنا .

فقال : نعم كنت آخذ من كل علم طرفاً ، فإن سماع الإنسان قوماً
يتكلمون في علم وهو لا يدري ما يقولون غمة عظيمة .
أو كلاماً هذا معناه^(١) .

التعليق على النص

* يروي الحميدي هذا النص من كتاب ابن حزم (رسالة مراتب
العلوم)^(٢) ، ولقد علق أبو محمد على هذا النص بقوله :
ولقد صدق رحمه الله .

* وابن مغيث توفي سنة ٤٢٩ هـ ، وما دام ابن حزم ترحم عليه فقد ألف
رسائله بعد هذا التاريخ .

٩- قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن محمد بن أبي عيسى :

« أخبرني أبو محمد علي بن أحمد قال :
أخبرني يونس بن عبد الله عن أبيه :
أنه شاهد قاضي الجماعة محمد بن أبي عيسى في دار رجل من بني

(١) جذوة المقتبس ص ٣٧٩ ج ١ وص ٣٥٦ ق والبغية ص ٤١٢ ق وص ٥٠٧ ج ١ .

(٢) رسائل ابن حزم الأندلسي - المجموعة الأولى ط م دار الفنا نشر الخانجي والمثنى تحقيق
د . إسماعيل عباس ص ٧٠ - ٧١ وسأمرز لهذه الطبعة مستقبلاً بحرف (ق) .

حدير مع أخيه أبي عيسى في ناحية مقابر قريش، وقد خرجوا لحضور جنازة. وجارية للحديري تغنيهم هذه الأبيات:

طابت بطيب لثاتك الأقداح وزهت بخمرة خدك التفاح
وإذا الربيع تنسمت أرواحه طابت بطيب نسيمك الأرواح
وإذا الحنّادس ألبست ظلماءها فضياء وجهك في الدجى المصباح

قال: وكتبها قاضي الجماعة في يده ثم خرجوا.
قال: فلقد رأيته يكبر للصلاة على الجنازة والأبيات مكتوبة على باطن كفه^(١).

التعليق على النص

* قال الضبي: حدثني غير واحد عن شريح عن أبي محمد علي بن أحمد... ثم ساق الخبر.

* ولعل هذا الخبر عن كتاب المرطار لابن حزم في اللهو والدعابة، فقد نص أبو الأصبغ عيسى بن سهل في كتابه التنبيه على شذوذ ابن حزم: على أن لابن حزم كتباً بهذا الاسم.

* وقد حقق هذا النص الدكتور إحسان عباس في ملحقه^(٢).

١٠ - قال الحميدي:

حدثني أبو محمد علي بن أحمد قال:
حدثني أبو عبدالله محمد بن عبد الأعلى بن هاشم القاضي المعروف بابن الغليظ:
أن صهيب بن منيع كان نقش خاتمة:

(١) جذوة المقتبس ص ٧٥ ج ٧٠ ق والبنية ص ١٠٠ ق وصر ١١١ ج.

(٢) رسائل ابن حزم ٢/٢٢٢ ج.

يا علياً كل غيب كن رؤوفاً بصهيب

وأنه كان يشرب النبيذ، ولعله كان يذهب مذهب أهل العراق. فشرّب مرة [عند] الحاجب موسى بن حدير وكان من عظماء الدولة الأموية. فلما غفل: أمر باختلاس خاتمه، وأحضر نقاشاً فنقش تحت البيت المذكور:

واستر العيب عليه إن فيه كل عيب
ورد الخاتم إليه، وختم القاضي به زماناً حتى فطن له^(١).

التعليق على النص

* قال الضبي: حدثني غير واحد عن شريح بن محمد عن أبي محمد علي بن أحمد... ثم ساق الخبر. والظاهر أن هذا النص من كتاب ابن حزم في اللهو والدعابة، وأن كلاً من الحميدي وشريح رواه عنه.

١١- قال أبو محمد:

وأخبرني ابن شهيد وحامد بن سمحون:
أن ابن أبي الفهد نقض كل شعر قاله يماني في مفاخرة المضرية.
قال: وكان خروجه إلى المشرق في أيام المظفر بن أبي علمر بعد السبعين وثلاث مئة^(٢).

التعليق على النص

* حامد بن سمحون قرطبي من أهل البلاغة وله كتاب في البديع.

(١) الجذوة ص ٢٤٥ ج ١ وص ٢٢٨ ق والبغية ص ٣١٢ ق وص ٣٢٤ - ٣٢٥.
(٢) جذوة المقتبس ص ٢٥٩ ق و ص ٢٧٨ ج والبغية ص ٣٧٠ ج وص ٣٥٧ ق.

قال ابن الأبار: وهو فيها أحسنه صاحب التأليف في الأدوية^(١).
قال أبو عبد الرحمن: ويظهر أن هذا النص من كتاب الشعراء الوافدين
على ابن أبي عامر لابن حزم.

١٢- قال الحميدي:

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال:
حدثني أبو الفتح ثابت بن محمد الجرجاني قال:
كنت مع أبي الجيش مجاهد أيام غزاته سردانية في مرسى نهاه عنه أبو
خروب رئيس البحرين فلم يقبل منه.

فلما حصل ذلك المرسى هبت ريح فجعلت تقذف مراكب المسلمين
مركباً مركباً إلى الريف والروم وقوف لا شغل لهم إلا الأسر والقتل
للمسلمين.

فكلما سقط مركب بين أيديهم جعل مجاهد يبكي بأعلى صوته لا
يقدر هو، ولا غيره على أكثر، لارتجاج البحر، وزيادة الريح.

قال: فيقبل علينا أبو خروب وينشد:

بكاء دويل لا أرقأ الله عينه ألا إنما يبكي من الذل دويل^(٢)

ثم يقول: قد كنت حذرته من الدخول ها هنا فلم يقبل.

قال: فبجريعة الذقن ما تخلصنا في يسير من الراكب^(٣).

التعليق على النص

* قال الضبي: أخبرني أبو الحسن نجدة بن يحيى قال أنبأنا شريح ابن محمد

(١) التكملة ١/ ٢٨٠.

(٢) البيت الجري.

(٣) الجذوة ص ٣٣١ - ٣٣٢ ق وص ٣٥٣ ج والبيئة ص ٤٧٢ ج وص ٤٥٨ ق.

عن أبي محمد... ثم ساق الخبر.
قال أبو عبد الرحمن: لعل هذا الخبر من أوقات الأمراء بالأندلس.
*وهذا النص حققه الدكتور إحسان في ملحقه^(١).

١٣- قال أبو محمد عن حروف الهجاء:

وأخبرني المخبر وهو أبو الفتوح الجرجاني أنها تبلغ في اللغة الفارسية أربعين حرفاً، ولم أستخبره عن الكيفية في ذلك، إلا أن كانوا يعدون منها الأصوات الحادثة من إشباع الحركات الثلاث التي هي الرفع والنصب والخفض فحينئذ تبلغ واحداً وأربعين حرفاً^(٢).

التعليق على النص

*قال أبو عبد الرحمن: شيخه هنا أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني العدوي قدم الأندلس سنة ٤٠٦ هـ، وأمل بالأندلس كتاباً في شرح الجمل للزجاجي، مات مقتولاً ليلة السبت لليلتين بقيتا من المحرم سنة ٤٣١ هـ^(٣).

١٤- قال الحميدي عن أبي مروان عبد الملك بن الشويرب التجيبي:

ذكره أبو محمد علي بن أحمد وأنشدني له:
أيا ذا الفضل يا من لست أدري أشكو منه أم أشكو إليه
أني حق تناسي حق خل وأنت أعز مخلوق عليه^(٤)

(١) رسائل ابن حزم ٢/٢٢٨ ج.

(٢) التقريب لابن حزم ص ٤٨.

(٣) ترجمته في الذخيرة ١/٤ - ١٢٤ والجدوة ص ١٧٣ - ١٧٤ والصلة ١/١٢٥ والبيغة ص ٢٣٧ والإحاطة ١/٤٥٤ - ٤٥٨.

(٤) الجدوة ص ٢٨٦ ج وص ٢٦٧ ق والبيغة ص ٣٨٠ - ٣٨١ ج و ص ٣٦٨ ق ولعل هذا النص من كتاب ابن حزم عن اللهو والدعابة.

١٥- قال أبو محمد:

عم الدنيا من البلغاء الذين يتخللون بألسنتهم تحلل النافر، ويطيّلون في المعنى التافة إظهاراً لاقتدارهم على الكلام، جماعات لا بصائر لهم في دين الإسلام منذ أربع مئة عام وعشرين عاماً، فما منهم أحد يتكلف معارضته إلا افتضح وسقط وصار مهزأة ومعيرة يتماجن به وبما أتى ويتطايب عليه. منهم مسيلمة بن حبيب الحنفي لما رام ذلك لم ينطق لسانه إلا بما يضحك الثكلى.

وقد تعاطى بعضهم ذلك يوماً في كلام جرى بيني وبينه فقلت له: اتق الله على نفسك، فإن الله تعالى قد منحك من البيان والبلاغة نعمة سبقت بها، ووالله لئن تعرضت لهذا الباب بإشارة ليسلبك الله هذه النعمة وليجعلنك فضيحة وشهرة ومسخرة وضحكة كما فعل بمن رام هذا من قبلك.

فقال لي: صدقت والله وأظهر الندم والإقرار بقبحه^(١).

١٦- قال أبو محمد:

فقد تحيل ببعض الأجساد المعدنية إذا أذيب أنه ماء، وتحيل بالنفط الكاذب أنه نار.

ويقتل إنسان ويغشى، وآخر معد مخبوء، فيظهر ليرى أنه قتل ثم أحى كما فعل الحسين بن منصور الحلاج في الجلدي الأبلق، وكما فعل الشريعي، والنميري بالبعلة، وكما فعل زبزن بالزرزور.

وأنا أدري من يطعم الدجاج الزرنبيخ فتخدر ولا يشك في موتها ثم يصب في حلوقها فتقوم صحاحاً.

وإنما كانت تكون معجزة لو أحى عظاماً قد أرمت فيظهر نبات

(١) الفصل ١٠٦/١ ج ١/٨٤ ق.

اللحم عليها، فهذه كانت معجزة ظاهرة لا شك فيها ولا يقدر غير نبي عليها ألبتة.

وقد رأينا الدبر يلقي في الماء حتى لا يشك أحد أنها ميتة، ثم كنا نضعها للشمس فلا تلبث أن تقوم وتطير، وقد بلغنا مثل ذلك في الذباب المسترخي في الماء إذا ذر عليه سحق الأجر الحديد.

وآيات الأنبياء عليهم السلام لا تكون من وراء حائط، ولا في مكان بعينه، ولا من تحت ستارة ولا تكون إلا بادية مكشوفة.

وقد فضحت أنا حيلة أبي محمد المعروف بالمحرق في الكلام المسموع بحضرته ولا يرى المتكلم، وسمعت بعض أصحابه أن يسمعي ذلك في مكان آخر بحيث الفضاء دون بنيان فامتنع من ذلك فظهرت الحيلة.

ولما هي قصبة مثقوبة توضع وراء الحائط على شق خفي ويتكلم الذي طرف القصبة على فيه، على حين غفلة ممن في المسجد كلمات يسيرة الكلمتين والثلاث لا أكثر من ذلك فلا يشك من في البيت مع المحرق الملعون في أن الكلام اندفع بحضرته. وكان المتكلم في ذلك محمد بن عبدالله الكاتب صاحبه^(١).

١٧- قال أبو محمد في معرض رده على اليهود:

فنسبوا في نص توراتهم إلى إبراهيم عليه السلام أنه تزوج أخته، وقد وقفت على هذا الكلام بعض من شاهدناه منهم وهو إسماعيل بن يوسف الكاتب المعروف بابن النغرالي، فقال لي: إن نص اللفظة في التوراة أخت وهي لفظة تقع في العبرانية على الأخت وعلى القرية، فقلت: يمنع من صرف هذه اللفظة إلى القرية ها هنا قوله، لكن ليست من أمي وإنما هي بنت أبي فوجب أنه أراد الأخت بنت الأب، وأقل ما في هذا إثبات النسخ الذي تفرون منه فخلط ولم يأت بشيء^(٢).

(١) الفصل ١١٠/١ - ١١١ ج ١/٨٧ ق.

(٢) الفصل ١٢٥/١ ج ١/١٠٧ ق.

١٨- قال الحميدي عن سليمان بن مهران:

أنشدني أبو محمد علي بن أحمد قال:

أنشدني محمد بن الحسن المذحجي قال:

أنشدني الأديب سليمان بن مهران في مجلس الوزير أبي الأصمغ

عيسى بن سعيد وزير المظفر عبد الملك بن المنصور محمد بن أبي عامر:

خليلي ما للريح تأتي كأنها يخالطها عند الهبوب خلوق
أم الريح جاءت من بلاد أحبي فأحبها ريح الحبيب تسوق
سقى الله أرضاً حلها الأغيد الذي لتذكره بين الضلوع حريق
أصار فؤادي فرقتين فعنده فريق وعندي في السياق فريق^(١)

١٩- قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن ابن عبد ربه:

وما أنشدني من شعره علي بن أحمد وأخبرني:

أن بعض من كان يألفه أزمع على الرحيل في غداة ذكرها فأتت
السماء في تلك الغداة بمطر جود حال بينه وبين الرحيل فكتب إليه أبو عمر:

هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر هيهات يابى عليك الله والقدر
ما زلت أبكي حذار البين ملتهداً حتى رثى لي فيك الريح والمطر
يا برده من حيا وزن على كبد نيرانها بغليل الشوق تستعر
أليت أن لا أرى شمساً ولا قمراً حتى أراك فانت الشمس والقمر^(٢)

٢٠- قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن أحمد بن محمد بن فرج:

أنشدني له أبو محمد علي بن أحمد الفقيه:

بأيهما أنا في الشكر بادي بشكر الطيف أم شكر الرقاد؟

(١) الجذوة ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ج ٢٠٩ وص ٢٠٩ والبغية ص ٣٠٠ - ٣٠١ ج ٢٨٩ ق ولعل هذا النص من كتاب ابن حزم في اللهو والدعابة.

(٢) الجذوة ص ٩٤ ق وص ١٠١ - ١٠٢ ج وتذكرة الحميدي ورقة ٢٨٥ ضمن مجموع سبط ابن حجر والبغية ص ١٤٨ - ١٤٩ ج ١٣٧ - ١٣٨ ق ولعل هذا النص من كتاب ابن حزم في اللهو.

سرى وأراد بي أملي ولكن عفت فلم أنل منه مرادي
وما في النوم من حرج ولكن جريت من العفاف على اعتيادي^(١)

٢١ - قال أبو محمد:

وقد شاهدنا الناس وبلغتنا أخبار أهل البلاد البعيدة، وكثر بحثنا عما
غاب عنا منها، ووصلت إلينا التواريخ الكثيرة المجموعة في أخبار من سلف
من عرب وعجم في كثير من الأمم، فما وجدنا في ذلك المعهود من عدد
أولاد الذكور في المكثرين الذين يتحدث بهم عند كثرة الولد إلا من أربعة
عشر ذكراً فأقل، وأما ما زاد إلى العشرين فنادر جداً. هذه الحال في جميع
بلاد أهل الإسلام والذي بلغنا عن ممالك النصارى إلى أرض الروم وممالك
الصقالبة والترك والهند والسودان قديماً وحديثاً.

أما الثلاثون فأكثر، فما بلغنا ذلك إلا عن نفر يسير عمن سلف
منهم أنس بن مالك الأنصاري، وخليفة بن أبي السعدي، وأبو بكر. فإن
هؤلاء لم يموتوا حتى مشى بين يدي كل واحد منهم مئة ذكر من ولده.

وعمر بن عبد الملك، فإنه كان يركب معه ستون رجلاً من ولده،
وجعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس، فإنه عاش أربعون
ذكراً من ولده سوى أبنائهم.

وعبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية، فإنه
ولد له خمسة وأربعون ذكراً عاش منهم تيف وثلاثون. وموسى بن إبراهيم
بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب،
فإنه بلغ له منهم مبلغ الرجال واحد وثلاثون ابناً ذكوراً كلهم وكان أبوه
أميراً على اليمن مرة قائماً ومرة والياً للمأمون. ووصيف مولي المعتصم
التركي كان له خمسة وخمسون ذكراً بالغون من ولده الأذنين، وتامرت مولي
بني مناد صاحب طرابلس، فإنه كان يركب ومعه ثمانون ذكراً من أولاده

(١) الجذوة ص ٩٧ ق وص ١٠٥ والبقية ص ١٥٢ ج وص ١٤١ ق ولعل هذا النص من كتابه
في اللهو والدعاة.

الأدنين. إلا أن هذا كان يغتصب كل امرأة أعجبت من أمة أو حرة يولدها. ورجل من ملوك البربر من بني دمر معتزلي كان يركب معه مثنا فارس من ولده وولد ولده، وتميم بن زيد بن يزيد بن يعلى بن محمد العربي، فإنه بلغنا أنه كان له نيف وخسون ذكراً بالغون، وكان ملك بني نضر من ملك بلاداً عظيمة وأبو البهار بن زيري بن منكاد فكان يركب معه ثلاثون ذكراً من ولده الأدنين ومرزوق بن أشكر بن الثغري بجهة لاردة فكان يركب معه ثلاثون فارساً من ولده الأدنين، وبلغنا عن ملك من ملوك الهند أنه كان له ثمانون ولداً ذكوراً بالغون^(١).

٢٢ - قال أبو محمد:

وفي الباب الثالث عشر من إنجيل متى أن المسيح قال يشبه ملكوت السماء بحبة خردل ألقاها رجل في فدانها وهي أدق الزرايع كلها فإذا نبتت استعلت على جميع البقول والزرايع حتى ينزل في أغصانها طير السماء ويسكن إليها.

قال أبو محمد: حاشى للمسيح عليه السلام أن يقول هذا الكلام، لكن النذل الذي قاله كان قليل البصارة بالفلاحة وقد رأينا نبات الخردل ورأينا من رآه في البلاد البعيدة، فما رأينا قط ولا أخبرنا من رأى شيئاً منه يمكن أن يقف عليه طائر ومثل هذه المسامحات لا تقع لنبي أصلاً فكيف الله عز وجل^(٢).

٢٣ - قال أبو محمد:

ليعلم كل مسلم أن هؤلاء الذين يسمونهم النصارى ويزعمون أنهم كانوا حوارين للمسيح عليه السلام، كباطرة ومنى الشرطي ويوحنا ويعقوب ويهوذا الأخساء لم يكونوا قط مؤمنين فكيف حوارين، بل كانوا

(١) الفصل ١٧٥/١ - ١٧٦ ج ١/١٣٨ - ١٣٩ ق.

(٢) الفصل ٣٣/٢ - ٣٤ ج ٢/٤٤ ق.

كذابين مستخفين بالله تعالى: إما مقرين بإلهية المسيح عليه السلام معتقدين لذلك غالين فيه كغلو السبائية وسائر فرق الغالية في علي رضي الله عنه، وكقول الخطابية بإلهية أبي الخطاب وأصحاب الحلاج بإلهية الحلاج وسائر كفار الباطنية عليهم اللعنة من الله والغضب، وإما مدسوسين من قبل اليهود كما تزعم اليهود لإفساد دين أتباع المسيح عليه السلام وإضلالهم كانتصاب عبدالله بن سبأ الحميري والمختار بن أبي عبيد وأبي عبدالله العجاني وأبي زكريا الخياط وعلي النجار وعلي بن الفضل الجندي وسائر دعاة القرامطة والمشاركة لإضلال شيعة علي رضي الله عنه، فوصلوا من ذلك إلى حيث عرف وسلم الله من ذلك من لم يكن من الشيعة.

وأما الخواريون الذين أثنى الله عليهم فأولئك أولياء الله حقاً ندين الله عز وجل بحبهم ولا ندرى أسماءهم لأن الله تعالى لم يسمهم لنا إلا أننا نبت ونوقن ونقطع بأن باطرة الكذاب ومتى الشرطي ويوحنا المستخف ويهوذا ويعقوب النذلين ومارقس الفاسق ولوقا الفاجر ويولس الجاهل، ما كانوا قط من الخواريين، لكن من الطائفة التي قال الله فيها: ﴿وكفرت طائفة﴾ وبالله تعالى التوفيق^(١).

٢٤ - قال الحميدي في كلامه عن ابن ربيع:

أخبرنا أبو محمد قال [أي ابن ربيع]:

أخبرنا أبو علي القالي قال:

قرأت على أبي بكر بن دريد:

أقول لصاحبي والعيس تحدي بنا بين المنيفة والضممار

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار^(٢)

(١) الفصل ٣٨/٢ - ٣٩ ج ٢/٤٧ - ٤٨ ق.

(٢) الجذوة ص ٢٦١ - ٢٦٢ ج ٢ ص ٢٤٣ ق والبغية ص ٣٤٤ ج ٢ ص ٣٣١ ق.

التعليق على النص

* هذا النص من كتاب الأماي للقال، وبهذا الإسناد يروي الحميدي كتاب الأماي.

٢٥ - قال الحميدي في كلامه عن أبي علي القالي:

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال:

نا عبدالله بن ربيع التميمي قال:

نا أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي قال:

حدثني أبو معاذ عبدان الخوي المتطبب قال:

دخلنا يوماً بسر من رأى على عمرو بن بحر الجاحظ نعوده وقد فلج فلما أخذنا مجالسنا أتى رسول المتوكل إليه فقال:

وما يصنع أمير المؤمنين بشق مائل ولعاب سائل؟

ثم أقبل علينا فقال:

ما تقولون في رجل له شقان:

أحدهما: لو غرز بالمسال ما أحس

والشق الآخر: يمر به الذباب فيغوث

وأكثر ما أشكوه: الثمانون.

ثم أنشدنا أبياتاً من قصيدة عوف بن محلم الحراني^(١).

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن: شيخ أبي محمد هنا هو أبو محمد عبدالله بن محمد ابن ربيع بن صالح بن مسلمة بن بنوش التميمي من أهل قرطبة، روى عن أبي بكر بن الأحمر القرشي وأحمد بن مطرف وأحمد بن سعيد

(١) الجذوة ص ١٦٦ - ١٦٧ ج ١٥٧ ق والبغية ص ٢٣٣ ج ٢١٨ - ٢١٩ ق وانظر الأماي للقال ٥٠/١.

بن حزم وأبي عبدالله بن مفرج القاضي وأبي حفص الخولاني وأبي محمد بن عثمان الأسدي وأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم وأبي عبدالله بن الحراز ومنذر بن سعيد وأبي علي القالي.

* رحل إلى المشرق مع أبي أبي عبدالله بن عابد سنة ٣٨١هـ فحج، ولقي بمكة أبا الفضل الهروي، وكتب بمصر عن أبي بكر بن إسماعيل المهندس، ولقي بالقيروان أبا محمد بن أبي زيد.

* قال أبو عبد الرحمن العقيلي:
رأيت أبا محمد بن بنوش يصلي بمسجد أبي عبدة صلاة نافلة فسقط رداؤه عن منكبيه فما التفت إليه ولا اشتغل به لكثرة إقباله على صلاته، وشغل باله بها.

* قال ابن بشكوال:
وقال لي أبو الحسن بن مغيث:
واستقضي أبو محمد هذا بمالقة.
وكذلك قال ابن حزم.
ثم وجدت بخط أبي محمد بن خزرج:
أنه استقضي بشذونة والجزيرة بتقديم المهدي في مدته الأولى.

* وقال الخولاني في رجاله الذين لقيهم:
كان من أهل العلم والحديث مع العدالة، وله عناية قديمة مشهورة معلومة.
لقي جماعة من الشيوخ الرواة للعلم وكتب عنهم وسمع منهم.

* وقال أبو عمر بن مهدي:
كان أبو محمد نضر الله وجهه كثير الرواية مقيداً لها عالي الدرجة فيها ثقة مأموناً ذا دين وفضل.

* ولد في النصف من شعبان سنة ٣٣٠هـ، وتوفي غفر الله له ذنبه يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأول سنة ٤١٥هـ، ودفن

صبيحة يوم الجمعة برحبة غزيرة عند دار ابن شهيد.
ولم يخرج به إلى المقبرة، لشدة خوف البرابرة في ذلك الوقت نفعه الله
بذلك.

٢٦ - قال أبو عبدالله الحميدي في ترجمته لحسان بن مالك:

«وحدثنا عنه أبو محمد علي بن أحمد وقال: إنه عمل كتاباً على مثال
كتاب أبي السري سهل بن أبي غالب الذي ألف في أيام الرشيد كتاباً
أسماء كتاب (ربيعه وعقيل).

قال أبو محمد: وهو من أملح ما ألف في هذا المعنى وفيه من أشعاره
ثلاث مئة بيت.

قال: وكان سبب تأليفه إياه أنه دخل على المنصور أبي عامر محمد بن
أبي عامر وبين يديه كتاب أبي السري وهو يعجب به، فخرج من عنده
وعمل هذا الكتاب وفرغ منه تأليفاً ونسخاً وتصويراً وجاء به في مثل ذلك
اليوم من الجمعة الأخرى وأراه إياه فسر به ووصله عليه.

ومن أشعاره فيه:

سقى بلداً أهلي به وأقاربي	غواد بأثقال الحيا وروائح
وهبت عليهم بالعشي وبالضحى	نواسم من برد الظلال فوائح
تذكرتهم والنأي قد حال دونهم	ولم أنس لكن أوقد القلب لافح
ومما شجاني هاتف فوق أيكه	ينوح ولم أعلم بما هو نائح
فقلت: اتشد يكفيك أني نازح	وأن الذي أهواه عني نازح
ولي صبية مثل الفراخ بقفرة	مضى حاضنها فاطحتها الطوائح
إذا عصفت ريح أقامت رؤوسها	فلم تلقها إلا طيور بوارح
فمن لصغار بعد فقد أبيهم	سوى سائح في الدهر لو عن سائح ^(١)

(١) الجذوة ص ١٨٤ ق وص ١٩٦ ج والبقية ص ٢٧٠ - ٢٧١ ج وص ٢٥٥ - ٢٥٦ ق.

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن: الظاهر أن هذا النص من كتابه عن الشعراء الوافدين على المنصور.

٢٧ - قال الحميدي عن قاسم بن محمد:

وقد ذكره أبو محمد في موضع آخر فمد في نسبه وقال: قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد المحدث أندلسي مات في سنة ثمان وسبعين وميتين. ولقاسم بن محمد هذا تحقق بمذهب الشافعي وتواليف فيه على مخالفه. منها كتاب الإيضاح في الرد على المقلدين وغيره.

ويعرف بصاحب الوثائق وهو أشهر به.

روى عنه ابنه محمد ومحمد بن عمر بن لبابة، وأسلم بن عبد العزيز وأحمد بن خالد^(١).

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن: ليس هذا النص في رسالة الميزان ولعله من كتابه مراتب العلماء وتواليفهم وهو من كتب ابن حزم المفقودة.

٢٨ - قال الحميدي:

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد قال:

رأيت لبعض أصحابنا: عن أبي عمر أحمد بن الحباب قال:

خرجت مع يحيى بن مالك بن عايد المحدث من صلاة العتمة ليلاً من المسجد فشيئته إلى داره فقعده معي في دهليزه وقال:
أنشدني ابن المنجم ببغداد لعمه:

(١) الجذوة ص ٣٢٩ ج ١ وص ٣١٠ ق والبغية ص ٤٤٦ ج ١ وص ٤٣١ - ٤٣٢ ق.

تغنم بعض ما فاتك ولا تأس لما فاتك
ولا تركن إلى الدنيا ولا تذكر أمواتك

قال: فدعوت له بطول البقاء، والنساء في الأجل وسلمت عليه
وودعته وانصرفت: فما بلغت طرف الشارع حتى سمعت الصراخ عليه وقد مات^(١).

٢٩ - قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن أحمد بن قاسم:

أنشدني أبو محمد علي بن أحمد قال:

أنشدني أبو عمرو البياني:

إذا القرشي لم يشبه قریشاً بفعلهم الذي بز الفعلا
فتيس من تيسوس بني تميم بذى العبلات أحسن منه حالاً^(٢)

٣٠ - قال الحميدي عن أبي سعيد الوراق ذكره أبو محمد علي بن أحمد
وأخبرني عنه قال:

كنت بعرفات وقد نزلت رفقة من الأعراب فيهم أسود شاعر يخدمهم
فجعل النعاس يغلب عليه وهم يقيمونه لشغل لهم فلما طال عليه ضجر،
وجعل يقول:

في كل يوم شملت مبللة يقيّل الناس ولن أقيله^(٣)

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن: القائل كنت بعرفات هو أبو سعيد الوراق. أما
أبو محمد فلم يذهب إلى عرفات ولم يغادر الأندلس.

(١) الجذوة ص ٣٨٠ ج ٣ ص ٣٥٧ ق والبغية ص ٤٩٣ ق وص ٥٠٧ - ٥٠٨ ولعل هذا النص
عن كتاب ابن حزم المفقود عن مراتب العلماء وتوابعهم.

(٢) الجذوة ص ١٤٢ - ١٤٣ وص ١٣٣ ق والبغية ص ٢٠٢ ج وص ١٨٩ ق وأبو عمر البياني
أحمد بن قاسم من أحفاد قاسم بن أصبغ توفي سنة ٤٣٠ هـ ترجمته في الصلة ٥٢/١ ولعل
هذا النص من كتاب ابن حزم عن مراتب العلماء وتوابعهم.

(٣) جذوة المقتبس ص ٣٧٣ ق ص ٣٩٧ ج والبغية ص ٥٠٨ ق وص ٥٢٣ ج.

٣١ - قال الحميدي عن عبدالله بن يونس :

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال :

أشبرنا الكنائي قال :

أخبرنا أحمد بن خليل قال :

حدثنا خالد بن سعد قال :

حدثنا عبدالله بن يونس المرادي من كتابه قال :

حدثنا بقي بن مخلد قال :

حدثنا سحنون والحارث بن مسكين عن ابن القاسم عن مالك :

أنه كان يكثر أن يقول :

﴿إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين﴾^(١).

٣٢ - قال الحميدي عن عيسى بن مجمل :

ذكره أبو محمد علي بن أحمد وأنشدني من قوله في قوم زاروه ففقدوا

في دكانه ومنعوه من معيشته :

لعن الله زورة من رجال أتلفت متجبر المزور ودينه

إن أراد الصلاة لم يجد الباب (م) أو التجبر لم يريموه حينه^(٢)

٣٣ - قال أبو عبدالله الحميدي في كلامه عن محمد بن مسرة :

أنشدني أبو محمد علي بن أحمد قال :

أنشدني أبو عمر أحمد بن حبرون في مجلس الوزير أبي رحمه الله قال :

كتب أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن مسرة إلى أبي بكر اللؤلؤي

يستدعيه في يوم مطر وطين :

(١) الجذوة ص ٢٦٦ - ٢٦٧ ج وص ٢٤٨ ق والبغية ص ٣٣٩ - ٣٤٠ ق وص ٣٥٢ ج.

(٢) الجذوة ص ٢٩٩ ج وص ٢٨١ ق والبغية ص ٤٠٤ - ٤٠٥ وص ٣٩١ - ٣٩٢ ويظهر أن هذا النص من المطرار.

أقبل فإن اليوم يوم دجن إلى مكان كالضمير المكني
لعلنا نحكم أدن فن فأت عند الطين أمشي مني^(١)

٣٤ - قال الحميدي في كلامه عن إسماعيل بن إسحاق المنادي:

ذكره أبو محمد علي بن أحمد ورأيت بخطه من شعره بيتاً نسه إليه،
وهو:

وما الأخ بالصنو الشقيق وإنما أخوك الذي يعطيك حبة قلبه^(٢)
٣٥ - قال الحميدي:

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال:

حدثنا الكناني قال:

أخبرنا أحمد بن خليل قال:

نا خالد بن سعد قال:

حدثنا عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الحميد بن أبي زيد وكان
صدوقاً قال:

حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن نصر السرقسطي قال:

حدثنا أحمد بن عمرو يعني ابن السرح قال:

قال ابن وهب:

حججت سنة ثمان وأربعين ومئة فسمعت المنادي ينادي بالمدينة: أن
لا يفتي الناس إلا مالك بن أنس وعبد العزيز بن أبي سلمة.

قال خالد:

وكان ذلك عن رأي الحسن بن زيد خاصة، أراد أن يغيظ بذلك

(١) الجذوة ص ٦٣ ج ٥٩ ق وتذكرة الحميدي ورقة ٢٨٦ والبغية ص ٨٨ ج ٧٨ ق،
ولعل هذا من كتاب المطار لابن حزم.

(٢) الجذوة ص ١٦٢ ج ١٥٢ - ١٥٣ ق والبغية ص ٢٢٩ ج ٢١٥ ق.

محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن أبي ذئب، لأن ابن أبي ذئب وصف
الحسن بن زيد بحضرته بين يدي المنصور بالجور.

وكان المعروف في ذلك الزمان أن ابن أبي ذئب ومالك بن أنس
وغيرهما من علماء المدينة كانوا إذا اجتمعوا عند السلطان كان ابن أبي ذئب
أول من يسأل، وأول من يفتي.

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن: قال الضبي: أخبرني غير واحد عن أبي الحسن
شريح بن محمد بن شريح قال: نا الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن
حزم إجازة. ثم ساق الخبر^(١).

* ويظهر لي أن كل سياقات الحميدي بهذا الإسناد إنما هي عن أحد كتب
خالد بن سعد، ولعله كتابه عن فقهاء قرطبة.

٣٦ - قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن أحمد بن أفلح:

قال لي أبو محمد علي بن أحمد:
وقد رأيته وكان محدثاً أديباً شاعراً مقبولاً في الشهادة عند الحكام.
وأنشدني من شعره:

يا من شقيت على بعد الديار به
كما شقيت به إذ كان مقترباً
ما أستريح إلى حال فأحدهما
بالبين قلبي وقبل البين قد ذهب
إن كان لي أرب في العيش بعدكم
فلا قضيت إذاً من حبكم أرباً^(٢)

(١) الجذوة ص ١٥٧ - ١٥٨ ج وص ١٤٨ - ١٤٩ ق والبيه ص ٢١١ ق وص ٢٢٥ - ٢٢٦ ج.

(٢) الجذوة ص ١١٨ ج وص ١١٠ ق والبيه ص ١٧٠ ج وص ١٥٩ ق.

٣٧ - قال الحميدي عن ابن أبي الوليد:

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال:

أخبرنا الكناني:

حدثنا أحمد بن خليل:

حدثنا خالد بن سعد عن عبدالله بن أبي الوليد:

أنه سمع أبا الحسن أحمد بن صالح الكوفي يقول:

أبو النضر كان كبير الشأن بالمدينة.

أتى كتاب الخليفة إلى عامل المدينة في أمر فارس إلى أبي النضر

يشاوره في ذلك.

فقال له أبو النضر:

قد أتاك كتاب الله قبل أن يأتيك كتاب أمير المؤمنين فانظر أي

الكتابين أولى بك فخذ به^(١).

* قال أبو عبد الرحمن: وهذا الخبر رواه الضبي عن شريح بن محمد.

٣٨ - قال الحميدي:

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال:

حدثنا الكناني قال:

أخبرني أحمد بن خليل قال:

حدثنا خالد بن سعد قال:

أخبرني محمد بن عمر بن لبابة عن أبان بن عيسى بن دينار:

أن أباه عيسى بن دينار كان قد أجمع في آخر أيامه على أن يدع الفتيا

بالرأي، ويحمل الناس على ما رواه من الحديث في كتب ابن وهب وغيرها

حتى أعجلته المنية عن ذلك^(٢).

(١) الجذوة ص ٢٦٥ ج ١ وص ٢٤٧ ق والبغية ص ٣٥١ ج ٣ وص ٣٣٨ ق.

(٢) الجذوة ص ٢٩٨ ج ١ وص ٢٨٠ ق والبغية ص ٤٠٢ - ٤٠٣ ج ٤ وص ٣٨٩ - ٣٩٠ ق.

٣٩ - قال الحميدي عن ابن سلمة:

أخبرنا أبو محمد قال:

حدثنا عبد الرحمن بن سلمة قال:

أخبرني أحمد بن خليل قال:

حدثنا خالد بن سعد قال:

وحدثني عثمان بن عبد الرحمن بن أبي زيد وكان صدوقاً قال:

حدثنا إبراهيم بن نصر قال:

سمعت محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال:

أثبت الناس في مالك ابن وهب^(١).

٤٠ - قال الحميدي عن عمر بن حفص:

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد الفقيه قال:

حدثنا الكنائي قال:

أخبرني أحمد بن خليل قال:

حدثنا خالد بن سعد قال:

أخبرني عمر بن حفص بن غالب هو ابن أبي تمام وكان شيخاً عفيفاً
صالحاً قال:

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال:

أخبرنا الشافعي عن محمد بن علي قال:

إني لحاضر مجلس أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور وفيه ابن أبي ذئب،
وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال: فأتى الغفاريون، فشكوا إلى أبي
جعفر شيئاً من أمر الحسن بن زيد.

(١) الجذوة ص ٢٧٣ ج ٢ ص ٢٥٥ ق ولم يذكر صاحب البغية هذا الخبر في ترجمة عبد
الرحمن بن سلمة.

فقال الحسن :
سل فيهم ابن أبي ذئب ؟
قال : فسأله ، فقال :
ما تقول فيهم يا ابن أبي ذئب ؟
فقال : يا أمير المؤمنين أشهد أنهم أهل تحكم في أعراض المسلمين
كثيرو الأذى لهم .

فقال أبو جعفر : قد سمعتم ؟
فقال الغفاريون : يا أمير المؤمنين : سله عن الحسن بن زيد ؟
فقال : يا ابن أبي ذئب ، ما تقول في الحسن بن زيد ؟
قال : أشهد أنه يحكم بغير الحق .
فقال : قد سمعت يا حسن ما قال ابن أبي ذئب ؟
فقال : يا أمير المؤمنين ، سله عن نفسك ؟
فقال : ما تقول في ؟
قال : أوبعيفني أمير المؤمنين ؟
قال : والله لتخبرني ؟
قال : أشهد أنك أخذت هذا المال من غير حقه ، وجعلته في غير
أهله .

فوضع يده في قفا ابن أبي ذئب ، وجعل يقول له :
أما والله لولا أنا لأخذت أبناء فارس والروم والديلم والترك بهذا
المكان منك .

فقال ابن أبي ذئب :
قد ولي أبو بكر وعمر فأخذوا بالحق ، وقسموا بالسوية ، وأخذوا بأقفاء
فارس والروم .

قال : فخلى أبو جعفر قفاه ، وخلق سبيله ، وقال : والله لولا أعلم أنك
صادق لقتلتك .
فقال له ابن أبي ذئب :

والله يا أمير المؤمنين إني لأنصح لك من ابنك المهدي^(١).

٤١ - قال أبو عبدالله الحميدي في كلامه عن محمد بن فطيس:

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الحافظ قال:

حدثنا عبد الرحمن بن سلمة الكناني قال:

أخبرني أحمد بن خليل قال:

حدثنا خالد بن سعد قال:

سمعت سعيد بن عثمان العناقي وسعد بن معاذ ومحمد بن فطيس
يحسنون الثناء على أحمد بن عبد الرحمن بن وهب وهو ابن أخي ابن وهب
ويوثقونه. وكان محمد بن فطيس يعنف أحمد بن شعيب في تحامله عليه.

وقال سعد بن معاذ: إنه سمع محمد بن عبدالله بن عبد الحكم
يحسن الثناء عليه.

وقال لنا سعيد بن عثمان:

لما قدمنا مصر وجدنا يونس أمره صعباً، ووجدنا ابن أخي ابن وهب
أسهل، فجمعنا له دنائير وأعطيناها إياه، فقرأ لنا موطأ عمه وجامعه.

قال خالد: فسمعت محمد بن فطيس يقول وقد ذكر هذا الخبر قال:

فصار في نفسي شيء، فأردت أن أسأل ابن عبد الحكم عن ذلك
وكنت أقرأ عليه رأي أشهب، فخشيت إن سألته في أول المجلس عن ذلك
أن يخرج عليّ إذ كانت فيه حدة، فلما قرأت عليه بعض الكتاب قلت له:

أصلحك الله العالم يأخذ الأجرة على قراءة العلم؟

قال: فضرب الدفتر الذي كان بيدي من أسفله حتى ارتفع إلى

(١) الجزء ص ٣٠٠-٣٠١ ج ١ ص ٢٨١-٢٨٢ ق والسيف ص ٤٠٥-٤٠٦ ج ١ ص ٣٩٢-٣٩٣ ق

وجهي وشعر فيما ظهر لي أني إنما سألته عن ابن أخي ابن وهب .
فقال لي : جائز عافاك الله حلال أن لا أقرأ لك ورقة إلا بدرهم .
ومن أخذني أن أقعد معك طول النهار . وأدع ما يلزمني من أسبابي ونفقة
عيالي؟^(١) .

٤٢ - قال أبو عبدالله الحميدي في كلامه عن محمد بن سعيد الملقب :

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد قال :
نا عبد الرحمن بن سلمة الكتاني قال :
أخبرني أحمد بن خليل قال :
نا خالد بن سعد قال :

سمعت محمد بن عمر بن لبابة يحتج بحديث النبي ﷺ الذي فيه :
أولئك الذين نهاني الله عنهم وبذهب إلى أن لا يقتل الزنديق حتى
يستتاب . وكان ابن لبابة يخالف قول مالك في ذلك .

قال خالد : فأخبرني محمد بن عبدالله بن قاسم الزاهد : أنه سمع أبا
عبد الرحمن بقي بن مخلد يذهب إلى أن لا يقتل الزنديق حتى يستتاب .
وشاورهم في ذلك الأمير عبدالله .

فأفتاه بقي بالاستتابة ووافقه على ذلك محمد بن سعيد بن الملقب .
وخالفهما قاسم بن محمد فأفتى بترك الاستتابة .

قال خالد : قال لي محمد بن عبدالله بن قاسم :
فسمعت بقي بن مخلد ينكر ذلك على قاسم بن محمد وقال : فارق
مذهبه ، ووافقتني على مذهبي محمد بن سعيد وإنما مذهبه الرأي . أو كما
قال^(٢) .

(١) الجذوة ص ٨٤ - ٨٥ ج وص ٧٨ - ٧٩ ق والبغية ص ١٢١ - ١٢٢ ج وص ١١١ - ١١٢ .

(٢) الجذوة ص ٥٩ ج وص ٥٥ ق ولم يذكر الضبي هذا الخبر في ترجمة ابن الملقب .

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال:

حدثنا الكناني قال:

أخبرنا أحمد بن خليل:

حدثنا خالد بن سعد قال:

سمعت محمد بن عمر بن لبابة يقول:

أخبرني أبو خالد مالك بن علي القرشي الزاهد، وكان محمد بن عمر ابن لبابة يذكر فضله ويقدمه على جميع من رأى من أهل العلم في الاجتهاد والعبادة قال أخبرنا القعنبي قال:

دخلت على مالك بن أنس في مرضه الذي مات فيه، فسلمت عليه ثم جلست فرأيت يبكي.

فقلت: يا أبا عبدالله، ما الذي يبكيك؟

قال: فقال لي:

يا ابن قعنب ومالي لا أبكي، ومن أحق بالبكاء مني؟

والله لوددت أني ضربت لكل مسألة أفيت فيها برأي بسوط سوط.

وقد كانت لي السعة فيما سبقت إليه.

وليتني لم أفت بالرأي؟

أو كما قال^(١).

وساق الضبي هذا الخبر من طريق نجدة بن يحيى وغيره عن شريح، ويظهر لي أن إسناد شريح إسناد إلى أحد كتب ابن حزم نقلاً عن فقهاء قرطبة لخالد بن سعد، وأن إسناد الحميدي إسناد إلى فقهاء قرطبة مباشرة.

(١) الجذوة ص ٣٤٧ وص ٣٢٥ والنبغة ص ٤٦٤ ج ١ وص ٤٤٩ ق.

٤٤ - قال الحميدي :

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال :

حدثنا الكنائي قال :

حدثنا أحمد بن خليل قال :

حدثنا خالد بن سعد وحدثني عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الحميد

ابن أبي زيد قال :

حدثنا إبراهيم بن نصر قال :

أخبرنا أبو الطاهر عن ابن وهب قال :

لو شئت أن أنصرف كل يوم عن مالك والواحي مملوءة من «لا

أدري» ، لفعلت .

قال إبراهيم بن نصر :

وحدثنا محمد بن إسماعيل قال :

سمعت أبا نعيم الفضل بن دكين يقول :

ما رأيت أحداً أكثر قولاً للـ «أدري» من مالك بن أنس^(١) .

٤٥ - قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن محمد بن قاسم :

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد الفقيه قال :

حدثنا عبد الرحمن بن سلمة قال :

أخبرني أحمد بن خليل قال :

حدثنا خالد بن سعد قال :

حدثني محمد بن قاسم بن محمد قال :

حدثنا العباس بن الفضل البصري قال :

سمعت أحمد بن صالح المصري يقول :

(١) الجذوة ص ٣٠٦ ج ٢ ص ٢٨٧ ولم يذكر الضبي هذا الخبر في ترجمته لعثمان بن عبد الرحمن .

أثبت الناس في مالك بن أنس عبدالله بن نافع، لأنه جالسه أربعين سنة^(١).

٤٦ - قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن محمد بن المسور:

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد قال:
حدثنا عبد الرحمن بن سلمة الكنتاني قال:
أخبرني أحمد بن خليل قال:
نا خالد بن سعد قال:
نا أحمد بن خالد ومحمد بن مسور قالا:
حدثنا ابن وضاح قال:
نا محمد بن أبي مريم قال:
نا نعيم بن حماد قال:
نا عبد الرزاق عن معمر قال:

سمعت الزهري يحدث بحديث فقلت له: تحدث بهذا وأنت ترى غير هذا؟

فقال: أحدثهم بما سمعت فكما وسعنا أن نأخذ بغير هذا يسع غيرنا أن يأخذ بهذا^(٢).

٤٧ - قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن محمد بن الوليد:

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد قال:
نا عبد الرحمن بن سلمة قال:
أخبرني أحمد بن خليل قال:
نا خالد بن سعد قال:

(١) الجذوة ص ٨٧ ج ٨١ ق وأورد الضبي الاسناد مختصراً في البغية ص ١٢٤ ج ٨١ ق ١١٤.

(٢) الجذوة ص ٩٠ ج ٨٣ ق ٨٤ ق والبغية ص ١٢٨ - ١٢٩ ج ٨٣ ق ١١٨ ق.

نا محمد بن وليد قال:

نا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال:

شهدت مالكا وأتاه رجل يسأله عن تحليل أصابع الرجلين عند الوضوء؟ فأفتاه بترك ذلك.

قال ابن وهب: فلما زال السائل حدثه بحديث المستورد:

أنه رأى النبي ﷺ يخلل أصابع رجله بخنصره.

فسمعت مالك بن أنس بعد مدة طويلة أو كما قال وأتاه رجل يسأله عن تحليل أصابع الرجلين فأفتاه بالتحليل، وقال: جاء عن النبي ﷺ في ذلك أثر أو كما قال^(١).

٤٨ - وقال أبو عبدالله الحميدي في كلامه عن أحمد بن خليل:

أخبرنا أبو محمد بن حزم الفقيه قال:

حدثنا الكناني قال:

أخبرنا أحمد بن خليل قال:

حدثنا خالد بن سعد قال:

قلت لأحمد بن خالد:

من أثبت الناس عندك في مالك؟

قال: ابن وهب^(٢).

٤٩ - قال أبو عبدالله الحميدي في كلامه عن أحمد بن عمرو الألبيري:

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال:

حدثنا عبد الرحمن بن سلمة قال:

(١) جذوة المقتبس ص ٩٥ ج ٨٨ ق واختصر الضبي الإسناد فبدأه بخالد بن سعد ص

١٣٠ ج ١٢٥ ق.

(٢) الجذوة ص ١٢٢ ج ١١٤ ق وفي البغية أورد الإسناد مختصراً ص ١٦٤ ق وص

١٧٦ ج.

أخبرني أحمد بن خليل قال:

حدثنا خالد بن سعد قال:

أخبرني أحمد بن عمرو بن منصور صاحب صلاة البيرة وكان من الصالحين وقال:

أخبرنا يونس بن عبد الأعلى قال:

أخبرنا ابن وهب قال:

سئل مالك عن الإمام هل يرفع يديه عند الركوع؟

فقال: نعم.

قيل له: وبعد ما يرفع رأسه من الركوع؟

قال: إنه ليؤمر بذلك.

قال خالد: وصلى بنا أحمد بن عمرو بحاضرة مدينة البيرة وكان من

الخطباء فرأيت يديه عند كل خفض ورفع.

وأخبرني: أنه رأى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بمصر يرفع

يديه عند كل خفض ورفع.

وكان أخوه محمد يصلي إلى جنبه فكان ربما رفع، وربما لم يرفع.

فكلم في ذلك فقال: إني أنسى^(١).

قال أبو عبد الرحمن: أورد أبو محمد عدة براهين على إثبات حدوث

العالم بعد أن لم يكن، وتحقيق أن له محدثاً لم يزل لا إله إلا هو.

ومن هذه البراهين أنه لا سبيل إلى وجود ثانٍ إلا بعد أول، ولا إلى

وجود ثالثٍ إلا بعد ثانٍ وهكذا أبداً.

ولو لم يكن لأجزاء العالم أول لم يكن ثانٍ، ولو لم يكن ثانٍ لم يكن

ثالث. ولو كان الأمر هكذا لم يكن عدد ولا معدود.

وأيضاً فالآخر والأول من باب المضاف، فالآخر آخر للأول، والأول

أول للآخر. ولو لم يكن أول لم يكن آخر.

(١) الخدوة ص ١٣٩ - ١٤٠ ج ١ وص ١٣٠ - ١٣١ ق والبغية ص ١٩٧ - ١٩٨ ج ١ وص ١٨٥ ق.

ويومنا هذا بما فيه آخر لكل موجود قبله، إذ ما لم يأت بعد فليس شيئاً ولا وقع عليه بعد شيء من الأوصاف فله أول ضرورة.

٥٠ - قال أبو محمد:

وقد أخبرني بعض أصدقائنا وهو محمد بن عبد الرحمن بن عقبة رحمه الله تعالى أنه عارض بهذا البرهان بعض الملحدين وهو عبدالله بن عبدالله ابن شنيف فعارضه الملحّد في قوله بخلود الجنة والنار وأهلها. فقال له ابن عقبة: إنما أخذنا خلود داري الجزاء وخلود أهلها بلا نهاية على غير هذا الوجه، ولكن على أن الله تعالى ينشئ لكل ذلك بقاء محدوداً، وحركات حادثة، ولذات مترادفة أبداً وقتاً بعد وقت، إلا أن الأول والآخر جاريان حادثان في كل موجود من ذلك.

وإذ ثبت الأول فغير ممتنع تمادي الزمان حيناً بعد حين أبداً بلا نهاية. وهذا مثل العدد فإنه لو لم يكن له أول لم يقدر أحد على عد أي شيء أبداً. فالعدد له أول ضرورة يعرف ذلك بالحس والمشاهدة وهو قولنا واحد، فإن هذا مبدأ العدد الذي لا عدد قبله، ثم الأعداد يمكن فيها الزيادة أبداً لأبد لا إلى غاية، لكن كلما خرج منه جزء إلى حد الوجود وجد الفعل فله نهاية وهكذا أبداً سرمداً وبالله تعالى التوفيق.

فانقطع الشنيفي ولم يكن عنده إلا الشغب^(١).

٥١ - قال أبو محمد في معرض كلام يصلح رداً على من يقول بالمصادفة في تفسير نشأة الكون:

«تراكيب أعضاء الإنسان والحيوان من إدخال العظام المحدبة في المقعرة، وتركيب العضل على تلك المداخل والشّد على ذلك بالعصب والعروق. صناعة ظاهرة لا شك فيها لا ينقصها إلا رؤية الصانع فقط.

(١) الفصل ١/١٩ ج ١ ص ١٦ ق.

ومن ذلك ما يظهر في الأصباغ الموضوعة في جلود كثير من الحيوان وريشه ووبره وشعره وظفره وقشره على رتبة واحدة ووضع واحد لا يخالف فيه، كأصباغ الحجل والشفافين (اليمام) والسمان والبزاة وكثير من الطير والسلاحف والحشرات والسماك، لا يختلف تنقيطه ألبة ولا تكون أصباغه موضوعة إلا وضعاً واحداً كأذناب الطواويس، وفي السمك والجراد والحشرات نوعاً واحداً كالذي يصوره المصور بيننا.

منها ما يأتي مختلفاً كأصباغ الدجاج والحمام والبط وكثير من الحيوان. فبالضرورة والحس نعلم أن لذلك صانعاً مختاراً يفعل ذلك كله كما يشاء ويخصيه إحصاء لا يضطرب أبداً^(١).

٥٢ - قال أبو محمد عن الملكانية من فرق النصارى:

وهي مذهب جميع ملوك النصارى حيث كانوا حاشى الحبشة والنوبة ومذهب عامة أهل كل مملكة للنصارى حيث كانوا حاشى الحبشة والنوبة، ومذهب جميع نصارى إفريقيا وصقلية والأندلس وجمهور الشام^(٢).

٥٣ - قال أبو محمد عن النسطورية:

وهذه الفرقة غالبية على الموصل والعراق وفارس وخراسان^(٣).

٥٤ - قال أبو محمد عن اليعقوبية:

«وهم في أعمال مصر وجميع النوبة وجميع الحبشة وملوك الأمتين المذكورتين»^(٤).

(١) الفصل ٢٢/١ - ٣٢ ج ١/١٩ ق.

(٢) الفصل ٤٨/١ - ٤٩ ج ١/٣٩ ق.

(٣) الفصل ٤٩/١ ج ١/٣٩ ق.

(٤) الفصل ٤٩/١ ج ١/٤٠ ق.

٥٥ - قال أبو محمد عن العنانية من اليهود:

«وهذه الفرقة بالعراق ومصر والشام وهم من الأندلس بطليطلة وطليرة»^(١).

قال أبو عبد الرحمن: النصارى يزعمون أن المسيح ابن الله، وقد ادعى بعضهم أن ابن الله بمعنى علم الله، وها هو تعليق أبي محمد:

٥٦ - وقد ادعى بعضهم أن هذا تقتضيه اللغة اللاتينية من أن علم العالم يقال فيه إنه ابنه.

قال أبو محمد: وهذا باطل ظاهر الكذب، لأن الإنجيل الذي كان فيه الأب والابن وروح القدس لا يختلف أحد من الناس في أنه إنما نقل عن اللغة العبرانية إلى السريانية وغيرها، فعبّر عن تلك الألفاظ العبرانية وبها كان فيه ذكر الأب والابن وروح القدس، وليس في اللغة العبرانية شيء مما ذكر وأدعي^(٢).

٥٧ - قال أبو محمد:

«أندرنا للجبل لحضور دفن المؤيد هشام بن الحكم المستنصر فرأيت أنا وغيري نعشاً فيه شخص مكفن، وقد شاهد غسله شيخان جليلان حكمان من حكام المسلمين ومن عدول القضاة في بيت. وخارج البيت أبي رحمه الله وجماعة عظماء البلد ثم صلينا في ألوف من الناس عليه، ثم لم يلبث إلا شهوراً نحو السبعة حتى ظهر حياً، وبويع بعد ذلك بالخلافة ودخلت عليه أنا وغيري وجلست بين يديه ورأيت وبقي ثلاثة أعوام غير شهرين وأيام»^(٣).

(١) الفصل ٩٩/١ ج ٧٨/١ ق.

(٢) الفصل ٥٠/١ - ٥١ ج ٤١/١ ق.

(٣) الفصل ٥٩/١ ج ٤٧/١ - ٤٨ ق. وكذلك ظهر خلف الحصري بعد اثنين وعشرين سنة

من موت هشام بن الحكم المؤيد وادعى أنه هو. انظر فقط العروس من رسائل ابن حزم

٩٧/٢ ج.

«من الملوك من يشتد عليهم وصف أسلافهم بالجور والظلم والقبائح ويحمي هذا الباب بالسيف فما دونه فما انتفعوا بذلك في كتمان الحق، قد نقل ذلك كله وعرف كما نقلت فضائل من يغضب ملوك الزمان من مدحه كفضائل علي رضي الله عنه ما قدر قط ملوك بني مروان على سترها وطبها.

وقد رام المأمون والمعتصم والواثق على سعة ملكهم لأقطار الأرض قطع القول بأن القرآن غير مخلوق فما قدروا على ذلك.

وكل نبي له عدو من الملوك والأمم يكذبونهم، فما قدروا قط على طي أعلامهم»^(١)

٥٩ - قال أبو محمد عن تسبيح الجمادات لله :

«وأما الأحاديث المأثورة في أن الحجر له لسان وشفتان والكعبة كذلك، وأن الجبال تطاولت وخشع جبل كذا فخرافات موضوعة نقلها كل كذاب وضعيف لا يصح شيء منها من طريق الإسناد أصلاً، ويكفي من التطويل في ذلك أنه لم يدخل شيئاً منها من انتدب من الأئمة لتصنيف الصحيح من الحديث أو ما يستجاز روايته مما يقارب الصحة»^(٢).

٦٠ - قال أبو محمد في الرد على من زعم أن الأنبياء عليهم السلام ليسوا أنبياء اليوم ولا الرسل اليوم رسلاً.

«وهذا قول ذهب إليه الأشعرية وأخبرني سليمان بن خلف الباجي وهو من مقدميهم اليوم أن محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني على هذه

(١) الفصل ٧٥/١ ج ١/٦٠ ق.

(٢) الفصل ٨٧/١ ج ١/٦٩ ق.

المسألة، قتله بالسهم محمود بن سبكتكين صاحب ما دون وراء النهر من خراسان رحمه الله»^(١).

٦١ - قال أبو محمد:

«والحق حق صدقه الناس أم كذبوه، والباطل باطل صدقه الناس أم كذبوه، ولا يزيد الحق درجة في أنه حق إطباق الناس كلهم على تصديقه، ولا يزيده مرتبة في أنه باطل تكذيب الناس كلهم له.

ولا يظن ظان أننا في مناظرتنا من نناظره من أهل ملتنا المخالفين لنا في بعض أقوالنا بالإجماع وقد نقضنا كلامنا في هذا المكان، فليعلم أننا لم نقضه لأن الإجماع حجة قد قام البرهان على صحتها في الفتيا في دين الإسلام، وما قام على صحته البرهان فهو حجة قاطعة على من خالفه وعلى من وافقه.

وأما أن نحتج على مخالفنا بأن موافق لنا في بعض ما نختلف فيه، فليس حجة علينا. فإن وجد لنا يوماً من الأيام فإنما نخاطب به جاهلاً نستكف تخليطه أو نبكته لنريه تناقضه فقط»^(٢).

٦٢ - قال أبو عبدالله الحميدي في كلامه عن الأمير سليمان بن الحكم المستعين:

أنشدني أبو محمد علي بن أحمد قال:
أنشدني فتى من ولد إسماعيل بن إسحاق المنادي الشاعر كان يكتب
لأبي جعفر أحمد بن سعيد بن الدب قال: أنشدني أبو جعفر قال:
أنشدني أمير المؤمنين سليمان الظافر لنفسه.
قال أبو محمد: أنشدنيها قاسم بن محمد المرواني.

(١) الفصل ٨٨/١ ج ١ و ٧٠/١ ق.

(٢) الفصل ١٠٣/١ ج ١ و ٨٢/١ ق.

قال أنشدنيها وليد بن محمد الكاتب لسليمان الظافر:

عجباً يهاب الليث حد سناني وأهاب لحظ فواتر الأجفان
وأقارع الأهوال لا متهيباً منها سوى الإعراض والهجران
وتملك نفسي ثلاث كالدمى زهر الوجوه نواعم الأبدان
ككواكب الظلماء لحن لناظر من فوق أغصان على كثران
هذي الهلال وتلك بنت المشتري حسناً وهذي أخت غصن البان
حاكمت فيهن السلو إلى الصبا فقضى بسلطان على سلطان
فأبحن من قلبي الحمى وثنيتي في عز ملكي كالأسير العاني
لا تعذلوا ملكاً تذلل للهوى ذل الهوى عز وملك ثان
ما ضر أني عبدهن صبا وبنو الزمان وهن من عبداني
إن لم أطع فيهن سلطان الهوى كلفاً بهن فلست من مروان
وإذا الكريم أحب أمّن إلفه خطب القلى وحوادث السلوان
وإذا تجارى في الهوى أهل الهوى عاش الهوى في غبطة وأمان

وهذه الأبيات معارضة للأبيات التي تنسب إلى هارون الرشيد.

وأنشدنيها له أبو محمد عبدالله بن عثمان بن مروان العمري وهي:

ملك الثلاث الأنسات عناني وحللن من قلبي بكل مكان
ما لي تطارعي البرية كلها وأطبعهن وهن في عصياني؟!
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى وبه قوين أعز من سلطاني^(١).

التعليق على النص

* شيخ ابن حزم الثاني هو قاسم بن محمد بن إسماعيل القرشي المرواني أبو محمد من قرطبة من أهل المعرفة والآداب طلق اللسان حسن البيان توفي سنة ٤٣٠ متصفاً صفر عن ستة وثمانين عاماً^(٢). وهذا النص

(١) الجذوة ص ٢٠ - ٢١ ق ٢١ - ٢٢ ج والبغية ص ٢٥ - ٢٦ ج وهذا الخبر غير موجود في الطبعة القديمة من البغية في الكلام عن سليمان بن الحكم.

(٢) الصلة/ ٤٤٥.

من كتاب ابن حزم عن أوقات الأمراء .

٦٣ - قال الحميدي عن إسماعيل بن بدر :

أنشدني له أبو محمد علي بن أحمد :

أناجي حسن رأيك بالأمانى وأشكو بالتوهم ما شجاني
ولو بعسى ولو ولعل روح تنفس عن كئيب القلب عاني
ومحض هوى بظهر الغيب صاف ترى عيني به من لا تراني
على ذاك الزمان وإن تقضى سلام لا يبيد على الزمان
كفاني يا مدي أملي بعماد تمت المات له كفاني^(١)

التعليق على النص

• قال أبو عبد الرحمن : هذا أثر عند الناصر فلعله من كتابه الأوقات .

٦٤ - قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن الأمير محمد بن عبد الرحمن :

« قال لنا أبو محمد علي بن أحمد :

وكان محباً للعلوم ، مؤثراً لأهل الحديث ، عارفاً ، حسن السيرة .

ولما دخل الأندلس أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد بكتاب مصنف أبي بكر بن أبي شيبة وقرئ عليه . أنكر جماعة من أهل الرأي ما فيه من الخلاف ، واستشنعوه ، وبسطوا العامة عليه ، ومنعوه من قراءته إلى أن اتصل ذلك بالأمير محمد ، فاستحضره وإياهم ، واستحضر الكتاب كله ، وجعل ينصفحه جزءاً جزءاً إلى أن أتى على آخره .

وقد ظنوا أنه يوافقهم في الإنكار عليه !

ثم قال لحازن الكتب :

هذا كتاب لا تستغني خزانتنا عنه :

فانظر في نسخه لنا !

ثم قال لبقّي بن مخلد :

(١) الجذوة ص ١٦٣ ج ١ وص ١٥٣ ق والبغية ص ٢٣٠ ج ١ وص ٢١٥ ق .

انشر علمك، وأرو ما عندك من الحديث، واجلس للناس حتى
ينتفعوا بك.

أو كما قال:

ونهاهم أن يتعرضوا له^(١).

٦٥- قال أبو عبدالله الحميدي في كلامه عن أبي جعفر أحمد بن محمد
الخلواني (ابن الأبار) الأشبيلي وهو من معاصري ابن حزم:

أنشدني له أبو محمد علي بن أحمد من قصيدة في الرئيس أبي الوليد
إسماعيل بن حبيب يعزيه عن جارية ماتت عنده ويهته بمولود ولد له:

أو ما رأيت الدهر أقبل معتباً

متفضلاً بالعدر لما أذنبنا

بالأمس أذوى في رياضك أيكّة

واليوم أطلع في سمالك كوكبا^(٢)

٦٦- قال الحميدي في كلامه عن ابن الفرضي:

أنشدني له أبو محمد علي بن أحمد الفقيه:

أن الذي أصبحت طوع يمينه إن لم يكن قمراً فليس بدونه
ذلي له في الحب من سلطانه وسقام جفني من سقام جفونه. اهـ^(٣)

(١) الجذوة ص ١١ ج وص ١١-١٢ في والبقية ص ١٥ ج دون أن يسنده إلى ابن حزم وص
١٦-١٧ في. قال أبو عبد الرحمن: كلام الحميدي آخر الفصل يرجع أن هذا الكلام من
كتاب ابن حزم عن أوقات الأمراء. ويحتمل أن يكون من كتاب ابن حزم عن مراتب
العلماء.

(٢) الجذوة ص ١١٥ ج وص ١٠٧ في والبقية ص ١٦٤ ج وص ١٥٢-١٥٣ في. قال أبو عبد
الرحمن: ويظهر أن هذا النص من كتاب ابن حزم في اللهو والدعابة.

(٣) الجذوة ص ٢٥٦ ج وص ٢٣٩ في والبقية ص ٣٣٦ ج وص ٣٢٣ في. ولعل الصواب: من
سهام جفونه.

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن: من الراجح أن هذا النص من كتاب ابن حزم عن أوقات الأمراء لأن ابن الفرضي قتل في فتن قرطبة التي ستكون من ضمن تاريخ ابن حزم.

٦٧ - قال الحميدي:

أخبرنا أبو محمد بن حزم قال:
في صفر من سنة إحدى وعشرين وأربع مئة كان البرد المشهور خبره. وكان أمراً مستعظماً ما شوهد مثله.
وفيه قال عبادة بن ماء السماء يصف هوله:

يا عبرة أهديت لمعتبر	عشية الأربعاء من صفر
أقبلنا الله بأس منتقم	فيها وثني بعفو مقتدر
أرسل ملء الأكف من برد	جلامداً تنهمي على البشر
فيا لها آية وموعظة	فيها نذير لكل مزدجر
كاد يذيب القلوب منظرها	ولو أعيرت قساوة الحجر
لا قدر الله في مشيئته	أن يبتلينا بسوء القدر
وخصنا بالتقى ليجعلنا	من بأسه المتقى على حذر ^(١)

قال أبو عبد الرحمن: الراجح أن هذا النص من كتابه الأوقات.

٦٨ - قال الحميدي عن زياد اللخمي:

قال أبو محمد علي بن أحمد:
مات سنة أربع وميتين، وكان رجلاً صالحاً عرض عليه القضاء فلم يقبله^(٢).

(١) الجذوة ص ٢٩٣ ج ٢٧٤ في البنية ص ٣٩٦ - ٣٩٧ ج وص ٣٨٣ - ٣٨٤ ق.

(٢) الجذوة ص ٢١٩ ج وص ٢٠٣ ق وصاحب البنية لم يسند الكلام إلى ابن حزم في كلامه عن زياد.

٦٩ - قال أبو عبدالله الحميدي عن المستظهر:

وكان في غاية الأدب والبلاغة والفهم ورقة النفس.
كذا قال أبو محمد علي بن أحمد، وكان خبيراً به^(١).
قال أبو عبد الرحمن: الراجح أن هذا النص من كتاب أوقات الأمراء.

٧٠ - قال الحميدي في كلامه عن أحمد بن مطرف:

قال لي أبو محمد علي بن أحمد:
مات سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة اهـ^(٢).
قال أبو عبد الرحمن: الظاهر أن هذا النص من كتاب ابن حزم
أوقات الأمراء على الراجح، لأن ابن مطرف يشاور في من يصلح للأمور،
وابن حزم يذكر في هذا الكتاب أخبار العلماء ذوي العلاقة بالسلطان.

٧١ - قال أبو عبدالله الحميدي في كلامه عن محمد بن الحسن الزبيدي النحوي:

وقال لي أبو محمد علي بن أحمد:
كتب الوزير أبو الحسن بن عثمان المصحفي إلى صاحب الشرطة أبي
بكر محمد بن الحسن الزبيدي اللغوي كتاباً فيه فاضت نفسه بالضاد،
فجاوبه الزبيدي بمنظوم بين له فيه الخطأ دون تصريح وهو:

قل للوزير السني محتده	لي ذمة منك أنت حافظها
عناية بالعلوم مفخرة	قد بهظ الأولين باهظها
يقر لي عمرها ومعمرها	فيها ونظامها وجاحظها
قد كان حقاً قبول حرمتها	لكن صرف الزمان لافظها
وفي خطوب الزمان لي عظة	لو كان يثني النفوس واعظها

(١) الجذوة ص ٢٦ ج ٢٥ ق والبغية ص ٣١ ج ولم يذكر هذا النص في الطبعة القديمة .

(٢) الجذوة ص ١٤٨ ج ١٣٨ ق والبغية ص ١٦٤ ق وص ٢٠٨ ج .

إن لم تحافظ عصابة نسبت
لا تدعن حاجتي مطرحة
إليك قدماً فمن يحافظها
فإن نفسي قد فاظ فائظها
فأجابه المصحفي:

خفض فواقاً فأنت أوحدها
كيف تضيع العلوم في بلد
ألفاظهم كلها معطلة
من ذا يساويك إن نطقك وقد
علم ثنى العالمين عنك كما
وقد أتتني فديت شاغلة (م)
فأوضحنها تفز بنادرة
علمًا ونقابها وحافظها
أبناؤه كلهم يحافظها
ما لم يعول عليك لافظها
أقر بالعجز عنك جاحظها
ثنى عن الشمس من يلاحظها
للنفس أن قلت: فاظ فائظها
قد بهظ الأولين باهظها

فأجابه الزبيدي وضمن شعره الشاهد على ذلك:

أتاني كتاب من كريم مكرم
فر جميع الأولياء وروده
لقد حفظ العهد الذي قد أضاعه
وباحث عن فاظت وقبلي قاهها
فنفس عن نفس تكاد تفيض
وسيء رجال آخرون وغيظوا
لدى سواء والكريم حفيظ
رجال لديهم في العلوم حظوظ

وروى ذاك عن كيسان سهل وأنشدوا:

مقال أبي الغياظ وهو مغيط
وسميت غياظاً ولست بغياظ
عدواً ولكن للصديق تغيط
فلا حفظ الرحمن روحك حية
ولا هي في الأرواح حين تغيط

قال لي أبو محمد:

وقد يقال فاظت نفسه بالضاد.

ذكر ذلك أبو يعقوب بن السكيت في كتاب الألفاظ^(١).

(١) الجذوة ص ٤٦ - ٤٨ ج ٤٣ - ٤٥ ق ولم يورد صاحب البغية هذا الخبر. قال أبو عبد الرحمن: أكاد أجزم بأن هذا النص من كتاب ابن حزم المفقود عن الضاد والطاء.

حدثني أبو محمد بن حزم قال:

حدثني قاسم بن محمد قال:

حدثني ابن شبلق قال:

رأيت في النوم كأنني في مقبرة ذات أزاهير ونواوير، وفيها قبر حواليه
الريحان الكثير وقوم يشربون فكنت أقول لهم:

والله ما زجرتكم الموعظة، ولا وقرتم المقبرة.

قال: فكانوا يقولون لي:

أو ما تعرف قبر من هو؟

فكنت أقول لهم: لا.

فقالوا لي: هذا قبر أبي علي الحكمي الحسن بن هاني.

قال: فكنت أولي فيقولون: والله لا تبرح أو ترثيه فكنت أقول:

جارك يا قبر نشاص الغمام وعاد بالعفسو عليك السلام
ففيك أضحي الظرف مستودعاً واستترت عنا عيون الكلام^(١)

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن: لعل هذا النص من كتاب ابن حزم عن أوقات
الأمراء. فإن ابن حزم - من خلال ما نقله الحميدي عنه يتطرق في هذا
الكتاب إلى أخبار العلماء.

قال أبو عبد الرحمن: وإن صح أن لابن حزم كتاباً اسمه (المرطار في
اللهو والدعابة) فهذا الخبر حري أن يكون منه.

٧٣ - قال أبو عبدالله الحميدي في كلامه عن المكفوف القبري:

ذكره أبو محمد علي بن أحمد، وأنشد له في حلبة السباق:

(١) الجدوة ص ٢٧٤ ج ١ وص ٢٥٥ وفي البغية ص ٣٦٥ ج ١ وص ٣٥٢.

تري من ترى الميدان يجهل أنه
لأهل التباري في الشطارة ميدان
كأن الجياد الصافنات وقد عدت
سطور كتاب والمقدم عنوان^(١)

٧٤ - قال أبو عبدالله الحميدي في كلامه عن محمد بن معاوية :

قال لنا أبو محمد علي بن أحمد :
كان أبو بكر محمد بن معاوية المعروف بابن الأحمر مكثراً ثقة جليلاً .
ولم أزل أسمع المشايخ يقولون :
إن سبب خروجه إلى المشرق كان أنه خرجت بأنفه أو ببعض جسده
قرحة فلم يجد لها بالأندلس مداوياً ، وعظم عليه أمرها وقيل له : ربما ترفت
وسعت فأدت إلى الهلاك .

فأسرع الخروج إلى المشرق .
فقليل لا دواء لها إلا بالهند .
وأنه وصل إلى الهند فأراها بعض أهل الطب هنالك .
فقال له : أداوها على أنه إن تم برؤك وصح شفاؤك قاسمتك جميع
مالك .

فقال : رضيت .
فداواه .
فلما أفاق دعاه إلى بيته ، وأخرج إليه جميع ماله ، وقال له :
دونك المقاسمة المشروطة .
فقال له الطبيب الهندي :
أليست نفسك طيبة بذلك ؟

(١) الجذوة ص ٨٦ - ٨٧ ق وص ٩٣ ج والبنية ص ١٣٢ ج وص ١٢١ - ١٢٢ ق . قال أبو عبد

الرحمن : أخذ هذا المعنى الشاعر المعاصر محمد مهدي الجواهري فقال :

هذي الخلائق أسطار محمّدة

الملهمون عليها كالعناوين

قال: بلى والله.

قال: فوالله لا أرزؤك شيئاً من مالك، ولكني آخذ هذا، لشيء استحسنه من آلات بيته وقال له: إنما جربتك بقولي، وأردت أن أعرف قيمة نفسك عندك. ولو أبيت ما داويتك إلا بجميع مالك.

ولو لم تداوها لهلك، فإنها قد كانت قاربت الخطر فحمد الله عز وجل وانصرف.

واشتغل في رجوعه بطلب العلم وروايات الكتب فحصل له علم جم، وبورك له فيه^(١).

التعليق على النص

* ابن الأحمر: محمد بن معاوية بن عبد الرحمن بن معاوية بن إسحاق بن عبدالله بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي القرشي من أهل قرطبة.

رحل إلى المشرق سنة ٢٩٥هـ.

دخل الهند تاجراً، وروي عنه أنه يقول:

خرجت منصرفاً من أرض الهند وأنا أقرر أن معي قيمة ثلاثين ألف دينار، فلما قاربت أرض الإسلام غرقت، فما نجوت إلا سبعمائة شيء معي!

قدم الأندلس سنة خمس وعشرين وثلاث مئة.

وبدأ الناس بالقراءة عليه من سنة ٣٣٦هـ.

وكان شيخاً حليماً ثقة فيما روى صدوقاً.

طال عمره فكثر أخذ الناس عنه.

(١) الجذوة ص ٨٢ - ٨٣ ق وص ٨٩ - ٩٠ ج والبغية ص ١٢٨ - ١٢٩ ج وص ١١٧ ق.

توفي ليلة الخميس لثلاث بقين من رجب سنة ٣٥٨هـ، وصلى عليه
القاضي محمد بن إسحاق بن السليم^(١).

قال ابن فرحون: توفي سنة ٣٥٦هـ^(٢).
وقال الحميدي: إنه أول من أدخل مصنف النسائي في السنن، وحدث
به، وانتشر عنه^(٣).

وقال ابن حزم: إنه آخر من بقي بالأندلس من ولد معاوية بن
هشام^(٤).

له المسند رواه ابن خير وقال عنه:
فيه من الحديث المسند أربعة آلاف حديث وثلاثة وثلاثون حديثاً، ومن
الصحابة ثلاث مئة وثلاثة عشر ومن النساء ثلاث وأربعون امرأة^(٥).

٧٥ - قال الحميدي عن قصيدة سعيد البلينة القافية:

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد:
أن المنصور أبا عامر محمد بن أبي عامر:
تذكر هذه القصيدة القافية لسعيد في يوم السبت لاثنين عشرة ليلة
خلت من شهر رمضان، سنة إحدى وثمانين وثلاث مئة، أو ذكرت بين
يديه وقد كان مدحه بها قديماً فأعجبته، وأتبعها بعض من كان في المجلس
ذكراً جليلاً، واستحسنائاً، وأنشدوا محاسنها، فأمر له بثلاث مئة دينار^(٦).

(١) تاريخ ابن الفرضي ٧٠/٢ - ٧١.

(٢) الديباج المذهب ٣١٤/٢.

(٣) الجذوة ص ٨٢.

(٤) الجمهرة ص ٩٣.

(٥) الفهرس ص ١٤٣.

(٦) الجذوة ص ٢١٥ ق و ص ٢٣١ - ٢٣٢ ج والبيغة ص ٣١٠ ج و ص ٢٩٧ ق. وذكر الحميدي
منها أبياتاً، وذكر أن مطلعها:

ذكر العقيق ومنزلاً بالأبرق

فكفاه ما يلقى الفؤاد وما لفي

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن: الأرجح أن هذا الخبر من كتاب أبي محمد عن الشعراء الوافدين على المنصور أبي عامر، وهو كتاب مفقود.

٧٦ - قال الحميدي في كلامه عن منذر بن سعيد:

قال لنا أبو محمد علي بن أحمد:

وكان مائلاً إلى القول بالظاهر قريباً على الانتصار لذلك، ومن مصنفاته: كتاب الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله، وكتاب الإبانة عن حقائق أصول الديانة، وقد كانت له رحلة كتب فيها وطلب وسمع من ابن ولاد بمصر كتاب العين للخليل بن أحمد، ومن أبي بكر بن المنذر كتاب الأشراف.

ولقي أبا جعفر أحمد بن محمد بن النحاس النحوي بمصر، وله معه حكاية مشهورة.

وذلك أنه حضر مجلسه في الإملاء، فأملى أبو جعفر في جملة ما أملى قول الشاعر:

تبكي على ليلي ليلي أعينها	خليلي هل بالشام عين حزينة
مطوقة باتت ويات قرينها	قد أسلمها الباكون إلا حمامة
يكاد يدانيها من الأرض لينها	تجاذبها أخرى على خيزرانة

فقال له منذر بن سعيد:

أيها الشيخ أعزك الله:

باتا يصنعان ماذا؟

فقال أبو جعفر:

فكيف تقول أنت؟

فقال له منذر:

باتت ويات قرينها.

فاستبان أبو جعفر ما قال .

وقال له : ارتفع .

ولم يزل يرفعه حتى أدناه منه .

وكان يعرف ذلك له بعد ذلك ويكرمه^(١) .

قال أبو عبد الرحمن : لعل هذا من كتابه عن مراتب العلماء وهو

مفقود ، وروى هذا الخبر الضبي من غير طريق الحميدي فقال :

أخبرني غير واحد عن شريح عن أبي محمد بن حزم . . . إلخ .

٧٧ - قال الحميدي عن أبي سعيد بن قالوس :

ذكره أبو محمد علي بن أحمد وأنشدنا له في رجل يعرف بابن مدرك

ادعى عمل آلة تتحرك في الساقية دون محرك :

قل لابن مدرك الذي لم يدرك

إخراج ماء البشر دون محرك

طرق الحمامة جمة مسلوكة

وطريق حمقك قبل لما يسلك^(٢)

فقال صاعد : سبحان الله !

أنسيتم قوله قبل هذا في وصفه :

كميت يزل اللبد عن حال متنه

كما زلت الصفواء بالمتنزل

قال : فبهتنا والله ، وكأننا لم نقرأ هذا البيت قط !

واضطربنا إلى سؤاله عنه ، فقال :

(١) جذوة المقتبس ص ٣٢٦ - ٣٢٧ ق و ص ٣٤٨ - ٣٤٩ ج والبيئة ص ٤٦٦ ج و ص ٤٥١ - ٤٥٢ ق .

(٢) الجذوة ص ٢٧٣ ق و ص ٣٩٦ - ٣٩٧ ج والبيئة ص ٥٢٣ ج و ص ٥٠٨ ق .

إنما عني أحد وجهين:

إما أنه تغشى صدره بالعرق، وعرق الخيل أبيض، فجاء مع الدم كالشيب.

وإما شيئاً كانت تصنعه، وهو أنها كانت تسم باللبن الحار في صدور الخيل، فيمتعظ ذلك الشعر، وينبت مكانه شعر أبيض.

فأياً ما عني من أحد الوجهين فالوصف مستقيم. اهـ.

وقد روى هذا الخبر الضبي عن شريح عن أبي محمد^(١).

٧٨ - قال الحميدي:

حدثني أبو محمد علي بن أحمد قال:

حدثني الوزير أبو عبدة حسان بن مالك بن أبي عبدالله العاصمي النحوي قال:

لما قدم صاعد بن الحسن اللغوي على المنصور أبي عامر جمعنا معه، فسألناه عن مسائل من النحو غامضة فقصر فيها.

فلما رآه ابن عامر كذلك قال:

دعوه فهو من طبقتي في النحو!

أنا أناظره.

قال: ثم سألنا صاعد فقال:

ما معنى قول امرئ القيس:

كان دماء الهاديات بنحره عصارة حناء لشيب مرجل

فقلنا: هذا واضح، وإنما وصف فرساً أشهب عقرت عليه الوحش

فتطايير دمها إلى صدره فجاء هكذا.

(١) الجذوة ص ٢٢٥ ق وص ٢٤٢ - ٢٤٣ ج واللبنة ص ٣٢١ - ٣٢٢ ج وص ٣٠٨ - ٣٠٩ ق.

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن: الراجع أن هذا الخبر من كتاب تسمية الشعراء الوافدين على ابن أبي عامر.

* وصاعد، مشهورة ترجمته، ولديّ صورتان من كتابه الفصوص الذي كنت أظنه مفقوداً.

٧٩ - قال أبو عبدالله الحميدي في كلامه عن أحمد بن ذكوان:

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد قال:

حدثني الوزير أبو عبدة حسان بن مالك بن أبي عبدة اللغوي قال:

حدثني القاضي أبو العباس أحمد بن عبدالله بن ذكوان قال: حدثني أبي عن بعض إخوانه أو عن نفسه:

أنه حج فترّل بمصر في حجرة اكترها.

قال: فبني قاعد يوماً إذ نظرت إلى كتابة على الحائط فتأملت ذلك

فإذا هو:

قم حي بالراح قوماً ماتوا صلاةً وصوماً

لم يطعموا لذة العيش مذ ثلاثين يسوماً

فذكرت ذلك لبعض من كنت أجالسه بمصر فقال: ذلك خط الحسن

ابن هانئ وهي من قوله.

وفي تلك الحجرة كان نازلاً أيام كونه بمصر. أم^(١).

ولم يورد الضبي هذا الخبر في ترجمة ابن ذكوان.

٨٠ - قال أبو محمد:

أخبرني هشام بن محمد بن هشام بن محمد بن عثمان المعروف بابن

(١) الجدوة ص ١٢٩ - ١٣٠ ج وص ١٢١ ق.

البشتي من آل الوزير أبي الحسن جعفر بن عثمان المصحفي عن الوزير أبي
رحمه الله أنه كان بين يدي المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر في بعض
محالسه للعامه، فرفعت إليه رقعة استعطاف لأم رجل مسجون، كان ابن
أبي عامر حنق عليه لجرم استعظمه منه.

فلما قرأها اشتد غضبه.

وقال: ذكرتني والله به!

وأخذ القلم يوقع وأراد أن يكتب: يصلب.

فكتب: يطلق!.

ورمى الكتاب إلى الوزير.

فأخذ أبوك القلم، وتناول رقعة، وجعل يكتب بمقتضى التوقيع إلى
صاحب الشرط!.

فقال له ابن أبي عامر: ما هذا الذي تكتب؟!

قال: بإطلاق فلان!

فحرد، وقال: من أمر بهذا؟

فناوله التوقيع!

فلما رآه قال: وهمت! والله ليصلبن!.

ثم خط على ما كتب.

وأراد أن يكتب: يصلب.

فكتب: يطلق!.

فأخذ والدك الرقعة.

فلما رأى التوقيع: ثمادى على ما بدأ به من الأمر بإطلاقه.

ونظر إليه المنصور متمادياً على الكتاب!.

فقال: ما تكتب؟.

قال: بإطلاق الرجل!

فغضب غضباً أشد من الأول!

وقال: من أمر بهذا؟

فناولہ الرقعة، فرأى خطه، فخط على ما كتب.
وأراد أن يكتب: يصلب.
فكتب: يطلق!

فأخذ والدك الكتاب، فنظر ما وقع به، ثم تمادى فيما كان بدأ به!
فقال له: ماذا تكتب؟
فقال: بإطلاق الرجل. وهذا الخطاب ثالثاً بذلك!
فلما رآه عجب، وقال: نعم يطلق على رغمي!
فمن أراد الله إطلاقه لا أقدر أنا على منعه!
أو كما قال^(١).

٨١ - قال أبو محمد:

ولقد أذكرني هذا الفصل يوماً ودعت أنا وأبو بكر محمد بن
إسحاق^(٢) صاحبي أبا عامر محمد بن [أبي] عامر^(٣) صديقنا رحمه الله في

(١) الجذوة ص ١٢٦-١٢٧ ج وص ١١٨-١١٩ ق والبغية ص ١٨٢-١٨٣ ج وص ١٧٠-١٧١ ق.

قال أبو عبد الرحمن: يحتمل أن يكون هذا النص من كتاب أبي محمد عن أسرته آل حزم.

ولأبي محمد كتابان عن ابن أبي عامر ليسا مظنة لهذا الخبر.

(٢) محمد بن إسحاق المهلب أبو بكر الإسحاقى الوزير، كان من أهل الأدب والفضل، وهو الذي خاطبه ابن حزم برسائله في فضل الأندلس (الجذوة: ٤٢ والبغية رقم: ٥٩). أمه د. إحسان.

(٣) أكد ابن حزم أنه لا عقب لعبد الملك المظفر (الجمهور: ٤١٩) فمحمد هذا ليس ابناً للمظفر وإنما هو - إن كان من أسرة العامريين - محمد بن عبد الله بن المنصور العامري (وقد مات في حياة ابن حزم) وتختلف أبناً اسمه عبد الملك نهض إلى الحج ومات هنالك، ووالد محمد هذا أي عبد الله كان قد قتل المنصور والده سنة ٣٨٠ هـ (انظر نقط العروس: ٧٩ تحقيق د. شوقي صيف) وقد أشارت إلى ذلك إحدى الرسائل التي وجهت إلى المعتضد حين قتل ابنه إسماعيل (الذخيرة ١/٣: ١٦٠). وتفصيل الحادثة عند ابن عذاري (٢٨٤: ٢) وسبذكر ابن حزم من بعد أنه كانت بين والده ووالد أبي عامر هذا منافسة في صحة السلطان ووجاهة الدنيا (ص ١١٩ فيما يلي)، وهذا يعد أن يكون أثير عامر هذا.

سفرته إلى المشرق^(١) التي لم يعد بعدها، فجعل أبو بكر يبكي عند وداعه وينشد متمثلاً بهذا البيت: [من الطويل]:

ألا إن عيناً لم تجد يوم واسط عليك بياقي دمعها لجمود^(٢)
وهو في رثاء يزيد بن عمر بن هبيرة رحمه الله، ونحن وقوف على
ساحل البحر بمالقة^(٣)، وجعلت أنا أكثر التفجع والأسف ولا تساعدني
عيني، فقلت مجيئاً لأبي بكر: [من الطويل]:

وإن امرأ لم يغن حسن اصطباره عليك وقد فارقتك لجليد^(٤)

التعليق على النص

* أبو بكر محمد بن إسحاق لم أجد له ذكراً غير قول الحميدي:
المهلبى الإسحاقى الوزير، من أهل الأدب والفضل، وهو الذى خاطبه
أبو محمد برسالته فى فضل الأندلس. اهـ.^(٥)
واسمه كاملاً محمد بن أحمد بن إسحاق وهو زميله فى التلمذ على ابن
الفرضى.

- = من الأسرة العامرية المشهورة، فالنفاذ لا يكون بين وزير وبين ابن الحاجب الأعلى نفسه. اهـ. د. إحسان.
- (١) قرأها بروفنسال (الأندلس: ٣٢) إلى اشرق (يعنى شرق الأندلس)، وبها أخذ غومس فى ترجمته (انظر ص: ١١٢)، وليس من دليل على ذلك، وهذا ابنه عبد الملك يتوجه حاجاً إلى المشرق أيضاً ولا يعود، انظر الحاشية السابقة. د. إحسان.
- (٢) البيت لأبى عطاء السندى (انظر الشعر والشعراء: ٦٥٣ والسمط: ٦٠٢ وأمالى القالى ١: ٢٦٨ والحماسة بشرح التبريزى ٢: ١٥١) وورد فى أمالى المرتضى ١: ٢٢٣ منسوباً لمعن بن زائدة. وفى مقتل يزيد انظر تاريخ الطبرى ٣: ٦٨ - ٧٠ وفيه الشعر أيضاً. اهـ. د. إحسان. قال أبو عبد الرحمن: وزهر الآداب ص ٧٩٧.
- (٣) مالقة مدينة على شاطئ المتوسط: كانت مركزاً تجارياً هاماً فى العصور الإسلامية (انظر فى التعريف بها: الروض: ١٥٧ والترجمة ٢١٣ والزهرى: ٩٣ وياقوت (مالقة) والموسوعة الإسلامية). اهـ. د. إحسان.
- (٤) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١/ ١١٢-١١٣ ج مع تحقيقات المحقق. د. إحسان عباس.
- (٥) الجدوة ص ٤٢.

* ابن عامر: ورد هنا محمد بن عامر، وورد أحياناً في الطوق: محمد بن أبي عامر.

ولا أدري من أبو عامر هذا؟

١ - فقد يكون أبو عامر بن المظفر بن أبي عامر.

قال ابن بسام: ونقلت من خط أبي مروان بن حيان قال: سلف لأبي عامر بن المظفر بقرطبة عيشة راضية في سرور وحبور وقتاً إلى أن ساءت الأيام بطامة، ففارقها بغصة.

وكان من محاسنه أنسه بالأدب، وغلبة أهله على خاصته ولم يكن منهم في مغدى ولا مراح!

فتجملت آثاره بهم، وسارت أقوالهم فيه.

ثم ذكر مجالسه مع ابن شهيد، وقال:

واستوحش أبو عامر بن المظفر هذا من هشام المعتد ووزيره حكم بن سعيد القزاز، وكانوا قد رموه بذنوب سليمان بن هشام الناصري.

فلما خاف دبر الفرار، وخرج في لمة من ثقات أصحابه وأعوانه، وحمل معه عيون ذخائره وخاصة حرمه، وقطع أرضاً بعيدة، ولم يعلم المعتد بخبره إلى أن جاء خبر اجتيازه بدير قرطبة راجعاً على عقبه من شاطبة، لم يتفق له فيها ما أراد.

فكر إلى ابن عبد الله بقرمونة مستجيراً به في ظنه، فأخلف ابن عبد الله ظنه. وخاطب قائده بحصر المرور، وبإزعاجه عن قطره، ولا يجتاز على شيء من عمله، فضاقت به الأرض يومئذ، فألقى نفسه على أبي حامة حرزة الیصدراني، فأجاره، وبوأه منزلاً في حصنه على نهر قرطبة أقام به في كمد وغصة، والحمام يغازله إلى أن مات عنده. وحدثني أبو عبد الله ابن هريرة الكاتب. قال: قصد أبو عامر بن المظفر في خروجه من شاطبة إلى موالیه العامريين بعد مراسلة متقدمة، فلما وصل ردوه خجلاً خائباً. فرغب أن تخرج إليه أخته بنت المظفر الأيم المقيمة كانت عندهم وقتها، فأسعفوه بذلك، وخرجت إليه، فخلا بها، وأودعها جوهرًا

نفيساً كان احتمله وولى ناكصاً، والعبدي تطرده عن ناحيتها، وأسلموه
غرضاً للحتوف!

فمات عند عودة الیصدراني كما وصفناه.

وعلم ابن عمه عبد العزيز بمكان ذلك الجوهر، فلما هلك اختدعها،
ووعدها أن ينكحها وكانت ضعيفة إلى أي فأسلمته إليه، وغدر بها، ولم
ينكحها! فصارت بقية دهرها تحفوه، وتشتمه.

ولما استقر أبو عامر عند حرزة، وأيسر المعتد من انصرافه قبض ما خلفه
بداره، ونقله إلى القصر، فطلب أسبابه، وتتبع ودائعه وعقاره، فانفتح
على أهل قرطبة في هذا الباب بذلك الوقت بلاء عظيم!

أجلى بعضهم عن الأوطان بسبب تلك الودائع العامرية. انتهى كلام
ابن حيان^(١).

ولقد جزم الأستاذ يعقوب زكي أن هذا الذي ذكره ابن حيان هو
صاحب ابن حزم المعني في الطوق^(٢).

قال أبو عبد الرحمن: يمنع من هذا الجزم أمران:
أولهما: أن أبا عامر هذا الذي ذكره ابن حيان والمقري^(٣) ولم
يسمياه^(٤).

ليس ابناً للمظفر بن المنصور بن أبي عامر حاجب الخليفة
هشام المؤيد، لأن أبا محمد نص على أنه لا عقب للمظفر^(٥).
فكيف يكون صديقه ابن من لا يعلم له عقب!

(١) الذخيرة ٢٥٩/١ - ٢٦١.

(٢) مقدمة ابن شهيد ص ٤٦.

(٣) نفح الطيب ٥٨٨/٣ - ٥٨٩.

(٤) ترشح للخلافة بيلنسية محمد بن عبد الملك المظفر. انظر دول الطوائف ص ٢١٠ - ٢١١
عن تاريخ ابن خلدون، وأعمال الأعلام.

(٥) الأجمرة لابن حزم ص ٤١٨ - ٤١٩.

فإن صح أن هذا ولد للمظفر وما أبعد ذلك، فليس هو
المعنى في طوق الحمامة بيقين.

لأن أبا محمد ذكر أن بين أبويهما تنافساً في صحبة السلطان.
ولا نعلم بين أحمد بن حزم والمظفر تنافساً، بل كان أحمد
وزيره، وليس ندأ للمظفر في صحبة السلطان بل السلطان
المظفر على الحقيقة.

ولعل ابن المظفر هذا من ذرية عبد الملك بن قند العامري
ولاء.

وثانيهما: أن ابن المظفر سواء أكان للمظفر الحاجب، أم من أسرته، أم
من مواليه، أم من غيرهم فليس هو المعنى في الطوق:

أ - لأن اختفائه، ووفاته في عهد الخليفة هشام المعتد بالله لا المعتمد
كما في الذخيرة يوم كان خليفة فعلياً بقرطبة.
وكان خليفة اسماً من ربيع الأول سنة ٤١٨ هـ.
وكان خليفة فعلاً ودخل قرطبة في ٨/١٢/٤٢٠ هـ.
وأبو محمد ألف الطوق قبل ربيع الثاني سنة ٤١٨ هـ^(١).
ومحمد بن عامر مات قبل ذلك كما في الطوق.

ب - ذكر أبو محمد أن محمد بن عامر رحل إلى المشرق ولم يعد رحمه
الله، وابن المظفر هذا مات بالأندلس.
إذن من يكون ابن عامر هذا؟

٢ - وقد يكون محمد بن عبدالله بن يحيى بن أبي عامر.
قال الحميدي: من أهل الأدب والفضل، ومن أبناء البيت العامري
أمراء الأندلس في دولة هشام المؤيد ذكره أبو محمد^(٢). ولعل عمه عبد
الملك بن يحيى المذكور بالجدوة^(٣).

(١) انظر ما كتبناه عن هذا بمجلة العرب ج ٨ ص ٣ ص ٧١٣.

(٢) الجدوة ص ٦١.

(٣) الجدوة ص ٣٧٢.

٣- وقد يكون وهو الذي لا نرجح غيره الآن: محمد بن عبدالله بن المنصور بن أبي عامر.

أبوه قتله المنصور والده في ١٤/٦/٣٨٠هـ.

قال أبو محمد عن عبدالله بن المنصور: تخلف ابناً اسمه محمد، فمات محمد وتخلف ابناً اسمه عبد الملك.

وما دام عبدالله خصماً لأبيه المنصور، وما دام أحمد بن حزم وزيراً للمنصور فذلك مظنة للخصومة بينهما في صحبة السلطان.

ولكن أحمد لم يتول الوزارة إلا في سنة ٣٨١هـ، بعد قتل عبدالله فلعل أحمد كان جليساً وصاحباً للمنصور قبل أن يكون وزيراً له.

* هذه القصة تدل على أن أبا محمد كان في مالقة قبل تأليفه لطوق الحمامة.

٨٢- قال أبو محمد:

ولقد كنت يوماً بالمرية قاعداً في دكان إسماعيل بن يونس الطبيب الإسرائيلي^(١)، وكان بصيراً بالفراسة محسناً لها، وكنا في لمة، فقال له مجاهد ابن الحصين القيسي: ما تقول في هذا؟ وأشار إلى رجل متبذعنا ناحية، اسمه حاتم ويكنى أبا البقاء، فنظر إليه ساعة يسيرة ثم قال: هو رجل

(١) كان ابن حزم يلبس يهود الأندلس، إما للسؤال أو للجدل أو لغير ذلك، ولهذا عندما نشب الخلاف بينه وبين ابن عمه أبي المغيرة عمير هذا بأن أصبح بين شيعته وأنصاره رئيس مدارسهم. وقال ابن حبان: ولهذا الشيخ أبي محمد مع يهود مجالس محفوفة وأخبار مكتوبة (انظر الذخيرة ١/١: ١٦٣، ١٧٠ ومقدمتي على رسالة الرد على ابن النغيلة). أهـ د. إحسان.

وإسماعيل بن يونس الطبيب اليهودي ذكره ابن حزم في الفصل ٥: ١٢٠ ووصفه بالأعور واستدل على أنه كان في أقواله ومناظرته ينصر مذهب تكافؤ الأدلة لاجتهاده في نصر هذه المقالة دون أن يصرح بذلك. وأضاف أبو محمد قوله: وكان إسماعيل بن القراد (لعنها: القراء) الطبيب اليهودي يذهب إلى هذا القول يقيناً وقد ناظرنا عليه مصرحاً به، وكان يقول إذا دعوناه إلى الإسلام وحسبنا شكوكه ونقضنا علله: الانتقال في الأديان تلاعب. أهـ.

عاشق، فقال له: صدقت، فمن أين قلت هذا؟ قال: لبهت مفرط ظاهر على وجهه فقط دون سائر حركاته فعلمت أنه عاشق وليس بمريب^(١).

٨٣ - قال أبو محمد:

وذلك أني دخلت يوماً على أبي السري عماز بن زياد صاحبنا مولى المؤيد^(٢) فوجدته مفكراً مهتماً فسألته عما به، فتمنع ساعة ثم قال لي: أعجوبة ما سمعت قط. قلت: وما ذاك؟ قال: رأيت في نومي الليلة جارية فاستيقظت وقد ذهب قلبي فيها وهمت بها، وإني لفي أصعب حال من حبها. ولقد بقي أياماً كثيرة تزيد على الشهر مغموماً لا يهتئ شيء وجداً إلى أن عدلته وقلت له: من الخطأ العظيم أن تشغل نفسك بغير حقيقة، وتعلق وهمك بمعدوم لا يوجد، هل تعلم من هي؟ قال: لا والله، قلت: إنك لفيل^(٣) الرأي مصاب البصيرة إذ تحب من لم تره قط، ولا خلق ولا هو في الدنيا، ولو عشقت صورة من صور الحمام^(٤) لكنت عندي أعذر، فما زلت به حتى سلا وما كاد^(٥).

٨٤ - قال أبو محمد:

وما رأيت قط هذه الصفة أشد تغلباً منها على أبي عامر محمد بن

(١) بمرض: قراءة برشييه، وهي وجه مقبول. د. إحسان، والنصر في طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١١٤/١ مع تحقيقات المحقق.

(٢) يعني - في الأرجح - هشام بن الحكم المستنصر أ.هـ. د. إحسان.

(٣) رجل فيل الرأي: أي ضعيف الرأي (اللسان؛ فيل) يقال بكسر الفاء وسكون الياء وقد يقال: فيل وفيل وفال، وقد قرئت في معظم الطبقات: لقليل، وهو خطأ، وقرأ برشييه «لفائل» وهي مقبولة وإن أبعدت عن رسم الكلمة، ولو قرئت لقليل - بالفاء - لكان ذلك وجهاً حسناً، وعند الصيرفي: لقليل، ولعلها خطأ مطبعي. أ.هـ. د. إحسان.

(٤) هذا يدل على أن جدران الحمامات في الأندلس كانت تزين بالصور كما كان الحال في بعض حمامات المشرق. انظر نفح الطيب ٣/٣٤٨. وهناك حكايات عن فتنة بعض الأندلسيين بالتمائيل، وفي ذلك دليل على شدة الإعجاب بالجمال الفني، وجاء في الموشى ص ٥٦: وبلغنا أن منهم من عشق صورة في حمام، وخیالاً في منام وكفا في حائط ومثالاً في ثوب. أ.هـ. د. إحسان.

(٥) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١١٥/١ - ١١٦ ج مع التحقيقات.

[أبي] عامر رحمه الله، فلو وصف بعض ما علمته منه لما صدقته. وأهل هذا الطبع أسرع الخلق محبة، وأقلهم صبرا على المحبوب وعلى المكروه، وبالضد، وانقلابهم عن الود على قدر تسرعهم إليه، فلا تثق بملول ولا تشغل به نفسك، ولا تعنها^(١) بالرجاء في وفائه فإن دفعت إلى محبته ضرورة فعده ابن ساعته، واستأنفه كل حين من أحيانه بحسب ما تراه من تلونه، وقابله بما يشاكلة.

ولقد كان أبو عامر المحدث عنه يرى الجارية فلا يصبر عنها، ويحيق به من الاغتمام والهَم ما يكاد أن يأتي عليه حتى يملكها، ولو حال دون ذلك شوك القتاد، فإذا أيقن بتصيرها إليه عادت المحبة نفارا، وذلك الأنس شرودا والقلق إليها قلقا منها، ونزاعه نحوها نزاعا عنها، فيبيعها بأوكس الأثمان. هذا كان دأبه حتى أتلَف فيما ذكرنا من عشرات ألوف الدنانير عددا عظيما. وكان رحمه الله مع هذا من أهل الأدب والحذق والذكاء والنبيل والحلاوة والتوقد، مع الشرف العظيم والمنصب الفخم والجاه العريض وأما حسن وجهه وكمال صورته فشيء تقف الحدود عنه وتكل الأوهام عن وصف أقله ولا يتعاطى أحد وصفه. ولقد كانت الشوارع تخلو من السيارة ويتعمدون الخطور على باب داره في الشارع الآخذ من النهر الصغير على باب دارنا في الجانب الشرقي بقرطبة إلى الدرب المتصل بقصر الزاهرة، وفي هذا الدرب كانت داره رحمه الله ملاصقة لنا، لا شيء إلا للنظر منه. ولقد مات من محبته جوار كن علقن أوهامهن به، ووفين^(٢) له فخانهن مما أملنه منه، فصرن رهائن البلى وقتلتهم الوحدة. وأنا أعرف جارية منهن كانت تسمى عفراء، عهدي بها لا تستر بمحبته حيثما جلست، ولا تحف دموعها، وكانت قد تصيرت من داره إلى البركات الخيال صاحب الفتيان^(٣).

(١) برشيه: تعللها د. إحسان.

(٢) برشيه: ورين، وفي سائر الطبعات: ورئين. د. إحسان.

(٣) يريد بروفنسال أن يقرأ: إلى أبي البركات الخيالي صاحب البيان، ذلك لأنه يرى أنه لم تكن هنالك حطة تسمى صاحب الفتيان ويكون الخيالي نسبة إلى حال زوج الحاجب عبد =

التعليق على النص

* أبو براقش طائر صغير يرى كالقنفذ. أعلى ريشه أغبر وأوسطه أحمر وأسفله أسود فإذا هيج انتقش فتغير لونه ألوانا شتى. قاله الليث. وقال ابن خالويه: طائر يكون في العضاة وله ست قوائم ثلاث من جانب وثلاث من جانب، وهو ثقیل العجز تسمع له حفيفا إذا طار وهو يتلون ألوانا.

وقال الجوهري: يسمى الشرشور بلغة الحجاز، وأنشد للأسدي:
كأبي براقش كل (م) لون لونه يتخيل
وفي رواية (كل يوم) تاج العروس مادة برقش ٢٨٣/٤.
قال أبو عبد الرحمن: الرواية الأولى أظهر في المعنى.

٨٥- قال أبو محمد:

إنه كان بيني وبين رجل من الأشراف ود وكيد وخطاب كثير، وما تراءينا قط، ثم منح الله لي لقاءه، فما مرت إلا أيام قلائل حتى وقعت لنا منافرة عظيمة ووحشة شديدة متصلة إلى الآن فقلت في ذلك قطعة منها:

[من البسيط].

أبدلت أشخاصنا^(١) كرها وفرط قلى كما الصحائف قد يبدلن بالنسخ
ووقع لي ضد هذا مع أبي عامر بن أبي عامر رحمة الله عليه، فإني كنت له على كراهة صحيحة وهو لي كذلك، ولم يرن ولا رأيته، وكان أصل ذلك تنقيلاً يحمل إليه عني وإلى عنه ويؤكد انحراف بين أبويننا لتنافسهما فيما كانا فيه من صحبة السلطان ووجاهة الدنيا، ثم وفق الله

= الملك المظفر (انظر الأندلس: ٣٥٢ وترجمة غومس: ٢٠٠ الحاشية، ومكي: ١٠٥). أهـ
د. إحسان.

قال أبو عبد الرحمن: هذا النص من طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١٩٨/١ - ٢٠٠ ج مع التحشيات.
(١) أشخاصنا: قرأها برشيخ إخلاصنا. د. إحسان.

الاجتماع به فصار لي أود الناس وصرت له كذلك، إلى أن حال الموت بيننا، وفي ذلك أقول قطعة منها: [من المتقارب]:

أخ لي كسبني اللقاء وأوجدني فيه علقاً شريفاً
وقد كنت أكره منه الجوار فما كنت أرغبه لي أليفاً
وكان البغيض فصار الحبيب وكان الثقيل فصار الخفيفاً
وقد كنت أدمن عنه الوجيف فصرت أديم إليه الوجيفاً

وأما أبو شاكر عبد الواحد بن محمد القبري^(١) فكان لي صديقاً مدة على غير رؤية، ثم التقينا فتأكدت المودة واتصلت وتمادت إلى الآن^(٢).

التعليق على النص

* أبو شاكر عبد الواحد بن محمد بن موهب التجيبي القبري.
قال الحميدي: يعرف بابن القبري فقيه محدث أديب خطيب شاعر نشأ بقرطبة وسمع الأصمعي وسكن شاطبة، وولي الأحكام بها.
قال الحميدي: وقد لقيته هنالك.

(١) في الأصل: عبد الرحمن، وهو عبد الواحد بن محمد بن موهب بن محمد التجيبي أبو شاكر، يعرف بابن القبري، كان فقيهاً محدثاً خطيباً شاعراً، نشأ بقرطبة، ويبدو أنه تحول بعد الفتنة إلى شاطبة، وولي الأحكام والمظالم بها، وهنالك رآه الحميدي وهنالك تؤكدت الصلة بينه وبين ابن حزم (الجدوة: ٢٧١ والبغية رقم: ١١٠٧) وقد سكن أو شاكر بلنسية وتقلد الصلاة والخطبة والأحكام بها، وكانت وفاته سنة ٤٥٦ بمدينة شاطبة ونقل إلى بلنسية فدفن فيها، وكان ربعة من الرجال ليس بالطويل ولا بالقصير وسيماً جميلاً حسن الهيئة والخلق، حسن السميت والهدى (الصلة: ٣٦٥-٣٦٦) وله شعر في رثاء قرطبة منه قوله (ترتيب المدارك ٤: ٨١٨):

يا ليت شعري والأيام تجمعنا
ونأخذ البين مغلوباً فنصفعه
في جنة الأرض أعني أرض قرطبة
فكل شيء بديع فهي تجمعنا
أستودع الله أهلها فليأتم
كالمسك قد ملأ الدنيا نضوعه

(٢) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١١٨/١-١١٩ مع التحشيات.

ثم أورد شعرا له يرويه عنه أبو محمد.
وقال ابن بشكوال: سكن بلنسية وكتب إليه أبو محمد بن أبي زيد وأبو
الحسن القابسي بإجازة روايتهما وتواليتهما.
قال أبو علي الغساني: من أهل النبل والذكاء سري متواضع وتقلد
الصلاة والخطبة والأحكام بمدينة بلنسية وأخبرني أنه ولد يوم الخميس
لعشر خلون من ذي القعدة سنة ٣٧٧ (؟) هـ.
وتوفي ليلة الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة ٤٥٦
بمدينة شاطبة وحمل إلى مدينة بلنسية فدفن بها.
قال ابن بشكوال: وقرأت بخط ابن مدير:
كان أبو شاكر ربعة من الرجال، ليس بالطويل، ولا بالقصير، وسيما
جميلا، حسن الهيئة والخلق، حسن السميت والهدى.
وكان أشبه الناس بالسلف الصالح رضي الله عنهم وصلى عليه القاضي
أبو المطرف بن جحاف.
قال أبو عبد الرحمن: ووالده محمد بن موهب جد أبي الوليد سليمان بن
خلف الباجي لأمه. تفقه على أبي محمد عبد الله بن أبي زيد بالقيروان،
وأظهر شيئا من العقلية الكلامية، كالقول في نبوة النساء مما لا يعرفه
العوام، فشنع بذلك عليه، وامتنح لأجل ذلك من قبل المتصور بن
أبي عامر^(١).
وقد نصر أبو محمد هذه المسألة - بكتابه الفصل قال:
هذا فصل لا نعلمه حدث التنازع العظيم فيه إلا عندنا بقرطبة، وفي
زماننا. ١ هـ^(٥).

٨٦ - قال أبو محمد:

ولعهدي بصديق لي داره المريّة، فعت له حوائج إلى شاطبة
فقصدها، وكان نازلا بها في منزلي مدة إقامته بها، وكان له بالمريّة علاقة
هي أكبر همه وأدهى غمه، وكان يؤمل تبتيته وفراغ أسبابه وأن يوشك

(١) انظر جذور المقتبس ص ٢٧١ - ٢٧٢ و ص ٨٥ والصلة ٣٦٥/١ - ٣٦٦ و ٤٧١/٢.

(٢) الفصل ٨٧/٥ - ٨٩.

الرجعة ويسرع الأوبة، فلم يكن إلا حين لطيف بعد احتلاله عندي حتى جيش الموفق أبو الجيش مجاهد صاحب الجزائر^(١) الجيوش وقرب العساكر وتابذ خيران صاحب المرية^(٢) وعزم استنصاله، فانقطعت الطرق بسبب هذه الحرب وتحوميت السبل واحترس البحر بالأساطيل، فتضاعف كربه إذ لم يجد إلى الانصراف سبيلا ألبته، وكاد يطفأ أسفا، وصار لا يأنس بغير الوحدة، لا يلجأ إلا إلى الزفير والوجوم، ولعمري لقد كان ممن لم أقدر قط فيه أن قلبه يذعن للود، ولا شراسة طبعه تجيب إلى الهوى.

وأذكر أني دخلت قرطبة بعد رحيلي عنها ثم خرجت منصرفا عنها فضمني الطريق مع رجل من الكتاب قد رحل لأمر مهم وتخلف سكن له^(٣) فكان يرتعش لذلك^(٤).

التعليق على النص

* هذه الحرب بين مجاهد وخيران كانت في ربيع الثاني سنة ٤١٧ هـ وهذا يعني أن أبا محمد في شاطبة في هذا التاريخ.

* يرى الدكتور عبد الكريم خليفة^(٥) أن حاكم شاطبة يومها مبارك الصقلي.

قال أبو عبد الرحمن: توفي مبارك في عام ٤٠٨ هـ.

(١) استولى أبو الجيش مجاهد العامري على دانية والجزائر من سنة ٤٠٠-٤٣٦، انظر أخباره في البيان المغرب ٣: ١٥٥ وتاريخ ابن خلدون ٤: ١٦٤ وأعمال الأعلام: ٢٥٠ والمغرب ٢: ٤٠١ وللمستشرق الإيطالية كليلا سارنللي دراسة عنه (القاهرة: ١٩٦١)، والجزائر هي (ميورقة ومنرقة ويابسة). د. إحسان.

(٢) كان خيران أيضاً من موالى العامريين الذين استقلوا لدى انهيار الدولة الأموية وكان مركزه المرية، إلا أنه قام بدعوة المرتضى الأموي، ثم تخلف عنه وتوفي سنة ٤١٨ (أ) (٤١٩)، انظر أعمال الأعلام: ٢٤٢ والبيان المغرب والذخيرة (القسم الأول) والمغرب ٢: ١٩٣ هذا وقد تمت المناظرة بين خيران ومجاهد العامريين سنة ٤١٧ هـ. د. إحسان.

(٣) برشيه: وخلف سكننا. د. إحسان.

(٤) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ٢١٦/١-٢١٧ ج مع التحشيات.

(٥) ابن حزم الأندلسي ص ٥٩.

وإنما حاكمها عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر وقد
كان رحمه الله رحمة لأصدقائه وأسرته يؤويهم .
وأبو محمد بن حزام ابن وزير الدولة العامرية .

• لا بد أن أبا محمد ألف طوق الحمامة بعد ربيع الثاني سنة ٤١٧ هـ .

٨٧ - قال الحميدي في ترجمة عبد الله بن مغيث :

حدثني أبو محمد علي بن أحمد قال :

حدثني أبو الوليد يونس بن عبد الله القاضي قال :

لما أراد الحكم المستنصر غزو الروم سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة
تقدم إلى والدي بالكون في صحبته ، فاعتذر بضعف في جسمه .
فقال المستنصر لأحمد بن نصر :

قل له : إن ضمن لي أن يؤلف في أشعار خلفائنا بالمشرق والأندلس
مثل كتاب الصولي في أشعار خلفاء بني العباس أعفيت من الغزاة .

فخرج أحمد بن نصر إليه بذلك .

فقال : أنا أفعل ذلك لأمر المؤمنين إن شاء الله .

قال : فقال المستنصر :

إن شاء أن يكون تأليفه له في منزله فذلك إليه وإن شاء في دار
الملك المطلقة على النهر فذلك له .

قال : فسأل أبي أن يكون ذلك في دار الملك .

وقال : أنا رجل مورود في منزلي ، وانفرادي في دار الملك هذه
الخدمة ، أقطع لكل شغل .
فأجيب إلى ذلك .

وأكمل الكتاب في مجلد صالح .

وخرج به أحمد بن نصر إلى الحكم المستنصر فلقبه بالمجلد بطليلة
فسر الحكم به .

قال أبو الوليد بن الصفار :

وفي تلك السنة مات أبي يعني سنة اثنتين وخمسين .

وأنشدني له أبو محمد علي بن أحمد :

أتوا حسبة إن قيل جد نحوله فلم يبق من لحم عليه ولا عظم
فعادوا قميصا في فراش فلم يروا ولا لمسوا شيئا يدل على جسم
طواه الهوى في ثوب سقم من الضنى فليس بمحسوس بعين ولا وهم^(١)

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن : هذا الخبر رواه الضبي عن نجبة عن شريح .
قال أبو عبد الرحمن : شيخ ابن حزم هنا هو أبو الوليد يونس بن عبد
الله بن محمد بن مغيث بن محمد بن عبد الله الأنصاري يعرف بابن
الصفار .

ويقال : إن ولاء أجداده لبني أمية .

قال الحميدي : من أعيان أهل العلم وكان زاهداً فاضلاً يميل إلى
التحقيق في التصوف .

وقال ابن بشكوال : تفقه مع قاضي الجماعة أبي بكر بن زرب وجمع
مسائله .

استقضي في أول أمره ببطليوس وأعمالها، ثم صرف عنها وولي الخطبة
بجامع الزهراء مضافة إلى خطته في الشورى ثم ولي خطة الرد مكان
ابن ذكوان بعهد العامرية، والخطبة بجامع الزاهرة .

ثم ولي أحكام القضاء، والصلاة، والخطبة بالمسجد الجامع بقرطبة مع
الوزارة ثم صرف عن ذلك كله، ولزم بيته إلى أن قلده المعتد بالله
هشام بن محمد المرواني قضاء الجماعة بقرطبة والصلاة والخطبة بأهلها
في ذي الحجة سنة تسع عشرة وأربع مئة، وبقي قاضياً إلى أن مات
رحمه الله .

(١) الجدوة ص ٢٥٢ - ٢٥٤ ج ١ ص ٢٣٥ - ٢٣٦ في البغية ص ٣٣٣ و ص ٣١٩ - ٣٢٠ ق .

قال صاحبه أبو عمر بن مهدي رحمه الله وقرأته بخطه :

كان نفعه الله من أهل الحديث والفقه، كثير الرواية، وافر الخط من علم اللغة والعربية، قاتلا للشعر النفيس في معاني الزهد، وما شابهه بليغا في خطبه، كثير الخشوع فيها لا يتمالك من سمعه من البكاء مع الخير والفضل والزهد في الدنيا والرضى منها باليسير.

ما رأيت في من لقيت من شيوخه من يضاهيه في جميع أحواله. كنت إذا ذاكرته شيئا من أمور الآخرة أرى وجهه يصفر، ويدافع البكاء ما استطاع وربما غلبه فلا يقدر أن يمسه.

وكان الدمع قد أثر في عينيه، وغيرها لكثرة بكائه. وكان النور باديا على وجهه.

وكان قد صحب الصالحين، ولقيهم من حدائمه. ما رأيت أحفظ منه : لأخبارهم، وحكاياتهم^(١) أه.

وقال ابن حيان :

إن هشاما المعتد ولاء بعد ابن الحصار فلم يقبل إلا بعد الجهد من الكبراء.

ولم يزل قاضيا إلى أن هلك ليلة الجمعة لثلاث بقين من رجب سنة تسع وعشرين وأربع مئة.

وصار خاتمة القضاة بقرطبة، وآخر الخطباء المعدودين فيها، وآخر المحدثين لا ينزع في هذه المراتب على ما أخل به من تمام الخصال التي اجتمعت لمن قبله. وهلك وهو لم يحج^(٢).

وقال ابن حيان أيضا إنه لم يقبل تولية هشام المعتد لله إلا بعد الجهد من الكبراء.

وكان أولا يتولى بني أمية فلما انقرضت دولتهم انتمى في الأمصار، ولم يكن بالبارع في الفقه.

(١) الصلاة ٦٤٦/٢ - ٦٤٧.

(٢) المغرب ١٥٩/١.

وكان يقال : إن مات يونس ولم يل قضاء الجماعة بقرطبة مات شهيدا .
ودفن بمقبرة ابن عباس ، وشهده خلق عظيم .
وكان وقت دفنه غيث وابل رحمه الله ومولده لليلتين خلتا من ذي
القعدة من سنة ٣٣٨ هـ .

قال أبو عبد الرحمن : من مؤلفاته :

- ١ - كتاب فضائل المنقطعين إلى الله عز وجل .
 - ٢ - وكتاب فضائل المتجهدين .
 - ٣ - وكتاب التسيب والتقريب أو التقريب والتسير والاختصاص . فيه
خلاف كثير حول تسميته .
 - ٤ - وكتاب الابتهاج بمحبة الله عز وجل .
 - ٥ - وكتاب التسلي عن الدنيا بتأميل خير الآخرة .
 - ٦ - وكتاب المستصرخين بالله تعالى عند نزول البلاء .
- قال ابن بشكوال عن هذه الكتب :
- إنها في معاني الزهد وضروبه .
- ٧ - وفضائل سير الزهد .
 - ٨ - والمراقب والمحاضر .
 - ٩ - فهرسته (وقد حدث بها ابن حزم) .
 - ١٠ - الموعب في شرح الموطأ وقد نقل عنه ابن حجر في فتح الباري .
 - ١١ - فضائل الأنصار .
 - ١٢ - تكملة كتاب العباد .
 - ١٣ - كتاب العباد .
 - ١٤ - طب القلوب الشافي من ألم الذنوب .
 - ١٥ - المواقف .
 - ١٦ - أنس الوحيد .
 - ١٧ - الموجز الكافي .
 - ١٨ - دعاء الصالحين .
 - ١٩ - المعمرين .

٢٠ - الحكايات .

٢١ - المستبصرين .

وصف عياض مؤلفاته بالمليحة المفيدة^(١) .

٨٨ - قال الحميدي عن عبود :

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد :

إن أبا العاصي المورودي كان يقرأ على عبود شيئاً من الأدب مع جماعة ففاته مجلس من المجالس فكتب إليه راغباً في أن يعيد له ما فاته فأجابه :

لا تأسفن أبا العاصي لفائتة فكل ما ليس من رزق الفتى فاتا
كم من فتى وصل الأسفار مجتهدا من أرض دارين حتى حل أغماتا
لم يسعف الرزق بالأقدار بغيته ولو أقام أنساه الرزق ميقاتا
مولاك يكفيك فالزم باب رغبته فقد كفى الناس أحياء وأمواتا
من يعتمد غيره يرجع بمحرمة كالمبتغي بالفلا الصحراء أحواتا^(٢)

قال أبو عبد الرحمن عبود : عبود هذا متجع للملوك أثير عندهم كان في أيام الحكم المستنصر كما قال الحميدي ، ومن الراجح أن هذا النص من كتاب أوقات الأمراء .

٨٩ - قال الحميدي عن أبي خالد بن التراس :

ذكره أبو محمد علي بن أحمد ، وأنشدني قال : أنشدني أبو خالد التراس لنفسه :

قد مسني الماء الذي مسهم حسي بذل من ميلهم حسي

(١) ترجمته في كل من : الجدوة ص ٣٦٢ وص ٢٤٨ عن يونس المرادي والصلة ١ : ٦٤٧/٦٤٦ و ٤٣١ والبقية ص ٤٩٨ والمغرب ١/ ١٥٩ والذبيح ص ٣٦٠ - ٣٦١ وكشف الظنون ١/ ٤٩٥ - ١٧٠٧ وإيضاح المكنون ١/ ٢٨٥ - ٢٨٧ وهدية العارفين ٢/ ٥٧٢ وابن خير ص ٢٨٧ وترتيب المدارك ٤/ ٧٣٩ - ٧٤١ .

وله ترجمة في سير النبلاء ومطمح الأنفس ومروءة الجنان . والأعلام للزركلي ٩/ ٣٤٥ - ٣٤٦ وشذرات الذهب ومعجم المصنفين ١٣/ ٣٤٨ - ٣٤٩ والنجوم الزاهرة والمرقبة العليا ص ٩٥ - ٩٦ والإكمال لابن ماکولا والمعجم في أصحاب الصدي ص ١٦٢ .

(٢) الجدوة ص ٢٦٧ ج ١ وص ٢٤٩ والبقية ص ٣٥٣ ج ١ وص ٣٤٠ ق .

لما اكتوى القلب بنيرانهم برد ذاك الماء عن قلبي^(١)

٩٠ - قال الحميدي في كلامه عن ابن العريف:

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد قال: أخبرني أبو خالد التراس:

ان المنصور أبا عامر محمد بن أبي عامر صاحب الأندلس جيء إليه بوردة في مجلس من مجالس أنسه. أول ظهور الورد فقال في الوقت أبو العلاء صاعد بن الحسن اللغوي وكان حاضرا يخاطبه فيها:

أتتك أبا عامر ورده يحاكي لك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر فغطت بأكماسها رأسها
فاستحسن المنصور ما جاء به، وتابعه الحاضرون فحسده أبو القاسم
ابن العريف وكان ممن حضر المجلس فقال:

هي لعباس بن الأحنف، فناكره صاعد، فقام ابن العريف إلى منزله
ووضع أبياتا وأثبتها في دفتر، وأتى بها قبل افتراق المجلس وهي:

عشوت إلى قصر عباسه وقد جدل النوم حراسها
فألفيتها وهي في خدرها وقد صدع السكر أناسها
فقلت: أيسرت على هجعة؟ فقلت: بلى فرمت كاسها
ومدت إلى ورده كفها يحاكي لك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر فغطت بأكماسها رأسها
وقالت: خف الله لا تفضحن (م) في ابنة عمك عباسها
فوليت عنها على غفلة وما خنت ناسي ولا ناسها
قال: فخجل صاعد وحلف، فلم يقبل وافترق المجلس على أنه سرقها^(٢).

(١) الجذوة ص ٣٩٦ ج وص ٣٧٢ والبيغة ص ٢٥٣ ج وص ٥٠٧ ق وأبو خالد هو هاشم
ابن محمد بن هاشم بن التراس قرطبي توفي في صدر ربيع الأول سنة ٤٢٣ هـ الصلاة
٦٢٢/٢ وهو من الأدباء.

(٢) الجذوة ص ١٩٤ - ١٩٥ ج وص ١٨٢ - ١٨٣ والبيغة ص ٢٦٨ - ٢٦٩ ج وص ٢٥٢ ق
ولعل هذا الخبر من كتاب ابن حزم عن الشعراء الوافدين على المنصور.

٩١ - قال الحميدي عن ابن جهور أنشدني له أبو محمد علي بن أحمد:

إن كانت الأبدان نائية نفوس أهل الظرف تأتلف
يا رب مفترقين قد جمعت قلبيهما الأقلام والصحف^(١)

٩٢ - قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن محمد بن أبي الحسين^(٢):

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد قال أخبرني أبو الحسن علي بن محمد
بن أبي الحسين قال:
وجدت بخط أبي قال:

أمرنا الحكم المستنصر بالله رحمه الله بمقابلة كتاب العين للخليل بن
أحمد مع أبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي في دار الملك التي بقصر
قرطبة.

وأحضر من الكتاب نسخا كثيرة في جملتها نسخة القاضي منذر بن
سعيد التي رواها بمصر عن ابن ولاد فمررنا صور من الكتاب بالمقابلة
فدخل علينا الحكم في بعض الأيام، فسألنا عن النسخ؟.

قلنا نحن: أما نسخة القاضي التي كتبها بخطه فهي أشد النسخ
تصحيفا وخطأ وتبديلا.

فسألنا عما تذكره من ذلك؟.

فأنشدناه أبياتا مكسورة، وأسمعناه ألفاظا مصحفة ولغات مبدلة،
فعجب من ذلك، وسأل أبا علي، فقال له نحو ذلك.

واتصل المجلس بالقاضي فكتب إلى الحكم المستنصر رقعة وفيها:

(١) الجذوة ص ٢٨٢ ج ٢ وص ٢٦٣ ق والبغية ص ٣٧٦ ج ٣ وص ٣٦٤ ق وتذكرة الحميدي ورقة
٢٨٧/ب ضمن مجموع سبط ابن حجر كما ورد الخبر في جزء القاضي الجلابي ورقة
٤٩٥/أ من المجموع الأنف الذكر.

(٢) ترجمته في الصلة ٣٩٣/٢ والذيل والتكملة ص ٥٥ ق ١ ص ٣١٦-٣١٧ ومقدمة الدكتور
إحسان عباس لكتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ص ١٢-١٣.

جزى الله الخليل الخير عنا بأفضل ما جزى فهو المجازي
وما خطا الخليل سوى المغيلي وعضر وطين في ربح الطراز
فصار القوم زرية كل زار وسخريا وهزاة كل هاز

فلما دخلنا على المستنصر قال لنا:

أما القاضي فقد هجاكم!.

وناولنا الرقعة بخط القاضي وكانت تحت شيء بين يديه، فقرأناها

وقلنا:

يا مولانا نجل مجلسك الكريم عن انتقاص أحد فيه لا سيما مثل
القاضي في سنه ومنصبه وإن أحب مولانا أن يقف على حقيقة ما أدركناه
فليحضره، وليحضر الأستاذ أبا علي.

ثم نتكلم على كل كلمة أدركناها عليه.

فقال: قد ابتدأكم والبأىء أظلم وليس على من انتصر لوم.

قال أبي: فمددت يدي إلى الدواة، وكتبت بين يديه:

هلم فقد دعوت إلى البراز	وقد ناجزت قرنا ذا نجاز
ولا تمش الضراء فقد أثرت	أسود الغاب تخطر باحتفاز
وأصحر للقاء تكن صريعا	لماضي الحد مصقول جراز
رويت عن الخليل الوهم جهرا	لجهل بالكلام وبالمجاز
دعوت له بخير ثم أنحت	يداك على مفاخره العزاز
تهدمها وتجعل ما علاها	أسافلها تجزيك الجوازي
جزى الله الإمام العدل عنا	جزاء الخير فهو له مجازي
به ورئت زناد العلم قدما	وشرف طالبيه باعتزاز
وجلى عن كتاب العين دجنا	وإظلاما بنور ذي امتياز
بأستاذ اللغات أبي علي	وأحداث بناحية الطراز
بهم صح الكتاب وصيره	من التصحيف في ظل احتراز

[قال الحميدي]: أسقطنا نحن منها أبياتاً تجاوز الحد فيها.

قال [أي محمد بن أبي الحسين]:

ثم أنشدتها المستنصر بالله فضحك وقال:
قد انتصرت وزدت وأمر بها فختمت.

ثم وجه بها إلى القاضي فلم يسمع له بعد ذلك كلمة^(١).

٩٣- قال الحميدي عن ابن حبيب:

أنشدني أبو محمد علي بن أحمد لعبد الملك بن حبيب:

صلاح أمري والذي أبتغي سهلاً على الرحمن في قدرته
ألف من الخمر وأقلل بها لعالم أوفى على بغيته
زريباً قد يأخذها دفعة وصنعتي أشرف من صنعة^(٢)

٩٤- قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن ابن عبد ربه:

«حدثني أبو محمد علي بن أحمد قال:

حدثني بعض أصحابنا عن أبي عمر بن عفيف^(٣):

أن سعيد بن القزاز أخبره:

أن ابن عبد ربه قال هذه الأبيات - قبل موته بأحد عشر يوماً - وهو

آخر شعر قاله وفيه بيان مبلغ سنه:

كلاني لما بي عاذلي كفاني طويت زماي برهة وطواني
بليت وأبليتني الليالي وكرها وصرفان للأيام معنوران
ومالي لا أبلى لسبعين حجة وعشر أتت من بعدها سنتان
فلا تسألاني عن تباريح علي ودونكما مني الذي تريان

(١) الجذوة ص ٥١ - ٥٢ ج ٥ ص ٤٧ - ٤٩ ق وأضرب صاحب البغية عن هذا الخبر في ترجمته

لابن أبي الحسين وأورد الدكتور إحسان عباس هذا النص محققاً في رسائل ابن حزم

٢/٢٢٣ - ٢٢٤ ج ٢.

(٢) الجذوة ص ٢٨٤ ج ٥ ص ٢٦٥ ق والبغية ص ٣٧٨ ج ٥ ص ٣٦٦ ق

(٣) هو أحمد بن محمد ترجمته في الصلة ١/٤٢ - ٤٤.

ولاني بحمد الله راج لفضله ولي من ضمان الله خير ضمان
ولست أبالي عن تباريح علي إذا كان عقلي باقيا ولساني
هما ما هما في كل حال تلم بي فذا صارمي فيها وذاك سناني^(١)

٩٥- قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن ابن عبد ربه :

أخبرني أبو محمد قال :

أخبرني بعض الشيوخ :

أن أبا عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه وقف تحت روشن لبعض
الرؤساء وقد سمع غناء حسنا فرش بماء ولم يعرف من هو؟ فمال إلى
مسجد قريب من المكان واستدعى بعض ألواح الصبيان فكتب :

يا من يضمن بصوت الطائر الغرد ما كنت أحسب هذا البخل في أحد
لو أن أسمع أهل الأرض قاطبة أصغت إلى الصوت لم ينقص ولم يزد
فلا تضمن على سمعي تقلده صوتا يحول مجال الروح في الجسد
لو كان زرياب حيا ثم أسمع لذاب من حسد أو مات من كمد
أما النبيذ فإني لست أشربه ولست آتيك إلا كسرتي بيدي

وزرياب عندهم كان يجري يجري الموصلي في الغناء .

وله طرائق أخذت عنه وأصوات استفيدت منه وألفت الكتب بها .

وعلا عند الملوك هنالك بصناعته وإحسانه فيها علوا مفرطا وشهرة
شهرة ضرب بها المثل في ذلك^(٢) .

(١) الجذوة ص ١٠٣ - ١٠٤ ج ١ وص ٩٦ وفي البنية ص ١٥٠ - ١٥١ ج ١ وص ١٣٩ - ١٤٠ .
(٢) الجذوة ص ١٠٢ ج ١ وص ٩٥ وفي البنية ص ١٤٩ ج ١ وص ١٣٧ - ١٣٨ ج ١ وأورد الحميدي
هذا الخبر في تذكرته ورقة ٢٨٧/١ ضمن مجموع سبط ابن حجر قال : وقف في صباه يوماً
تحت روشن بعض الرؤساء وقد سمع جارية محسنة تغني ثم ساق الخبر إلى آخر الأبيات .

٩٦ - قال الحميدي:

وأخبرني أبو محمد علي بن الوزير أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم: أنه سمع أبا العلاء صاعد بن الحسن ينشد هذه القصيدة [يعني قصيدة له بائية] بين يدي المظفر في يوم عيد الفطر سنة ست وتسعين وثلاث مئة.

قال أبو محمد:

وهو أول يوم وصلت فيه إلى حضرة المظفر ولما رأي أبو العلاء استحسناها، وأصغى إليها كتبها لي بخطه، وأنفذها إلي^(١).

٩٧ - قال الحميدي عن التغلبي: ذكره أبو محمد علي بن أحمد.

ولم أجد له عندي الآن إلا حكاية أخبرنا بها أبو محمد علي بن أحمد قال: أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله التغلبي قال:

بينما أنا ماش في شارع من شوارع الكرخ ببغداد فإذا بسقاء في يده كأس بلور مفتوح منقوش في غاية الحسن وفيه ماء، وقد أخذ وردة في ابتداء زمان الورد، فرماها في ذلك الماء، فكان الماء يتموج فتلوح حمرة الورد مع بياض البلور فرأيت منظرا أنيقا فوقفت أنظر.

قال: فقال لي:

ماذا تنظر يا مغربي؟

فقلت: حسن هذه الوردة في هذا الإناء.

قال: فقال لي:

لا تعجب من حسن ذلك، ولكن اعجب من حسن قولي فيها حيث أقول:

للورد عندي محل لأنه لا محل

كل النواويس جند وهو الأمير الأجل^(٢)

(١) الجذوة ص ٢٤١ ج ٢ ص ٢٢٤ ق وأورد الضبي الخبر عن غير واحد عن شريح عن أبي محمد. البغية ص ٣٢٠ - ٣٢١ ج ٣ ص ٣٠٧ ق.

(٢) الجذوة ص ٢٧٥ - ٢٧٦ ق و ص ٢٥٧ ق والبغية ص ٣٦٦ - ٣٦٧ و ص ٣٥٤ ق.

٩٨ - قال الحميدي عن أبي الأصبغ:

أنشدني أبو محمد علي بن أحمد قال:

أنشدني خلف بن مروان الأنصاري قال:

ولد لأبي الأصبغ عبد العزيز بن الناصر ابن فعاش إلى أن دخل
الكتاب وظهرت منه نجابة فأول لوح كتبه بعث به إلى أخيه المستنصر بالله
وكتب إليه بهذه الأبيات، وهي من شعره:

هاك يا مولاي خطا مطه في اللوح مطا
ابن سبع في سنيه لم يطق للوح ضبطا
لم يقل في الضاد ظاء فحوى لفظا وخطا
دمت يا مولاي حتى يولد ابن ابنك سبطا^(١)

٩٩ - قال الحميدي عن ابن أبي الفهد:

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد قال:

أخبرني أبو عامر أحمد بن عبد الملك الشهيدي:

أنه عمل بحضرته أربعين بيتاً على البديهة إلى عبادة ليس فيها حرف
يعجم أولها:

حلمك ما حد حده أحد

وذكر من شعره أبياتاً منها:

أباح فؤادي لسوعة وغليل
وبين ما أخفيه دمع يحيله
وليل همومي أطلعت فيه همتي
تلاحظها الأيام وهي حسيرة
فباح بسري زفرة وعويل
هوى بين أحناء الضلوع يحول
كواكب عزم ما لهن أفول
ويرنو إليها الدهر وهو كليل^(٢)

(١) الجذوة ص ٢٨٩ ج ١ وص ٢٧٠ ق والبغية ص ٣٨٥ ج ١ وص ٣٧٢ ق.

(٢) الجذوة ص ٢٧٨ ج ١ وص ٢٥٩ ق والبغية ص ٣٦٩ - ٣٧٠ ج ١ وص ٣٥٧ ق.

التعليق على النص

* ابن شهيد هو أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد الأشجعي ولد سنة ٣٨٢ وتوفي سنة ٤٢٦ هـ .

ونقل الحميدي ثناء ابن حزم عليه وتأريخه لحياته^(١) .

١٠٠ - قال الحميدي عن عبد الرحمن بن أحمد بن مثنى :

ذكره أبو محمد علي بن أحمد وأنشدني قال :

أنشدني ابن مثنى :

يلاحظني بلحظ بابلي ويفعل بي فعّال السامري

ويفرط في الصدود وفي التجني كإفراط الروافض في علي^(٢)

١٠١ - قال الحميدي في ترجمة ابن الجحاف :

ذكره أبو محمد علي بن أحمد، وروى عنه الحديث، وقال : هو أفضل

قاض رأيته ديناً وعقلاً وتعاوناً مع حظه الوافر من العلم^(٣) .

قال أبو عبد الرحمن : عبد الله بن عبد الرحمن بن جحاف توفي

قاضياً ببلنسية عام ٤١٧ هـ أو ٤١٨^(٤) .

قال أبو محمد : نا القاضي عبد الله بن عبد الرحمن بن جحاف

المعافري ببلنسية^(٥) .

١٠٢ - قال أبو محمد :

وأما خير صاحبنا أبي عبد الله محمد بن يحيى [بن محمد] بن الحسين

(١) الجذوة ص ١٢٤ - ١٢٧ .

(٢) الجذوة ص ٢٧٠ ج و ص ٢٥٢ ق والبغية ص ٣٦٠ ج و ص ٣٤٧ ق .

(٣) الجذوة ص ٢٦٢ ج و ص ٢٤٤ ق والبغية ص ٣٤٦ ج و ص ٣٣٣ ق .

(٤) ترجمته في الصلة ١/ ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٥) المحلى ١١/ ٢٣٧ .

التميمي، المعروف بابن الطنبلي^(١) فإنه كان رحمه الله كأنه قد خلق الحسن على مثاله أو خلق من نفس كل من رآه، لم أشهد له مثلاً حسناً وجمالاً وخلقا وعفة وتصاونا وأدبا وفهما وحلما ووفاء وسؤددا وطهارة وكرما ودمائة وحلاوة ولباقة وصبرا وإغضاء وعقلا ومروءة ودينا ودراية وحفظا للقرآن والحديث والنحو واللغة، و [كان] شاعرا مفلحا حسن الخط وبليغا مفننا مع حظ صالح من الكلام والجدل، وكان من غلمان أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد الأزدي أستاذي في هذا الشأن، وكان بينه وبين أبيه اثنا عشر عاما في السن، وكنت أنا وهو متقاربين في الأسنان، وكنا أليفين لا نفترق، وخدنين لا يجري الماء بيننا إلا صفاء، إلى أن ألفت الفتنة جرائنا وأرخت عزاليها، ووقع انتهاب جند البربر منازلنا في الجانب الغربي بقرطبة ونزولهم فيها، وكان مسكن أبي عبد الله في الجانب الشرقي ببلاط مغيث وتقلبت بي الأمور إلى الخروج عن قرطبة وسكني مدينة المرية، فكنا نتهادى النظم والنثر كثيرا، وآخر ما خاطبني به رسالة في درجتها هذه الأبيات^(٢): [من الخفيف].

ليت شعري عن جبل ودك هل (م)	يمسي جديدا لدي غير رثيث
وأراني أرى محياك يوما	وأناجيك في بلاط مغيث
فلو ان الديار ينهضها الشوق	(م) أتاك البلاط كالمستغيث ^(٣)
ولو ان القلوب تستطيع سيرا	سار قلبي إليك سير الحثيث
كن كما شئت لي فإني محب	ليس لي غير ذكركم من حديث
لك عندي وإن تناسيت عهد	في صميم الفؤاد غير نكيث

(١) بنو الطنبلي أصلهم من منطقة الزاب في المغرب (الجزائر حالياً)، أول من بنى بيت شرفهم بالأندلس أبو مضر زيادة الله بن علي الطنبلي إذ كان نديم محمد بن أبي عامر، وقد ترجم ابن بسام لعدد منهم (انظر ١/١ : ٥٣٥ - ٥٤٧) وهناك فرع آخر من الطنبليين وهم: محمد ابن حسين الطنبلي وعقبه (الصلة: ٥٦٢ والجدوة: ٤٧) وقد كان لمحمد ابن هو يحيى، فأعقب يحيى ثلاثة من الأولاد وهم: أبو بكر إبراهيم (الجدوة: ١٤٩) وأبو عبد الله محمد وهو هذا الذي كان صديقاً لابن حزم (الجدوة: ٩٢) وأبو عمر القاسم وكان أيضاً أديباً شاعراً (الجدوة: ٣١٣ وسيذكره ابن حزم في ما يلي: ٢٦٣). اهـ. د. إحسان.

(٢) أورد الحميدي هذه الأبيات في الجدوة: ٩٢ (وأنظر البغية رقم: ٣١٦). د. إحسان.

(٣) وقع هذا البيت بعد الذي يليه في الجدوة. د. إحسان.

فكنا على ذلك إلى أن انقطعت دولة بني مروان وقتل سليمان الظافر أمير المؤمنين وظهرت دولة الطالبية^(١) وبويع علي بن حمود الحسيني المسمى بالناصر^(٢) بالخلافة، وتغلب على قرطبة وتملكها واستمد في قتاله إياها بجيوش المتغلبين والشوار في أقطار الأندلس.

وفي أثر ذلك نكبي خيران صاحب المرية، إذ نقل إليه من لم يتق الله عز وجل من الباغين، (وقد انتقم الله منهم) عني وعن محمد بن إسحاق صاحبي أنا نسعى في القيام بدعوة الدولة الأموية، فاعتقلنا عند نفسه أشهراً ثم أخرجنا على جهة التغريب فصرنا إلى حصن القصر^(٣) ولقينا صاحبه أبو القاسم عبد الله بن هذيل التجيبي، المعروف بابن المقفل، فأقمنا عنده شهوراً في خير دار إقامة، وبين خير أهل وجيزان، وعند أجل الناس همة وأكملهم معروفاً وأتمهم سيادة. ثم ركبنا البحر قاصدين بلنسية عند ظهور أمير المؤمنين المرتضى عبد الرحمن بن محمد، وساكناه بها، فوجدت ببلنسية أبا شاهر عبد الواحد بن موهب القبري^(٤) صديقنا، فنعى إلينا أبا عبد الله بن الطيني وأخبرني بموته رحمه الله، ثم أخبرني بعد ذلك بمديدة القاضي أبو الوليد يونس بن عبد الله المرادي^(٥) وأبو عمرو أحمد بن محرز أن أبا بكر المصعب بن عبد الله الأزدي المعروف بابن الفرضي^(٦) حدثهما وكان والد المصعب هذا قاضي بلنسية أيام أمير المؤمنين المهدي^(٧) وكان المصعب لنا صديقاً وأخاً وأليفاً أيام طلبنا الحديث

(١) دولة الطالبية يعني دولة بني حمود لأنهم يتسبون إلى علي بن أبي طالب د. إحسان.

(٢) انظر أخبار علي بن حمود (قتل سنة ٤٠٨) في الجذوة: ٢١ وأعمال الأعلام: ١٢٨ والبيان المغرب ٣: ١١٩. د. إحسان.

(٣) حصن القصر يقع إلى الجنوب الغربي من اشيلية (ترجمة الروض: ٧٣ التعليق: ١) د. إحسان.

(٤) القبري نسبة إلى مدينة قبرة بالأندلس، وقد قرّر التعريف به ص: ١١٠. د. إحسان.

(٥) هو ابن الصفار، وقد مرّ التعريف به ص: ٢١٤. د. إحسان.

(٦) أبو بكر المصعب بن عبد الله بن محمد الأزدي (ولد القاضي أبي الوليد المعروف بابن الفرضي مؤلف تاريخ العلماء والرواة بالأندلس) وصفه الحميدي بأنه محدث أخباري شاعر ولي الحكم بالجزيرة (الجذوة: ٣٣٠ والبنية رقم ١٣٧٦ والصلة: ٥٩٣) د. إحسان.

(٧) قام محمد بن هشام الملقب بالمهدي على هشام المؤيد في جمادى الآخرة سنة ٣٩٩، فإذا =

على والده وسائر شيوخ المحدثين بقرطبة قالوا: قال لنا المصعب: سألت أبا عبد الله بن الطنبلي عن سبب علته، وهو قد نحل وخفيت محاسن وجهه بالضنى فلم يبق إلا عين جوهرها المخبر عن صفاتها السالفة، وصار يكاد أن يطيره النفس، وقرب من الانحناء، والشجاء باد على وجهه، ونحن منفردان. فقال لي: نعم، أخبرك أني كنت في باب داري بغدير ابن الشماس^(١) في حين دخول علي بن حمود قرطبة^(٢)، والجيش واردة عليها من الجهات تتسارب، فرأيت في جملتهم فتى لم أقدر أن للحسن صورة قائمة حتى رأيته، فغلب على عقلي وهام به لبي، فسألت عنه فقيل لي: هذا فلان ابن فلان، من سكان جهة كذا، ناحية قاصية عن قرطبة بعيدة المآخذ، فيشت من رؤيته بعد ذلك. ولعمري يا أبا بكر لا فارقني حبه أو يوردني رمسي، فكان ذلك.

وأنا أعرف ذلك الفتى وأدريه، وقد رأيته لكنني أضربت عن اسمه لأنه قد مات، والتقى كلاهما عند الله عز وجل، عفا الله عن الجميع. هذا على أن عبد الله، أكرم الله نزله، ممن لم يكن له وله قط، ولا فارق الطريقة المثلى، ولا وطىء حراما قط، ولا قارف منكرا، ولا أتى منبها عنه يخل بدينه ومروءته ولا قارض من جفا عليه، وما كان في طبقنا مثله.

ثم دخلت أنا قرطبة في خلافة القاسم بن حمود المأمون^(٣) فلم أقدم

= كانت ولاية ابن الفرضي القضاء له على بلنسية صحيحة فلا بد أنها كانت فترة قصيرة لأن المهدي لبث منذ قيامه إلى أن قتل ستة عشر شهرا، وقد ذكر ابن يشكوال أيضاً أن المهدي استقضى ابن الفرضي بكورة بلنسية (الصلة: ٢٤٨). د. إحسان.

(١) بغدير ابن الشماس: القراءة مضطربة في مختلف الطبعات، وما أثبتته هو قراءة بروفنسال، انظر الأندلس: ٣٥٦ (التعليق رقم: ٣) ويقول: إن غدير ابن الشماس حي من أحياء قرطبة، ويحيل القارئ على النكملة لابن الأبار تحقيق ابن أبي شبيب (الجزائر ١٩٢٠) رقم: ٥١٣، ٢٣٣ (ص: ١٩٣ من طبعة القاهرة) د. إحسان.

(٢) دخلها في الثاني والعشرين من المحرم سنة ٤٠٧. د. إحسان.

(٣) حكم القاسم بن حمود قرطبة بعد مقتل أخيه (٤٠٨) وبقي حتى شهر ربيع الأول سنة ٤١٢ حين ثار عليه ابن أخيه (يحيى بن علي) فهرب القاسم عن قرطبة بلا قتال. د. إحسان.

شيئا على قصد أبي عمر القاسم بن يحيى التميمي أخي [أبي] عبد الله رحمه الله، فسألته عن حاله وعزيمته عن أخيه، وما كان أولى بالتعزية عنه مني، ثم سألته عن أشعاره ورسائله إذ كان الذي عندي منه قد ذهب بالنهب في السبب الذي ذكرته في صدر هذه الحكاية، فأخبرني عنه أنه لما قربت وفاته وأيقن بحضور المنية ولم يشك في الموت دعا بجميع شعره وبكتبي التي كنت خاطبته أنا بها، فقطعها كلها ثم أمر بدفنها. قال أبو عمر، فقالت له: يا أخي دعها تبقى. فقال: إني أقطعها وأنا أدري أني أقطع فيها أدبا كثيرا، ولكن لو كان أبو محمد - يعني - حاضرا لدفعها إليه تكون عنده تذكرة لمودتي ولكني لا أعلم أي البلاد أضمرته ولا أخي هو أم ميت، وكانت نكتي اتصلت به ولم يعلم مستقري ولا إلى ما آل إليه أمري، فمن مراثي له قصيدة منها: [من المتقارب]:

لئن سترتك بطون اللحد فوجدني بعدك لا يستتر
قصدت ديارك قصد المشوق وللدهر فينا كسرور ومر
فألفيتها منك قفرا خلاء فأسكبت عيني عليك العبر^(١)

التعليق على النص

* هذه الفقرة أتمودج لمبالغات ابن حزم في الشناء، واستعماله لكثرة المترادفات اللغوية وهو لون للإسهاب في النثر.

* أو خلق من نفس كل من رآه:

هذه العبارة كناية عن محبة من يراه له بناء على أن الأرواح إذا تشاكلت تألفت:

* في هذه الفقرة نص على أن أبا محمد سكن المرية عندما خرج من قرطبة للمرة الأولى.

(١) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ٢٦٠ - ٢٦٤ ج مع تحقيقات المحقق د. إحسان عباس.

* ابن الطنبلي هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن الحسين الحماني السعدي الطنبلي:

قال الحميدي: من بني سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أدد وقد أورد الحميدي القصيدة الثانية التي ذكرها أبو محمد وقال إنها من أبيات رآها.

وكنية جده أبو مضر.

قال ابن سعيد: وصفه الحنجاري بالأدب والشعر، ومجالسة الملوك وكان ممن يجالس أبا الحزم بن جهور، وابنه أبا الوليد، وصحب ابن شهيد وذكر له ثلاثة أبيات^(١).

إلا أن ابن سعيد كناه: أبا مضر.

قال: أصلهم من طبنة قاعدة الزاب، والوافد منهم على الأندلس في أيام أبي عامر أبو مضر محمد بن يحيى.

قال أبو عبد الرحمن: لعل الأمر التبس عليه بجده أبي مضر.

قال الدكتور شوقي ضيف (في حاشية هذه الترجمة):

طبنة بلدة في طرف إفريقية مما يلي المغرب.

* ابن أبي يزيد الأزدي عبد الرحمن المصري. ذكره أبو محمد في موضع آخر.

وقال أبو محمد: إنه من ولد أبي صفرة ظالم بن سراق الأزدي^(٢).

قال أبو عبد الرحمن: ولم أجد له ذكرا غير هذا.

* هذه الفقرة نص على أن أبا محمد اعتقل من قبل خيران بالمرية شهرا قبل قيام المرتضى.

* ابن المقفل وحصن القصر.

لم أجد لابن المقفل ذكرا في كتب التراجم وربما كان من أسرة بني هذيل من مديونة من مديونة من البربر^(٣).

(١) الجذوة ص ٩٢ والبنية ص ١٣٥ والمغرب ١/٥٩١.

(٢) الجمهرة ص ٢٦٧ - ٢٦٨.

(٣) انظر الجمهرة ص ٤٩٩ - ٥٠٠.

وحصن القصر من أعمال أشبيلية .
ولقد التبس الأمر على بعض المعاصرين فظنوا أن حصن القصر قلعة
البونت وأن ابن هذيل هو ابن قاسم الفهري حاكم البونت .
قال أبو عبد الرحمن : لا تطابق بين اسم عبد الله بن هذيل وبين عبد
الله بن قاسم لا أسما ، ولا كنية ، ولا نسا .
وأين قلعة البونت قرب بلنسية بشرق الأندلس عن حصن القصر قرب
أشبيلية بجنوب الأندلس ؟ ! .

وما دام خيران العامري أخرج ابن حزم من المرية على جهة التغريب
فهو لن يرسله إلى شرق الأندلس حيث يوجد أنصار بني أمية .
ثم كيف يركب البحر إلى بلنسية لو كان بالبونت ؟ ! .

• سترجم للمرتضى ، وقصة خيران معه في موضع آخر من هذا الكتاب
بحول الله .

• لا أرى في هذه الفقرة تنصلا من أبي محمد عن دعوى القيام بالدعوة
للدولة الأموية .

وإنما وصف المبلغ عنه بعدم التقوى ، لأن أبا محمد يرى أن الخلافة لا
تجوز إلا في قریش ، ومن يبلغ عن المحققين فهو غير متق لله ! .

• القاضي أبو الوليد بن محمد المرادي :
لم أعرف يونس هذا .

وإنما شيخه القاضي أبو الوليد يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث .

• أبو عمرو أحمد بن محرز : لم أجد له ترجمة .

• أبو بكر المصعب بن عبد الله بن محمد .

والده ابن الفرضي وستأتي ترجمته الآن إن شاء الله .

قال الحميدي : أديب محدث أخباري شاعر .

ولي الحكم بالجزيرة ، وأصله من قرطبة ، وكان فاضلا .

كان حيا قبل الأربعين وأربع مئة ^(١) .

(١) الجذوة ص ٣٣٠ - ٣٣١ والبقية ص ٤٥٧ .

قال ابن بشكوال: استجاز له أبوه جماعة من علماء المشرق^(١).

* عبد الله بن الفرضي هو أبو الوليد وأبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي الحافظ.

من أهل قرطبة. قال ابن بشكوال:

«رحل إلى المشرق سنة ٣٨٢ هـ، فحج، وأخذ عن الشيوخ بمكة، ثم انصرف إلى قرطبة، وجمع علما كثيرا في فنون العلم، فصنف كتابه في تاريخ علماء الأندلس، وبلغ فيه النهاية والغاية من الحفظ والإتقان.

وجمع كتابا حفيلا في أخبار شعراء الأندلس وجمع في المؤتلف والمختلف كتابا حسنا، وفي مشته النسبة.

حدث عنه أبو عمر بن عبد البر الحافظ، وقال:

كان فقيها، عالما في جميع فنون العلم في الحديث، وعلم الرجال. وله تواليف حسان، وكان صاحبي ونظيري.

أخذت معه عن أكثر شيوخه، وأدرك من الشيوخ ما لم أدركه أنا.

كان بيني وبينه في السن نحو من خمس عشرة سنة. صحبته قديما وحديثا.

وكان حسن الصحبة والمعاشرة، حسن اللقاء.

قتله البربر في سنة الفتنة، وبقي في داره ثلاثة أيام مقتولا، وحضرت جنازته عفا الله عنه.

وحدث عنه أيضا أبو عبد الله الخولاني، وقال:

كان من أهل العلم جليلا، ومقدما في الآداب، نبيل مشهورا بذلك سمع بالأندلس، ورحل إلى الشيوخ في البلدان، وسمع منهم، وكتب عنهم.

ثم توجه إلى المشرق، فطلب الحديث، وعني بالعلم.

وكان قائما به، نافذا فيه.

وقال ابن حيان: كان ممن قتل يوم فتح قرطبة، وذلك يوم الاثنين لست

(١) الصلة ١/ ٥٩٣.

خلون من شوال سنة ٤٠٣ هـ الفقيه الراوية الأديب الفصيح ابن
الفرضي .

أصيب هذا اليوم، وووري متغيرا من غير غسل، ولا كفن، ولا صلاة
بمقبرة إلى أيام من قتله .

ولم ير مثله بقرطبة من سعة الرواية، وحفظ الحديث، ومعرفة الرجال،
والافتنان في العلوم، إلى الأدب البارع، والفصاحة المطبوعة قل ما كان
يلحن في جميع كلامه من غير حوشيه مع حضور الشاهد والمثل .

مولده في ذي القعدة سنة ٣٥١ هـ .

وكان جماعا للكتب، فجمع منها أكثر ما جمعه أحد من عظماء البلد
وتقلد قراءة الكتب بعهد العامرية، واستقضاه محمد المهدي بكورة
بلنسية، وكان حسن الشعر والبلاغة والخط .

قال ابن بشكوال: قرأت بخط شيخنا أبي الحسن بن مغيث وأخبرني به
غير مرة مشافهة قال :

وجدت بخط أبي محمد بن حزم أنه قتل في الدخلة، وبقي في مصرعه
حتى تغير وكفنه ابنه في نطع . أ هـ (١) .

قال أبو عبد الرحمن: إن بقاءه في مصرعه ثلاثة أيام يوحى بأن الناس لم
يعلموا بوفاته ولكن ينافي هذا ما رواه الحميدي . قال: أخبرني أبو
محمد . قال: أخبرني أبو الوليد بن الفرضي . قال: تعلقت بأستار
الكعبة . وسألت الله الشهادة، ثم انحرفت وفكرت في هول القتل
فندمت، وهممت أن أرجع فأستقيل الله ذلك، فاستحييت!

قال أبو محمد: فأخبرني من رآه بين القتل، فدنا منه، فسمعه يقول
بصوت ضعيف وهو في آخر رمق:

لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله - إلا جاء يوم
القيامة وجرحه يثغب دما اللون لون الدم، والريح ريح المسك .
وهذا الحديث في صحيح مسلم .

(١) الصلاة ١/ ٢٤٦ - ٢٥٠ .

روى عنه ابن عبد البر: تاريخه، ورسالة ابن أبي زيد، والمنبه لذوي
الفتن على غوائل الفتن «للقاسي»^(١).

وترجم له ابن سعيد^(٢) وقال: وذكر الحجاري: أنه ولي في الفتنة قضاء
استجبه، ورغب إليه أهل مصر في الإقامة عندهم، فقال: من المروءة
التزاع إلى الوطن.

وقال ابن خلكان: إنه بقي في داره ثلاثة أيام متغيراً.
قال أبو عبد الرحمن: ليت شعري: من سمعه في داره يتلو حديثاً في
صحيح مسلم؟!

وقال ابن خلكان أيضاً: وله شعر كثير^(٣).
قال أبو عبد الرحمن: كتابه تاريخ الأندلس هو:
«تاريخ العلماء والرواة للمعلم بالأندلس».

طبع كاملاً في جزئين، وذكره الزركلي بما يوحى بأنه غير كامل. وفي
مقدمة عزة العطار الناشر له (ص ٥) قال:

حدث عنه ابن أبي زيد برسالته، والقاسي بكتابه! اهـ.
والعكس هو الصحيح، لأنه حدث عنها بهذين الكتابين.
وذكر ابن الفرضي في كتابه الأنف الذكر ٧٣/١:

(١) الجذوة ص ٣٣٧ - ٢٣٩.

(٢) المغرب ١٠٣/١ - ١٠٤.

(٣) ترجمته في وفيات الأعيان ٢/٢٩٠ - ٢٩١، وترجم له: ابن بسام في الذخيرة
١٣٠/٢ - ١٣٣ وابن فرحون في الديباج وصديق خان في التاج المكلل ص ٦٠ - ٦٢
وقال: ان ابن حيان عرف به في المقتبس والذهبي في تذكرة الحفاظ ٣/١٠٧٦ - ١٠٧٨
وروى ابن خير مؤلفاته عن شيوخه وهي: تاريخ الأندلس، والمتشابه في أسماء الرواة
وكناهم وأنسابهم وذكر أن أبا علي الغساني انتخب جزءاً من تاريخ الأندلس لابن الفرضي
فهرست ابن خير ص ١٩٨ وص ٢٢٠. ومن شيوخه أحمد بن نصر الداودي.
وترجم له المقرئ في نفح الطيب ٢/١٢٩ - ١٣١.

وترجم له: الذهبي في سير النبلاء، وابن كثير في البداية والنهاية، وابن العماد في
الشذرات، وذكر حاجي خليفة عدداً من مؤلفاته في كشف الظنون، وذكره البغدادي في
إيضاح المكنون، وإسماعيل باشا في هدية العارفين. كل ذلك كما في معجم المؤلفين
١٤٦/٦ - وذكر الزركلي: أن ترجمته في النيان خ - الأعلام ٤/٢٦٥ - وترجم له ابن خاقان
في المطمح وابن دحية في المطرب، والعمري في المسالك.

أن أحمد بن محمد الأنصاري : أجاز له ما رواه ، وأنه كتب عنه - وفي ج ١ ص ٢٧٦ : ذكر أنه بأشبيلية عند أبي محمد الباجي ٢١/٨/٣٧٢هـ . وقال أبو الوليد عن عبدالله بن محمد بن حزم ١/٢٨٥ - ٢٨٦ :- وكان مما أخذ عنه مما لم يكن عند شيوخنا كتاب معاني القرآن للزجاج

قرأ عليه وسمعتة حاشي سورة البقرة . ثم قرأت عليه الكتاب من أوله إلى آخره . وقرأت عليه علما كثيرا ، وأجاز لنا جميع روايته . ثم ذكر أبو الوليد شيوخه الذين كتب عنهم ، ثم قال عن ابن حزم : وتوفي رحمه الله وأنا بالمشرق لثمان عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة ٣٨٣ هـ .

وفي ج ١ ص ٣٤١ : ذكر مؤلفا له في النحويين . وقال عن فتح بن أصبغ : رأيته بطليطلة في جنازة أبي رحمه الله وقدم للصلاة عليه وذلك في عقب جمادى الآخرة سنة ٣٦٥ ولم أكن رأيته قبل ذلك ١/٣٩٠ وفي ج ٢ ص ١٦٧ : أن هارون بن عتاب حدث عن ابن الفرضي برأي أصحاب مالك . وفي هذه الصفحة : ذكر ابن الفرضي أنه كتب عن هارون بن بنج . وقال عن محمد بن أحمد بن مفرج ٢/٩٥ : وواليت الاختلاف إليه ، والسماع منه : من سنة ٣٦٩ هـ إلى أن اعتل علته التي توفي بها . توفي رحمه الله في ١١/٧/٣٨٠ هـ ودفن بمقبرة الربض ، وشهدت جنازته .

وقال عن ابن برطال ٢/١٠٩ :- حدث بكتاب البخاري عن أبي علي بن السكن وقرأته عليه ، وكان مجلسنا من أجل المجالس التي شهدناها بالأندلس ، وأجاز لي جميع ما رواه . ١ هـ .

وقال عن الحصني الشاعر ٢/١١٩ :-

ولما قدمت من المشرق أتاني مهثا بقدمي، وجعل يذاكرني مصر،
ويسألني عن أخبارها، وجعل يقدر الرجوع إليها ويتمناه، فحالت منيته
دون أمنيته.

وقال عن مجاهد بن أصبغ ١٤٩/٢ :

وتوفي وأنا في المشرق سنة ٣٨٢ هـ . أو ٣٨٣ هـ .

وقال عن يحيى بن عبد الله الليثي - ١٩٠/٢ - :

اختلفت إليه في سماع حديث الموطأ سنة ٣٧٧ هـ .

وكانت الدولة فيه في أيام الجمع بالغدوات، فتم لي سماعه منه .

وسمعت منه كتاب التفسير لعبد الله بن نافع .

ولم أشهد بقرطبة مجلسا أكثر بشرا من مجلسنا في الموطأ :

إلا ما كان من بعض مجالس يحيى بن مالك بن عائذ .

ولم أسمع منه غير الموطأ والتفسير .

وفي هذا العام كان بدء سماعي، ثم شغلني النظر في العربية عن

مواصلة الطلب إلى سنة ٣٦٩ هـ .

ومن هذا التاريخ اتصل سماعي من الشيوخ . ١ هـ .

قال أبو عبد الرحمن : ولدي صورة من الكتاب المختصر من كتابه في

الألقاب صورته من الظاهرية بدمشق .

قال أبو عبد الرحمن : أحدث تاريخ وجدته في كتابه كان سنة ٣٩٥

هـ (انظر ١٠٦/١) .

وهذا يعني أنه ألف الكتاب بعد هذا التاريخ .

* قرأ ابن حزم على ابن الفرضي بقرطبة قبل أن ينتقل ابن الفرضي إلى
بلنسية .

* وفي هذه الفقرة أن أبا محمد دخل قرطبة في خلافة القاسم بن حمود .

* وأن ابن حزم يكنى أبا محمد قبل ذلك الوقت .

* وأن له رسائل أدبية قبل ذلك الوقت أيضا .

* أبو عمرو القاسم بن يحيى كنيته في الجذوة ص ٣١٣ أبو عمرو .

فلعل عمرو هنا محرفة .

قال الحميدي : أديب شاعر من أهل بيت آداب وعلم وشعر.

١٠٣ - قال أبو عبد الله الحميدي في ترجمة أحمد بن حزم :

أنشدني أبو محمد علي بن أحمد قال :

أنشدني الوزير أبي في بعض وصاياه لي :

إذا شئت أن تحيا غنيا فلا تكن على حالة إلا رضيت بدونها^(١)

١٠٤ - قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن ابن دراج :

وأخبرني [يعني أبا محمد بن حزم] :

أن المنصور أبا عامر لما فتح شنت ياقب أو غيرها من القلاع الحصينة، التي يقال إن أحداً لم يصل إليها قبله :

استدعي أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج وأبو مروان عبد الملك بن ادريس المعروف بابن الجزيري وأمرأ بإنشاء كتب الفتح إلى الحضرة وإلى سائر الأعمال.

فأما ابن الجزيري فقال :

سمعا وطاعة.

وأما ابن دراج فقال :

لا يتم لي ذلك في أقل من يومين أو ثلاثة وكان معروفا بالتنقيح والتجويد والتؤدة فخرج الأمر إلى ابن الجزيري بالشروع في ذلك فجلس في ظل السرادق ولم يبرج حتى أكمل الكتب في ذلك.

وقيل لابن دراج : افعل ذلك على اختيارك، فقد فسح لك فيه.

ثم جاء بعد ذلك بنسخة الفتح.

وقد وصف الغزاة من أولها إلى آخرها ومشاهد القتال وكيفية الحال

(١) جذوة المقتبس ص ١٢٦ ج و ص ١١٨ ق والبنية ص ١٨٢ ج و ص ١٧٠ ق.

بأحسن وصف وأبداع فاستحسنت ووقع الإعجاب بها، ولم تزل منقولة متداولة إلى الآن. وما بقي من نسخ ابن الجزيري في ذلك الفتح على كثرتها عين ولا أثر^(١).

قال أبو عبد الرحمن: ذكر الذهبي في سير النبلاء أن لابن حزم كتاباً بعنوان غزوات المنصور بن أبي عامر.

وهذا النص عن غزوة من غزوات المنصور، فلعله رواه عن كتاب غزوات المنصور.

١٠٥ - قال الحميدي:

قال أبو محمد: حدثني أبو الخيار مسعود بن سليمان بن مفلت الفقيه: أنا أبا العلاء صاعداً سأل جماعة من أهل الأدب في مجلس المنصور أبي عامر عن قول الشماخ:

دار الفتاة التي كنا نقول لها يا ظبية عطلا حسانة الجيد
تدني الحمامة منها وهي لاهية من يانع المردقنوان العناقيد

فقالوا: هي الحمامة تنزل على غصن الأراكاة والكرم فتثقله، فتتمكن الظبية منه، فترعاه.

فأنكر ذلك عليهم صاعد وقال:

إن الحمامة في هذا البيت هي المرأة، وهي اسم من أسمائها، فأراد أن هذه الجارية المشبهة بالظبية إذا نظرت في المرأة أدنت المرأة منها في المنظر شعرها الذي هو كقنوان العناقيد مع يانع الكرم أو المردقنوان. أهـ^(٢).

قال أبو عبد الرحمن: ذكر الذهبي في سير النبلاء أن من مؤلفات

(١) الخدوة ص ١١٢ ج ١ و ص ١٠٤ ق والبغية ص ١٦٠ ج ١ و ص ١٤٩ ق وقد روى الخبر عن عدة من أشياخه عن شريح.

(٢) الخدوة ص ٣٣١ ج ١ و ٣١٢ ق والبغية ص ٤٤٨ ج ١ و ص ٤٣٤ ق.

ابن حزم تسمية الشعراء الوافدين على ابن أبي عامر.

وصاعد ممن وفد على ابن أبي عامر، فلعل الحميدي يروي هذا الخبر عن كتاب التسمية لأبي محمد بن حزم.

١٠٦ - قال الحميدي عن قاسم بن أصبغ: قال أبو محمد علي بن أحمد:

كان رحمه الله من الثقة والجلالة بحيث اشتهر أمره وانتشر ذكره.

روى عنه جماعة أكابر من أهل بلده منهم:

عبد الوارث بن سفيان، وأحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد المعروف بابن الجصور، وسعيد بن نصر، وأحمد بن قاسم بن عبد الرحمن، ويعيش بن سعيد بن محمد الوراق، وعبد الله بن نصر الزاهد، وابنه قاسم بن محمد بن قاسم بن أصبغ وغيرهم كان أصله من بيانة وسكن قرطبة.

وبها مات سنة أربعين وثلاث مئة عن سن عالية ويقال إنه لم يسمع قبل موته بستين.

قال أبو عبد الرحمن: الراجح أن هذا النص من كتابه مراتب العلماء وتواليهم أو من كتابه الأوقات وهذا النص لا يوجد في الميزان المطبوع باسم فضل الأندلس.

١٠٧ - قال الحميدي عن الطليق قال لي أبو محمد علي بن أحمد:

أبو عبد الملك هذا في بني أمية كابن المعتز في بني العباس ملاحه شعر، وحسن تشبيهه سجن وهو ابن ست عشرة سنة، ومكث في السجن ست عشرة سنة، وعاش بعد إطلاقه من السجن ست عشرة سنة^(١).

(١) الجذوة ص ٣٤٣ - ٣٤٤ ج وص ٣٢١ ق والبغية ص ٤٦٢ ج وص ٤٣٧ ق.

١٠٨ - قال الحميدي عن أبي شاعر القبري:

أنشدني أبو محمد علي بن أحمد قال أنشدني أبو شاعر لنفسه:

ومنعم وسنان يحني لحظه	قتل المحب وتارة يحويه
جار الصدا يوما عليه فجاءني	يشكو إليّ به لكي أشكيه
فقيته ماء ولو روجي غدا	ماء لكنت جميعه أسقيه
عجبا له يشفي بريقته الصدا	وبصبيه ظمأ فلا يرويه
لا غرو هذا المسك طيب للورى	والظبي ليس يلذ طيبا فيه
والخمر لا تروى بها ثمراتها	واذا استغاث بها صد تشفيه
والسّم يقتل شاربيه وإنه	لحياة من يحنونه من فيه ^(١)

١٠٩ - قال الحميدي عن سعيد بن فتحون:

ذكره أبو محمد علي بن أحمد وذكر لنا أن من شعره في ذم الناس

للمنطق:

ظلموا ذا الكتاب إذ وصفوه	بالذي ليس فيه إذ جهلوه
لو دروا حقه لما أنكروه	أو دروا فضله إذن فضلوه
كذبوا والإله لو عرفوه	لنفوا عنه كل ما نحلوه ^(٢)

١١٠ - قال الحميدي:

أنشدني أبو محمد بن أبي عمر البزدي الحافظ قال:

(١) الجذوة ص ٢٩١ ج وص ٢٧٢ ق والبغية ص ٣٩٢ - ٣٩٣ ج وص ٣٧٩ - ٣٨٠ ق.
(٢) الجذوة ص ٢٣٣ ج وص ٢١٦ ق. ولم يذكر الضبي الخبر في ترجمة ابن فتحون. وأبو عثمان سعيد بن فتحون بن مكرم الحمار السرقسطي متحقق في علم النحر واللغة والموسيقى والفلسفة. سجنه المنصور بن أبي عامر وبعد خروجه من السجن هاجر إلى صقلية وبها مات.

طبقات الأمم لصاعد ص ١٠٦ - ١٠٧ والدليل والتكملة بقية السفر الرابع ص ٤٠ - ٤١
والبغية للضبي ص ٣١١ والبغية للسيوطي ٥٨٦/١.

أنشدني أبو بكر محمد بن إسحاق المهلبى .

لأبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن الفرضي قصيدة قالها في طريقه إلى المشرق، وكتب إلى أهله وكان قد رحل في طلب العلم، وتغرب، ثم حفظ، وألف في المؤتلف والمختلف وغيره، وتوفي في حدود الأربع مئة مقتولا مظلوما في تلك الفتن :

مضت لي شهور منذ غبتم ثلاثة	وما خللني أبقي إذا غبتم شهرا
ومالي حياة بعدكم أستلذها	ولو كان هذا لم أكن في الهوى حرا
ولم يسلي طول التنائي هواكم	بل زادني وجدا وجدد لي ذكرا
يمثلكم لي طول شوقي إليكم	ويدنيكم حتى أنسا جيكم سرا
سأستعب الدهر المفرق بيننا	وهل نأفعي إن صرت استعبت الدهرا
أعلل نفسي بالمني في لقاءكم	وأستسهل البر الذي جبت والبحرا
ويؤسني طي المراحل دونكم	أروح على أرض وأغدو على أخرى
وتالله ما فارقتمكم عن قلى لكم	ولكنها الأقدار تجري كما تجري
رعتكم من الرحمن عين بصيرة	ولا كشفت أيدي الردى عنكم سترا ^(١)

١١١ - قال الحميدي عن أبان بن عيسى :

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الفقيه قال :

حدثنا عبد الرحمن بن سلمة الكتاني قال :

أخبرني أحمد بن خليل قال :

حدثنا خالد بن سعد قال :

أخبرني محمد بن عمر بن نوبة قال :

أخبرني أبان بن عيسى بن دينار وقد سمعت محمد بن عمر غير مرة

يقول : لم أنظر قط إلى وجه أبان إلا ذكرت الموت .

(١) الجذوة ص ٢٥٦ ج ١ و ص ٢٣٨ - ٢٣٩ ق ولم يسند الضبي هذا الخبر إلى ابن حزم .

رفع به خبرا عن أبيه عيسى بن دينار عن ابن القاسم عن مالك عن
ابن شهاب قال:

دعوا السنة تمضي لا تعرضوا لها بالرأي^(١).

١١٢ - قال الحميدي:

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال:

حدثنا عبد الرحمن بن سلمة قال:

أخبرني أحمد بن خليل قال:

أخبرني إبراهيم بن محمد القزاز قال:

سمعت سحنون يقول:

إنما عزأونا في هذه الآثار، فأما هذه المسائل فإله أعلم بحقيقتها^(٢).

١١٣ - قال الحميدي عن أسلم بن عبد العزيز:

أخبرنا أبو محمد الحافظ قال:

حدثنا عبد الرحمن الكناني قال:

أخبرنا أحمد بن خليل قال:

نا خالد بن سعد قال: قال لي أسلم بن عبد العزيز بن هاشم

القاضي وأحمد بن خالد ومحمد بن قاسم بن محمد:

رأينا بقي بن مخلد ومحمد بن عبد السلام الخشني وقاسم بن محمد

يرفعون أيديهم في الصلاة عند كل خفض ورفع.

وقال لي أسلم:

رأيت المزني والربيع بن سليمان:

يرفعان أيديهما عند كل خفض ورفع في الصلاة^(٣).

(١) الجذوة ص ١٧١ - ١٧٢ ج و ص ١٦٢ ق والبغية ص ٢٣٨ ج و ص ٢٢٤ ق.

(٢) الجذوة ص ١٥٠ ج و ص ١٤١ ق والبغية ص ٢١١ - ٢١٢ ج و ص ١٩٧ ق.

(٣) الجذوة ص ١٧٣ ج و ص ١٦٣ ق والبغية ص ٢٤٠ ج و ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ق.

١١٤ - قال الحميدي عن طاهر بن عبد العزيز :

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد الفقيه حدثنا عبد الرحمن بن سلمة
قال :

أخبرني أحمد بن خليل قال :

حدثنا خالد بن سعد قال :

حدثنا طاهر بن عبد العزيز قال :

حدثنا أبو القاسم مسعدة العطار بمكة .

وقد سمعت طاهرا وأحمد بن خالد يحسان الثناء عليه قال : حدثنا

الحزامي يعني إبراهيم بن المنذر قال :

نا عمر بن عصام :

قال طاهر : وكان ثقة عن مالك بن أنس عن نافع بن عمر .

قال : العلم ثلاث : كتاب الله الناطق ، وسنة ماضية ، ولا أدري .

قال أبو عبد الرحمن : قال الضبي : أخبرني غير واحد عن شريح ثم

ساق الخبر^(١) :

١١٥ - قال الحميدي عن ابن زرقون :

أخبرنا أبو محمد بن حزم الحافظ قال :

حدثنا الكناني قال :

نا أحمد بن خليل قال :

حدثنا خالد بن سعد قال :

حدثني محمد بن مسور قال :

حدثنا محمد بن وضاح قال :

حدثنا عبد الله بن محمد بن زرقون السرقسطي قال خالد : وكان

ثقة ، وكان ابن وضاح يحسن الثناء عليه قال :

(١) الجذوة ص ٢٤٧ ج ١ وص ٢٣٠ ق والبغية ص ٣٢٧ ج ١ وص ٣٦٤ ق .

حدثنا أصبغ بن الفرغ قال:

سمعت ابن وهب يقول:

ما يحل لأحد يرد بغير علم، ولا يقول شيئاً بغير تثبت.

قال: ولقد سمعت مالكا يقول:

والله ما أحب أن تكتبوا عني كل ما تسمعون مني.

قال ابن وهب:

ولو عرضنا على مالك كل ما كتبنا عنه لمحا ثلاثة أرباعه.

وقال الضبي: أخبرني غير واحد عن شريح ثم ساق الخبر^(١).

١١٦ - قال الحميدي:

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال:

حدثنا عبد الرحمن بن سلمة قال:

أخبرني أحمد بن خليل قال:

حدثنا خالد بن سعد قال:

حدثني أحمد بن خالد وسعيد بن عثمان العناقي قالوا:

سمعنا يحيى بن عمر يقول:

سمعت أبا المصعب أحمد بن أبي بكر الزهري يقول:

رأيت مالك بن أنس يرفع يديه إذ قال:

سمع الله لمن حمده، على حديث ابن عمر^(٢).

١١٧ - وقال الحميدي عن خالد بن سعد:

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال:

حدثنا عبد الرحمن بن سلمة قال:

أخبرني أحمد بن خليل قال:

(١) الجذوة ص ٢٤٩ ج ١ و ص ٢٣٢ ق والبيان ص ٣٢٩ ج ١ و ص ٣١٦ ق.

(٢) الجذوة ص ٢٣١ ج ١ و ص ٢١٤ ق والبيان ص ٣٠٩ ج ١ و ص ٢٩٦ ق.

قال لنا خالد بن سعد وقد ذكر حديث لا ضرر ولا ضرار لم يصح مسنداً.

قال: وقد ذكرنيه أحمد بن خالد وقال لي:
لعله وقع عندك مسنداً عن النبي لا فنكتبه عندك.
فقلت: لا^(١).

١١٨ - قال الحميدي عن ابن أبي الوليد:
أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال: حدثنا الكناني:
حدثنا خالد بن سعد قال:
حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي الوليد وكان من الخاشعين قال:
رأيت أبا الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفي يرفع يديه عند
كل خفض ورفع.

قال عبد الله بن صالح:
رأيت محمد بن عبد الله بن غنم وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني:
يرفعون أيديهم.

قال أبو عبد الرحمن: هذا الخبر رواه الضبي عن نجبة عن
شريح^(٢).

١١٩ - قال أبو محمد:

ولقد حدثني أبو السري عمار بن زياد صاحبنا عن يثق به: أن
الكاتب ابن قزمان^(٣) امتحن بمحبة أسلم [بن أحمد بن سعيد بن قاضي

(١) الجذوة ص ٢٠٥ ج و ص ١٩٢ ق والبغية ص ٢٨١ ج و ص ٢٦٦ ق.

(٢) الجذوة ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ج و ص ٢٢٣ ق والبغية ص ٣٣٠ ج و ص ٣١٧ ق.

(٣) ابن قزمان الكاتب: لعله أحمد بن كليب النحوي (انظر الجذوة: ١٣٤ والبغية رقم: ٤٦٢
وابناء الرواة: ١: ٩٦ ومعجم الأدباء: ٤: ١٠٨ والمتنظم: ٨: ٨٣) وجعل وفاته (٤٢٦)
وبغية الوعاة: ١: ٣٥٤ وتزيين الأسواق: ٢: ٦، ومصارع العشاق: ١: ٢٩٧ والنجوم
الزاهرة: ٤: ٢٨١ وتاريخ ابن كثير: ١٢: ٣٨ ودم الهوى: ٥٥٧) وقصة أحمد بن كليب
وأسلم كما رواها الحميدي عن ابن حزم عن محمد بن الحسن المذحجي وردت في الجذوة =

الجماعة أسلم] بن عبد العزيز^(١) أخى الحاجب هاشم بن عبد العزيز^(٢) وكان أسلم غاية في الجمال، حتى أضجره لما به وأوقعه في أسباب المنية.

وكان أسلم كثير الإلمام به والزيارة له ولا علم له بأنه أصل دائه إلى أن توفي أسفا ودنفا^(٣).

قال المخبر: فأخبرت أسلم بعد وفاته بسبب علته وموته فتأسف وقال: هلا أعلمتني؟ فقلت: ولم؟ قال: كنت والله أزيد في صلته وما أكاد أفارقه، فما عليّ في ذلك ضرر.

وكان أسلم هذا من أهل الأدب البارع والتفنن، مع حظ من الفقه وافر، وذا بصارة في الشعر، وله شعر جيد، وله معرفة بالأغاني وتصرفها، وهو صاحب تأليف في طرائق غناء زرياب وأخباره، وهو ديوان عجيب جدا. وكان أحسن الناس خلقا وخلقا وهو والد أبي الجعد الذي كان ساكنا بالجانب الغربي من قرطبة^(٤).

= والبقية والمنتظم والمصارع وذم الهوى ومعجم الأدباء وتزيين الأسواق، وديوان الصبابة: ٢٤٤، وسأوردها ملحقة بالكتاب (انظر الملحق: ٢). د. إحسان.

(١) هو أسلم بن أحمد بن سعيد بن أسلم بن عبد العزيز: (وجده أسلم بن عبد العزيز كان قاضي الجماعة بالأندلس أيام عبد الرحمن الناصر وتوفي سنة ٣١٩ وهذا الجد هو أخو هاشم الحاجب) كان له أدب وشعر، وشهر بتأليفه في أغاني زرياب الذي سيذكره ابن حزم في ما يلي (انظر الجدوة: ١٦٢ والبقية رقم: ٥٧٠)، والزيادة بين معقفين ضرورية وإلا ذهب الظن بأن ابن كليب النحوي عشق قاضي الجماعة كما وهم بعض المحققين في ذلك، وإنما هو عشق أسلم الحفيد، الذي كان معاصراً لمحمد بن حسن المذحجي، ويدرس على محمد بن الخطاب النحوي المتوفي سنة ٣٩٨ وقد فرق الحميدي بين الأسلمين بوضوح وجعل قصة الحب متعلقة بالحفيد منها نصاً، وهو أدري برواية ابن حزم د. إحسان.

(٢) هاشم بن عبد العزيز: كان خاصاً بالأمير محمد بن عبد الرحمن يؤثره بالوزارة ويرشحه مع بنيه ومفرداً للقيادة والإمارة، وكان ذا خلال نبيلة من بأس وجود وفروسية وكتابة وشعر ونكبه المنذر بعد ذلك (الحلة السيرة ١: ١٣٧ والمغرب ٢: ٩٤).

(٣) هذه الرواية هنا غريبة، مع أن ابن حزم نفسه في روايته عن محمد بن الحسن المذحجي يذكر أن أشعار ابن كليب في أسلم تنوشدت في الأعراس، وانقطع أسلم عن جميع مجالس الطلب، ثم يروي حكايات عن تحمّل ابن كليب للفائه... إلخ (انظر الملحق ٢). د. إحسان.

(٤) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ٢٥٦/١ - ٢٥٩ مع التحشيات.

قال أبو محمد:

أحمد بن كليب النحوي^(١) أديب شاعر مشهور الشعر، ولا سيما شعره في أسلم وكان قد أفرط في حبه حتى أداه ذلك إلى موته وخبره في ذلك ظريف.

وقال الحميدي:

حدثني أبو محمد علي بن أحمد، قال: حدثني أبو عبد الله محمد بن الحسن المذحجي^(٢) قال: كنت أختلف في النحو إلى أبي عبد الله محمد بن خطاب النحوي^(٣) في جماعة، وكان معنا عنده أبو الحسن أسلم بن أحمد بن سعيد بن قاضي الجماعة أسلم بن عبد العزيز^(٤) صاحب المزني والربيع^(٥) قال محمد بن الحسن: وكان من أجمل من رأته العيون، وكان يجيء معنا إلى محمد بن خطاب أحمد بن كليب، وكان من أهل الأدب البارع، والشعر الرائق، فاشتد كلفه بأسلم، وفارق صبره، وصرف فيه القول متسترا بذلك إلى أن فشت أشعاره فيه وجرت على الألسنة، وتنوشدت في المحافل فلعهدي بعرس في بعض الشوارع بقرطبة، والنكوري الزامر قاعد في وسط الحفل، وفي رأسه قلنسوة وشي وعليه ثوب خز عبيدي، وفرسه بالخلية المحلاة بمسكه غلامه، وكان فيما مضى يزمر لعبد الرحمن الناصر، وهو يزمر في البوق بقول أحمد بن كليب في أسلم: [من المتقارب]:

أسلمي في هواه [م] أسلم هذا الرشا
غزال له مقلة يصيب بها من يشا

(١) أنظر جذوة المقتبس: ١٣٤ (وبغية الملتبس رقم: ٤٦٢) ومعجم الأدباء ٤: ١٠٨ د. إحسان.

(٢) هو أستاذ ابن حزم في الفلسفة، راجع مقدمة كتاب التشبيهات من تحقيقي. د. إحسان.

(٣) محمد بن خطاب النحوي (٩٣٨) كان من الأدباء المشهورين والنحاة المذكورين، يختلف إليه في علم العربية أولاد الأكابر (الجذوة: ٥٠ وبغية الرعاة ١: ٩٩). د. إحسان.

(٤) ترجمة أسلم في الجذوة: ١٦٢ وبغية الملتبس رقم ٥٧٠. د. إحسان.

(٥) المزني هو إسماعيل بن يحيى (انظر طبقات الشيرازي: ٩٧) والربيع بن سليمان المرادي (المصدر نفسه: ٩٨). د. إحسان.

وشى بيننا حاسد سيسال عما وشى
ولو شاء أن يرتشى على الوصل روشي ارتشى

ومغن محسن يسايسره فيها، قال: فلما بلغ هذا المبلغ انقطع أسلم عن جميع مجالس الطلب، ولزم بيته والجلوس على بابه، فكان أحمد بن كليب لا شغل له إلا المرور على باب دار أسلم سائرا، ومقبلا نهاره كله، فانقطع أسلم عن الجلوس على باب داره نهارا، فإذا صلى المغرب واختلط الظلام خرج مستروحا وجلس على باب داره، فعيل صبر أحمد بن كليب، فتحيل في بعض الليالي ولبس جبة من جباب أهل البادية وإعتم بمثل عمامتهم، وأخذ بإحدى يديه دجاجا، وبالأخرى قفصا فيه بيض، وتحين جلوس أسلم عند اختلاط الظلام على بابه، فتقدم إليه وقبل يده، وقال يأمر مولاي بأخذ هذا، فقال له أسلم: ومن أنت؟ فقال: صاحبك في الضيعة الفلانية، وقد كان يعرف أسماء ضياعه وأصحابه فيها، فأمر أسلم بأخذ ذلك منه، ثم جعل أسلم يسأله عن الضيعة، فلما جاوبه أنكر الكلام وتأمله فعرفه فقال له: يا أخي! وهنا بلغت بنفسك، وإلى هنا تبعثني، أما كفاك انقطاعي عن مجالس الطلب، وعن الخروج جملة، وعن القعود على بابي نهارا، حتى قطعت عليّ جميع مالي فيه راحة، فقد صرت من سجنك^(١) والله، لا فارقت بعد هذه الليلة قعر منزلي ولا قعدت ليلا ولا نهارا على بابي، ثم قام وانصرف أحمد بن كليب كشيئا حزينا. قال محمد بن الحسن: واتصل ذلك بنا فقلنا لأحمد بن كليب وخسرت دجاجك وبيضك؟ فقال: هات كل ليلة قبلة يده وأخسر أضعاف ذلك. قال: فلما يش من رؤيته ألبته نهكته العلة، وأضجعه المرض. قال محمد بن الحسن: فأخبرني أبو عبد الله محمد بن خطاب شيخنا، قال: فعدته فوجدته بأسوأ حال، فقلت له: ولم لا تتداوى؟ فقال: دوائي معروف، وأما الأطباء فلا حيلة لهم في ألبته، فقلت له: وما دواؤك؟ فقال: نظرة من أسلم فلو سمعت في أن يزورني لأعظم الله أجرك بذلك، وكان هو والله أيضا يؤجر،

(١) باقوت: في سجنك.

قال: فرحته وتقطعت نفسي له، ونهضت إلى أسلم فاستأذنت عليه، فأذن لي وتلقاني بما يجب، فقلت له: لي حاجة، قال: وما هي؟ قلت: قد علمت ما جمعك مع أحمد بن كليب من ذمام الطلب عندي، فقال: نعم، ولكن قد تعلم أنه برح بي، وشهر اسمي وآذاني، فقلت له: كل ذلك يغتفر في مثل الحال التي هو فيها، والرجل يموت، فتفضل بعيادته، فقال والله ما أقدر على ذلك فلا تكلفني هذا، فقلت له: لا بد، فليس عليك في ذلك شيء، وإنما هي عيادة مريض. قال: ولم أزل حتى أجاب، فقلت: فقم الآن، فقال لي: لست والله أفعل، ولكن غدا، فقلت له: ولا خلف، قال: نعم. فانصرفت إلى أحمد بن كليب، وأخبرته بموعده بعد تأييه، فسر بذلك وارتاحت نفسه. قال: فلما كان الغد بكرت إلى أسلم وقلت له: الوعد، قال: فوجم وقال: والله لقد تحملني على خطوة صعبة علي، وما أدري كيف أطيق ذلك قال: فلما أتينا منزل أحمد بن كليب، وكان يسكن في آخر درب طويل، وتوسط الدرب، وقف واحمر ونحجل، وقال لي: الساعة والله أموت، وما أستطيع أن أنقل قدمي، ولا أن أعرض هذا على نفسي، فقلت: لا تفعل، بعد أن بلغت المنزل تنصرف؟ قال: لا سبيل والله إلى ذلك ألينة، قال: ورجع مسرعا فاتبعته، وأخذت بردائه، فتمادى وتمزق الرداء، وبقيت قطعة منه في يدي لسرعته وإمساكي له، ومضى ولم أدركه، فرجعت ودخلت إلى أحمد بن كليب، وقد كان غلامه دخل عليه إذ رأنا من أول الدرب مبشرا، فلما رأي تغير وقال: وأين أبو الحسن؟ فأخبرته بالقصة، فاستحال من وقته واختلط وجعل يتكلم بكلام لا يعقل منه أكثر من التراجع، فاستشنت الحال، وجعلت أترجع وقمت، فتاب إليه ذهنه وقال لي: أبا عبد الله! قلت: نعم. قال: اسمع مني واحفظ عني ثم أنشأ يقول: [مخلع البسيط]

أسلم يا راحة العليل رفقا على الهائم النحيل
وصلك أشهى إلى فؤادي من رحمة الخالق الجليل

قال: فقلت له: اتق الله ما هذه العظيمة؟ فقال لي: قد كان، قال:

فخرجت عنه، فوالله ما توسطت الدرب حتى سمعت الصراخ عليه، وقد فارق الدنيا.

قال لنا أبو محمد علي بن أحمد: وهذه قصة مشهورة عندنا، ومحمد بن الحسن ثقة ومحمد بن خطاب ثقة. وأسلم هذا من بيت جليل، وهو صاحب الكتاب المشهور في أغاني زرياب، وكان شاعرا أديبا، وقد رأيت ابنه أبا الجعد.

قال أبو محمد: لقد ذكرت هذه الحكاية لأبي عبد الله محمد بن سعيد الخولاني الكاتب فعرفها، وقال لي: لقد أخبرني الثقة أنه رأى أسلم هذا في يوم شديد المطر، لا يكاد أحد يمشي في طريق، وهو قاعد على قبر أحمد بن كليب زائرا له، وقد تحين غفلة في مثل ذلك الوقت.

وقال لنا أبو محمد: وحدثني أبو محمد قاسم بن محمد القرشي، قال: كتب ابن كليب إلى محمد بن خطاب شعرا يتغزل فيه بأسلم فعرضه ابن خطاب على أسلم، فقال: هذا ملحون، وكان ابن كليب قد أسقط التنوين في لفظة في بيت من الشعر، قال: فكتب ابن خطاب بذلك إلى ابن كليب فكتب إليه ابن كليب مسرعا: [من السريع]

ألق لي التنوين في مطعم فلأنني أنسيت إلقاه
لا سيما إذ كان في وصل من كدر لي في الحب أخلاقه

وأنشدني أبو محمد علي بن أحمد، قال: أنشدني محمد بن عبد الرحمن ابن أحمد التجيبي لأحمد بن كليب، وقد أهدى إلى أسلم في أوائل أمره كتاب الفصيح لثعلب: [من المجتث]

هذا كتاب الفصيح بكل لفظ مليح
وهبتك طوعا كما وهبتك روجي^(١)

(١) رسائل ابن حزم ٣١٥-٣١٩.

التعليق على النص

* أسلم الجد: هو أسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد بن عبد الله ابن الحسن بن عبد الله بن الحسن بن الجعد بن أسلم بن أبان بن عمرو مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه .
يكنى أبا الجعد .

هكذا ساق نسبه ابن الفرضي ، وصوبه الحميدي .
وكان الحميدي ذكر نسبا آخر ، ليس فيه خالد ، وذكر له جدا آخر هو الجعد بن أبان جد الجعد بن أسلم وورد في الإحاطة : هشام - بدل هاشم - .

وحسين - بدل حسن .

وجعفر - بدل جعد .

ولعله تصحيف في الأصل ، أو خطأ من المحقق عنان ، فهو لم يحل إلى مصادر ترجمته بالهامش .

وورد حسن باسم حسان في ترجمة ابن الفرضي لحفيده .
وأسلم من أهل قرطبة ، رحل سنة ٢٦٠ هـ في طلب الحديث ، وأخذ عن علماء مصر والقيروان وغيرهما ، وحج ، وولي قضاء قرطبة سنة ٣٠٠ ، واستغنى من القضاء سنة ٣٠٩ ، وأعيد سنة ٣١٢ ، فكف بصره ، فعزل سنة ٣١٤ هـ .

ومات سنة ٣١٩ لسبع بقين من رجب .

قال ابن الفرضي : وهذا العام يسمى عام الأشراف لكثرة من مات فيه من الأشراف .

وهذا هو المتداول في ترجمته خلاف بعض ما ورد في ترجمة ابن الخطيب له ، فإنه قال :

من أهل شرق الأندلس أصلهم من لوثة فتية غرناطة .

والى جدهم ينسب جبل أبي خالد المظل عليها .

وقال : ولاء قضاء الجماعة بغرناطة للناصر لدين الله أول ولايته وسط

سنة ٣٠٠ إلى أن استعفى سنة ٣٠٩ ثم أعاده . ١ هـ .

وقال: إن مولده سنة ٢٣١ هـ .

وقال: إنه من خيار أهل البيرة، شريف البيت، كريم الأسرة، من كبار أهل العلم وكانت به دعاية، لم ينسب إليه قط - بسببها - خزية في دين ولا زلة . ١ هـ .

وصفوه بأنه شديد في الحق، محمود السيرة .

وقال الحميدي: كان يميل إلى مذهب الشافعي .

وقال ابن فرحون: إنه رحل للمشرق سنة ٢٠٢ هـ .

قال أبو عبد الرحمن: وهذا وهم يخالفه قوله:

إنه توفي سنة ٣١٩ هـ وهو في عشر التسعين^(١) .

* أسلم الحفيد: هو أسلم بن أحمد بن سعيد بن أسلم الأنف الذكر . وهو قرطبي يكنى أبا عبد الله .

توفي ليلة السبت لتسع بقين من ذي الحجة سنة ٣٩٥ هـ .

قال الحميدي: له أدب وشعر وله كتاب معروف في أغاني زرياب .

قال داود الأنطاكي: هو ابن سعيد بن خلف [؟] كان جده وزير السلطان الناصر، ولي أسلم القضاء بالأندلس بعدما كان حاجباً، وله يد في الأدب وديوان شعر معروف . ترجمته في الإحاطة . معروف بالرياسة والفضل والعراقة، فعشقه [أي ابن كليب] من مجلس ابن خطاب . ١ هـ .

قال أبو عبد الرحمن: هذا خلط بين أسلم بن عبد العزيز، وهاشم بن عبد العزيز، وأسلم بن أحمد^(٢) .

(١) ترجم له ابن الفرضي ١٠٦/١ . والحميدي ص ١٦٣ . وابن الخطيب في الإحاطة ٤٢٧/١ - ٤٣٠ . والنباهي في المرقبة ص ٦٣ . والضبي في البغية ص ٢٢٥ . وابن فرحون في الديباج ص ٩٩ . والزركلي في الأعلام ٢٩٨/١ وذكر أن تاريخ وفاته سنة ٣١٧ . وعزا ابن الخطيب ترجمته إلى ابن حارث، وإلى القاضي عياض ولم نجدها في ترتيب المدارك .

(٢) ترجمته في تاريخ ابن الفرضي، والجذوة، ومعجم الأدياء، وتاريخ ابن تغري بردي، وتزيين الأسواق ص ١٦٣ .

• ابن كليب: توفي سنة ٤٢٦.

قال داوود الأنطاكي: هر أحمد بن قزمان الشهير بابن كليب الكاتب كان أندلسيا شاعرا نحويا متفقه.

قرأ على محمد بن خطاب النحوي، واجتمع بالمزني، وبأبي عبد الله محمد بن الحسن، وغيرهما. ١ هـ.

قال أبو عبد الرحمن: كم بين ابن كليب والمزني؟!.

ولما خلط بين ابن كليب وأسلم بن عبد العزيز.

ترجم له الحميدي، والضبي، والسيوطي في البغية، وياقوت في معجم الأدباء وابن تغري بردي في النجوم، وابن كثير في البداية، وابن الجوزي في المنتظم، وابن مكتوم في التلخيص.

• كيف يموت ابن كليب في عشق أسلم مع أن المعشوق مات قبل عاشقه.

إن تأريخ وفاة ابن كليب بعام ٤٢٦ ينقل عن ابن الجوزي في المنتظم، وتابعه ابن كثير وابن تغري بردي.

وقد شكك ياقوت في ذلك، فقال:

ولا أدري من أين له هذه الوفاة؟^(١).

قال أبو عبد الرحمن: أبو محمد أعرف بأهل الأندلس.

• هذا النص رواه ابن السراج. قال حدثني: محمد بن عبد الله الأندلسي

وكتبه لي بخطه حدثني الفقيه أبو محمد علي بن أحمد الحافظ

الأندلسي... إلخ. فالراجع أن شيخ ابن السراج أبو محمد عبد الله بن

محمد بن العربي أو أبو عبد الله محمد بن فتوح الأندلسي الحميدي

فروى عنه باختصار اسمه ولعل العبارة مصحفة عن محمد أبو عبد الله.

وأبو محمد جعفر بن السراج ولد ببغداد سنة ٤١٧ هـ ومات بها سنة

٥٠٠ فهو معاصر للحميدي زمانا ومكانا.

وفي نص ابن السراج اختلاف يسير عما هنا وتصحيح وقد جعل أسلم

(١) معجم الأدباء ٥١٩/٢.

من بني خلف، وشهرتهم إنما هي ببني خالد. وهذا سبب تصحيف الأنطاكي إذ قال:

أسلم بن سعيد بن خلف! (١).

وقال ابن أبي حجلة في ديوان الصبابة:

أخبرنا الشيخ الإمام الحافظ علاء الدين أبو عبد الله مغلطاي بسنده عن المذحجي... ثم أورد القصة بسياق ابن السراج، ولكن ببعض الاختصار (٢).

* قال الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم عن هذا البيت:

أسلمني في هواه (م) أسلم هذا الرشا

كذا رواه المؤلف - يعني القفطي - وحيث أن يكون البيت قد دخله الثرم وهو حذف الحرف الأول والخامس من «فعلولن». ومن مصارع العشاق: «أسلمني». اهـ (٣).

* نقل ابن كثير هذا النص عن المنتظم لابن الجوزي وقال عن ابن كليب:

هذا المسكين المغترا.

وقال بعد نهاية القصة:

وهذه زلة شنعاء، وعظيمة صلعاء، وداهية دهياء ولولا أن هؤلاء الأئمة ذكروها ما ذكرتها، ولكن فيها عبرة لأولي الألباب، وتنبيه لذوي البصائر والعقول: ان يسألوا الله رحمته وعافيته، وأن يستعيذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يرزقهم حسن الخاتمة عند الممات. إنه كريم جواد (٤).

(١) أنظر مصارع العشاق ٢٩٧/١ - ٣٠٠.

(٢) وأورد القصة بدون إسناد داود الأنطاكي في تزيين الأسواق راجع ص ١٦٣ وأغامش ص ٢٤٧ - ٢٥٠ وهو ديوان الصبابة.

(٣) راجع إنباه الرواة ٩٦/١ مع الحاشية.

(٤) البداية والنهاية ٣٨/١٢.

وقد عاب أبو طالب عفيل بن عطية أبا عبد الله الحميدي في إيراد هذه القصة، قال أبو عبد الرحمن: ولقد أحسن ابن حزم والحميدي في إيراد هذه القصة لتكون عبرة ومثالا حيا للضعف البشري وضرورة الاعتصام بالله.

• قلنسوة وشي أي منقوشة والوشي نقش الثياب والقلنسوة تلبس على الرأس.

إذا ضمنت القاف كسرت السين، وقلبت الواو ياء هكذا (قلنسية).
وإذا فتحت القاف ضمت السين - مع بقاء الواو - هكذا (قلنسوة).

• أبو عبد الله محمد بن سعيد الكاتب الخولاني لم أجد له ترجمة.

• قاسم بن محمد القرشي:

قال عنه الحميدي: المرواني المعروف بالشبانسي شاعر أديب في الدولة العامرية.

روى عن وليد بن محمد الكاتب، وابن شبلاق، وغيرهما حكايات، وأشعارا وكان في نفسه جليلا.

وكان قد قرف، وشهد عليه عند القضاة بما يوجب القتل، فسجن.
وذكر الحميدي بعض أبيات له من قصيدة يستعطف بها المنصور، وأنه رق له وأطلقه^(١).

ولم يزد الضبي في البغية على ما أورده الحميدي.

وقال ابن بشكوال: من أهل المعرفة بالآداب، طلق اللسان حسن البيان.

توفي - رحمه الله - منتصف صفر من سنة ٤٣٠ هـ، ودفن بمقبرة الربض عن سن عالية ٨٦ سنة مكملة.
ذكره ابن حبان^(٢).

(١) الجذوة ص ٣١٠ - ٣١١.

(٢) الصلة ط/٤٤٥.

وذكر أبو محمد نسبه هكذا: القاسم بن محمد بن إسماعيل بن هشام
ابن محمد بن هشام بن الوليد بن هشام الأمير الرضي^(١).
قال الدكتور حسين مؤنس عن معاوية بن محمد بن هشام بن الوليد
يعرف بابن الشبانسية، والشبانسي وسماه ابن الأبار: الشبيني.
وقد ذهب سانشيت البورنو إلى أن الشبانسي معرب عن سايتيا بمعنى
العلم.
وقال مؤنس: إن هذا الربط مفتعل، وإنما هو نسبة إلى موضع يسمى
شبانس^(٢).

* التجيبي: في الجذوة: محمد بن عبد الرحمن بدون التجيبي. وذكر له
أبياتا في مدح فقيه ولم يسندها^(٣).
وفي البغية سماه محمد بن عبد الرحمن بن أحمد التجيبي، وكناه أبا عبد
الله، وأسند شعره إلى أبي محمد بن حزم.
وكذلك عزا هذا الإسناد ابن بشكوال وقال: ذكره الحميدي، وقال فيه
أديب شاعر. أنشدني أبو محمد قال أنشدني أبو عبد الله محمد بن عبد
الرحمن التجيبي^(٤).
وكل هذا: ليس في نسخة الجذوة المطبوعة.
فلعله إحالة إلى غير الجذوة، أو لعل النسخة ناقصة أعني المطبوعة.
وربما كان ابن بشكوال تابعا للضيبي، فهما متعاصران وإن كان ابن
بشكوال أقدم وفاة باثنتي عشرة سنة.
ولكن يدفع هذا الاحتمال ثلاثة أمور:
أولها: أن ابن بشكوال نص على مراجعة في مقدمة الصلة، فذكر تاريخ
الحميدي، ولم يذكر البغية.

(١) الجمهرة ص ١٦.

(٢) الحلة السيرة ٤٠/١ متناً وحاشية.

(٣) الجذوة ص ٨٩.

(٤) البغية ص ٨٩ والصلة ٤٩٨/٢.

وثانيها: يحتمل أن عند ابن بشكوال نسختين من الجذوة إحداهما كاملة لأنه رواها بطريقين.

وثالثها: أن ابن بشكوال حدد مصدره في هذه الترجمة باثنين ، وهما: ابن حيان ، والحميدي .

وقال ابن بشكوال في التعريف به :

محمد بن عبد الرحمن بن أحمد النجيب . يعرف بابن حويل .

من أهل قرطبة . يكنى أبا عبد الله .

له حظ من الفقه ، وعقد الشروط ، ونصيب من الأدب والمعرفة مع حسن خط ، وفصاحة ، ومعرفة بأخبار أهل بلده ورجالهم قوية . . إلى حلوة [١٩] وحكاية ، وإجمال عشرة ، ومروءة ، ومن حمل الوزارة إلى اسم الفقه .

توفي رحمه الله في غرة ذي الحجة سنة ٤٣٥ هـ .

ومولده سنة ٣٧١ . ا هـ عن ابن حيان .

وأبوه أبو بكر: ترجم له الحميدي وابن بشكوال^(١) .

وبناء على ترجمتهما لأبيه يكون نسبه هكذا:

أبو عبد الله محمد بن أبي بكر عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن قاسم بن سهل بن عبد الرحمن بن قاسم بن مروان بن خالد بن عبيد التجيب .

* أبو السري عمار بن زياد: هذا صديق أبي محمد لم نجد له ترجمة ، وقد وصفه بأنه : مولى المؤيد .

وقد عبر أبو محمد عن وثيق صلته به فقال:

إن أبا السري عمار بن زياد صديقنا أكثر من عذلي على نحو نحوه ، وأعان عليّ بعض من لامني في ذلك الوجه أيضا . وكنت أظن أنه سيكون معي مخطئا كنت أو مصيبا ، لو كيد صداقتي ، وصحيح أخوتي به^(٢) .

واعتبر أبو محمد هذا العذل خطبا شديدا ، وعبثا ثقيلًا!

(١) الجذوة ص ٢٥١ والصلة ٢٠٣/١ .

(٢) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١٦١/١ - ١٦٢ ج .

- * نتوقع أن قصة أسلم التي أوردها الحميدي منقولة من طوق الحمامة الأصل، وأن الناسخ أسقط القصة التي بطريق المذحجي.
- ونحن نعرف أن جمهرة نقل الحميدي عن ابن حزم بصيغة قال لي، أخبرنا. الخ، من كتب ابن حزم بطريق الإجازة.
- * ناسخ الطوق ومختصره أسقط اسم أسلم الحفيد، وجعل القصة لأسلم ابن عبد العزيز! وهو اختصار أعمى، وتصرف شنيع!
- ولعل داود الأنطاكي، وياقوتا الرومي، وغيرهما اطلعوا على هذه النسخة المختصرة من الطوق، فخلطوا بين الحفيد والجد!
- * رواية أبي السري تخالف رواية المذحجي في القول بأن أسلم يعلم بعشق ابن كليب قبل وفاته.
- هذا على أساس أن ابن قزمان هو ابن كليب كما قال داود الأنطاكي.
- ويحتمل أن يكون ابن قزمان عاشقا آخر لأسلم، فتكون القصة ثانية.
- وربما كان ابن قزمان هو عيسى بن عبد الملك بن قزمان الكاتب.
- * المذحجي هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن الحسين الكتاني.
- طبيب حكيم منطقي متكلم مشارك في الأدب والشعر.
- قال أبو محمد عن كتبه في الفلسفة:
- وأما رسائل أستاذنا محمد بن الحسن المذحجي في ذلك فمشهورة متداولة، وتامة الحسن، قائمة الجودة، عظيمة متداولة. اهـ^(١).
- وأثنى عليه في رسالته الأصول والفروع.
- وقد أورد صاعد اسم أبيه محرفا هكذا: محمد بن الحسين.
- فتبعه ابن أبي أصيبعة في هذا التصحيف.
- والتبس الأمر على الصفدي وكحالة، فأوردا ترجمتين في موضعين لشخص واحد!
- وجميع مصادر ترجمته عالية على ثلاثة مصادر، وهي:
- جدوة المقتبس، وطبقات الأمم، والتكملة.
- ولم يحدد مترجموه تاريخ مولده ووفاته، ولكنهم ذكروا ذلك بالتقريب،

(١) الجدوة ص ٢٢٥ - ٢٢٦ عن رسالة فضل الأندلس.

فقال الحميدي : عاش بعد الأربع مئة بمدة .
وقال صاعد : توفي قريبا من سنة ٤٢٠ هـ وقد قارب ثمانين سنة .
وقال ابن الأبار : عاش بضعا وسبعين سنة .
وذكروا أنه من أهل قرطبة ، خدم المنصور والمظفر ، وانتقل في فتنه
قرطبة إلى سرقسطة .
طبع كتابه التشبيهات ، بتحقيق الدكتور إحسان عباس ، وترجم له في
مقدمة التحقيق .
وعلق الصفدي على قصيدته الدالية بأنها شعر نازل .
والكلمة التي نقلها ابن حزم عنه كما في ترجمة الكتاني بالجدوة موجودة
بكتاب ابن حزم مراتب العلوم .
قال أبو عبد الرحمن : رجحنا في أحد مباحثنا عن ابن حزم أن أبا محمد
ألف رسالة البيان عن حقيقة الايمان قبيل سنة ٤٤٠ .
وقد ذكر فيها محمد بن الحسن بهذه الصيغة :
وأورد علي صاحبنا أبو عبد الله محمد بن الحسن أكرمه الله من خبرك ما
أبهجني . أهـ .
وهذا يعني أن ابن الحسن حي وقت كتابة الرسالة .
فإما أن يكون تقريب صاعد لتاريخ وفاته غير دقيق .
وإما أن يكون ابن الحسن هذا غير الكتاني .
وربما كان المقصود محمد بن الحسن بن عبد الرحمن الرازي شيخ ابن
حزم مات بعد ٤٥٠ .
إلا أن كنيته أبو بكر فلعل له كنيتين .

* ابن خطاب : هو أبو عبد الله محمد بن خطاب الأزدي^(١) .

(١) ص ٥٠ ترجم له الحميدي في الجدوة ص ٤٥ - ٤٦ . والضبي في البغية ص ٥٧ . وصاعد
في الطبقات ص ١٢٥ - ١٢٦ . وابن أبي أصيبعة في العيون ج ٢ ص ٤٩١ - ٤٩٢ .
والصفدي في النوائ ج ٢ ص ٤٩١ - ٤٩٢ . وج ٣ ص ١٦ - ١٧ . والقفطي في المحدثون
ص ٢١٠ . وياقوت في معجم الأدباء ج ٦ ص ٥٢٢ - ٥٢٣ . وابن سعيد في المغرب
ج ١ ص ٢١١ . وأحال الدكتور شوقي - محقق المغرب - إلى طبقات الأطباء لابن جليل
١٠٩ . وإنما ترجمة ابن جليل لعمه أبي الوليد . وترجم له الزركلي في الأعلام ج ٦ =

وذكر صاعد أن أستاذه عمه: محمد بن الحسين.
قال أبو عبد الرحمن: على هذا لا يكون أبوه أبا عمه!
وإنما يكون أبوه الحسن بن الحسين.
وهذا ما لفت إليه الزركلي.

إلا أن طبقات صاعد طبعت طبعتين تشتركان في التصحيف الكثير
وهذا يدل على أن نسخة الأصل محرفة وقد اطلعت على صورة منها
فكانت كذلك. ولعل الدكتور إحسان عباس لم يطلع على ترجمة
القفطي له إذ قال لا نعرف متى توفي^(١).
وقد حدد القفطي تاريخ وفاته سنة ٣٩٨.

١٢٠ - قال أبو محمد:

ألفت في أيام صباي ألفة المحبة جارية نشأت في دارنا وكانت في
دارنا وكانت في ذلك الوقت بنت ستة عشر عاما، وكانت غاية في حسن
وجهها وعقلها وعفافها وطهارتها وخفرتها ودمائتها، عديمة الهزل، منيعة
البذل، بديعة البشر، مسبلة السر، فقيدة الذام، قليلة الكلام، مغضوضة
البصر، شديدة الحذر، نقية من العيوب، دائمة القطوب [حلوة الإعراض
مطبوعة الانقباض مليحة الصدود رزينة القعود]^(٢).

كثيرة الوقار، مستلذة النفار، لا توجه الأراجي نحوها، ولا تقف
المطامع عليها، ولا معرس للأمل لديها، فوجهها جالب كل القلوب،
وحالها طارد من أمها. تزدان في المنع والبخل ما لا يزدان غيرها بالسماحة
والبذل، موقوفة على الجد في أمرها غير راغبة في اللهو، على أنها كانت

= ص ٣١٣. وكحالة في معجم المؤلفين ج ٩ ص ١٨٧ - ١٨٨ و ص ٢٥١، وابن الأبار في
التكملة ٣٨٣/١، والقفطي في الإنباء ١٢٤/٣ والضبي في البغية ص ٦٤ والسيوطي في
بغية الوعاة وترجم له ابن مكتوم في التخليص وابن مأكولا في الإكمال.

(١) فهرس الشعراء بآخر كتاب التشبيهات للكتاني وهناك إحالة إلى شعر ابن خطاب الذي
أورده الكتاني.

(٢) ما بين القوسين لم يرد في طبعة الدكتور إحسان عباس لطوق الحمامة. وفي تجارية وحسينية
وتوفيقية: العقود.

تحسن العود إحسانا جيدا، فجنحت إليها وأحببتها حبا مفرطا شديدا، فسعيت عامين أو نحوهما أن تحييني بكلمة وأسمع من فيها لفظة، غير ما يقع في الحديث الظاهر إلى كل سامع، بأبلغ السعي فما وصلت من ذلك إلى شيء ألبته.

فلمهدي بمصطنع^(١) كان في دارنا لبعض ما يصطنع له في دور الرؤساء تجمعت فيه دخلتنا^(٢) ودخلة أخي، رحمه الله، من النساء ونساء فتياتنا ومن لاث بنا من خدمنا، ممن يخف موضعه ويلطف محله، فلبش صدرا من النهار ثم تنقلن إلى قصبة^(٣) كانت في دارنا مشرفة على بستان الدار ويطلع منها على جميع قرطبة وفحوصها، مفتحة الأبواب، فصرن ينظرن من خلال الشراحيب^(٤) وأنا بينهن، فإني لأذكر أني كنت أقصد نحو الباب الذي هي فيه أنسا بقربها متعرضا للدنو منها، فما هو إلا أن تراني في جوارها فتترك ذلك الباب وتقصد غيره في لطف الحركة^(٥) فأتعمد أنا القصد إلى الباب الذي صارت إليه فتعود إلى مثل ذلك الفعل من الزوال

(١) المصطنع: الوليمة أو الحفل. د. إحسان.

قال أبو عبد الرحمن: لعله مكان صنع واتخذ لما جرت به العادة في بيوت الرؤساء لاستقبال الضيوف.

(٢) دخلتنا: بطانتنا ومجالسونا. يجوز بالذال المثناة. ابن عقيل.

(٣) في توفيقية وحسبية: قصة.

وقد فسرها بالشرقة!

قال أبو عبد الرحمن: ليس هذا في اللغة. أما القصة لغة فهي جوف القصر وتطلق على الفرجة التي يطلع منها ولا يطلع على من فيها، وهي المسماة في عامية نجد (طرمة) مأخوذة من الطارمة، وهي فارسية بمعنى بيت من خشب كالقبة.

قال أبو عبد الرحمن: إن المراد هنا بيقين بناء في القصر مرتفع كالقصبة بدليل السياق لا سيما قوله: مفتحة الأبواب.

(٤) الشراحيب: الشبائيك أو الطافات. ويكون الشباك مشرجا إذا كان من خشب مهيئة مربعات، ومن أمثاله العامة زادف المشرجب بيت. ويشير المعتمد في شعر (الحلة ٢: ١٣٣) إلى قصر الشراحيب. (انظر الأمثال العامة ٢: ٢٣٠ وتعليقات المحقق على مثل رقم ١٠١٠) د. إحسان قال أبو عبد الرحمن: نعل الأصل في ذلك أن هذه الشبائيك تصنع من أعصان شجر الشرجب.

(٥) هكذا في جميع طبقات الطوق.

قال أبو عبد الرحمن: لا دلالة لأن في الحركة لا في السياق ولا في الدهن.

إلى غيره، وكانت قد علمت كلفي بها ولم يشعر سائر النسوان بما نحن فيه، لأنهن كن عددا كثيرا، وإذا^(١) كلهن ينتقلن من باب إلى باب لسبب الاطلاع من بعض الأبواب على جهات لا يطلع من غيرها عليها، وأعلم أن قيافة النساء فيمن يميل إليهن أنفذ من قيافة مدلج^(٢) في الآثار، ثم نزلن إلى البستان فرغب عجمائزنا^(٣) وكرائمنا إلى سيدتها في سماع غنائها، فأمرتها فأخذت العود وسوته بخفر وخجل لا عهد لي بمثله، وإن الشيء يتضاعف حسنه في عين مستحسنة، ثم اندفعت تغني بأبيات العباس بن الأحنف، حيث يقول^(٤): [من البسيط]

إني طربت إلى شمس إذا غربت كانت مغاربها جوف المقاصير^(٥)
شمس ممثلة في خلق جارية كأن أعطافها طي الطوامير^(٦)
ليست من الإنس إلا في مناسبة ولا من الجن إلا في التصاوير
فالوجه جوهرة، والجسم عبهرة والريح عبرة، والكل من نور^(٧)

- (١) في معارف: وإذا. قال أبو عبد الرحمن: الجملة تعليلية فاقتضت إذ - بدون ألف المد.
(٢) مدلج رجل من كنانة كان مشهوراً بالقيافة: أي قص الأثر د. إحسان قال أبو عبد الرحمن: أرجح الظن عندي أن كلمة (بني) ساقطة من الأصل. لأن القيافة لبني مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة.
(٣) يذهب د. أحمد الظاهر مكي إلى أن العجوز تطلق على أي امرأة متزوجة معها كانت شابة بناء على لهجة أهل الأندلس.
قال أبو عبد الرحمن: لا يحمل كلام ابن حزم على عامية أهل بلده إلا إذا صرح بالتعير عن مراد العامة.

- (٤) انظر ديوان العباس بن الأحنف: ١١٣ د. إحسان.
(٥) رواية ديوان العباس بن الأحنف بتحقيق الدكتورة عائكة الحزرجي هكذا:
إني طربت إلى شمس إذا طلعت كانت مشارفها جوف المقاصير
قال أبو عبد الرحمن: هذا هو المعنى الصحيح في عرف الناقد، لأن شمس العباس محبوبته فوز، فهي شمس تضيء دياجي القصر وقت الغروب. ولم يكن طوق الخمامة من مراجع الدكتورة عائكة في تحريجها، ولو كان من مراجعها لما اختارت غير رواية ابن حزم، فهي الشاعرة النافذة الصبيرة.
(٦) رواية الديوان: كأنما كشحها.
(٧) رواية الديوان في الطبعة التي اطلع عليها الدكتور إحسان: فالجسم من لؤلؤ. ورواية =

كأنها حين تخطو في مجاسدها تخطو على البيض أو حد القوارير^(١)

فلعمري لكان المضرب إنما يقع على قلبي، وما نسيت ذلك اليوم
ولا أنساه إلى يوم مفارقتي الدنيا، وهذا أكثر ما وصلت إليه من التمكن
من رؤيتها وسماع كلامها، وفي ذلك أقول: [من الخفيف]

لا تلمها على النفار ومنع (م) الوصل ما ذاكم لها بنكير^(٢)
هل يكون الهلال غير بعيد أو يكون الغزال غير نفور

وأقول: [من الوافر]

منعت جمال وجهك مقلتيًا ولفظك قد ضنت به عليا
أراك نذرت للرحمن صوما فلت تكلمين اليوم حيا
وقد غيت للعباس شعرا هنيئاً ذا لعباس هنيا
فلو يلقاك عباس لأضحى لفوز قالبا وبكم شجيا^(٣)

ثم انتقل أبي رحمه الله من دورنا المحدثه بالجانب الشرقي من قرطبة
في ربيع الزاهرة إلى دورنا القديمة في الجانب الغربي من قرطبة ببلاط
مغيث في اليوم الثالث من قيام أمير المؤمنين محمد المهدي بالخلافة.
وانتقلت أنا بانتقاله، وذلك في جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلاث
مئة، ولم تنتقل هي بانتقالنا لأمر أوجب ذلك. ثم شغلنا بعد قيام أمير
المؤمنين هشام المؤيد بالنكبات وباعتداء أرباب دولته، وامتحنا بالاعتقال

= الديوان الذي حققته د. عاتكة هكذا:

فالجسم لؤلؤة والشعر من ظلم والنشر من مسكة والوجه من نور

(١) في الديوان:

كأنها حين تمشي في وصائفها تخطو على البيض أو خضر القوارير

(٢) في توفيقية، والحياة، وتجارية، وحسينية، ومعارف: ما هذا لها بنكير. والمثبت هنا هو الذي
يستقيم به الوزن.

(٣) في توفيقية والحياة وتجارية وحسينية: قانياً. قال أبو عبد الرحمن: لا معنى لذلك.

والترقيب والإغرام الفادح والاستار، وأرزمت الفتنة وألقت باعها وعمت الناس وخصتنا، إلى أن توفي أبي الوزير رحمه الله ونحن في هذه الأحوال بعد العصر يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة عام اثنين وأربع مئة، واتصلت بنا تلك الحال بعده إلى أن كانت عندنا جنازة لبعض أهلنا فرأيتها وقد ارتفعت الواعية^(١) قائمة في المآتم وسط النساء في جملة البواكي والنوادر، فلقد أثارت وجداً دفيناً وحركت ساكننا، وذكرتي عهداً قديماً، وحبا تليداً ودهراً ماضياً، وزمناً عافياً، وشهوراً خوالي، وأخباراً توالي، ودهوراً فواني، وأياماً قد ذهبت، وآثاراً قد دثرت، وجددت أحزاني، وهيجت بلائلي، على أي كنت في ذلك النهار مرزءاً مصاباً من وجوه، وما كنت نيت، ولكن زاد الشجي وتوقدت اللوعة وتأكد الحزن وتضاعف الأسف، واستجلب الوجد ما كان منه كامناً قلباً مجيباً، فقلت قطعة منها:

[من الطويل]

يكي لميت مات وهو مكرم وللحي أولى بالدموع الذوارف
فيا عجباً من آسف لأمريء ثوى وما هو للمقتول ظلماً بأسف

ثم ضرب الدهر ضرباته وأجلينا عن منازلنا، وتغلب علينا جند البربر، فخرجت عن قرطبة أول المحرم سنة أربع وأربع مئة، وغابت عن بصري بعد تلك الرؤية الواحدة ستة أعوام وأكثر، ثم دخلت قرطبة في شوال سنة تسع وأربع مئة، فنزلت على بعض نساينا فرأيتها هنالك، وما كدت أن أميزها حتى قيل لي هذه فلانة - وقد تغير أكثر محاسنها وذهبت نضارتها، وفنت تلك البهجة وغاض ذلك الماء الذي كان يرى كالسيف الصقيل والمرآة الهندية، وذبل ذلك النوار الذي كان البصر يقصد نحوه منبهاً ويرتاد فيه متخيراً وينصرف عنه متحيراً، فلم يبق إلا البعض المنبىء عن الكل، والخبر المخبر عن الجميع، وذلك لقلّة اهتمامها بنفسها وعدمها الصيانة التي كانت غذيت بها أيام دولتنا وامتداد ظلنا ولتبعها في الخروج فيها لا بد لها منه مما كانت تصان وترفع عنه قبل ذلك، وإغما النساء رياحين

(١) الواعية: الصراخ على الميت.

متى لم تتعاهد نقصت، وبنية متى لم يهتبل بها استهدمت، ولذلك قال من قال: إن حسن الرجال أصدق صدقا وأثبت أصلا وأعتق جودة لصبره على ما لو لقي بعضه وجوه النساء لتغيرت أشد التغير، مثل الهجير والسموم والرياح واختلاف الهواء وعدم النكن - وإني لو نلت منها أقل وصل وأنست لي بعض الأنس لخلولت طربا أو لمت فرحا، ولكن هذا التفار الذي صبرني وأسلافي. وهذا الوجه من أسباب السلو صاحبه في كلا الوجهين معذور وغير ملوم، إذ لم يقع تثبت بوجب الوفاء، ولا عهد يقتضي المحافظة، ولا سلف ذمام، ولا فرط تصادق يلام على تضييعه ونسيانه^(١).

التعليق على النص

* هذه الفقرة أنموذج لنثر ابن حزم الفني لأنه تقصد فيها فنية النثر. يلتزم السجع دون إغراب في اللغة، ويلهم برصيد من ألفاظ اللغة الفصيحة غير المبتذلة، ويكثر من المترادفات في الألفاظ والجمل.

* وهي أنموذج لنثر ابن حزم في نشأته فبته مليء بالحواري وفيهن الحسنات بالصفات التي ذكرها عن أليفة صباه وفيهن من تحسن العود! ومنهن نساء فتيانه ومن لاث به من خدمه! لم يشعر النسوان بحب ابن حزم للعجارية، لأنهن كن كثيرات!

* قال بروكلمان عن أبي محمد: إنه أمضى فترة شبابه في مزارع والده. قال أبو عبد الرحمن: لا نعرف شيئا عن هذه المزارع، إلا أن كان المراد الدار التي ذكرها أبو محمد في هذه الفقرة.

* تشتمل هذه الفقرة على أحداث تاريخية نحب أن نعهد لها بهذه النبرة الموجزة:

(١) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ٢٤٩/١ - ٢٥٣ ح ومعارف ص ١٤٤ - ١٤٨ وتجارية ص ١١٢ وتوفيقية ص ١٢٩ - ١٣٣ وحسبية ص ١١٨ - ١٢٢ والحياة ص ١٧٦ - ١٨٠ وفاروق ص ٢٤٨ - ٢٥٢.

وزر المنصور أبو عامر محمد بن أبي عامر المعافري لهشام بن الحكم المؤيد بالله الخليفة الأموي بالأندلس، في ١٠/٢/٣٦٦ هـ .

وفي سنة ٣٦٨ هـ ، حجب الخليفة ، واستبد بالأمر، فكان المؤيد خليفة بالاسم ، وخلفه ابنه عبد الملك بن محمد المظفر بالله .

وكان أبو عمر أحمد بن سعيد بن حزم - والد أبي محمد - وزيراً لهما .

وفي سنة ٣٦٨ ، بنى المنصور قصر الزاهرة على نهر قرطبة الأعظم . وانتقل إليها سنة ٣٧٠ هـ .

قال الحميري في الروض المعطار:

إن المنصور أطلق بساحة الزاهرة الأرحاء، ثم أقطع وزراءه وكتابه وقواده وحجابه القطائع الواسعة، فابتنوا بأكنافها كبار الدور، واتصلت أرباضها بأرباض قرطبة . ١ هـ .

ولقد انتقل أحمد بن حزم من داره القديمة كما ذكر أبو محمد هنا واستحدث داراً قرب الزاهرة بالجانب الشرقي في ربض منية المغيرة نسبة إلى المغيرة بن الحكم الربضي^(١) .

والمنية: تطلق على عدد من القرى الصغيرة في المشرق والمغرب، وقد ذكر الزبيدي عدداً منها^(٢) .

قال أبو عبد الرحمن: في مستدرك الزبيدي:

امتنيت الشيء اختلفته . ١ هـ .

فلعل هذا وجه الاشتقاق .

وبهذه المنية ولد أبو محمد قبل طلوع الشمس، وبعد سلام الإمام من صلاة الصبح آخر ليلة الاربعاء آخر يوم من شهر رمضان المعظم سنة ٣٨٤ .

هكذا كتب أبو محمد إلى تلميذه القاضي صاعد بن أحمد .

وفي ليلة الجمعة ٤/٢/٣٩٩ مات المظفر .

(١) انظر الجمهرة ص ١٨ .

(٢) ناج العروس ١٠/٣٥٠ - ٣٥١ .

فخلفه أخوه عبد الرحمن شنجول، وكان خليعاً سيئ التدبير، استصدر مرسوماً يقضي بجعله ولياً للعهد. ١ هـ . وهذا ما لم يفعله أبوه وأخوه .

وفي يوم الخميس ١٤/٥/٣٩٩ قام المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار الأموي، فقتل شنجولاً، وخلع المؤيد . وكان المهدي خليعاً فاسقاً متهتكاً، ثار ضده سليمان بن حكم بن سليمان المستعين بالله بمساعدة البربر وكان النصارى يساعدون المهدي وكانت ثورة سليمان في ٢٨/١٠/٣٩٩ .

وفي ربيع الأول سنة ٤٠٠ هـ بويغ بالخلافة . وفي شوال سنة ٤٠٠ عاد المهدي بمساعدة النصارى وأشاع في الناس أن المؤيد قد مات وشهد له جماعة منهم أحمد بن حزم . وفي يوم منى من ذي الحجة سنة ٤٠٠ ثار طائفة من الفتيان العامريين بزعامة الفتى واضح فقتلوا المهدي وأعادوا المؤيد للخلافة وحجبه على عادة المنصور بن أبي عامر .

يبدو أن والد ابن حزم خلال خلافة المهدي كان مستقراً لم تصبه الفتنة ولم يفقد مركزه، فقد كان أحد الشهود للمهدي على وفاة المؤيد، وكان سفير المهدي إلى المستعين بالله .

وكان أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم - ابن عم أبي محمد - يلي الحكم للمهدي بالجانب الغربي .

وأكبر مصيبة لابن حزم - خلال هذه الفترة - أنه انتقل إلى دورهم القديمة، حيث سيهد المهدي الزاهرة، لحقده على بني عامر . وفي عهد المؤيد وواضح أخذ سليمان المستعين بالله ورجاله ينهبون ويقتلون .

وكان المؤيد كما قال أبو محمد في نقط العروس :

لا يؤذي أحداً، ولا يمنع أحداً من أن يؤذي ! .

وفي صدر شوال سنة ٤٠٣ دخل سليمان قرطبة عنوة ومعه البربر فاستباحوها وقتلوا أهلها .

واستمر سليمان خليفة حتى ثار عليه عامله علي بن حمود وقتله بيده يوم الأحد ٢٣/١/٤٠١ هـ .

* أبو محمد - كما يروي الحميدي عنه - سمع من ابن الجصور قبل الأربع مئة .

وابن الجصور مات بمنزله ببلاط مغيث سنة ٤٠١ .
وأبو محمد انتقل إلى دورهم ببلاط مغيث في جمادى الآخرة سنة ٣٩٩ .
فالراجح أن أول سماعه من ابن الجصور بعيد جمادى الآخرة في العام المذكور .

ومن الراجح أن سماعه لا يتجاوز ٨/١٢/٤٠٠ هـ لأن آل حزم بعد هذا التاريخ امتحنوا بالاعتقال، والترقيب، والإغرام الفادح، والاستتار!

* يكون أبو محمد انتقل للبيوت القديمة يوم الجمعة ٢٠/٦/٣٩٩ هـ، وهو اليوم الثالث من قيام المهدي .
وهي بيوت هجرها والده منذ تسع وعشرين سنة تقريباً .

* عاش أبو محمد حياة راغدة منذ ولد إلى ٢٠/٦/٣٩٩ هـ وعاش فترة أخرى أقل سعادة إلى ٨/١٢/٤٠٠ هـ ثم توالى عليه المصائب، فصارت حياته بقرطبة جحيماً .

* فقد أبو محمد بعض أهله فيما بين ٢٨/١١/٤٠٢ هـ و ١/١/٤٠٤ هـ ولا ندري من هذا الفقيد؟ .

قال أبو عبد الرحمن: وجدت بآخر الإحكام مخطوطة مكتبة ابن يوسف بمراكش أن من مؤلفات أبي محمد المفقودة كتاباً اسمه (تواريخ أعمامه وأبيه وأخيه وبني عمه وأخواته وبنيه وبناته مواليدهم وتاريخ موت من مات منهم في حياته) .

ولو وجد هذا الكتاب لكان فيه خير كثير .

* ألف الرجل الصالح طالب العلم حمود بن عبد الله التويجري كتباً رماني فيه بالتعصب وسماه الرد الجميل على أخطاء ابن عفيل استتج فيه من

هذه الفقرة شواهد تقدر في عدالة ابن حزم!

وهي كالتالي:

١ - أنه طلب الدنو من الأجنبية، وطلب الوصال منها!

٢ - استماعه لغنائها وضربها بالعود.

٣ - إطلاق بصره في النظر إلى المرأة الأجنبية.

٤ - حضوره عند النياحة وإقراره لها.

* قال أبو عبد الرحمن: لا ريب في حرمة النظر إلى الأجنبية، وحرمة الاستماع بشهوة جنسية إلى المرأة، وحرمة النياحة، ولكنني أشير إلى أمور:

أولها: أن حب أبي محمد لأليفة صباه كان قبل سنة ٣٩٩هـ ويكون علوقه بها قبل ذلك بستتين.

أي وعمره ثلاث عشرة سنة.

وتفسيق عالم جليل - خلال هذه الفترة - من الفضول والتزمت البغيض.

وثانيها: أن حضوره للنياحة وعمره أقل من خمس عشرة وهي عادة في بيوت الكبراء، وربما كان أبو محمد يومها لا يعرف حرمتها. وربما كان لا يمكنه تغييرها.

على أن مذهبه - منذ كان عالما - تحريم النياحة.

وثالثها: أن تفسيق ابن حزم - بهذه الصبوة - قول لم يسبق إليه التوجيهي. ورابعها: أن الغناء - عندنا - مباح لذاته، حرام لغيره ومن أداه اجتهداه إلى هذا فليس بفاسق.

وخامسها: أن أبا محمد - رغم صبوته - كان عفيفا وقد أقسم على ذلك كما سيأتي. وأليفة صباه - رحمها الله رحمة الأبرار - في منتهى العفة وهي لا تحب به غير ما يقع في الحديث الظاهر إلى كل سامع وحينما تحس بقربه تغادر مكانها في لطف حركة.

وسادسها: أن أبا محمد أحب والحب إذا كان غير إرادي لا محذور فيه.

وسابعها: أن نشأة أبي محمد المترفة جعلته في صباه يغرق في الحب والنظر
وسماع الملاهي.

ولا حرج على صبي نشأ هذه النشأة.
ولكن عظمة ابن حزم أنه منذ حذق العلم نزع إلى الجد والجهاد
والعبادة والحسبة رحمه الله.

* في هذه الفقرة شعر نظم ابن حزم، وعمره في حدود خمس عشرة
سنة.

* رأى أبو محمد أليفة صباه بين النوادب فيما بين وفاة أبيه في
٢٨/١١/٤٠٢ هـ و ١/١/٤٠٤ هـ.

أي خلال سنة واحدة من وفاة أبيه.
وكان قد رحل عنها وهي لا تزال في الدور الجديدة في ٢٠/٩/٩٩
فيكون فراقه لها خلال سنتين.

وذلك ما وصفه بالدهر الماضي، والزمن العافي، والشهور الخوالي،
والدهور الفواني!

* يكون عمرها رحمة الله عليها حينما رجع أبو محمد سنة ٤٠٩ هـ في
حدود ست وعشرين سنة، أو ثمان وعشرين على أكثر احتمال.

وهذه فترة الميعة والعنفوان ولكنه لم يعرفها، لشدة البؤس الذي لاقته!
وعمر أبي محمد خمس وعشرون سنة.

فهي تكبره بثلاث سنين على أكثر تقدير.

* في هذا النص إشارة إلى أن أرباب دولة المؤيد اعتقلوا أحمد بن حزم،
وغرموه... إلخ.

ولعل هذا بسبب موالاته للمهدي، وشهادته على موت المؤيد.

* لا ندري هل سيدة البيت التي توسل إليها النساء هي أم أبي محمد، أم
غيرها.

* حلت بأبي محمد كارثة أخرى، في عهد المستعين بالله، فأجلي عن
منازله، وتسلط عليه جند البربر.
وهذا ما حدث للفتيان العامريين.

١٢١ - قال أبو محمد :

فإن كتابك وردني من مدينة المرية^(١) إلى مسكني بحضرة شاطبة^(٢)،
تذكر من حسن حالك ما يسرني، وحمدت الله عز وجل عليه واستدتمته
لك، واستزدته فيك، ثم لم ألبث أن أطلع^(٣) عليَّ شخصك وقصدتني
بنفسك، على بعد الشقة وتناهي الديار وشحط المزار وطول المسافة وغول
الطريق، وفي دون هذا ما سلا المشتاق، ونسي الذاكر، إلا من تمسك
بحبل الوفاء مثلك، ورعى سالف الأذمة ووكد المودات وحق النشأة وعبة
الصبا وكانت مودته لله تعالى. ولقد أثبت الله بيننا من ذلك ما نحن عليه
حامدون وشاكرون.

وكانت معانيك^(٤) في كتابك زائدة على ما عهدته من سائر كتبك،
ثم كشفت إليَّ بإقبالك غرضك، وأطلعتني على مذهبك سجية لم تزل عليها
من مشاركتك لي في حلولك ومرك، وسرك وجهرك، يحذوك الود الصحيح
الذي أنا لك على أضعافه، لا أبتغي جزاء غير مقابلته بمثله، وفي ذلك
أقول مخاطباً لعبيد الله بن عبد الرحمن بن المغيرة بن أمير المؤمنين الناصر^(٥)
رحمه الله في كلمة لي طويلة وكان لي صديقاً: [من الطويل]

(١) المرية: بنت عام ٣٤٤ وأصبحت أهم قاعدة للأسطول الأندلسي على البحر المتوسط.

(انظر الروض: ١٨٣/٥٣٧ والترجمة: ٢٢١ والزهرى: ١٠١، والعذري: ٨٦). إحسان.

(٢) شاطبة: تقع إلى الجنوب الغربي من بلنسية، وكانت في الأيام الإسلامية مدينة حصينة

يعمل بها كاغد لا نظير له (الروض: ٣٣٧، والإدرسي (دورتي): ١٩٢ والعذري: ١٨

وآثار البلاد ٥٣٩). إحسان.

(٣) اطلع بمعنى طلع. إحسان.

(٤) قرأها بريشيه: مغازيك. إحسان.

(٥) المغيرة بن أمير المؤمنين الناصر قتل حنقاً صبيحة الليلة التي مات فيها أخوه الحكم المستنصر

في مؤامرة شَرَحَهَا ابن حيان (انظر الذخيرة لابن سمام ١/٤: ٥٨ ط. بيروت) كي تكون

البيعة مضمونة لأخيه الأصغر هشام المؤيد. ويقول ابن حزم في الجمهرة: ١٠٣ إن للمغيرة

عقباً من قبل عبيد الله بن عبد الرحمن بن المغيرة، وهذا هو صديقه الذي يذكره هنا في =

أودك ودا ليس فيه غضاضة وبعض مودات الرجال سراب
وأعخصك النصع الصريح وفي الحشا لودك نقش ظاهر وكتاب
فلو كان في روعي سواك اقتلعت ومزق بالكفين عنه إهاب
ومسا لي غير الود منك إرادة ولا في سواه لي إليك خطاب
إذا حزته فالأرض جمعاء والورى هباء وسكان البلاد ذباب^(١)

التعليق على النص

* لم أجد لعبيد الله بن عبد الرحمن بن المغيرة ذكرا في كتب التراجم، وأشار إليه أبو محمد في الجمهرة كما ذكر ذلك الدكتور إحسان عباس في تعليقه على هذا النص.

* لا أدري هل الترحم على الناصر أم على عبيد الله، فيكون صديقه عبيد الله مات قبل تأليف أبي محمد للطوق. ومذهب أبي محمد عود الضمير لأقرب مذكور.

* لم أكتشف عن هوية هذا الصديق الذي يخاطبه أبو محمد.

* في هذا النص إشارة إلى أن أبا محمد ألف طوق الحمامة وهو مقيم بمدينة شاطبة.

* هذه الفقرة أغنوج لنثر أبي محمد الفني.

* قال أبو محمد: (فإن كتابك وردني) فعدى الفعل مباشرة وتخرج ذلك بأن أبا محمد ضمن ورد معنى فعل متعدد بنفسه كجاء مثلا.

= الطوق. وقوله رحمه الله يدل على أنه كان قد توفي قبل تأليف طوق الحمامة، ولكنه خلف عقباً كان ابن حزم يعرفهم أيضاً. إحسان.

(١) يعارض ابن حزم هنا في هذه الأبيات - المنتهي وأبا فراس، وبنت هذا الأخير يذكر بقول أحدهما:

إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب
د. إحسان

وهذا النص من طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ٨٤/١ - ٨٦ ج من التحقيقات.

وأنا أخبرك عن أبي بكر أخي رحمه الله، وكان متزوجاً بعاتكة بنت قند^(١) صاحب الثغر الأعلى أيام المنصور أبي عامر محمد بن عامر، وكانت التي لا مرمى وراءها في جمالها وكريم خلاها، ولا تأتي الدنيا بمثلها في فضائلها، وكانا في حد الصبا وتمكن سلطانه تغضب كل واحد منها الكلمة التي لا قدر لها، فكانا لم يزالا في تغاضب وتعاتب مدة ثمانية أعوام، وكانت قد شفها حبه وأضناها الوجد فيه وأنحلها شدة كلفها به، حتى صارت كالخيال المتوهم^(٢) دنفاً، لا يلهيها من الدنيا شيء، ولا تسر من أموالها على عرضها وتكاثرها بقليل ولا كثير إذ فاتها اتفاقه معها وسلامته لها، إلى أن توفي أخي رحمه الله في الطاعون الواقع بقرطبة في شهر ذي القعدة سنة إحدى وأربع مئة، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، فما انفكت منذ بان عنها من السقم الدخيل والمرض والذبول إلى أن ماتت بعده بعام في اليوم الذي أكمل هو فيه تحت الأرض عاماً، ولقد أخبرتني عنها أمها وجميع جواربها أنها كانت تقول بعده: ما يقوي صبري ويمسك رمقي في الدنيا ساعة واحدة بعد وفاته إلا سروري وتيقني أنه لا يضمه وامرأة مضجع أبداً، فقد أمنت هذا الذي ما كنت أتخوف غيره، وأعظم آمالي اليوم اللحاق به. ولم يكن قبلها ولا معها امرأة غيرها، وهي كذلك لم يكن لها غيره، فكان كما قدرت، غفر الله لها ورضي عنها^(٣).

التعليق على النص

* لم نجد ذكراً لأبي بكر بن حزم أخي أبي محمد غير ما ورد مفرداً في طوق الحمامة.

(١) انظر ليفي برونسار:

وقد هذا هو الذي استرد مدينة سالم من أيام الناصر (سنة ٩٤٧/٣٣٦) ويقول برونسار في تعليقه: علينا ألا نخلط بين قند هذا وبين شخص آخر اسمه قند الأكبر وكان أيضاً مولى لعمد الرحمن الناصر. إحسان.

(٢) شروف: المتوهم، وتابع على ذلك آخرون. إحسان.

(٣) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١/ ٢٥٩ - ٢٦٠ ج مع التحقيقات.

- * نرجع: أنه لا إخوة لأبي محمد غير أبي بكر.
- ونستأنس لذلك بأن لأبي محمد كتاباً بعنوان تواريخ أعمامه وأبيه وأخيه... الخ. فلو كان له إخوة لقال: إخوته.
- * لم يذكر أبو محمد أمه في عنوان الكتاب الأنف الذكر فلعلها خاملة الذكر رحمة الله عليها.
- * لم أجد ذكراً لعاتكة بنت قند، إلا أن أباهما من موالي بني عامر.
- وسياتي أن المظفر بن أبي عامر زوج بنت عمه من عبد الملك بن قند - وهو مولاهم - فهجاه أحد الشعراء بيتين.
- * كثيراً ما يزرخون للوفيات بطاعون قرطبة.
- وقد أرخ له أبو محمد هنا بسنة ٤٠١ هـ.
- * كون أحمد بن حزم يلقب بأبي عمر لا يعني أن له ولداً اسمه عمر
- فالتطري كنيته أبو جعفر، وابن تيمية كنيته أبو العباس وهما لم يتزوجا!
- وجهرة من اسمه أحمد من الأندلسيين كنيته أبو عمر، ولم أعرف بعد سر هذه التكنية.

١٢٣ - قال أبو محمد:

ولقد أخبرني^(١) بعض الوارد من قرطبة وقد استخبرته عنها أنه رأى دورنا ببلاط مغيث في الجانب الغربي منها وقد انحوت رسومها، وطمست أعلامها، وخفيت معاهدها، وغيرها البلى وصارت صحارى مجدبة بعد العمران، وفيافي موحشة بعد الأنس، وخرائب منقطعة^(٢) بعد الحسن، وشعاباً مفرعة بعد الأمن، ومأوى للذئاب، ومعارف للغيلان، وملاعب

(١) أورد لسان الدين ابن الخطيب بكاء ابن حزم لقرطبة نثراً وشعراً في أعمال الأعلام: ١٠٦ - ١٠٨ ولما كانت المقارنة بين النصين تدل على اختلافات وفوارق كثيرة، فإن سألنا النص الوارد عند لسان الدين ملحقاً في آخر الرسالة (انظر الملحق ١ ومجلة الأندلس: ٣٦١ - ٣٦٣). إحسان.

(٢) قراها برثية: مقطعة، وفي أعمال الأعلام: منقطعة. إحسان.

للجان، ومكانن للوحوش، بعد رجال كالليوث^(١) وخرائد كالدمى،
تفيض لديهم النعم الفاشية تبدد شملهم فصاروا في البلاد أيادي سبا،
فكان تلك المحاريب المنمقة، والمقاصير المزينة، التي كانت تشرق إشراق
الشمس، ويجلو الهموم حسن منظرها، حين شملها الخراب، وعمها
الهدم، كأفواه السباع فاغرة، تؤذن بفناء الدنيا، وتربك عواقب أهلها،
وتخبرك عما يصير إليه كل من تراه قائما فيها، وتزهّد في طلبها بعد أن طالما
زهدت في تركها، وتذكرت أيامي بها ولذا^(٢) وشهور صباي لديها، مع
كواعب إلى مثلهن صبا الخليم، ومثلت لنفسي كونهن تحت الثرى وفي
الآفاق^(٣) النائية والنواحي البعيدة، وقد فرقتهن يد الجلاء، ومزقتهن أكف
النوى، وخيل إلى بصري فناء^(٤) تلك النصبه بعدما علمته من حسننها
وغضارتها والمراتب المحكمة التي نشأت فيها^(٥) لديها، وخلاء تلك الأفنية
بعد تضايقها بأهلها، وأوهمت^(٦) سمعي صوت الصدى والهام عليها، بعد
حركة تلك الجماعات التي ربيت بينهم فيها، وكان ليها تبعاً لنهارها في
انتشار ساكنها والتقاء عمارها، فعاد نهارها تبعاً لليلها في الهدوء
والاستيحاش، فأبكى عيني^(٧) وأوجع قلبي وقرع صفاة كبدي وزاد في بلاء
لي، فقلت شعرا منه^(٨): [من الطويل]

لئن كان أظمانا فقد طالما سقى وإن ساءنا فيها فقد طالما سرا

(١) أعمال الأعلام: بعد طول غنيانها برجال كالسيوف وفرسان كالليوث. إحسان.

(٢) أعمال الأعلام: وصابة لذاتي بها. إحسان.

(٣) قرأها برشي: الديار، وفي سائر الطبقات الآثار، وما أثبتته فهر من أعمال الأعلام، وهو
الصواب. إحسان.

(٤) في الطبقات (ما عدا برشي): بقاء، وتنطق قراءة برشي مع أعمال الأعلام.

(٥) هذه هي قراءة برشي، وفي سائر الطبقات: فيها، والعبارة في الأعلام مختلفة عما هي هنا،
إذ جاءت: والمرتبة الرقيقة التي رفقت في حللها ناشئا فيها.

(٦) الأعمال: وأرغيت.

(٧) أعمال الأعلام: فأبكى ذلك عيني على حمودها، وهذا الاحتراس ضروري لما تقدم من
وصف ابن حزم لنفسه بأنه جامد العين.

(٨) لم يرد هنا إلا بيت من عشرين بيتاً وردت في الأعلام، انظر الملحق. والنص من طوق
الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ٢٢٧/١ - ٢٢٨ ج.

ومن رثى قرطبة أيضا^(١)، من وجوه أهلها وأرباب النعم المؤتلة بها، وأكثر التفجع على دياره منها، لما استولى الخراب عليها عند فرار البرابر عنها، الفقيه الأديب أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ابن وزير آل عامر الأكبر. فإني وجدت بخطه في خبر ذكره قال:

وقفت على أطلال منازلنا بحومة بلاط مغيث من الأرباض الغربية، ومنازل البرابر المستباحة عند معاودة قرطبة. فرأيتها قد محت رسومها، وطمست أعلامها، وخفيت معاهدها، وغيرها البلى، فصارت صحاري مجذبة بعد العمران، وفيافي موحشة بعد الأنس، وآكاما مشوهة بعد الحسن، ومغاني للغيلان، ومكامن للوحوش، ومخاري للصمصاء، بعد غيائها برجال كالسيوف، وفرسان كالليوث، تفيض لديهم النعم الفاشية، وتغص منهم بكثرة القطين الحاشية، وتكنس في مقاصيرهم طباء الأنس الفاتنة، تحم زبرج من غضارة الدنيا تذكر نعيم الآخرة، حال الدهر عليهم بعد طول النظرة فدد شملهم حتى صاروا في البلاد أيادي سبا، تنطق عنهم الموعظة، فكأن تلك المحاريب المنمقة، والمقاصير المرشقة، التي كانت في تلك الديار كبروق السماء إشراقا وبهجة، يقيد حسناتها الأبصار، ويحلي منظرها الهموم، كأن لم تغن بالأمس، ولا حلتها سادة الأنس، قد عبث بها الخراب، وعمها الهدم، فأصبحت أوحش من أفواه الباع فاعرة، تؤذن بفناء الدنيا، وتريك عواقب أهلها، وتخبرك عما يصير إليه كل ما قد بقي مائلا فيها، وتزهك فيها.

وكررت النظر، ورددت البصر، وكدت أستطار حزنا عليها، وتذكرت أيام نشأت فيها، وصباية لداتي بها، مع كواعب غيد، إلى مثلهن يصبو الحليم، ومثلت لنفسي انطواءهن بالفناء، وكونهن تحت الثرى إثر تقطع جمعنا بالتفرق والجلاء في الآفاق النائية، والنواحي البعيدة، وصدقت نفسي عن تلك النسيبة، وانصداع تلك البيضة، بعدما عهدته من حسناتها.

(١) انظر أعمال الأعلام (تحقيق ليفي بروفسان، بيروت: ١٩٦٦-١٩٦٨)، إحصاء.

ونضارتها وزيرجها وغضارتها، ونضوته بفراقها من الحال الحسنة، والمرتبة
الرفيعة، التي رفلت في حللها ناشئا فيها، وأرعت سمعي صوت الصدى
واليوم زاقيا بها، بعد حركات تلك الجماعة المنصدعة بعرضاتها، التي كان
ليلها تبعا لنهارها، في انتشارها بسكانها، والتقاء عمارها، فعاد نهارها تبعا
لليلة في الهدوء والاستيحاش، والخفوت والإخفاش. فأبكي ذلك عيني
على جهودها، وقرع كبدي على صلابتها، وهاج بلابي على تكاثرها،
وحركني للقول على نبو طبعي، فقلت: [من الطويل]

سلام على دار رحلنا وغودرت خلاء من الأهلين موحشة قفرا
تراها كأن لم تغن بالأمس بلقعا ولا عمرت من أهلها قبلنا دهرا
فيا دار لم يقفرك منا اختيارنا ولو أننا نستطيع كنت لنا قبرا
ولكن أقدارا من الله أنفذت تدمرنا طوعا لما حل أو قهرا
ويا خير دار قد تركت حميدة سقتك الغواذي ما أجل وما أسرى
ويا مجتلى تلك البساتين حفها رياض قوارير غدت بعدنا غبرا
ويا دهر بلغ ساكنيها تحتي ولوسكنوا المروين^(١) أوجاوزوا النهر^(٢)
فصبرا لسطو الدهر فيهم وحكمة وإن كان طعم الصبر مستقلا مرا
لئن كان أظمانا فقد طال ما سقى وإن ساءنا فيها فقد طال ما سرا
وأيتها الدار الحبيبة لا يرم ربوعك جون المزن يهيم بها القطرا
كأنك لم يسكنك غيد أو انس وصيد رجال أشبهوا الأنجم الزهرا
تفانوا وبادوا واستمرت نواهم مثلهم أسكت مقلتي العبري
سنصبر بعد اليسر للعسر طاعة لعل جميل الصبر يعقبنا يسرا
وإني لو عادت وعدنا لعهدنا فكيف بمن من أهلها سكن القبرا
ويا دهرنا فيها متى أنت عائد فنحمد منك العود إن عدت والكررا
فيا رب يوم في ذراها وليلة وصلنا هناك الشمس باللهو والبдра
فوا جسمي المضنى ووا قلبي المغربي ووا نفسي الثكلي ووا كبدي الحري
ويا هم ما أعدى، ويا شجوما أبرأ ويا وجد ما أشجى ويا بين ما أفرا

(١) المروين: متنى مرو، وهما مدينتان بخراسان. د. إحسان.

(٢) النهر: نهر جيحون. د. إحسان.

ويا دهر لا تبعد، ويا عهد لا تحل ويا دمع لا تجمد، ويا سقم لا تبرأ
سأندب ذاك العهد ما قامت الخضراء^(١) على الناس سقفا واستقلت بنا الغبراء^(٢)

التعليق على النص

✽ إنما عاش أبو محمد في دورهم ببلاد مغيث ثلاث سنين ونصف سنة فحسب.

أما دورهم بمنية المغيرة فقد شهد دمارها بعينه وقت تدميرها.
✽ هذا النص عن النسخة الوحيدة في العالم من طوق الحمامة وهي نسخة اختصرها كاتبها، وتصرف فيها وقد ذكر لي شيخي أبو تراب الظاهري أنه قرأ خبراً عن نسخة كاملة من الطوق بالجزائر بخط ابن حزم. ومن الأدلة على أن نسخة الطوق المطبوعة مختصرة أن لسان الدين ابن الخطيب أورد هذا النص بصورة أوفى، وبسياق مختلف. قال أبو عبد الرحمن: الاحتمال عندي حول هذا الاختلاف بين النصين ينحصر في ثلاثة أمور:

١- أن يكون أبو محمد أورد في الطوق أن مخبراً أخبره بحال قرطبة، وأنه لما شاهدها أنشأ هذا النثر والشعر.

فاختصر الناسخ ذلك، وكانت نتيجة الاختصار أن أصبح كلام أبي محمد كلاماً للمخبر!

ويؤيد هذا أننا وجدنا نصوصاً ساقطة من نسخة طوق الحمامة المطبوعة.

كما أنه مشار في آخرها إلى أن الناسخ اختصر وحذف ولكن ماذا نقول في هذا الاختلاف تقدماً وتأخيراً في سياق النص؟

٢- أن يكون ما في الطوق من كلام أبي محمد بهذه الصيغة ثم نسخها مرة أخرى فسجلها في قصاصة أو كتاب، فراها ابن الخطيب بخط يده.

(١) الخضراء: السماء. إحسان.

(٢) رسائل ابن حزم ٣١١/١ - ٣١٣ مع التحقيقات.

٣- أن يكون ما في الطوق من كلام المخبر، وأن أبا محمد تبني هذا الخبر بصياغة من عنده لما شاهد منازل.

وهذا بعيد، لأن آخر سياق القصة في نفس الطوق يخالف أولها.

فسياق أولها يوحى بأن النثر للمخبر.

وآخرها نص على أن الوصف لأبي محمد.

* مر بنا في نص سابق أن أبا محمد أهدت به المصائب فما معنى هذا التفجع؟

* هذا النص أنموذج لنثر ابن حزم الفني.

في كلام أبي محمد عن تناقض كتب اليهود المحرفة استعرض نصا من كتاب يوشع فيه أن موسى عليه السلام لم يختن ممن ولد بعد خروجه من مصر أحداً ثم ختمهم يوشع بعد موت موسى بدهر.

مع أن الاختتان مشدد فيه في دين اليهود، وفي كتبهم قول نسبوه إلى الله سبحانه وهو: من لم يختن في يوم أسبوع ولادته فليقتل نفسه من أمته بمعنى فليقتل.

١٢٥- قال أبو محمد:

(ولقد فضحت بهذا وجه بعض علمائهم فقال لي: كانوا في التيه في

حل وارتحال).

فقلت له: فكان ماذا^(١)؟

فكيف وليس كما تقولون؟

بل كانوا يبقون المدة الطويلة في مكان واحد.

وفي نص كتاب يوشع بزعمكم: أنه إنما ختمهم إذ جاوزوا الأردن

قبل الشروع في الحرب وفي أضييق وقت، وختمهم كلهم حينئذ وهم رجال كهول وشبان وتركوا الختان إذ لا مؤنة في ختانهم أطفالاً تحمله أمه محتونا كما تحمله غير محتون ولا فرق!

فسكت منقطعاً^(٢).

(١) يريد أبو محمد أن الحل والارتحال لا يعني تعطيل شريعة أكيدة.

(٢) الفصل ٤/٢ و ٢٠٥/١ ج.

١٢٦ - وقال أبو محمد :

عن أحد كتب اليهود المضاف إلى سليمان واسمه شارهسير (شعر الأشعار) : وقد رأيت بعضهم يذهب إلى أنه رموز على الكيمياء وقال : ورأيت بعضهم يخرج هذا على أنه إنما أراد علم الله تعالى^(١).

١٢٧ - قال أبو محمد :

وقال بعض الكرامية : المنافقون مؤمنون من أهل الجنة .
وقد أطلق ذلك بالمرية محمد بن عيسى الصوفي الألبيري .

وكانت ألفاظه تدل على أنه يذهب مذهبهم في التجسيم وغيره وكان ناسكا متقللاً من الدنيا واعظاً مفوها مهذاراً قليل الصواب كثير الخطأ .
رأيت مرة وسمعتة يقول :

أن النبي لا كان لا يلزمه زكاة مال لأنه اختار أن يكون نبيا عبداً ،
والعبد لا زكاة عليه ، ولذلك لم يورث ولا ورث .

فأمسكت عن معارضته ، لأن العامة كانت تحضره فخشيت لغطهم
وتشيعهم بالباطل ولم يكن معي أحد إلا يحيى بن عبد الكثير بن واقد
كنت أتيت أنا وهو معي متنكرين لنسمع كلامه وبلغني عنه شنع منها
القول بحلول الله فيها شاء من خلقه .

أخبرني عنه بهذا أبو أحمد الفقيه المعافري عن أبي علي المقري ، وكان
على بنت محمد بن عيسى المذكور وغير هذا أيضاً ونعوذ بالله من الضلال
وذكر لي سليمان بن خلف الباجي وهو من رؤوس الأشعرية أن فيهم من
يقول أيضاً إن الكذب في البلاغ أيضاً جائز من الأنبياء والرسل عليهم
السلام^(٢).

١٢٨ - قال أبو محمد :

ولا أكثر من غلبة مذهب مالك على الأندلس وأفريقية ، وقد كان

(١) الفصل ٢/٦٦ ق ١ و ٢٠٧ - ٢٠٨ ج .

(٢) الفصل ٥/٤٦ - ٤٧ ق ٤ و ٢٠٥ ج .

طوائف علماء مخالفتون له جملة قائلون بالحديث أو بمذهب الظاهر أو بمذهب الشافعي .

هذا أمر مشاهد في كل وقت^(١).

١٢٩ - قال أبو محمد:

ولقد أخبرني يونس بن عبد الله القاضي قال: كان محمد بن بيقى ابن زرب القاضي إذا دخل مسجداً قد جمع فيه إمامه الراتب وهو لم يكن صلى تلك الصلاة بعد جمع بمن معه في ناحية المسجد^(٢).

١٣٠ - قال أبو محمد:

وقد حدثني يونس بن عبد الله بن مغيث قال: أدركت بقرطبة مقرئاً يعرف بالقرشي أحد مقرئين ثلاثة للامة كانوا فيها.

وكان هذا القرشي لا يحسن النحو.

فقرأ عليه قارئ يوماً في سورة «ق»:

﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾.

فرد عليه القرشي (تحيد) بالتنوين!!.

فراجع القارئ، وكان يحسن النحو.

فلج المقرئ وثبت على التنوين.

وانتشر ذلك الخبر إلى أن بلغ إلى يحيى بن مجاهد الفزاري الألبيري وكان منقطع القرين في الزهد والخير والعقل، وكان صديقاً لهذا المقرئ. فمضى إليه، فدخل عليه، وسلم عليه، وسأله عن حاله، ثم قال له: إنه بعد عهدي بقراءة القرآن على مقرئ فأردت تجديد ذلك عليك، فسارع المقرئ إلى ذلك.

فقال له الفزاري: أريد أن أبتدىء بالمفصل فهو الذي يتردد في

الصلوات.

(١) الإحكام ٤/١٨٣ ق و ٤/٥٣٧ ج

(٢) المحلى ٤/٢٣٧ ط المنيرة.

فقال له المقرئ: ما شئت.
فبدأ عليه من أول الفصل، فلما بلغ سورة (ق) وبلغ إلى الآية
المذكورة ردها عليه المقرئ بالتنوين.
فقال له يحيى بن مجاهد: لا تفعل، ما هي إلا غير منونة بلا شك،
فلج المقرئ.

فلما رأى يحيى بن مجاهد لجأه قال له:
يا أخي إنه لم يحملني على القراءة عليك إلا لترجع إلى الحق في
لطف، وهذه عزيمة أوقعك فيها قلة علمك بالنحو، فإن الأفعال لا
يدخلها تنوين البتة.

فتحير المقرئ إلا أنه لم يقنع بهذا.
فقال يحيى بن مجاهد بيني وبينك المصاحف.
فبعثوا فأحضرت جملة من مصاحف الجيران فوجدوها مشكولة بلا
تنوين فرجع المقرئ إلى الحق.

وحدثني حماد بن أحمد بن حماد قال:
حدثني عبد الله بن محمد بن علي عن اللخمي الباجي قال:
نا محمد بن عمر بن لبانة قال:

أدركت محمد بن يوسف بن مطروح الأعرج يتولى صلاة الجمعة في
جامع قرطبة وكان عديم الورع بعيدا عن الصلاح قال: فخطبنا يوم
الجمعة، فتلا في خطبته:

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم﴾.
فقرأها بنونين (عنتم).
قال: فلما انصرف أتينا، وكنا نأخذ عنه رأي مالك فذكرنا له قراءته
للآية وأنكرناها.

فقال: نعم هكذا أقرأناها وهكذا هي، فلج، فحاكمناه إلى
المصحف.

فقام ليخرج المصحف، ففتح في بيته وتأمله، فلما وجد الآية بخلاف ما قرأها عليه أنف الفاسق من رجوعه إلى الحق، فأخذ القلم، وألحق ضرساً زائداً.

قال محمد بن عمر: فوالله لقد خرج إلينا والنون لم يتم بعد جفوف مدادها.

قال أبو محمد:

فالأول وأهم مغفل والثاني فاسق خبيث^(١).

١٣١ - قال أبو محمد:

رداً على من احتج على أنه ليس لأحد أن يختار بعد أبي حنيفة ومالك. الخ. بقوله:

«وأما ولايتهم القضاء فهذه أخزى وأندم وما عناية جوررة الأمراء وظلمة الوزراء خلة محمودة ولا خصلة مرغوب فيها في الآخرة.

وأولئك القضاة وقد عرفناهم إنما ولاهم الطغاة العتاة من ملوك بني العباس وبني مروان بالعنايات والتزلف إليهم عند دروس الخير وانتشار البلاء، وعودة الخلافة ملكاً عضوضاً، وانبراء على أهل الإسلام وابتزازاً للأمة أسرها بالغلبة والعسف، فأولئك القضاء هم مثل من ولاهم من المبتلين سنن الإسلام، المحيين لسنن الجور والمكر والقبالات وأنواع الظلم وحل عرى الإسلام.

وقد علمنا أحوال أولئك القضاة الذين يأخذون دينهم عنهم.

وكيف كانوا في مشاهدة إظهار البدع من المحنة في القرآن بالسيف والسياط والسجن والقيد والنفي، ثم سائر ما كانوا يتشاهدونه معهم... على ما استعانوهم عليه من تمشية أمور ملكهم. فمثل هؤلاء لا يتكثر بهم.

(١) الإحكام ١٦٣/٤ - ١٦٤/١ وفي الإسناد خلل أصلحته بكتابي عن فهرسة ابن حزم.

وإنما كان أصل ذلك تغلب أبي يوسف على هارون الرشيد، وتغلب يحيى بن يحيى على عبد الرحمن بن الحكم.

فلم يقلد القضاء شرقاً وغرباً إلا من أشار به هذان الرجلان واعتنيا به.

والناس حراس على الدنيا: فتلمذ لها الجمهور لا تدنيا لكن طلباً للدنيا، وولاية القضاء والفتيا والتدليك على الجيران في المدن والأرياض والقرى واكتساب المال بالتسبي بالفقه..

هذا أمر لا يقدر أحد على إنكاره.

فاضطرت العامة إليهم في أحكامهم وفتياهم وعقودهم.

ففشا المذهبان فشواً طبق الدنيا.

وصار من خالفهم مقصوداً بالأذى مطلوباً في دمه. أو مهجوراً مرفوضاً إن عجزوا عن أذاه لمنزلة له عند السلطان، أو لكفه للسانه وسده لبابه إذا وسعته التقية والصبر صبر.

وكذلك أفريقية كان الغالب فيها السنن والقرآن إلى أن غلب أسد بن الفرات ابن أبي حنيفة ثم ثار عليهم سحنون بن أبي مالك فصار القضاء فيهم دولا يتصاولون على الدنيا تصاول الفحول على الشول إلى أن تولى القضاء بها بنو هاشم الخيار وكان مالكيًا فتوارثوا القضاء كما توارث الضياع فرجعوا كلهم إلى رأي مالك طمعاً في الرياسة عند العامة فقط.

هذا أمر لا يقدر أحد على إنكاره^(١).

١٣٢- قال أبو محمد:

وأخبرني ثقة في نقله وتمييزه أن المسمى بمصر فجلاً يعمل منه الزيت

(١) الإحكام ٢٢٩/٤ - ٢٣٠ ق و ٥٧٥/٤ - ٥٧٦ ج وانظر كتاب نفع الطب ١٠/٢ وبعض الجمل مضطربة ولم أفرغ للمقارنة بمخطوطة الإحكام.

الذي رأى مالك فيه الزكاة هو النبات المسمى عندنا بالأندلس اللبشر وهو نبات صحراوي لا يفترس أصلاً^(١).

١٣٣ - قال أبو محمد:

في معرض حديثه عن ضرب من السحر يكون من قبل الكواكب كالطابع المنقوش فيه صورة عقرب في وقت كون القمر في العقرب فينفع إمساكه من لدغة العقرب:

ومن هذا الباب كانت الطلسمات وليست إحالة طبيعة ولا قلب عين ولكنها قوى ركبها الله عز وجل مدافعة لقوى أخرى كدفع الحر للبرد ودفع البرد للحر وكقتل القمر للدابة الدبرة إذا لاقى الدبرة ضوءه إذا كانت مدبرتها مكشوفة للقمر.

ولا يمكن دفع الطلسمات لأننا شاهدنا أنفسنا آثارها ظاهرة إلى الآن من قرى لا تدخلها حرارة ولا يقع فيها برد وكسرقسطة التي لا يدخلها جيش إلا أن يدخلها كرها وغير ذلك كثير جداً لا ينكره إلا معاند.

وهي أعمال قد ذهب من كان يحسنها جملة وانقطع من العالم ولم يبق إلا آثار صناعتهم فقط.

ومن هذا الباب كان ما تذكره الأوائل في كتبهم في الموسيقى وأنه كان يؤلف بين الطبائع وينافر به أيضاً بينها.

ونوع آخر من السحر يكون بالرقى، وهو كلام مجموع من حروف مقطعة في طوابع معروفة أيضاً يحدث لذلك التركيب قوة تستثار بها الطبائع وتدافع قوى أخرى^(٢).

١٣٤ - قال أبو محمد:

وقد شاهدنا وجربنا من كان يرقى الدمل الحاد القوي الظهور في أول ظهوره فيبیس.

(١) المحل ٢١٤/٥ - ٢١٥ ق.

(٢) انفصل ٧٣/٥ ق و ٤/٥ ق.

يبدأ من يومه ذلك بالذبول ويتم ييسه في اليوم الثالث ويقنع كما
تقلع قشرة القرحة إذا تم ييسها.
جربنا من ذلك ما لا نحصيه.

وكانت هذه المرأة ترقى أحد دملين قد وقعا على إنسان واحد ولا
ترقى الثاني فيبس الذي رقت ويتم ظهور الذي لم ترق ويلقي حامله منه
الأذى الشديد.

وشاهدنا من كان يرقى الورم المعروف بالخنزير فيندمل ما يفتح منها
ويذبل ما لم يفتح ويبرأ كل ذي ذلك البرء التام.
كان لا يزال يفعل ذلك في الناس والدواب.
ومثل هذا كثير جداً.

وقد أخبرنا من خبره عندنا كمشاهدتنا لثفته وتجربينا لصدقه وفضله
أنه شاهد ما لا يحصى نساء يتكلمن على الذين يحضون الزبد من اللبن
بكلام فلا يخرج من ذلك اللبن زبد.

ولا فرق بين هذين الوجهين وبين ملاقة فضلة الصفراء بالسقمونيا
وملاقة ضعف القلب بالكندر.

وكل هذه المعاني جارية على رتبة واحدة من طلب علم ذلك أدركه.
ومنه ما يكون بالخاصة كالحجر الجاذب للحديد وما أشبه ذلك.
ومنه ما يكون لطف يد كحيل أبي العجائب التي شاهدها الناس
وهي أعمال لطيفة لا تحيل طبعا أصلاً^(١).

١٣٥ - قال أبو محمد:

خطر لي مد على تحقيق المد المتوارث عند آل عبد الله بن علي
الباجي.

وهو عند أكبرهم لا يفارق داره.

(١) الفصل ٧٣/٥ - ٧٤ ق و ٤/٥ - ج.

أخرجه إليّ ثقتي الذي كلفته ذلك علي بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن علي المذکور.
أخذه وخرطه على مد أحمد بن خالد.

وأخبره أحمد بن خالد أنه خرطه على مد يحيى بن يحيى الذي أعطاه إياه ابنه عبيد الله بن يحيى بن يحيى.
وخرطه يحيى على مد مالك.

ولا شك أن أحمد بن خالد صححه أيضا على مد محمد بن وضاح الذي صححه ابن وضاح بالمدينة.

قال أبو محمد: ثم كلته بالقمح الطيب ثم وزنته فوجدته رطلاً واحداً ونصف رطل بالفلفي لا يزيد حبة.

وكلته بالشعير إلا أنه لم يكن بالطيب فوجدته رطلاً واحداً ونصف أوقية.

قال أبو محمد: وهذا أمر مشهور بالمدينة منقول نقل الكافة صغيرهم وكبيرهم وصالحهم وطالحهم وعالمهم وجاهلهم وحرائرهم وإمائهم كما نقل أهل مكة موضع الصفا والمروة ولا فرق.

وكمّن يعترض على أهل المدينة في القبر والمنبر والبقيع.

وهذا خروج عن الديانة والمعقول^(١).

١٣٦ - قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن شعر ابن شخيص:

ومنه ما أنشدني أبو محمد علي بن أحمد:

ومعتلة الأجفان ما زلت مشفقا عليها ولكني ألد اعتلاها
جفون أجال الحسن فيهن فترة فحل عرى الأجال منذ أجالها
فهل من شفيح عند ليلى إلى الكرى لعلّي إذا ما نمت ألقى خيالها

(١) المحل ٢٤٥/٥ - ٢٤٦ق وقد أورد هذا التحذير المقرئ في نفع الطيب ٥١٥/٢ - ٥١٦ عن ذيل الروضتين لابن أبي شامة. وراجع رسالة المقرئ ومصطفى الذهبي ضمن الرسائل التي نشرها أنستاس الكرمل.

يقولون لي صبرا على مطل وعدّها وما وعدت ليلى فأشكو مطاها
وما كان ذنبي غير حفظ عهدّها وطبي هواها واحتمالي دلالها^(١)

١٣٧ - قال أبو محمد عند قوله بأن إطالة خطبة الجمعة لا تجوز:
شهدت ابن معدان في جامع قرطبة قد أطل الخطبة حتى أخبرني
بعض وجوه الناس أنه بال في ثيابه وكان قد نشب في المقصورة^(٢).

١٣٨ - قال الحميدي عن ابن الفرضي:
أخبرني أبو محمد علي بن محمد قال:
أخبرني أبو الوليد الفرضي قال:

تعلقت بأستار الكعبة، وسألت الله الشهادة.

ثم انحرفت، وفكرت في هول القتل، فندمت، وهممت أن أرجع
فأستقيل الله ذلك، فاستحييت.
قال أبو محمد:

فأخبرني من رآه بين القتل، فدنا منه، فسمعته يقول بصوت ضعيف
وهو في آخر رمق:

لا يكلم أحد في سبيل الله - والله أعلم بمن يكلم في سبيله - إلا
جاء يوم القيامة وجرحه يشغب دما اللون لون الدم، والريح ريح المسك.
كأنه يعيد على نفسه الحديث الوارد في ذلك.
قال: ثم قضى نحبه على إثر ذلك^(٣).

١٣٩ - قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن محمد بن إسحاق بن السليم:

أخبرني الفقيه أبو محمد علي بن أحمد قال:
أخبرني الفقيه القاضي أبو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث

(١) الجذوة ص ٩١ ج ١ وص ٨٤ - ٨٥ ق والبغية ص ١٢٩ - ١٣٠ ج ١ وص ١١٩ ق.

(٢) المحلى ٦٠/٥ - ٦١ ق.

(٣) الجذوة ص ٢٥٥ ج ١ وص ٢٣٨ ق والبغية ص ٣٣٥ ج ١ وص ٣٢٢ ق.

المعروف بابن الصفار: أن رجلا من أهل المشرق يعرف بالشيبياني دخل الأندلس، فسكن قرطبة على شاطئ الوادي بالعيون فخرج قاضي الجماعة ابن السليم يوما لحاجة، فأصابه مطر اضطره إلى أن دخل بدابته في دهليز الشيبياني فوافقه فيه فرحب بالقاضي وسأله النزول فنزل وأدخله إلى منزله وتقارضا في الحديث فقال له:

أصلح الله القاضي عندي جارية مدينية^(١) لم يسمع بأطيب من صوتها!

فإن أذنت أسمعك عشرا من كتاب الله عز وجل وأبياتا؟
فقال له: أفعل.

فأمر الجارية فقرأت ثم أنشدت فاستحسن ذلك القاضي وعجب منه.

وكان على كفه دنانير فأخرجها وجعلها تحت الفرش الذي جلس عليه، ولم يعلم بذلك صاحب المنزل.

فلما ارتفع المطر ركب القاضي وودعه الشيبياني فدعا القاضي له ولجاريته، وقال له: قد تركت هنالك شيئا فهو للجارية تستعين به في بعض حوائجها.

فقال له الشيبياني: سبحان الله أيها القاضي!

فقال: لا بد من ذلك أقسمت عليك لتفعلن.

فدخل الشيبياني فأخذ الصرة فوجد فيها عشرين دينارا.

١٤٠ - قال الحميدي عن عمر بن شعيب:

ذكره أبو محمد علي بن أحمد وقال:

إنه كان من فل الربضيين، وإنه الذي غزا أقریطش وافتتحها بعد الثلاثين ومئتين، وتداولها بنوه بعده إلى أن كان آخرهم عبد العزيز بن

(١) الجذوة ص ٤٣ - ٤٤ ج ٤١ ق وصاحب البغية لم يسند الخبر إلى ابن حزم.

شعيب الذي غنمها في أيامه أرمانيوس بن قسطنطين ملك الروم سنة خمسين وثلاث مئة.

وكان أكثر المفتحين لها معه أهل الأندلس^(١).

قال أبو عبد الرحمن: الراجع أن هذا النص من كتابه عن أوقات الأمراء بالأندلس.

١٤١ - قال أبو محمد:

وكتاب جمعه أبو غالب تمام بن غالب المعروف بابن التبان في اللغة لم يؤلف مثله اختصارا وإكثارا وثقة نقل وهو أظن في الحياة بعد.

وها هنا لا ينبغي أن تخلو رسالتنا منها وهي أن أبا الوليد عبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بابن الفرضي حدثني أن أبا الجيش مجاهدا صاحب الجزائر ودانية وجه إلى أبي غالب أيام غلبته على مرسية وأبو غالب ساكن بها ألف دينار أندلسية على أن يزيد في ترجمة الكتاب المذكور ما ألفه تمام بن غالب لأبي الجيش مجاهد فرد الدنانير وأبى من ذلك ولم يفتح في هذا بابا ألبته وقال: والله لو بذل لي الدنيا على ذلك ما فعلت ولا استجزت الكذب لأنني لم أجمعه له خاصة بل لكل طلب.

فأعجب لهمة هذا الرئيس وعلوها وأعجب لنفس هذا العالم ونزاهتها^(٢).

(١) الجذوة ص ٢٨٢ - ٢٨٣ ق و ٣٠١ ج والبيعة ص ٤٠٧ ج وص ٣٩٤ ق.

(٢) رسالة ابن حزم عن فضل الأندلس المطبوعة بفتح الطيب ١٧١/٣ - ١٧٢ وانظر الخلاف حول ولاية مجاهد في كتاب دول الطوائف ص ١٨٥ والنص أورده الحميدي في الجذوة ص ١٨٣ ج وص ١٧٢ ق والبيعة ص ٢٥٢ ج وص ٢٣٦ ق. قال أبو عبد الرحمن: حتى يحقق الصلة لابن بشكوال بهامش في نسخة الأصل مؤداه أن ابن حزم إنما حدث عن شيخه أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن الفرضي المتوفي سنة ٤٠٣ هـ وأن ذكر ابن الفرضي باسم أبي عبد الله محمد بن عبد الله وهم من الحميدي.

قال أبو عبد الرحمن: في الجذوة والصلة أبو عبد الله محمد بن عبد الله. وهذا وهم وفي فضل الأندلس أبو الوليد عبد الله بن محمد بن عبد الله. قال أبو عبد الرحمن: إنما هو عبد الله بن محمد بن يوسف.

١٤٢ - قال الحميدي عن الفخري:
ذكره لي أبو محمد علي بن أحمد وأنشدني قال:
أنشدني أبو الحسن الفخري لنفسه بدانية:

الموت أولى بذى الآداب من أدب يبغى مكسبا من غير ذى أدب
ما قيل لي شاعر إلا امتعضت لها حسب امتعاضى إذا توديت باللقب
وما دها الشعر عندي سخف منزلة بل سخف دهر بأهل الدهر منقلب
صناعة هان عند الناس صاحبها وكان في حال مرجو ومرتب
يرجى رضاه ويخشى منه بادرة أبقى على حقب الدنيا من الحقب
إذا جهلت مكان الشعر عن شرف فأى مائرة أبقيت للعرب^(١)

١٤٣ - قال الحميدي:
قال أبو محمد علي بن أحمد:

أنشدني أبو الوفاء كامل بن عقيل البحتري لرجل من العرب لقيه
بالبادية وكان قد بعثه قومه رائدا وعاهدوه إن وجد خصباً ألا ينذر به بني
فلان لحي كانوا في طريقه.

قال: وكان له في ذلك الحي عجيبة.
قال: والعجيبة عندهم المحبوبة.

فمضى فارتاد فوجد الخصب فرجع إلى قومه، ليعلمهم وجعل
طريقه على ذلك الحي. وأراد أن يخصهم بمعرفة ذلك لمكان عجيبة وأن لا
يشافهم لمكان ما عاهد عليه.

فلما صار حيث يسمعون ضرب ناقته بالسوط وأنشأ يقول:

خطير من الوسمي أرخى شيوه كأن نداه مطلع الشمس لولو
تركنا بها الوحش الأوابد ترتعي ولا بد أنا زائلون فزولوا^(٢)

(١) الجذوة ص ٣٠٨ ح ٢٩٠ ق والبلغية ص ٤١٥ ح ٤٠٢ ق

(٢) الجذوة ص ٣٣٤ ح ٣١٤ - ٣١٥ ق والبلغية ص ٤٥٢ - ٤٥٣ ح ٤٣٨ ق

١٤٤ - قال الحميدي في كلامه عن ابن أبي الحسين:

ذكره لي أبو محمد علي بن أحمد، وأخبرني:

أنه سمعه ينشد الوزير أبا عمر أباه قصيدة له فيها أولها:

قفا إن نشر ارض بعض نسميه مغنى الهوى هذا فمن لرسومه؟
قفا نتذكر حسن أيام ريمه وما قد تولى طاعنا من نعيمه
ليالي كان الوصل فيهن طالعا مع البدر والمشغوف بغض نجومه^(١)

١٤٥ - قال الحميدي:

أنشدني أبو محمد علي بن أحمد قال:

أنشدني أبو المجد الفرات بن هبة الله قال:

أنشدني أبو سعيد الخليل بن أحمد البستي الشافعي وهو معي على
مأجل تونس بالقيروان:

تقنعت بالدجا شمس الضحى فبدا من تحت معجرها لام من السج
وأشرق الورد من تفاح وجنتها والسحر في طرفها بأدمع الدعج
وألست جسمها من أبيض يقق غلالة بطررتها من دم المهج
ولو بدت في ظلام لاستنار بها وكان إشراقها يغني عن السرج^(٢)

١٤٦ - وقال الحميدي في كلامه عن أحمد بن شهيد أخبرني أبو محمد
علي بن أحمد قال:

أخبرني أبو محمد عبد الله بن محمد بن جهور:

أن ذا الوزارتين أحمد بن عبد الملك بن عمر بن شهيد زار جده عبد

(١) الخدوة ص ٢٦٠ ج ١ وص ٢٤٢ والبيعة ص ٣٤٢ - ٣٤٣ ج ١ وص ٣٢٩ ق

(٢) الخدوة ص ٣٢٨ ج ١ وص ٣٠٩ والبيعة ص ٤٤٥ ج ١ وص ٤٣٩ وترجمة الفرات في الفعلة

الملك بن جهور، فوافقه محجوبا، فلم يصل إليه، فكتب إليه:

أتيناك لا عن حاجة عرضت لنا إليك ولا قلب إليك مشوق
ولكننا زرنا بضعف عقولنا حمارا تولى برنا بعقوق

فأجابه عبد الملك:

حجبتناك لما زرتنا غير تائق بقلب عدو في ثياب صديق
وما كان يبطار الشام لموضع يياشر فيه برنا بخلق^(١)

١٤٧ - استدل أبو محمد على أن الزمان متناه ضرورة.

ودليله على ذلك ما يلي:

(إن ما وقع من الزمان إلى يومنا هذا مساو لما من يومنا إلى ما وقع
من الزمان معكوسا.

وواجب فيه الزيادة بما يأتي من الزمان.

والمساوي لا يقع إلا في ذي نهاية.

فالزمان متناه ضرورة).

قال أبو محمد: (وقد ألزمت بعض الملحدين وهو ثابت بن محمد
الخرجاني هذا البرهان فأراد أن يعكسه عليّ في بقاء الباري عز وجل
ووجودنا إياه، فأخبرته بأن هذا شغب ضعيف مضمحل ساقط، لأن
الباري تعالى ليس في زمان ولا له مدة، لأن الزمان إنما هو حركة كل ذي
زمان وانتقاله من مكان إلى مكان أو مدة بقاءه ساكنا في مكان واحد،
والباري تعالى ليس متحركا ولا ساكنا ولا شك أنه ليس في زمان ولا له
مدة في مكان أصلا وليس هو جرما ولا جوهرًا ولا عرضا ولا عددا ولا
جنسا ولا نوعا ولا فصلا ولا شخصا ولا متحركا ولا ساكنا. أهـ)^(٢).

(١) الجذوة ص ١٣١ - ١٣٢ ج ١ ص ١٢٣ وبعية الملتبس ص ١٩٠ ج ١ ص ١٧٧ - ١٧٨ ق.

(٢) الفصل ١٥/١ ق ١٧/١ - ١٨ ج.

قال أبو عبد الرحمن: تناهي الزمان ضرورة معقولة بالحس والمشاهدة، وأزلية الباري سبحانه بديهية معقولة بضرورة الشرع.

والشناعة في قول أبي محمد - رحمه الله - عن الباري سبحانه:

ليس متحركا ولا ساكنا... إلخ، لأن المنهج إثبات ما أثبتته الله لنفسه، ونفي ما نفاه عن نفسه، والوقوف عند ما لم يرد عنه نص، لأن تسمية الباري لا تجوز إلا بتوقيف.

١٤٨- قال الحميدي في كلامه عن حسان بن مالك:
وأشدني له أبو محمد علي بن أحمد وقال:

إنه كتب إلى المستظهر عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر المسمى بالخلافة أيام الفتنة:

إذا غبت لم أحضر وإن جئت لم أسل فسيان مني مشهد ومغيب فأصبحت تيميا وما كنت قبلها لتيما ولكن الشبيه نسيب

أشار في هذا البيت إلى قول الشاعر:

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستأذنون وهم شهود^(١)

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن: شيخ ابن حزم في هذه الرواية هو أبو عبدة حسان بن مالك بن أبي عبدة. من أحفاد أبي عبدة حسان بن مالك بن عبد الله بن جابر المتوفى سنة ١٥٠ هـ تقريبا وزير عبد الرحمن الداخل دخل الأندلس سنة ١١٣ قبل دخول الداخل، وجده عبد الله مملوك لمروان بن الحكم^(٢).

(١) الجذوة ص ١٨٤ و ص ١٩٦ - ١٩٧ ج والبعية ص ٢٧١ ج و ص ٢٥٦ ق.

(٢) الأعلام ٢/ ١٩٠ عن الحلة السيرة.

قال الحميدي عن أبي عبدة الحفيد: الوزير من الأئمة في اللغة والآداب، ومن أهل بيت جلالة ووزارة. مات عن سن عالية قبل العشرين وثلاث مئة اهـ. وتبعه في هذا التأريخ ياقوت الحموي.

قال أبو عبد الرحمن: الصواب ما ذكره ابن بشكوال. قال: من أهل قرطبة يكنى أبا عبدة توفي في شوال سنة ست عشرة وأربع مئة^(١).

وعن سبب هذين البيتين اللذين قالهما أبو عبدة يقول ابن خاقان في المطمح متحدثا عن أبي عبدة: واستوزره المستظهر عبد الرحمن بن هشام أيام الفتنة فلم يرض بالحال ولم يمض في ذلك الانتحال وتناقل عن الحضور في كل وقت وتغافل في ترك الغرور بذلك المقت.

وكان المستظهر يستبد بأكثر تلك الأمور وينفرد مغيبا عنه شؤونه، فكتب إليه. ثم ذكر ابن خاقان البيتين.

وأورد المقرئ هذه الأبيات لأبي عبدة يعاتب فيها المستظهر:

إذا كان مثلي لا يجازي بصبـره	فمن ذا الذي بعدي يجازي على الصبر
وكم مشهد حاربت فيه عدوكم	وأملت في حربي له راحة الدهر
أخوض إلى أعدائكم لجح الوغى	وأسري إليهم حيث لا أحد يسري
وقد نام عنهم كل مستبطن الحشا	أقول إلى المسمى نؤوم إلى الظهر
فما بال هذا الأمر أصبح ضائعا	وأنت أمين الله تحكم في الأمر؟!

* قال أبو عبد الرحمن: والمستظهر بويج بالخلافة سنة ٤١٤ هـ وقتل بعد ٤٧ يوما من ولايته لم ينتظم له فيها أمر ولا تجاوزت دعوته قرطبة.

قال أبو عبد الرحمن: والراجح أن هذا الخبر من كتاب ابن حزم عن أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس وهو من كتبه التي لا تزال مفقودة.

(١) من مصادر ترجمته: جذوة المقتبس ١٨٣ - ١٨٤ والنصلة ١٥٣/١ وبغية المنير ص ٢٧١ الطبعة الأخيرة ومطمح النفس ص ٣٠ ومعجم الأدباء ٢٢١/٧ - ٢٢٥ ونصح الطب ٤٣٦/١ - ٤٣٧ و ٥٤٧/٣ - ٥٤٩ وبغية الوعاة ٥٤٤/١ والأعلام ١٨٩/٢ - ١٩٠ و ٦٨/١٠ والمستترك الثاني (ملحق الأعلام) ص ٦٠ ومعجم المؤلفين ١٩٢/٣.

قال أبو عبد الرحمن: كل النصوص التي نقلناها من الجذوة عن طريق أبي عبدة موجودة في مصادر ترجمته يرجع لها من أراد ضبط النصوص ومقارنتها.

١٤٩ - قال الحميدي عن ابن محاسن:

ذكره أبو محمد علي بن أحمد وقال لنا:

أخبرني أبو بكر بن أبي الفياض قال:

كتب عثمان بن محاسن على باب داره باستعجة:

يا عثمان لا تطمع^(١).

١٥٠ - قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن ابن عبد الوارث:

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد:

أنه رأى يحيى بن مالك بن عائد وهو شيخ كبير يهادي إلى المسجد

وقد دخل والصلاة تقام قال: فسمعتة ينشد بأعلى صوته:

يا رب لا تسلبني حبها أبدا ويرحم الله عبدا قال آمينا

قال: فلم أشك أنه يريد الصلاة!.

وقال الحميدي عن ابن عبد الوارث: أخبرني أبو محمد أنه كان

معلمه^(٢).

قال أبو عبد الرحمن: ترجمة ابن عبد الوارث في الصلاة ٢٣/١.

١٥١ - وقال الحميدي:

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال:

حدثنا عبد الرحمن بن سلمة قال:

أخبرني أحمد بن خليل:

قال: وأخبرنا خالد قال:

(١) الجذوة ص ٣١٦ ج ١ وص ٢٨٨ ق والبيعة ص ٤١٣ ج ١ وص ٤٠٠ - ٤٠١ ق.

(٢) الجذوة ص ١٠٧ ج ١ وص ٩٩ والبيعة ص ١٥٤ ج ١ وص ١٤٣ ق وترجمة ابن عبد الوارث في الصلاة ٢٣/١.

حدثنا أحمد بن خالد قال :
حدثنا يحيى بن عمر قال :
أخبرنا الحارث قال :
أخبرنا ابن وهب قال :
سمعت مالكا يقول :
دخلت على أبي جعفر فرأيت غير واحد من بني هاشم يقبل يده
المرتين والثلاثة في اليوم .

قال مالك :

ورزقني الله تعالى العافية فلم أقبل له يدا قال : وأخبرنا ابن وهب
قال :

قال مالك : لم يكن نافع يفتي في حياة سالم بن عبد الله .
قال مالك :
وكان نافع قليل الفتيا^(١) .

١٥٢ - قال الحميدي :

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال :
حدثنا عبد الرحمن بن سلمة قال :
أخبرني أحمد بن خليل قال :
حدثنا خالد بن سعد قال :
أخبرنا أحمد بن خالد قال :
أخبرنا يحيى بن عمر قال :
أخبرنا عمرو بن الحارث بن مسكين قال :
أخبرنا ابن وهب قال :
قال لي مالك :
الحكم على وجهين :

(١) الجذوة ص ٣٧٨ ج ١ و ص ٣٥٥ في البعية ص ٥٠٥ - ٥٠٦ ج ١ و ص ٤٩١ في شرح .

فالذي يحكم القرآن والسنة الماضية: فذلك الصواب والذي يجهد نفسه فيما لم يأت فيه شيء فلعله (يعني يوفق).
قال: وثالث متكلف لما لا يعلم فما أشبه ذلك أن لا يوفق^(١).

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن: عن الكنازي قال ابن الأبار:
من أهل مالقة يعرف بالربي يكنى أبا عبد الله سمع من أبي محمد
الباجي وأبي الحسن الأنطاكي وأبي محمد بن قاسم القلعي وأبي محمد
الأصيلي وأبي عبد الله بن موهب القبري وغيرهم.
حدث عنه أبو محمد بن غانم بن وليد الأديب ووقفت على إجازته لأبي
محمد بن حزم وأبي بكر بن إسحاق الكاتب وأبي الحسن بن بطلال
ومصعب بن أبي الوليد بن الفرضي في غرة صفر سنة ٤٠٨^(٢).

١٥٣ - قال الحميدي:

أنشدني أبو محمد علي بن أحمد قال:

أنشدني الوزير أبو مروان عبد الملك بن يحيى بن أبي عامر في
تزويج المظفر عبد الملك بن المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر حبيبة
بنت عبد الله بن يحيى بن أبي عامر من عبد الملك بن قند وهو
مولاهم.

قال أبو محمد:

وأظنها لأبي مروان، وقيل إنها لأبي حفص بن عسقلانة:

عربيٌّ مزوّجٌ عبده بنت أخته
قُبْحُ الله مثلُ ذا ورماء بمقته^(٣)

(١) الخذة ص ٣٧٨ ج ١ و ص ٣٥٥ في اللغة ص ٥٠٦ ج ١ و ص ٤٩٠ في عن شريح.

(٢) التكملة ٣٧٩/١.

(٣) الخذة ص ٣٩٦ ج ١ و ص ٣٧٢ في اللغة ص ٥٢٢ ج ١ و ص ٥٠٧.

١٥٤ - قال الحميدي في كلامه عن طاهر بن محمد :

أنشدني له أبو محمد علي بن أحمد إلى المنصور أبي عامر يستأذن في
الوصول إليه :

أتيت أكحل طرفي في نور وجهك لحظة
ولا أزيدك بعد (م) التسليم والشكر لفظة^(١)

١٥٥ - قال الحميدي :

قال لنا أبو محمد علي بن أحمد :

ومن عجائب الدنيا التي لا تكاد يتفق مثلها :

أن صاعد بن الحسن اللغوي أهدى إلى المنصور أبي عامر أيلًا وكتب
معه هذه الأبيات :

يا حرز كل مخوف وأمان كل	مشرّد ومعرز كل مذلل
جدواك إن تخصص به فلاهله	وتعم بالإحسان كل مؤمل
كالغيث طبق فاستوى في وبله	شعث البلاد مع المراد المبقل
الله عونك ما أبرك بإلهدي	وأشد وقعك في الضلال المشغل
ما إن رأت عيني وعلمك شاهدي	شروي علائك في معم مخول
أندى بمقربة كسرحان الفضا	ركضا وأوثر في مثار القسطل
مولاي مؤنس غرّيتي متخطفي	من ظفر أيامي ممنع معقلي
عبد نشلت بضبعه وغرسته	في نعمة أهدى إليك بأيل
سميته غرسية وبعثته	في حبله ليتاح فيه تفاؤلي
فلئن قبلت فإن أسى نعمة	أسدى بها ذو منحة وتطول
صحتك غادية السرور وجللت	أرجاء ربعت بالسحاب المحض

(١) اجذوة ص ٢٤٦ ج و ص ٢٢٩ ق والغية ص ٣٢٦ ج و ص ٣١٣ ق وذكر أن طاهراً وفد
على المنصور فقال الحميدي في التذكرة: قال لي أبو محمد ورأيت في بعض الكتب أنه
سأل الوزير أبي الحسن الله - سبحانه - إليه يسأله الإذن عليه ثم سأل الخبر فسمي بذلك بين
منه ورقة ٢٨٧ بخط سبط الخافض ابن حجر العسقلاني.

ففضي في سابق علم الله عز وجل وتقديره أن غرسية بن شانجة من ملوك الروم وهو أمتع من النجم أسر في ذلك اليوم بعينه الذي بعث فيه صاعد بالأيل.

وسماه «غرسية» تفاؤلا بأسره.

هكذا فليكن الجد للصاحب والمصحوب.

وكان أسر غرسية في ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وثلاث مئة^(١).

وقال ابن بشكوال: قال أبو محمد بن حزم توفي صاعد رحمه الله بصقلية في سنة ٤١٧ هـ ، وأخذ عن أبي الخطاب العلاء بن حزم وسمع منه في البحر في انصرافهما إلى الأندلس^(٢).

١٥٦ - قال الحميدي عن عبد الله بن الناصر:

ذكره أبو محمد علي بن أحمد وقال:

كان فقيها شافعيا شاعرا إخباريا متسككا قال: ومن شعره:

أما فؤادي فكاتم ألمه لو لم يبح ناظري بما كتبه
ما أوضح السقم في ملاحظ من يهوى وإن كان كاتما سقمه
ظلمت أبكي وظل يعذلني من لم يقاس الهوى ولا علمه
إليك عن عاشق بكى أسفا حبيبته في الهوى وإن ظلمه
ظلت جيوش الأسى تقاتله منذ نذرت أعين الملاح دمه^(٣)

١٥٧ - قال الحميدي في كلامه عن ثابت بن محمد:

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد قال:

(١) الجذوة ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ج و ص ٢٢٦ - ٢٢٧ ق والبيغة ص ٣٢٢ - ٣٢٣ ج و ص ٣٠٩ - ٣١١ ق.

(٢) الصلة ١/ ٢٣٣ - ٢٣٤.

(٣) الجذوة ص ٢٦٢ - ٢٦٣ ج و ص ٢٤٤ ق والبيغة ص ٣٤٧ ج و ص ٣٣٣ - ٣٣٤ ق وقال أبو محمد: وأما عبد الله بن الناصر فكان شاعرا فقيها على مذهب الشافعي اتصل بأبيه عنه أنه يكره سوء سيرته وخوره فقتله لذلك وكان لعبد الله هذا ابن اسمه الزبير له عقب باق (جمهرة أنساب العرب ص ١٠٢) قال أبو عبد الرحمن: وترجم له صاحب البيغة مرتين.

أخبرني أبو عمرو البراء بن عبد الملك الباجي قال :

لما ورد أبو الفتوح الجرجاني الأندلس كان أول من لقي من ملوكها
الأمير الموفق أبو الجيش مجاهد العامري فأكرمه ، وبالف في بره .

فسأله يوماً عن رفيق له :

من هذا معك؟

فقال :

رفيقان شتى ألف الدهر بيننا وقد يلتقي الشتى فيأتلفان

قال أبو محمد : ثم لقيت بعد ذلك أبا الفتوح فأخبرني عن بعض
شيوخه أن ابن الأعرابي رأى في مجلسه رجلين يتحدثان فقال لأحدهما :

من أين أنت؟

فقال : من استيجاب .

وقال للآخر : من أين أنت؟ .

قال : من الأندلس .

فعجب ابن الأعرابي وأنشد البيت المتقدم ثم أنشدني تمامها :

نزلنا على قيسية بمنية لها نسب في الصالحين هجان
فقلت وأرخت جانب الستر دوننا لأية أرض أم من الرجلان؟
فقلت لها : أما رفيقي فقومه غيم وأما أسرتي فييمان
رفيقان شتى ألف الدهر بيننا وقد يلتقي الشتى فيأتلفان^(١)

قال أبو عبد الرحمن : البراء بن عبد الملك الباجي لم أجد من تاريخ
حياته غير وصفه بالوزير^(٢) .

(١) الجدوة ص ١٨٤ - ١٨٥ ج و ص ١٧٣ ق والبغية ص ٢٥٣ - ٢٥٤ ج و ص ٢٣٧ ق وورد
هذا النص محققاً في رسائل ابن حزم ٢/٢٢٧ - ٢٢٨ ج وأورده الخميني في الجدوة ورقة
٢٨٢ - ٢٨٣ ضمن مجموع مسط ابن حجر

(٢) الجدوة ص ١٧١ - ١٧٣ والصلة ١/١٢١ والإكمال ١/٤٦٧ .

١٥٨ - قال الحميدي عن إبراهيم الطنبلي :

وأنشدني له [يعني الطنبلي] من قصيدة طويلة في مدح أبي العاص
حكم بن سعيد بن حكم القيسي وزير دولة المعتد قال أبو محمد :
وسمعتة ينشده إياها ومنها :

إن الرسوم إذا اعتبرت نواطق فسل الربوع تحيك عند سواها
بأبى الفناء يرى فناء عامرا ويروم نقص الحال عند كمالها
قد أجهلت جمل ولكن ضيعت إجمالها يوم ارتحال جماها^(١)

١٥٩ - قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن ابن بدر :

ذكره أبو محمد علي بن أحمد وكناه أبا بكر وقال :

أنشدني له أبو الوليد محمد بن محمد بن الحسن الزبيدي مما كتب به
إلى أبي الحكم المنذر بن سعيد بن محمد بن مروان بن المنذر بن عبد
الرحمن بن الحكم في عتاب كان بينه وبينه :

يا ذا الذي لا يصون عرضي ومذهبي فيه أن أصونه
رأيت إذ لم تكن حليما في سورة الغيظ أن أكونه^(٢)

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن : أبو الوليد من أهل أشيلية نزل المرية واستقضي بها^(٣).

(١) الخزانة ص ١٥٨ - ١٥٩ ج ١ ص ١٥٠ ق والبقية ص ٢٢٧ ج ١ ص ٢١٣ ق والطنبلي هو
إبراهيم بن يحيى بن محمد بن حسين بن أسد التميمي الحماي السعدي ولد سنة ٣٩٦
وهو في سنة ٤٦١ بكنى أبا بكر من أهل فرطية، وهو من أصدقاء أبي محمد ترجمته في
الصلة ٩٦/١ - ٩٧.

(٢) الخزانة ص ١٠٦ - ١٠٧ ج ١ ص ٩٩ ق والبقية ١٥٤ ج ١ ص ١٤٢ - ١٤٣ ق وأحمد بن
محمد بن بدر من الأثريين عند ابن عامر فعمل هذا النص من كتاب أبي محمد عن
الشعراء الوافدين على المنصور.

(٣) الصلة ٥٠٩/٢ - ٥١٠.

وذكر الحميدي أنه شاهده وسمع منه بعد ٤٤٠ هـ بالمرة.

١٦٠ - قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن أبي القاسم الزبيدي:
قال لي أبو محمد علي بن الوزير أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم:
إلا أنه كان شديد العجب، فأخبرني ابن عمي أبو عمر أحمد بن عبد
الرحمن قال:

كتب أبو القاسم بن الزبيدي إلى الوزير أبيك كتاباً يرغب فيه إليه
أن يحسن العناية به في بعض الأمور وكتب في آخر الكتاب:
ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له ما من صداقته بد
قال ابن عمي فأخبرني عمي يعني الوزير أبا عمر وقال:
فحولت الكتاب ووقعت على ظهره ولم أزد:
ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى صديقاً له ما من عداوته بد^(١)

التعليق على النص

* قال الحميدي عن ابن عم أبي محمد:
أبو عمر أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم كان من أهل الفضل
والعلم تولى الحكم بالجانب الغربي من قرطبة للمهدي محمد بن
هشام بن عبد الجبار بن الناصر.
ذكره أبو محمد علي بن أحمد وهو من بني عمه^(٢).
وقال ابن بشكوال: أبو عمر أحمد بن عبد الرحمن بن غاب بن حزم من
أهل قرطبة روى عن عباس بن أصبغ وأبي محمد الأصيلي وغيرهما.
ذكره أبو محمد بن خزرج وقال: كان شيخاً جليلاً من أهل الوقار

(١) جذوة المفنيس ص ١٠٦ ج ١ و ص ٩٨-٩٩ ق والبغية ص ١٥٣ ج ١ و ص ١٤٢ ق وورد هذا
النص محققاً في رسائل ابن حزم ٢/٢٢٧ ج ٢.

(٢) الجذوة ص ١٣١.

والتصاوان، وتوفي بأشبيلية سنة سبع وعشرين وأربع مئة ومولده سنة
ستين وثلاث مئة^(١).

١٦١ - قال الحميدي عن جعفر بن عثمان:

أنشدني له أبو محمد علي بن أحمد:

يا ذا الذي أودعني سره لا ترج أن تسمعه مني
لم أجره بعدك في خاطري كأنه ما مر في أذني^(٢)

قال أبو عبد الرحمن: هذا من رجال السلطة فالظاهر أن النص
عن الأوقات.

١٦٢ - قال الحميدي عن الغزال:

أنشدني أبو محمد علي بن أحمد قال:

أنشدني أبو عبد الله محمد بن عمر بن مضاء للغزال:

قال لي يحيى وصرنا (م) بين موج كالجبال
وتولتينا عصفوف من جنوب وشمال
شقت القلعين وانبتت (م) عرى تلك الحبال
وتعطى ملك الموت إلينا عن حبال
لم يكن للقوم فينا يا رفيقي رأس مال^(٣)

١٦٣ - قال الحميدي:

أنشدني أبو محمد علي بن أحمد الفقيه قال:

(١) الصلة ٤٦/١ - ٤٧.

(٢) الجذوة ص ١٨٧ - ١٨٨ ج و ص ١٧٥ ق والبغية ص ٢٥٧ ج و ص ٢٤٠ ق وأورد الحميدي
هذا النص في التذكرة ورقة ٢٨٧ ضمن مجموع سبط ابن حجر.

(٣) الجذوة ص ٣٧٤ - ٣٧٥ و ص ٢٥١ - ٢٥٢ ق والبغية ص ٥٠٠ ج و ص ٤٨٥ ق ولم أجد
عن ابن مضاء سوى قول الحميدي: من أهل الأدب مشهور بالفضل ذكره أبو محمد علي
ابن أحمد ص ٧٦ - ٧٧.

أنشدني إبراهيم بن قاسم الأذربيلسي قال:
أنشدنا أبو جعفر القروي قال:

أنشدني أبو عمران موسى بن أصبغ المرادي الأندلسي المنقطع إلى
الله الساكن بصقلية وكان كثير الشعر في الزهد، وذكر قصيدة طويلة منها:

متى يعتلي ويذكى سنا لبي
وأسقى بكأس الصدق من مائه العذب
فتحيا به نفس أضربها المني
ويحزن لي عيشي ويعذب لي شربي
وينعش أفكاري بروح نسيمه
ويرضى الرضى روعي وهوى التقى قلبي^(١)

١٦٤ - قال أبو محمد:

لما كانت الخلافة من الله على منهاج رسوله، وإقامة شعائر دينه،
احتاج الناس إلى من يقوم فيهم مقام نبيهم لا لتألف برهته الأهواء
المختلفة، وتجتمع بهيته الأقوال المتفرقة، وتنكف بسطوته الأيدي المتغالبة،
وتنقمع من خوفه النفوس المعاندة، لأن في طباع البشر من حب المغالبة
والقهر ما لا ينفكون عنه إلا بمانع قوي وراذع كفي.

فلما تحقق ذلك الصحابة والمؤمنون، واجتمع على الأخذ به العقلاء
والمسلمون، لم يكن بد من اجتماع على إمام:

١ - يحفظ الدين من تبديل فيه أو زيادة عليه، ويحث على العمل به من غير
إهمال له.

٢ - ويذب عن الأمة من عدو في الدين.

٣ - وعمارة البلدان باعتماد مصالحها، وتمهيد سبلها ومسالكها.

(١) الجدوة ص ٣٣٧ ج ١ و ص ٣١٦ ق والبنية ص ٤٥٥ ج ١ و ص ٤٤٠ ق وترجمة الأذربيلسي في
الصلة ١٠١/١ - ١٠٢.

٤ - وتنفيذ ما يتولاه المسلمون من الأموال بسنن الدين، من غير تحريف في أخذها وإعطائها.

٥ - ومعاونة المظالم والأحكام بالتسوية بين أهلها واعتماد النصفة في فصلها، وإقامة حدود الله على مستحقها، من غير تجاوز فيها، ولا تقصير عنها.

أقام الصحابة رضي الله عنهم أبا بكر رضي الله عنه مقام رسول الله ﷺ ثم عمر، ثم عثمان ثم علي مع خلاف عليه رضي الله عنهم أجمعين ثم لم يزل العمل جاريا على ذلك حتى الآن، بلا خلاف فيه بين المسلمين^(١).

١٦٥ - قال أبو محمد:

فصل فيما يلزم الإمام من أمور الأمة وهي عشرة أشياء:

١ - حفظ الدين على أصوله المستقرة، وما أجمع عليه سلف الأمة، وإن نجم مبتدع فيه، أو زاغ ذو شبهة عنه، أوضح له الحجة، وبين له الصواب وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود، ليكون الدين محروسا من خلل الأمة ممنوعة من زلل.

٢ - تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين، وقطع الخصام بين المتنازعين، حتى تعم النصفة، فلا يتعدى ظالم، ولا يستضعف مظلوم.

٣ - الحماية والذب عن الحريم، ليتصرف الناس في المعاش، ويتشروا في الأسفار آمنين من تغرير بنفس أو مال.

٤ - إقامة الحدود، لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك وتحفظ الأمة عن إتلاف واستهلاك.

٥ - تحصين الثغور بالعدة المانعة، والقوة الدافعة حتى لا يظفر الأعداء بغرة ينتهكون بها محرما، أو يسفكون فيها لمسلم أو معاهد دما.

٦ - جهاد من غاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة

(١) انبأ الأول من الشهاب اللامعة لابن رضوان عن مقالة محمد إبراهيم الكنتاني بمجلة نظران.

ليقام بحق الله تعالى في إظهاره على الدين كله.

- ٧ - جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصاً أو اجتهاداً.
- ٨ - تقدير العطا وما يستحق من بيت المال، من غير سرف ولا تقصير ودفعه في وقته لا تقديم ولا تأخير.
- ٩ - استكفاء الأمناء، وتقليد النصحاء، فيما يفوضه إليهم من الأعمال ويكل إليهم من الأموال، لتكون الأعمال بالأكفاء مضبوطة، والأموال بالأمناء محوطة.
- ١٠ - أن يباشر بنفسه مشاركة الأمور، وتصفح الأحوال، لينهض بسياسة الأمة، وحراسة الملة^(١).

١٦٦ - قال أبو محمد:

يجب على الإمام أن يجعل يوماً في الجمعة يركب فيه فتراه العامة كلها، ولا يمنع منه مشتك كائناً من كان^(٢).

ويجعل سائر أيامه للنظر في الأمور، ولا يسرف على نفسه، لكن طرفي النهار من صلاة الصبح إلى ثلاث ساعات من النهار، ومن صلاة العصر إلى إسفار الشمس، ويجعل وسط نهاره لراحة جسمه، والنظر في ماله وأهله^(٣).

ويمنع أهل الفضول من الوصول إليه، وملازمة داره ومجلسه، لئلا يشغل في مجالسة من لا يجدي عليه مصلحة في دينه ولا دنياه، وليغلق الباب دون ذلك جملة، فلا يطمع أحد في الوصول إليه لغير معنى^(٤).

ويجعل الإمام عشي نهاره إلى الاصفرار للجللاء ويختارهم من أهل العلم، والفضل، والعقل، وحسن التدبير يخوض معهم في الفقه وفي سائر

(١) الفصل الرابع من الباب الأول من الشهب اللامعة عن مجلة تطوان.

(٢) قال الكتاني: نقل هذه الفقرة ابن الأزرقي في بدائع النسل.

(٣) قال الكتاني: نقلها ابن الأزرقي وعقب عليها بنقل كلام الجاحظ الذي قال عنه: إنه أوسع من كلام ابن حزم.

(٤) قال الكتاني: نقله ابن الأزرقي.

العلوم الشرعية، وفي مذاكرة السياسة وأخبار الناس من الماضين فقد كان رسول الله ﷺ لا يجلس مع أصحابه ويذاكرهم ويشاورهم ويعلمهم، وكذلك كان الخلفاء بعده^(١).

وقال أبو محمد:

ينبغي للملك أن يفرغ نفسه في ليله لعياله ونسائه وولده، ويعدل في القسم بين نسائه^(٢).

١٦٧ - قال أبو محمد:

ويتخذ من وجوه الكتاب، ووجوه الأطباء، والعلماء، والقضاة والأمراء قوما ذوي آراء سديدة وكتمان للسر، فيجعلهم وزراءه الذين يحضرون مجلسه ويلازمونه في التدبير لجميع ما قلده الله تعالى من أمور عباده^(٣).

١٦٨ - قال ابن حزم:

إذا نزلت بالملك معضلة ليس عنده فيها يقين، شاور من أصحابه وولاة حدوده من يرجو عنده فرجا من ذلك، ويشاور في الحروب أهل الحرب وسياساتها. ويسأل عن كل علم أربابه، ولا يتكل على رأي أحد، ولا يطلعهم على ما يختار من رأيهم، فإذا انقضى ما عندهم أنفذ ما رآه مما سمع منهم أو من رأي نفسه إن رآه صلاحا^(٤).

١٦٩ - قال ابن حزم:

يأخذ الناس السلطان بالعمارة وكثرة الغراس، ويقطعهم الاقطاعات في الأرض الموات، ويجعل لكل أحد ملك ما عمره ويعينه على ذلك، فبذلك ترخص الأسعار، ويعيش الناس والحيوان، ويعظم الأجر، ويكثر الأغنياء ويكثر ما تحب فيه الزكاة.

قال: ولا يمنع الإمام من البنيان الواسع، وأن يبلغ به غاية الاتقان

(١) قال الكتاني: نقلها ابن الأزرقي. وجميع هذه النصوص نقلها الكتاني من الشهب اللامعة.

(٢) قال الكتاني: نقله ابن الأزرقي. وما هنا نقله الكتاني من الشهب اللامعة.

(٣) نقله الكتاني من الشهب اللامعة الباب السادس.

(٤) نقله الكتاني من الشهب اللامعة الباب السابع.

والقوة ولكن يمنع من التزويق والتزخريف (كذا) وما أشبه ذلك^(١).

١٧٠ - قال ابن حزم في سياسته :

ينبغي للإمام أن يولي الصلاة رجلا قارئا للقرآن، حافظا له، عالما بأحكام الصلاة والطهارة، فاضلا في دينه، خطيبا، فصيحيا، معربا فقيها في جميع ذلك.

ومن ولاة الإمام الصلاة بأهل بلد كانت له الجمعة والعيدين والصلوات الخمس المفروضات والكسوف والاستسقاء في جميع البلدة التي ولي صلاتها. وحكم منزل صاحب الصلاة أن يكون بقرب الجامع، كما كان مسجد رسول الله لأ.

ويتخذ مؤذنين أو ثلاثة، صيتين فاضلين فصيحين بالأذان، عالمين بالأوقات، ويجب على الإمام التوسعة عليهم إن كانوا فقراء لئلا يحتاجوا إلى الشغل فيخلُّوا بلزوم المسجد أوقات الصلوات.

ولا بد من خدمة يكتفون بقم المسجد وكنسه وتنظيفه ويسط حصره وتسوية حصاه إن كان مبسوطا بالحصى، وفتح أبوابه وإغلاقها، وتسوية صفوف المصلين.

ويجب على والي الصلاة أن يتفقد مساجد البلد الذي ولي الصلاة بأهله فيلزم أهل كل محلة أن يتولى إمامتهم أقرؤهم لكتاب الله، فإن استؤوا فأقدمهم صلاحا.

ويأخذهم بإقامة مؤذن راتب لكل مسجد، فإن لم يكن فيهم من يقوم بالصلاة والأذان تكفل لهم الإمام بإمام ومؤذن يجري عليها ما يكفيهما إن كانا فقيرين.

ويتعاهد والي الصلاة قبله ما أحدث من المساجد فيقيمها على شطر المسجد الحرام.

(١) نقه الكتاب من الشهب الالامعة الباب ٢٣

ويجري على ما ذكره من كل مال موقوف على مصالح المسلمين، فإن لم يكن هناك مال موقوف على ذلك جبر (كذا) الإمام الأكبر أهل كل محلة وقرية على القيام به^(١).

١٧١ - قال ابن حزم:

ويلزم الإمام أن لا يبحث عن شيء من الحدود كلها أصلاً إلا أن يجاهر بها صاحبها أو يشتكى إليه بفعل شيء منها فأبي هذين الوجهين كان لزمه السؤال عن ذلك والإرسال إليه، كإرسال النبي لا أنسا إلى المرأة، وسؤاله عليه السلام عن زنى الذي كان عسيفاً على الآخر إذ شكاً (كذا) إليه عليه السلام أمرهما^(٢).

١٧٢ - قال ابن حزم:

أما البريد فيلزم الإمام أن يرتب قوماً من فرسان الجند ويقدم عليهم رجلاً منهم موثقاً من أهل السياسة، والدلالة في الطرق والتبصر بالقبائل، يزيد في أرزاقهم، ويكونون مرتبين في كل قاعدة من قواعد بلاده، فإذا ناب خبر أو طرق أمر يجب على الإمام إعلام بعض أهل عمله به، أو يجب على بعض ولاته إعلام الإمام ويقلد الإمام أو الأمير بعض أولئك الفرسان إنهاءً إلى المكان الذي يجب انهاءً إليهم وتكون لهم علامة يعرفون بها لا يشركهم فيها غيرهم، ويكونون مشاهير بما تولوا من ذلك، ليصح ما يأتون به من عند أترابه من الأمراء وسائر الولاة.

قال: ومن نزل به بريد المسلمين لزمته ضيافته، من غير تقصير ولا إسراف وكذلك علف دوابهم، ويكونون من أهل المعرفة بالطرق، وقوة الأجسام ويأخذهم الإمام باستجادة الدواب واختيار القرى منها من البراذين والبغال، فإنها إن كانت لهم كانوا أحوط عليها.

(١) عن الشهاب اللامعة الباب ١٤

(٢) عن الشهاب اللامعة الباب ١٩

ويتفقد الإمام المولى عليهم، ويستخبرهم عن أحوال الطرق وأحوال الناس فيها^(١).

١٧٣ - قال أبو محمد:

قال، ويخرج لكل جهة من يكتفي بصدقات أهلها، ويخرج معه من الأعوان والرجال ما يستعين به على عمله عددا لا يكتفي بأقل منه أصلا ولا يكثر ممن لا يحتاج إليه، ويأمرهم بأن لا يأخذوا من أحد جعلا، لأن لهم فيما يقبضون من قليل أو كثير حقا يقوم ويفضل عنهم.

أما في سيرهم وترددهم فينبغي للإمام أن يدفع لهم نفقة يتبلغون بها فإن لم يكن مع الإمام مال فاضل، فضيافتهم فرض على كل من نزلوا به، لأنهم أبناء سبيل في خدمة المسلمين.

ولا يكون من يتولى ذلك إلا عالما بأحكام الصدقات ومقاديرها ونصابها وصفات ما يؤخذ منها ومن تؤخذ، وكيف تؤخذ، حليما، غير عانف متيقظا: غير مغفل^(٢).

١٧٤ - قال أبو محمد:

يلزم الإمام أن يجعل لوالي الخراج ما يقوم به وبخدمته وأعوانه، من غير تقدير ولا تبذير، فإن لم يكن للإمام مال يفضل لذلك، فمؤنتهم ومؤنة أعوانهم عن المعتمرين لأرض الخراج^(٣).

١٧٥ - قال ابن حزم:

يلزم الإمام أن يتخير ولاته وعماله من المسلمين وأهل الدين، إذ لا يمكنه المباشرة لكل أمور المسلمين، ولئلا يشتغل عن تدبير الأمور العظيمة التي ابتلاه الله بها واختصه لها.

(١) عن الشهاب اللامعة الباب ١٩.

(٢) عن الشهاب اللامعة الباب ١٩.

(٣) عن الشهاب اللامعة الباب ١٩.

والأعمال بعد الخلافة اثنا عشر عملاً :

- ١ - أولها الصلاة .
- ٢ - وقبض الزكاة وتفريقها، وقبض الجزية وتفريقها .
- ٣ - وولاية الجيوش، وتدبير الحروب، وأخذ المغانم وتخصيصها وقسمتها وما صار من المشركين إلى المسلمين وحكمه .
- ٤ - إقامة الحدود .
- ٥ - والأقضية .
- ٦ - والشرطة .
- ٧ - والحسبة .
- ٨ - والكتابة .
- ٩ - والمحاسبة .
- ١٠ - والبريد .
- ١١ - والاختزان .
- ١٢ - وإقامة الحج .

فيلزم الإمام أن يتخير الولاة والأمراء والعمال لكل ما ذكرنا فإن رأى أن يفرق هذه الأعمال في كل بلد وعلى عدد رجال فحسن، كما بعث رسول الله ﷺ علياً قاضياً لليمن وقابضاً للأخماس، وبعث خالداً إليها متولياً للحرب، وبعث معاذاً وأباً موسى الأشعري إليها معلمين للقرآن وأحكام الدين وقبض الصدقات ، وولى أعمالها جماعة غير هؤلاء .

وإن رأى أن يجمعها أو بعضها لواحد في بلد واحد فحسن، كما جمع النبي ﷺ كل اليمن كله لبادان، وجمع عمان كله لعمر بن العاص رضي الله عنهم أجمعين .

ويلزم الإمام الأعظم أن يرزق أمراء النواحي رزقا واسعا يقوم بهم ويمؤنتهم على السعة التي لا يشبهون معها إلى مال أحد من أهل عملهم ويرزق من هم من الأعوان والفرسان والرجال، ويكونون عدداً يستظهرون به على ما هم بسبيله على قدر ما يلي كل واحد منهم من كبر الناحية

وصغرهما من قمع ظالم إن ظلم، أو معاند إن عاند، أو أشباه ذلك.

ويلزم الإمام الأكبر أهل كل جهة من جهات بلده أن يفد عليه من خيارهم وعلمائهم ووجوه قومهم، ليستخبرهم عن حال الأمير والناس، ويكسوهم ويصلهم على نحو ما كان عليه السلام يفعل، فإذا وفدوا عليه انفرد بهم عن كل من ذكر، ثم ينفرد بوجوه قومهم: واحداً بعد واحد، حتى يقف على الحق من الباطل في أمر الناس وأمور ولاته، وجميع أحوال عماله والذي نختاره للإمام على كل حال أن لا يطول مدة أمير بلد، لا سيما البعيدة عنه، أو الثغور التي فيها القلاع المنيعة والجند الكثير، أو التي فيها المال الكثير، بل يعجل عزل كل أمير يوليه شيئاً من ذلك، وإن كان عدلاً فاضل السيرة فيوليه الإمام بلداً آخر من بلاده، ليعم بعدله وحسن سيرته ما أمكنه من بلاد رعيته، ويحسم أطماعهم في الرجوع إلى البلاد التي عزلوا منها، ولا يخص بوال أهل بلد ما، وأما سائر البلاد فبخلاف ذلك لا يعزل عنهم أحد إلا عن جور ظاهر، أو خيانة بينة.

ولا يفتح الإمام باب التشكي بالقضاة، لا سيما من طالبي التروؤس من أهل البلدان فإن شكوا كلفوا تبين ما شكوا به، فإن فعلوا عزل عنهم وبكت، وإن ظهر تحاملهم عليه عوقبوا بالسجن والإهمال وإسكانهم في غير بلادهم حتى يتوبوا عن طلب الفضول ويقبلوا على شأنهم.

وينبغي للإمام أن يتخذ خازناً ثقة، عفيفاً، ديناً، ضابطاً يجتزن كل ما يرد على الإمام من الأموال، ولا يخرج منها شيئاً إلا عن علم الإمام أو يكتبه، ويكون له نظار وحراس يحرسون الأموال، لئلا تضيع أو تسرق، حتى توضع موضعها. ويجب على الخازن تصنيف الأموال وترتيبها والكتب عليها وعلى أنواعها والوجوه التي قبضت منها، مفصلاً كل ذلك.

ويتخذ الإمام خازناً للسلاح فمن أعطاه الإمام شيئاً من ذلك أثبت ذكره، وتاريخه باليوم والشهر والعام، وإن أعطاه عارية كتب عليه اسم الذي استعاره، وأخذ برد ما لم يثبت أنه ضاع، فإن اتهم بخيانة لم يعطه الإمام شيئاً بعدها.

ويتخذ الإمام ناظرا على الخيل، يشرف على إعلافها ونفقاتها
وخدامها وتكون كلها مذكورة في زمام بأثمانها وشياتها وسماتها.

وينصب للمواريث التي لا مستحق لها رجلا أميناً في كل بلد عالماً
بالفرائض وقسمتها يحصل ما يجب من ذلك في زمام، ويرفع المال إلى
الإمام ليضعه حيث وضعه الله عز وجل.

ويرزق الإمام من ذكر ما يغنيهم عن الخيانة، ويستغنون به عن سائر
الكسب الشاغل لهم عما هم بسبيله من خدمة المسلمين^(١).

١٧٦ - قال ابن حزم:

يعهد الإمام إلى من قلده ولاية من الولايات أن يكون لهم سجن
ثقيف للدعار ومن تخاف غائلته، وسجن آخر غير ذلك للمستورين
المحبوسين في الديون والآداب وأشباهها.

ويتفقد أحوال جميعهم في جميع ذلك.

وسجن للنساء مفرد بواباته موثوق بهن، ولو جعل للمستورات
المحبوسات في الديون والآداب سجن على حدة من سجن المحبوسات في
التهم القبيحة لكان حسناً.

ويجعل الإمام لأهل السجن إماماً يصلي بهم الجمعة والفرائض
ويرزقه من بيت مال المسلمين^(٢).

قال محمد إبراهيم الكتاني: هذه هي النصوص التي نقلها لنا ابن
رضوان في (الشهب اللامعة) عن (كتاب السياسة) لابن حزم، وقد أشرنا
إلى ما نقله منها أو أشار إليه ابن الأزرق في (بدائع السلك) إتماماً للفائدة.

(١) كل هذه النصوص عن الشهب اللامعة الباب ١٩.

(٢) عن الشهب اللامعة الباب ٢١.

التعليق على النص

* هذا النص وما قبله من نصوص نقلت عن كتاب السياسة لابن حزم مما نشر بجريدة تطوان^(١) بعنوان:

بين يدي شذرات من كتاب السياسة لابن حزم تخريج الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني خرجها من كتاب الشهب اللامعة في السياسة المملوكية والسير السلطانية لأبي القاسم عبد الله بن يوسف البخاري المالقي (ابن رضوان) ومنه عدة نسخ خطية بالخزانة العامة بالرباط.

وقد أحال الكتاني بعض هذه النصوص أيضا إلى بدائع السلك لابن الأزرق وهو كتاب مطبوع.

قال أبو عبد الرحمن: ولدي صورة لمخطوط في السياسة لمؤلف مجهول أصله بالخزانة العامة بالرباط أكثر فيه النقل عن ابن حزم وسأحاول إن شاء الله نقل ما يهم فيه بالسفر الثاني.

كما أن الكتاني في شذراته أورد نصوصا عن الرسائل الصغرى لمحمد بن عباد الرندي إلا أنني لما تأملت هذه النصوص وجدتها بكتاب ابن حزم المطبوع (مداواة النفوس) وليست بكتابه المفقود عن السياسة.

١٧٧ - قال أبو محمد:

وقد صح عندنا أن بجبال رية أعنابا إذا طبخ عصيرها فنقص منه الربع صار ربا خائراً لا يسكر بعدها كالعسل فهذا حلال بلا شك.

وشاهدنا بالجزائر أعنابا رملية تطبخ حتى تذهب ثلاثة أرباعها وهي بعد خمر مسكرة كما كانت فهذا حرام بلا شك. وبالله تعالى التوفيق^(٢).

١٧٨ - قال أبو محمد عن المالكية:

وأجازوا بيع الجزر والبصل والنعجل المقية في الأرض؟.

(١) عدده عام ١٩٦٠ م ص ٩٤ - ١٠٧.

(٢) المحل ٢٦٧/٨.

واحتج بعضهم علي في ذلك بقول الله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾
فقلت فأبج بهذه الآية بيع الجنين في بطن أمه دون أمه لأنه من الإيمان
بالغيب؟!!!

وهذا احتجاج نسأل الله السلامة من مثله في تحريف كلام الله تعالى
عن مواضعه إلى ما ليس فيه منه شيء^(١).

١٧٩ - قال أبو محمد:

وقد شاهدنا جزيرة ميورقة يجمعون في قراها حتى قطع ذلك بعض
المقلدين لمالك وباء بإثم النهي عن صلاة الجمعة^(٢).

١٨٠ - قال أبو محمد:

قال ابن جريج: وأخبرني ابن طاووس عن أبيه أنه كان يكفن
الرجل من أهله في ثلاثة أثواب ليس فيها عمامة.

وهو اختيار الشافعي وأبي سليمان وأحمد بن حنبل وأصحابهم.
وهكذا كفن بقي بن مخلد وقاسم بن محمد.
أفتى بذلك الحشني وغيره ممن حضر^(٣).

١٨١ - قال أبو محمد:

شاهدنا الدينار يبلغ بالأندلس أزيد من مئتي درهم^(٤).

١٨٢ - قال أبو محمد:

وقد قلت لبعضهم: ما تقولون فيمن باع سلعة إلى أجل بدينار ثم
اشتراها بنقد بدينارين؟!.

فقال: حلال.

(١) المحلى ٢٧٦/٩.

(٢) المحلى ٧٨/٥.

(٣) المحلى ١٧٩/٥.

(٤) المحلى ١٠٣/٦.

فقلت له: ومن أين وجب أن يكون إذا باعه بدينارين واشتراه بدينار ربا وديناراً بدينارين، ولم يجب إذا باعه بدينار إلى أجل واشتراه بدينارين أن يكون ربا وديناراً بدينارين؟!.

وهل في الهوس أعظم من أن يبيع زيد من عمرو ديناراً بدينارين فيكون ربا ويبيع منه دينارين فلا يكون ربا؟.

ليت شعري في أي دين وجدتم هذا؟ أم في أي عقل؟.

فما أتى بفرق ولا يأتون به أبداً^(١).

١٨٣ - قال أبو محمد:

وكان يحيى بن يحيى الليثي وبقي بن مخلد لا يريان القنوت وعلى ذلك جرى أهل مسجديهما بقرطبة إلى الآن^(٢).

١٨٤ - قال أبو محمد:

وكان في أصحابنا فتى اسمه يبقى بن عبد الملك ضربه معلمه في صباه بقلم في خده فيست عينه فهذا عمد يوجب القود، لأن الضربة كانت في العصب المتصلة بالناظر^(٣).

١٨٥ - قال أبو محمد:

أخبرني أحمد بن سعيد بن حسان بن هداج العامري وكان ثقة مأمونا فاضلاً أنه أصابه خراج في البيضة اليسرى أشرف منه على الهلاك وسالت كلها ولم يبق لها أثر أصلاً ثم برىء وولد له بعد ذلك ذكر وأنثى، ثم أصابه خراج أيضاً في اليمني فذهب أكثرها ثم برىء ولم يولد له بعدها شيء^(٤).

(١) المحلى ٩/٦٩٤.

(٢) المحلى ٤/١٩٧.

(٣) المحلى ١٢/١٥٠.

(٤) المحلى ١٢/١٩٤.

١٨٦ - قال أبو محمد :

وقد روي عن محمد بن بشير القاضي بقرطبة أنه أحلف شهوداً في تزكية : بالله إن ما شهدوا به لحق .

وروي عن ابن وضاح أنه قال : أرى لفساد الناس أن يحلف الحاكم الشهود ذكر ذلك خالد بن سعد في كتابه في أخبار فقهاء قرطبة^(١) .

١٨٧ - قال أبو محمد :

الدانق سدس الدرهم الطبري وهو الأندلسي .
فبالدانقان وزن ثلث درهم أندلسي وهو سدس المثقال من الذهب^(٢) .

١٨٨ - قال أبو محمد عن مقدار دينار الذهب بمكة والدرهم والرطل :
ويبحث أنا غاية البحث عند كل من وثقت بتمييزه فكل اتفق لي على أن دينار الذهب بمكة وزنه اثنتان وثمانون حبة وثلاثة أعشار حبة بالحلب من الشعر المطلق والدرهم سبعة أعشار المثقال .
فوزن الدرهم المكي سبع وخمسون حبة وستة أعشار حبة وعشر عشر حبة .

فالرطل مئة درهم وواحد وثمانية وعشرون درهما بالدرهم المذكور^(٣) .

التعليق على النص

* قال أبو محمد عبد الحق الإشبيلي (ابن الخراط) :
إن زنة الدينار اثنتان وسبعون حبة من الشعر الوسط .

(١) المحل ١/ ٥٢٨ .

(٢) المحل ١١/ ١٠٨ .

(٣) المحل ٥/ ٢٤٦ .

وقال: إنه الذي نقله المحققون وعليه الإجماع إلا ابن حزم فإنه خالف في ذلك وزعم أنه أربع وثمانون حبة .
وقال ابن خلدون والقلقشندي :
إن العلماء ردوا كلام ابن حزم وعدوه وهما أو غلطا^(١) .
قال أبو عبد الرحمن: ما نقله عبد الحق عن ابن حزم مخالف لما سقته من نص ابن حزم في المحلى .

١٨٩ - قال أبو محمد عن تبكير الزرع في الأندلس :
وأبكر ما صح عندنا يقينا أنه يبدأ إبان يزرع فبلاد من شنت بريه^(٢)
وهي من عمل مدينة سالم بالأندلس^(٣) .

فإنهم يزرعون الشعير في آخر أيلول وهو شتبر [سبتمبر] لغلبة الثلج في بلادهم حتى يمنعهم من زرعها إن لم ييكرؤا به كما ذكرنا .

ويتصل الزرع بعد ذلك مدة ستة أشهر وزيادة أيام ، فقد شاهدنا في بعض الأعوام زريعة القمح والشعير في صدر آذار وهو مرس [مارس] .
وأبكر ما صح عندنا حصاده فألش^(٤) من عمل تدمير^(٥) فإنهم يبدأون

(١) النفود العربية وعلم النميات - جمع أنستاس الكرمل ص ١٠٩ .
(٢) برية: مدينة متصلة بحوز مدينة سالم بالأندلس وهي شرقي قرطبة . ضبطها ياقوت بكسر الراء وتشديد الياء ، وفي إحدى نسخ المحلى الخطية ضبطت بسكون الراء وفتح الياء .
وعن (شتت) قال ياقوت: أظنها لفظة يعني بها البلدة أو الناحية لأنها تضاف إلى عدة أسماء .

وقال أحمد شاكر في تعليقه على المحلى: بل هي تعريب كلمة سانت بمعنى قديس .
(٣) قال ابن حزم في طوق الحمامة :

وأثقل من عذل على غير قابل وأبرد برداً من مدينة سالم
قال أستاذنا الدكتور إحسان عباس: مدينة سالم تقع على بعد ١٣٥ كيلو متراً على الطريق من مدريد إلى سرقسطة وقد توفي المنصور بها ودفن هنالك ، وهي في منطقة شديدة البرودة شتاء فلذلك ضرب بها المثل [يعني ابن حزم] هنا . انظر الإدريسي (دوزي): ١٨٩ . أهـ .
رسائل ابن حزم الأندلسي ١/ ١٧٩ ج مع الحاشية .

(٤) أنش: مدينة بالأندلس .
(٥) تدمير: كورة شرقي قرطبة .

بالحصاد في أيام باقية من نيسان وهو إبريل، ويتصل الحصاد أربعة أشهر إلى صدر زمن أيلول وهو أغشت [أغسطس]^(١).

١٩٠ - قال أبو محمد:

بعض نوکی الصوفية زعموا أن الخضر وإلياس عليهما السلام حيّان إلى اليوم.

وادعى بعضهم أنه يلقي إلياس في الفلوات والخضر في المروج والرياض، وأنه متى ذكر حضر على ذاكره.

قال أبو محمد: فإن ذكر في شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها وفي ألف موضع في دقيقة واحدة كيف يصنع؟ ولقد لقينا من يذهب إلى هذا خلقاً وكلمناهم منهم المعروف بابن شق الليل المحدث بطلبيرة وهو مع ذلك من أهل العناية وسعة الرواية.

ومنها محمد بن عبد الله الكاتب وأخبرني أنه جالس الخضر وكلمه مراراً.

وكفار برغواطة إلى اليوم نظرون صالح بن طريف الذي شرع لهم دينهم^(٢).

١٩١ - قال ابن حزم:

قال أيوب السختياني رحمه الله: إننا نقلها من دار الإمارة.

قال أبو محمد: أما قوله نقلها عن دار الإمامة فوا فضيحتاه!!

وهل كان في المدينة قط دار إمارة مدة رسول الله لا وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية.

وهل سكن كل واحد من هؤلاء إلا في دار نفسه لكن لما رأى أيوب

(١) المحل ٢٦١/٥ - ٢٦٢.

(٢) الفصل ٢١/٥ ج ٤ و ١٨٠/٤ ق.

رحمه الله دار الإمارة بالبصرة ظن أنها بالمدينة كذلك وأن عمر بن الخطاب
سكن في دار الإمارة بالمدينة.
فيا للعجب!!^(١).

١٩٢ - قال أبو عبد الله الحميدي في ترجمة محمد بن إسحاق:
سمعت أبا محمد علي بن الوزير أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم
يقول:

سمعت أبا عبد الله محمد بن إسحاق بن عبيد الله بن إدريس بن
خالد يقول للوزير أبي رحمه الله على سبيل الوعظ في مناجاته إياه:
أحرص على أن لا تعمل شيئاً إلا بنية، فإنك تؤجر في جميع أعمالك
إذا أكلت فأنو بذلك التقوي لطاعة الله.

وكذلك في نومك وتفرُّجك وسائر أعمالك:

فإنك ترى ذلك في ميزان حسناتك.

قال لي أبو محمد:

وما زلت - منذ سمعت ذلك - منتفعاً به.

كما أنني انتفعت بما رويت عن الخليل رحمه الله من قوله:

ينبغي للمرء أن يستشعر في أحواله كلها أن يكون عند الله عز وجل
من أرفع طبقة، وأن يكون عند الناس من أوسط أهل طبقته، وعند نفسه
من أقلهم وأدناهم.

فهذا يصل إلى اكتساب الفضائل^(٢).

١٩٣ - قال الحميدي عن أبي الأصبغ الخازن:

شاعر مشهور ذكره أبو محمد علي بن أحمد وأنشد له:

(١) المحلى ٣٠٣/١٠.

(٢) الجذوة ص ٤٤ ج ١ و ص ٤١ - ٤٢ ق والبغية ص ٦٠ - ٦١ ج ١ و ص ٥٠ ق.

كأنني سامع بعدي وقد ذهبت نفسي ووافاني المحذور من أجلي
قولين والنعش موضوع على جدثي قولاً عليّ بمكروه وآخر لي
من شامت بي أو محض الوداد ولم ينفع ولا ضر إلا سالف العمل^(١)

١٩٤ - قال الحميدي في كلامه عن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن الحسين
التميمي الطيني أبي بكر الوزير^(٢):
أخبرني أبو محمد علي بن أحمد قال:

بات عندي أبو بكر إبراهيم بن يحيى في ليلة مطيرة، فاستدعيت ابن
عمه أبا مروان عبد الملك بن زيادة الله بهذين البيتين:

صنواك في ربي فثلثهما عيث السواري وأبو بكر
صلي بلفياك التي أبتغي أصلك بالحمد وبالشكر

١٩٥ - قال أبو عبد الله الحميدي ف كلامه عن مركوش النحوي:
أنشدني أبو محمد علي بن أحمد قال:
أنشدني أبو محمد بن أزهر قال:

أنشدني عبادة بن ماء السماء لمركوش النحوي وقد رأى غلاماً يقص
من شعره:

تبسم عن مثل نور الأفاح وأقصدنا بمراض صحاح
ومر يميس كما ماس غصن تلاعب عطفه هوج الرياح
وقصر من ليله ساعة فأعقب ذلك ضوء الصباح
واني وإن رغم العاذلون (م) من خمر أجفانه غير صاح^(٣)

(١) الجذوة ص ٢٩٩ ج و ص ٢٨٠ ق والبغية ص ٤٠٣ ج و ص ٣٩٠ ق.

(٢) الجذوة ص ١٥٨ - ١٥٩ ج و ص ١٤٩ ق والبغية ص ٢٢٧ ج و ص ٢١٢ - ٢١٣ ق رواه
عن أبي الحسن نجدة بن يحيى بن خلف بن نجدة وغيره من شيوخ، وورد النص محققاً في
رسائل ابن حزم ٢/ ٢٣٠ ج.

(٣) جذوة المقتبس ص ٩٣ ج و ص ٨٦ ق والبغية ص ١٣٢ ج و ص ١٢١ ق.

١٩٦ - قال أبو عبد الله الحميدي في كلامه عن أبي جعفر محمد ابن علي الأصمعي :

ذكره أبو محمد علي بن أحمد وأنشدني عنه قال :

أنشدني أعرابي من ديار ربيعة :

كلام الليل مطلي بزيت إذا طلعت عليه الشمس ذاباً^(١)

١٩٧ - قال الحميدي عن ثابت الجرجاني :

وأخبرني عنه أبو محمد علي بن أحمد قال :

أخبرني علي بن حمزة ضيف المتنبي قال وعنده نزل المتنبي ببغداد :
أن القصيدة التي أولها :

هذي برزت لنا فهجت رسيسا

قالها في محمد بن زريق الناظر في زوامل ابن الزيات صاحب
طرسوس ، وأنه وصله عليها بعشرة دراهم .
فقليل له :

إن شعره حسن .

فقال : ما أدري أحسن هو ، أم قبيح ؟ .

ولكن أزيده لقولكم عشرة دراهم .

فكانت صلته عليها عشرين درهما^(٢) .

١٩٨ - ويرى أبو محمد أن التمسك بالتقليد مع وضوح الحجة المعارضة

للمذهب المقلد يكون بسبب حب الرئاسة .

قال أبو محمد :

(١) جذوة المقتبس ص ٧٧ ج ١ و ص ٧٢ والبتية ص ١١٣ ج ١ و ص ١٠٣ ق .

(٢) الجذوة ص ١٧٣ - ١٧٤ ق و ص ١٨٥ ج ١ ولم يورد هذا الخبر صاحب البتية وانظر رسائل
ابن حزم ٢/ ٢٢٨ ج .

نعود بالله من كل حب رياسة تقود إلى مثل هذا^(١).

١٩٩ - ذكر ابن حزم عن عبد الرحمن الداخل :

أنه كان فيمن وفد عليه ابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية فسعى في طلب الأمر لنفسه فقتله سنة ١٦٧ هـ وقتل معه من أصحابه هذيل بن الصميل بن حاتم ونفى أخاه الوليد بن معاوية والد المغيرة المذكور إلى العدو بماله وولده وأهله^(٢).

٢٠٠ - يرى أبو محمد أن الله فاضل بين عباده بالعقل ومن لم يقل بذلك يلزمه أن العظماء من الصالحين والحكماء المميزين بالعقل لا يختلفون عن :
المخنث البغاء الزفان والزانية الخليعة المتبرجة السحاقة والشيخ الذي يلعب مع الصبيان بالكعاب والخانات ويعجفهم إذا قدر^(٣).

٢٠١ - قال أبو محمد عن قرعوس بن العباس :

من المحال أن يروي قرعوس عن ابن جريج إذ مات ابن جريج سنة ١٥٠ هـ وقرعوس مات سنة ٢٢٠ هـ ولم يطل عمر قرعوس طولا يحتمل هذا.

وكذلك وفاة سفيان سنة ٦١ هـ^(٤).

٢٠٢ - قال ابن حزم عن أحمد بن بيطر :

كان ذا سمع وهدى لم يكن من شأنه الجمع والرواية كان صاحب فقه ومسائل^(٥).

٢٠٣ - قال أبو محمد عن فضل بن سلمة :

كان من أعلم الناس بمذهب مالك^(٦).

(١) الإحكام ١١/٢ ق ويستتج من هذا النص أنه يعرض للمالكية.

(٢) نفع الطيب ٤٦/٣ - ٤٧.

(٣) الفصل ٩٢/٣ - ٩٣ ق و ١٢٦/٣ ج.

قال أبو عبد الرحمن : في هذا دلالة على المجتمع الأندلسي بلا ريب.

(٤) ترتيب المدارك ٤٩٣/٢.

(٥) الديباج المذهب ١٥٥/١.

(٦) الديباج المذهب ١٣٧/١.

٢٠٤ - قال أبو محمد عن الجاحظ :

عمرو بن بحر الجاحظ وهو وإن كان أحد المجان ومن غلب عليه الهزل وأحد الضلال المضلين :

فإننا ما رأينا له في كتبه تعمد كذبة يوردها مثبتا لها وإن كان كثيراً لإيراد كذب غيره^(١).

٢٠٥ - قال أبو محمد - في رسالة له إلى صديقه ابن الحوات - :

وردني يا سيدي وأخي كتابك أكرم كتب الأحبة في الله عز وجل .
وحمدت الله تعالى عز وجل على ما أدى إليه من صلاح حالك .

وأورد عليّ صاحبنا أبو عبد الله محمد بن الحسن أكرمه الله من خبرك ما أبهجنني وملأ نفسي سروراً .

فلن تزال الدنيا بخير ما دام مثلك مرفوع اللواء ، معمر الفناء .
وحمدت الله عز وجل على ما ذكرته فيه من حسن معتقدك لي ، فهذا الذي يلزم بعضنا لبعض ، فنحن غرباء بين المتعصين على من سلم لهم دنياهم ليسلم له دينه .

ووقفت على قولك فيه :

إنه لولا خوف المشغبين ، وما دهينا به من ترؤس الجاهلين لكتبت أقوالك ومذاهبك ، ويشتتها في العالم ، وناديت عليها كما ينادي على السلع !
فاعلم يا أخي وفقنا الله وإياك أن خوفك المشغبين لا يكف عنك غرب أذاهم لو قدروا لك على مضرة .

وان كشفك الحق ، وصدعك به لا يقدم إليك مؤحرا عنك .

يا أخي : اجتهد لربك ، وادع إليه ، وخفه في الناس يكتفك الله تعالى أمرهم ، ولا تخفهم فيه ، فبدعك وإياهم .

(١) الفصل ٢٢/٥ ق و ١٨١/٤ ج

وكان بالموت قد نزل فتركت من تداريهم مسرورين بذهابك، لا
معاونتك بنافعة.

وأذكر قول نبيك محمد عليه السلام لعلي رضي الله عنه لأن يهدي
به بهداك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم.

ولقد أضحكني قولك إنك علمت من مذهبي أنني أفصح بكل من
ل مقالة، فخشيت أن أفصح باسمك فيما لم تقله!

فمعاذ الله أن أفصح عنك أو عن غيرك إلا باليقين المحض.

وأما إذا علمت أن الأخ من إخواني يكره أن أفصح عنه بمقالة
تقوله، فهي مدفونة خلال الشغاف لا سبيل إلى تحريك لساني بها بيني
بين نفسي بحيث يمكن أن يسمعني سامع.

فكيف أن أبشها؟!

وأما أنا فلست أكره أن تبث عني ما أقوله على حسبه!

وأما قولك: أما تقصد الآن إلى أن يؤثر عليك قول إلا حتى تستخير
الله تعالى فيه كثيراً، وتصحح نيتك في ذلك [؟] فحسن جداً، وحال لا
ينبغي لأحد تعديها.

وأما قولك: حتى إذا بلغت إلى حد الحسبة والصبر إن كانت محنة
تناولت الأوكد فالأوكد فحالة أريد ألا تتصورها ولا تتمثلها، فإنها مبخلة
محبنة! وتذكر قول العامة: فلان يحب الشهادة والرجوع إلى البيت!

مع أنني أرجو الكفاية من الله عز وجل والحماية.

وأذكر قوله ووعدته الصادق المضمون عندي إذ يقول:

﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾.

والله يا أخي لقد حناني تعالى، وما أعدمني من مخالفي مثالي من
يدود عني، ويذهب عن حوزتي أشد الذب.

وإني لأدعو الله لهم مدى عمري .

أولهم القاضي أبو المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن بشر، وأبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرؤوف الحكم - نور الله وجهيهما، وجازاهما بأفضل سعيهما فلقد قام لي منهما ما يقوم من الأخوين المحبين .

ثم أبو العاصي حكم بن سعيد غفر الله ذنبه، وتغمد خطاياها، وقارضه بالحسنى فإنه أبلى في جانبي أتم بلاء .

وما قصر يونس بن عبد الله بن مغيث شيخنا نضر الله وجهه، وأكرم منقلبه .

ولقد بلغ أبو جعفر أحمد بن عباس من ذلك الغاية القصوى، واستثثار الأجر الجزيل، والذكر الجميل برد الله مضجعه، ولقاه الروح والريحان . ثم الكاتب الفاضل ذو المآثر العالية، والفضائل السامية، والأعمال الزاكية، والسعي المحمود : أبو العباس .

المشغوف بالعلم وتقديم الحسنات كشغف غيره بالأموال واللذات صديقك ومحبك ومؤثر لا زالت عليه من الله واقية في دنياه فلقد هياه الله لمنافع عباده، وأجرى الصالحات على يده كثيرا .

والحقه إذا دعاه بنبيه في أعلى عليين .

وأما قولك : إنك تتناول في خلال ما تتناول بضروب من السياسة فحسن جداً .

جعلنا الله وإياك من الداعين إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة .

ومن أعجب ما مر بي منذ دهر قولك في كتابك :

إنه بلغك عني أني أقول عنك : إنك تقول :

« لا إدام إلا الخل » من أجل حديث النبي ﷺ :

نعم الإدام الخل .

فاعلم يا أخي أنه قد ساءني هذا جدا أن أكون عندك بهذا المحل ! .

وأقل ما أقول لك: والله الذي لا أقسم بسواه، ولو علمت أعظم من هذا القسم لأقسمت به لك، وأعوذ بالله أن أعتقد في العالم قسماً غيره، فكيف مثله؟ فكيف أشد منه:

إن كنت قط سمعت هذه المقالة من أحد من خلق الله تعالى يحكيها لي عنك، ولا رأيته عنك في كتاب، ولا طنت على أذني حتى رأيته في كتابك!

فكيف أن أحكيها عنك، فاستجيز الكذب البحت عليك؟!.

حاشا لله من هذا!.

وليس هذا النص من دليل الخطاب. إنما كان يمكن أن يتأول على من يقول بدليل الخطاب: لا نعم الإدام إلا الحل.

وأما القطع بأن لا إدام غيره، فليست هذه القضية مقتضية هذه الأخرى.

فبالله إلا ما أعرضت عن كل شرير يريد أن يسمع الناس سبهم على السنة غيرهم!.

ورأيت المدرجة ووقفت عليها.

أسأل الله أن يجعلنا وإياك ممن يستمع القرآن والقول فيتبع أحسنه.

والجملة التي أوردت من قولي فيها، فهو قولي أيضاً.

وكذلك وقفت على الفصول التي ذكرتها أحسن الله جزاءك على ذلك، فهكذا تكون الناس^(١)!.

٢٠٦ - قال أبو محمد:

عندما أورد اعتراضات على صحة الاشتقاق في اللغة:-

(١) رسالة البيان لابن حزم ضمن رسائل ابن حزم ٢١/١ - ٢٤ ق وهذا نص نفيس جداً فيه ما يفيد كثيراً عن سيرة ابن حزم.

«وقد عارضت بهذا وشبهه أذكر من لقينا من شيوخنا في اللغة، وهو أبو عبدة حسان بن مالك - رحمه الله - فما وجدت عنده مدفعا ولا اعتراضا، وكان (رحمه الله) النهاية في علم اللغة مع تحريره فيما يورده منها، وتبته، وشدة إنصافه»^(١).

٢٠٧ - قال أبو محمد:

«شاهدت بعض أهل مساجد الجانب الشرقي بقرطبة أيام تغلب البربر عليها يستفتون شيوخ المالكيين في تعجيل العتمة قبل وقتها خوف القتل إذ كان متلصصة البربر يقضون لهم في الظلام في طرق المسجد، فرموا آذوا إيذاء شديدا فما فسحوا لهم في ذلك»^(٢)!

٢٠٨ - قال الحميدي عن محمد بن عبد الله بن حاكم:

وقال لي أبو محمد علي بن أحمد: كان ثقة يعرف بابن البقري جارنا بالجانب الغربي بقرطبة لم آخذ عنه شيئا^(٣).

٢٠٩ - قال الحميدي عن أحمد بن تليد الكاتب:

أندلسي شاعر أديب ذكره أبو محمد علي بن أحمد^(٤).

٢١٠ - قال الحميدي عن أبي حفص أحمد بن برد:

قال لي أبو محمد علي بن أحمد: مات سنة ٤١٨ هـ^(٥).

٢١١ - قال أبو محمد:

ولكن أصحابنا يغفر الله لهم ويسددهم أضربوا عن الواجب عليهم من تدبر أحكام القرآن ورواية أخبار النبي ﷺ واختلاف العلماء، ومعرفة مراتب الاستدلال المفرق بين الحق والباطل.

(١) الإحكام ٩٥/٨ ق.

قال أبو عبد الرحمن: لا برهان لأبي محمد في إنكار الاشتقاق وسيأتي بيان ذلك في أحد أسفار هذا الكتاب إن شاء الله.

(٢) الإحكام ٦٧/٣ ق.

(٣) الجذوة ص ٦٥ ج ١ و ص ٦١ والنبغة ص ٩٠ ج ١ و ص ٨٠ ق.

(٤) الجذوة ص ١١٩ ج ١ و ص ١١١ ق والنبغة ص ١٧٣ ج ١ و ص ١٦١ ق.

(٥) الجذوة ص ١١٩ ج ١ و ص ١١١ ق والنبغة ص ١٧٢ ج ١ و ص ١٦١ ق.

وأقبلوا على ظلمات بعضها فوق بعض :

من قراءة طروس معكمة، مملوءة من قلت أرايت؟!

فقتعوا بجوابات لا دلائل عليها، وأفنوا في ذلك أعمارهم فصفرت أيديهم من معرفة الحقائق، وظلموا من اغتر بهم!.

والأقل منهم شغلوا أنفسهم في أنواع القياس، وتخصيص العلل، واستخراج علل لم يأذن بها الله تعالى ولا رسوله، ولا يقوم على صحتها برهان.

فقطعوا أيامهم بالترهات!.

ولو اعتنوا بما ألزمهم الله تعالى الاعتناء به :

من تدبر القرآن، وتبع سنن النبي لا لاستناروا واهتدوا، ولا استحقوا بذلك الفوز والسبق. وما توفيقنا إلا بالله تعالى^(١).

٢١٢ - قال أبو محمد :

قد يحمل اسم التقدم في الفقه في بلد ما عند العامة من لا خير فيه، ومن لا علم عنده ومن غيره أعلم منه!.

وقد شهدنا نحن قوما فساقا حملوا اسم التقدم في بلدنا وهم ممن لا يحل لهم أن يفتوا في مسألة من الديانة، ولا يجوز قبول شهادتهم!.

وقد رأيت أنا بعضهم وكان لا يقدم عليه في وقتنا هذا أحد في الفتيا:

وهو يتغطي الديباج الذي هو الحرير المحض لحافاً، ويتخذ في منزله الصور ذوات الأرواح من النحاس والحديد تقذف الماء أمامه!.

ويفتي بالهوى للصديق فتياً، وعلى العدو فتياً ضدها.

(١) الإحكام ١٠٣/٦ - ١٠٤.

ولا يستحي من اختلاف فتاويه على قدر ميله إلى من أفتى،
وانحرافه عليه!.

شاهدنا نحن هذا منه عياناً.

وعليه جمهور أهل البلد.

إلى قبائح مستفيضة لا نستجيز ذكرها، لأننا لم نشاهدها^(١).

٢١٣ - قال أبو محمد عن أحد المالكية -:

كنا نعجب من قول شيخ من شيوخهم أدركناه مقدماً في مشاورة
القضاة له على جميع مفتيهم.

فإن ذلك الشيخ قال في كتاب ألفه وقد رأيناه، ووقفنا عليه، وناولناه
بيده، وهو مكتوب كله بخطه، وأقر لنا بتأليفه، وقراه غيرنا عليه فكان في
بعض ما أورد فيه أن قال:

روينا بأسانيد صحاح إلى التوراة أن السماء والأرض بكتا على
عمر بن عبد العزيز أربعين سنة!!.

قال أبو محمد: هذا نص لفظه!.

فلا أعجب من الشيخ المذكور في أن يروي عن التوراة شيئاً من
أخبار عمر بن عبد العزيز وهذا إسماعيل يبطل قول النبي لا إذا أمن يعني
الإمام فأمنوا، وتأمينه عليه السلام وهو الإمام بما لم يصح من ترك موسى
للتأمين، وترك هارون للدعاء^(٢).

٢١٤ - قال أبو محمد عند قوله بأن السنة في صلاة العبيد أن يقرأ (ق)

و (اقتربت الساعة) أو (سبح) و (الغاشية):

«شاهدنا المالكين لا يقرأون مع أم القرآن إلا والشمس وضحاها،

(١) الإحكام ١٦٧/٦.

(٢) الإحكام ١٦٣/٥ ق.

وسبح . وهذا الاختياران فاسدان . . وإن كانت الصلاة كذلك جائزة . وإنما ننكر اختيار ذلك ، لأنها خلاف ما صح عن رسول الله ﷺ^(١) .

٢١٥ - قال أبو محمد عن اليهود :

ولقد شاهدناهم متفقين إلى اليوم على أن رجلاً من علمائهم ببغداد دخل من بغداد إلى قرطبة في يوم واحد ، وأثبت قرنين في رأس رجل من بني الاسكندري كان ساكناً بقرب دار اليهود عند فندق الحرقة كان يؤذي يهود تلك الجهة ، ويسخر منهم .

وهذه كذبة وفضيحة لا نظير لها ! .

والموضع مشهور عندنا بقرطبة داخل المدينة . وبنو عبد الواحد بن يزيد الاسكندري من بيته رفيعة مشهورة أدركنا آخرهم .

كانت فيهم وزارة وعمالة ، ليس فيهم مغمور ولا خفي إلى أن بادوا .

ما عرف قط أحد منهم هذه الأحمقة المختلفة ! .

والقوم بالجملة أكذب البرية أسلافهم وأخلافهم .

وعلى كثرة ما شاهدنا منهم ما رأيت فيهم قط متحريراً للصدق إلا رجلين فقط^(٢) ! .

٢١٦ - قال أبو محمد عن أتباع محمد بن عبد الله بن مسرة :

وكان من أصحاب مذهبه رجل يقال له إسماعيل بن عبد الله الرعيني متأخر الوقت ، وكان من المجتهدين في العبادة المنقطعين في الزهد . وأدركته ، إلا أني لم ألقه .

ثم أحدث أقوالاً شنيعة ، فبريء منه سائر المسرية وكفروه .

حدثني الفقيه أبو أحمد المعافري الطليطلي صاحبنا أحسن الله ذكره

(١) المحل ٨٣/٥ .

(٢) الفصل ١٢٣/١ في ١٥٦/١ ج .

قال أخبرني يحيى بن أحمد الطيب وهو ابن ابنة إسماعيل الرعيني المذكور قال:

إن جدي كان يقول: إن العرش هو المدبر للعالم، وإن الله تعالى أجل أن يوصف بفعل شيء أصلاً!

وكان ينسب هذا القول إلى محمد بن عبد الله بن مسرة، ويحتج بالفاظ في كتبه ليس فيها لعمرى دليل على هذا وكان يقول لسائر المسرية: إنكم لن تفهموا عن الشيخ فبرئت منه المسرية أيضاً على هذا القول.

وكان أحمد الطيب صهره ممن برىء منه.

وثبتت ابنته على هذه الأقوال متبعة لأبيها، مخالفة لزوجها وابنها.

وكانت متكلمة ناسكة مجتهدة.

ووافقت أبا هارون بن إسماعيل الرعيني على هذا القول، فأنكره، وبرىء من قائله، وكذب ابن أخيه فيما ذكر عن أبيه.

وكان مخالفوه من المسرية، وكثير من موافقيه:

ينسبون إليه القول باكتساب النبوة، وأن من بلغ الغاية من الصلاح وطهارة النفس أدرك النبوة وأنها ليست اختصاصاً أصلاً!

وقد رأينا منهم من ينسب هذا القول إلى ابن مسرة، ويستدل على ذلك بالفاظ كثيرة في كتبه هي لعمرى تشير إلى ذلك.

ورأينا سائرهم ينكر هذا فالله أعلم.

ورأيت أنا من أصحاب إسماعيل الرعيني المذكور من يصفه بفهم منطق الطير، وبأنه كان ينذر بأشياء قبل أن تكون فتكون!

وأما الذي لا شك فيه فإنه كان عند فرقته إماماً واجبة طاعته يؤدون إليه زكاة أموالهم.

وكان يذهب إلى أن الحرام قد عم الأرض، وأنه لا فرق بين ما

يكتسبه المرء من صناعة أو تجارة أو ميراث أو بين ما يكتسبه من الرفاق .
وأن الذي يحل للمسلم من كل ذلك قوته كيف ما أخذه .
هذا أمر صحيح عندنا عنه يقينا .
وأخبرنا عنه بعض من عرف باطن أمورهم :
أنه كان يرى الدار دار كفر مباحة دماؤهم وأموالهم إلا أصحابه فقط !
وصح عندنا عنه أنه كان يقول بنكاح المتعة .
وهذا لا يقدح في إيمانه ولا في عدالته لو قاله مجتهداً ، ولم تقم عليه
الحجة . بنسخه .
لو سلم من الكفريات الصلح التي ذكرنا .
وإنما ذكرنا عنه ما جرى لنا من ذكره ، ولغاية هذا القول اليوم ،
وقلة القائلين به من الناس ^(١) .

٢١٧ - قال أبو محمد :
إن أبا العاص حكى عن المنذر بن سعيد القاضي أخبرني عن
إسماعيل بن عبد الله الرعيني :
أنه كان ينكر بعث الأجساد ووقفت على هذا القول بعض العارفين
بإسماعيل ، فذكر لي ثقات منهم أنهم سمعوه يقول : إن الله تعالى يأخذ من
الأجساد جزء الحياة منها .
ولم ألق إسماعيل الرعيني قط على أي أدركته .
وكان ساكناً معي في مدينة من مدائن الأندلس تسمى بجاية مدة
ولكنه كان مختفياً .

(١) الفصل ٥/٤١ ق و ٤/١٩٩ - ٢٠٠ .

وكان له اجتهاد عظيم، ونسك وعبادة وصلاة وصيام.

وحكم بن المنذر ثقة في قوله، بعيد من الكذب.

وتبرأ منه حكم بن المنذر، وكان قبل ذلك يجمعها مذهب ابن مسرة في القدر.

وتبرأ منه أيضاً إبراهيم بن سهل الاريواني، وكان من رؤوس المسرية.

وتبرأ منه أيضاً صهره أحمد الطبيب، وجماعة من المسرية، وتولته جماعة منهم^(١).

٢١٨ - قال أبو محمد:

لعن الله كل من كان عنده علم من الله تعالى ورسوله لا وكتمه عن الناس كائنا من كان.

ومن نسب هذا إلى الصحابة رضوان الله عليهم فقد نسبهم إلى الإدخال في الدين وكيد الشريعة.

وهذا أشد ما يكون من الكفر.

وقد عارضت بنحو من هذا الكلام الليث بن حرفش العبدي في مجلس القاضي عبد الرحمن بن أحمد بن بشر رحمه الله وفي حفل عظيم من فقهاء المالكيين.

فما أحد منهم أجاب بكلمة معارضة، بل صمتوا كلهم إلا قليلاً منهم أجابوني بالتصديق لقولي.

وذلك أني قلت له: لقد نسبت إلى مالك رضي الله عنه ما لو صح عنه لكان أفسق الناس!

وذلك أنك تصفه بأنه أبدى إلى الناس المعلول والمتروك والمنسوخ من

(١) الفصل ٤/١٠٠ق و ٤/٨٠ج.

روايته، وكنتمهم المستعمل والسلام والناسخ حتى مات ولم يیده إلى أحد! وهذه صفة من يقصد إفساد الإسلام، والتليس على أهله!.

وقد أعاده الله من ذلك بل كان عندنا أحد الأئمة الناصحين لهذه الأمة، ولكنه أصاب وأخطأ، واجتهد فوفق وحرم كسائر العلماء ولا فرق أو كلاماً هذا معناه^(١).

التعليق على النص

* ورد اسم مناظر ابن حزم في كل طبقات الإحكام ابن حشر العبدى!.

وترجمته في الصلة: أبو الوليد الليث بن أحمد بن حريش العبدري القرطبي كان في عداد المشاورين بقرطبة وكان عالماً بالرأي وذا نصيب وافر من علم الحديث واسع الرواية له واستفصي بالمرية وخطب بها وبكى في آخر جمعة وأبكى فتوفي في آخر ذلك اليوم ولد سنة ٣٠٥ وتوفي سنة ٤٢٨ هـ^(٢).

قال أبو عبد الرحمن: يظهر أن هذه المناظرة عند محاكمة ابن حزم من قبل فقهاء المالكية كما سأوضح ذلك إن شاء الله عند تحقيق أحد النصوص من رسالة البيان لابن حزم.

٢١٩ - قال أبو محمد:

وحدثني جعفر مولي أحمد بن محمد بن حدير، المعروف بالبليني^(٣) أن سبب اختلاط مروان بن يحيى بن أحمد بن حدير وذهاب عقله اعتقاله بجمارية لأخيه، فمنعها وباعها لغيره، وما كان في أخوته مثله ولا أتم أدبا منه.

(١) الإحكام ١٢٢/٢ ق.

(٢) الصلة ٤٥١/٢.

(٣) إن صحت هذه اللفظة فهي نسبة إلى البلينة وتعني الحوت الكبير أو دابة البحر (انظر المغرب ١: ١٩٣ والجدوة: ٢١٤)، ومن أمثال بحارة الأندلس إذا ريت البليين أبشر بالمشكل (انظر أمثال العوام ٢: ٦، والرمشكلى هو ذكر البلينة). د. إحسان.

أخبرني أبو العافية مولى محمد بن عباس بن أبي عبدة^(١) أن سبب جنون يحيى بن محمد بن عباس بن أبي عبدة بيع جارية له كان يجد بها وجدا شديدا، كانت أمه أباعتها وذهبت إلى إنكاحه من بعض العامريات. فهذان رجلان جليلان مشهوران فقدما عقولهما واختلطتا وصارا في القيود والأغلال، فأما مروان فأصابته ضربة مخطئة يوم دخول البربر قرطبة وانتهابهم لها^(٢)، فتوفي رحمه الله. وأما يحيى بن محمد فهو حي على حالته المذكورة في حين كتابتي لرسالتي هذه، وقد رأيته أنا مرارا وجالسه في القصر قبل أن يمتحن بهذه المحنة، وكان أستاذاً وأستاذه الفقيه أبو الخيار اللغوي^(٣)، وكان يحيى لعمرى حلوا من الفتیان نبيلاً^(٤).

التعليق على النص

* كل من ذكرهم أبو محمد هنا لم أجد لهم ترجمة. باستثناء شيخه ابن مفلت.

* أبو الخيار اللغوي مسعود بن سليمان بن مفلت الشتريني من أهل قرطبة.

ذكر الحميدي، وابن حيان، وابن بشكوال: أنه ظاهري داودي المذهب يميل إلى الاختيار.

(١) لم أجد لمحمد بن عباس ترجمة، ولكنه من أسرة بني أبي عبدة إحدى الأسر الكبيرة في الأندلس، وقد كان عيسى بن أحمد بن أبي عبدة وزيراً أيام الأمير عبد الله الأموي واحتل رجال من هذه الأسرة مناصب هامة في الدولة (انظر الحلة السيرة ١٢٠/١ - ١٢١ والخاشية) وكان أحمد بن أبي عبدة أيام عبد الرحمن الناصر على القيادة (البيان المغرب: ٢: ١٥٨) ومحمد بن عبد الله بن أبي عبدة، على الخزائن (المصدر نفسه) وعيسى بن أحمد بن أبي عبدة على الشرطة العليا (٢: ١٥٩)، ويطول بنا القول لو أردنا تتبع أفراد هذه العائلة وتقلبهم في المناصب. د. إحسان.

(٢) بتروف: وانتهابهم إليها. إحسان.

(٣) هو مسعود بن سليمان بن مفلت الشتريني القرطبي، كان ظاهرياً لا يرى التقليد. متواضعاً توفي سنة ٤٢٦ (الصلة: ٥٨٣ والخدوة: ٣٢٨ والبيعية رقم: ١٣٦١). إحسان.

(٤) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ٢٤٢/١ - ٢٤٣ ج.

وقال الحميدي : فقيه عالم زاهد .

ووصفه ابن بشكوال بالأديب .

وقال عنه أبو محمد - في الكلام عن تصرف الإنسان في مرض وفاته :
وتزوج شيخنا أبو الخيار مسعود بن سليمان رضي الله عنه قبل موته
بسبع ليال وهو مريض يائس من الحياة ودخل بها إحياء للسنة^(١) .
وذكره أبو محمد ضمن العلماء المجتهدين^(٢) .

وقال : ومن أدركنا من أهل العلم ، على الصفة التي من بلغها استحق
الاعتداد به في الاختلاف ، مسعود بن سليمان بن مفلت^(٣) .

وقال : ولقد ذكر لبعض أهل العلم وابتغاء الخير في الشيخ الفاضل أبي
الخيار مسعود بن سليمان بن مفلت رضي الله عنه معتمدا قويا ،
ومقعدا كافيا برد الله مضجعه ، ونفعه بفضلته وعمله وصحة ورعه
وفهمه ، وصدعه بالحق . رفع الله بذلك درجته .

قال أبو عبد الرحمن : هكذا وجدنا هذه العبارة بالنسخة المطبوعة من
التلخيص^(٤) .

وهي عبارة مضطربة ، غير مرتبطة بالسياق .

وقال أنخل جثالث بالثنيا وقد أنكر عليه فقهاء المالكية الظاهر ، ومنعوه
وأستاذة أبا الخيار مسعود بن سليمان بن مفلت من التدريس في جامع
قرطبة . اهـ .

قال أبو عبد الرحمن : لم أهتم بعد إلى مصدر هذه العبارة التي نقلها
أنخل بالثنيا في كتابه عن تاريخ الأندلس .

قال أبو مروان الطنجي عن أبي الخيار كان صاحبي عند جماعة من
شيوخه ، أنشدني هذا البيت وهو من أبيات كثيرة نفعا :

(١) المحل ٢٦/١٠ .

(٢) راجع رسالة أبي محمد أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم الملحقه بجوامع السيرة ص
٣٣٥ .

(٣) الإحكام ١٠٢/٥ .

(٤) مجموعة رسائل ابن حزم ١٤٠/٢ ق .

نافس المحسن في إحسانه فسيكفيك مسيئا عمله
* قال أبو عبد الرحمن: هذا البيت من شعر غريب بن عبد الله
الثقفي^(١).

قال الطبري: ولم يزل أبو الخيار هذا طالبا متواضعا عالما متعلما إلى أن
لقي الله عز وجل على هذه الحال.
وتوفي لعشرين من ذي القعدة سنة ٤٢٦ هـ^(٢).

٢٢٠ - قال الحميدي:

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد:

حدثني محمد بن عبد الأعلى بن هاشم القاضي وعلي بن عبد الله
الأديب كلاهما قال لي:

كان الوزير سليمان بن وائسوس رجلا جليلا أديبا من رؤساء
البربر.

وكان أثيرا عند الأمير عبد الله بن محمد فدخل عليه يوما وكان عظيم
اللحية فلما رآه مقبلا جعل الأمير يتشد:

معلوفة كأنها حزالق
نكداء لا بارك فيها الخالق
للقمل في حافتها نقائق

وقال أبو محمد: وزادني علي بن عبد الله:

فيها لبلوغي المتكبر مراقق
وفي احتدام الصيف ظل رائق
إن الذي يحملها لمائق

ثم اتفقا:

(١) انظر الذيل والتكملة سفر ٥ قسم ٢ ص ٥٢٣.

(٢) الصلة ٢/٥٨٣.

ثم قال له :

اجلس يا بريري .

فجلس ، وقد غضب ، فقال :

أيها الأمير إنما كان الناس يرغبون في هذه المنزلة ، ليدفعوا عن أنفسهم الضيم .

وأما إذا صارت جالبة للذل فلنا دور تسعنا وتغنينا عنكم .

فإن حلتم بيننا وبينها فلنا قبور تسعنا لا تقدرُونَ على أن تحولوا بيننا وبينها .

ثم وضع يديه في الأرض وقام من غير أن يسلم ونهض إلى منزله .

قالا : فغضب الأمير ، وأمر بعزله ، ورفع دسسته الذي كان يجلس عليه . وبقي كذلك مدة .

ثم إن الأمير عبد الله وجد فقدته لغنائه وأمانته ونصيحته وفضل رأيه فقال للوزراء : لقد وجدت لفقد سليمان تأثيراً وإن أردت استرجاعه ابتداء منا كان ذلك غضاضة علينا ، ولوددت أن يتدثنا بالرغبة .

فقال له الوزير محمد بن الوليد بن غانم :

إن أذنت لي في المصير إليه ، استنهضته إلى هذا . فأذن له فنهض ابن غانم إلى دار ابن وانسوس فاستأذن وكانت رتبة الوزارة بالأندلس أيام بني أمية أن لا يقوم الوزير إلا لوزير مثله فإنه كان يتلقاه ، ويتزله معه إلى مرتبته ، ولا يحجبه أول لحظة فأبطأ الإذن على ابن غانم حيناً ، ثم أذن له فدخل عليه فوجده قاعداً ، فلم يتزحزح له ، ولا قام إليه .

فقال له ابن غانم :

ما هذا الكبير ؟ .

عهدي بك وأنت وزير السلطان ، وفي أيهة رضاه تتلقاني على قدم ، وتزحزح لي عن صدر مجلسك ! .

وأنت الآن في موجدته بضد ذلك .
فقال له : نعم لأنني كنت حينئذ عبداً مثلك ! .
وأنا اليوم حر ! .

قالا : فيثس ابن غانم منه وخرج ولم يكلمه ورجع إلى الأمير
فأخبره ، وأبتدأ الأمير بالإرسال إليه ، وردّه إلى أفضل ما كان عليه^(١) .
قال أبو عبد الرحمن : ابن عبد الأعلى هو ابن الغليظ قرطبي ولي
قضاء مالقة^(٢) .

وعلي بن عبد الله لعلّه الاستجبي .

قال أبو عبد الرحمن : تم السفر الأول بحمد الله وعونه ويليّه السفر
الثاني إن شاء الله وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على عباده
المرسلين .

(١) الحذوة ص ٢٦٦ - ٢٢٧ ج و ص ٢٠٩ - ٢١١ ق والغنية ص ٣٠١ - ٣٠٢ ج و ص ،

٢٨٧ - ٢٨٨ ق .

(٢) الصلة ٥٠٩/٢ .

www.zahereyah.com

رورة تحقيق تراث أهل الظاهر

www.aldahereyah.net

أبومحمد المصري

فهرس إجمالي

المقدمة	٥
١ - قصة موت غالب صهر ابن أبي عامر	١٣
٢ - قسمة أبي محمد بن حزم ميراث أحد بني أمية	١٥
٣ - اعتقال المستكفي لأبي محمد	١٧
٤ - قصة الرئيس تميم بن أبي تميم وجاريته	٢٠
٥ - نص من كتاب مراتب الديانة في المفاضلة بين كتب الحديث	٢٣
٦ - نص عن أسواق العرب لم يطبع ضمن كتاب جمهرة الأنساب	٢٤
٧ - مناظرة ابن حزم لأحد منكري النبوة وبرهنته على أن البشر خلقوا من ذكر واحد وأنثى واحدة	٢٦
٨ - وصية يحيى بن مجاهد في الأخذ من كل فن بطرف	٣٢
٩ - نص عن ظرف قاضي الجماعة محمد بن أبي عيسى	٣٢
١٠ - مداعبة ابن حدير للقاضي صهيب بن منيع	٣٣
١١ - مناقضة ابن أبي الفهد لليمانية	٣٤
١٢ - قصة ارتجاج البحر على مجاهد العامري	٣٥
١٣ - عدد حروف الهجاء في الفارسية	٣٦
١٤ - بيتان لابن الشويرب في الغزل	٣٦
١٥ - زجر أبي محمد بن حزم لمن أراد معارضة القرآن وإقامة أبي محمد البرهان على عجز كل من رام ذلك	٣٧

١٦	- تميز المعجزات عن الخيل والصناعات وكشف ابن حزم لحيلة
٣٧	أبي محمد المحرق
١٧	- مناظرة ابن حزم لابن النغرالي حول معنى (أخت) في العبرية
٣٨	أبيات لسليمان بن مهران في الغزل
٣٩	أبيات لابن عبد ربه في الغزل
٣٩	أبيات لأحمد بن محمد بن فرج في الغزل
٢٠	من اشتهر بكثرة الولد
٢١	- الرد على النصارى في صفة الخردل
٢٢	- حواريو عيسى عليه السلام ليسوا هم مختلقى الأناجيل
٢٣	كمرفس
٢٤	- بيتان لابن الدمينه
٢٥	- كلام للجاحظ في مرضه
٢٦	- من أخبار حسان بن مالك
٢٧	- من أخبار قاسم بن محمد
٢٨	- قصة وفاة يحيى بن مالك
٢٩	- من شعر أبي عمرو البياي
٣٠	- قصة شاعر في عرفة
٣١	- ترديد الإمام مالك لآية عن الظن
٣٢	- بيتان لعيسى بن مجمل
٣٣	- شعر لابن مسرة يستدعي أبا بكر اللؤلؤي
٣٤	- بيت شعر لإسماعيل المنادي
٣٥	- مضايقة الحسن بن زيد لابن أبي ذئب
٣٦	- من أخبار أحمد بن أفلح
٣٧	- كلمة لأبي النضر في تحكيم الكتاب والسنة
٣٨	- عزم عيسى بن دينار على ترك الرأي
٣٩	- أثبت الناصر في مالك ابن وهب
٤٠	- صراحة ابن أبي ذئب في مجلس المنصور

- ٤١ - أقوال العلماء في ابن أخي ابن وهب وحكم أخذ الأجرة على العلم ٥٤
- ٤٢ - حكم ابن لبابة وبقي بن مخلد وابن الملون في استتابة الزنديق ٥٥
- ٤٣ - براءة الإمام مالك من الرأي عند وفاته ٥٦
- ٤٤ - إكثار الإمام مالك من قول لا أدري ٥٦
- ٤٥ - عبد الله بن نافع أثبت الناس في مالك ٥٧
- ٤٦ - رأي الزهري بتحديث الراوي بخلاف ما يرى ٥٨
- ٤٧ - اختلاف فتوى الإمام مالك اتباعاً للأثر ٥٨
- ٤٨ - أثبت الناس في مالك ابن وهب ٥٩
- ٤٩ - حكم رفع اليدين في الصلاة ٥٩
- ٥٠ - مناظرة ابن عقبة لابن شنيف حول وجود الله ٦١
- ٥١ - ظاهرات في الخلق تنفي دعوى المصادفة ٦١
- ٥٢ - أماكن وجود الملكانية من النصارى ٦٢
- ٥٣ - أماكن وجود النسطورية من النصارى ٦٢
- ٥٤ - أماكن وجود اليعقوبية من النصارى ٦٢
- ٥٥ - أماكن وجود العنانية من اليهود ٦٣
- ٥٦ - رد ابن حزم على زعم أن الابن بمعنى العلم في اللغة اللاتينية ٦٣
- ٥٧ - حضور ابن حزم لدفن المؤيد ٦٣
- ٥٨ - استحالة خفاء الأعلام والمعجزات وعجز الملوك عن كتمان التاريخ ٦٤
- ٥٩ - بطلان الأحاديث عن تسبيح الجمادات بجوارح ٦٤
- ٦٠ - الرد على ما نسب لبعض الأشاعرة من أن الأنبياء ليسوا أنبياء اليوم ٦٤
- ٦١ - دفاع ابن حزم عن منهجه في الجدل ٦٥
- ٦٢ - أبيات حلوة لأمر المؤمنين سليمان الظافر ٦٥
- ٦٣ - أبيات لإسماعيل بن بدر ٦٧
- ٦٤ - إدخال بقي بن مخلد كتاب مصنف ابن أبي شيبة إلى الأندلس

- ٦٧ وحاية الخليفة له
- ٦٥ - بيتان لأبي جعفر ابن الأبار في التعزية عن جارية
- ٦٦ - بيتان لابن الفرضي
- ٦٧ - شعر لعبادة ابن ماء السماء في البرد الذي وقع سنة ٤٢١ هـ
- ٦٨ - كلام ابن حزم عن زيادة اللخمي
- ٦٩ - كلام ابن حزم عن المستظهر
- ٧٠ - كلام ابن حزم عن أحمد بن مطرف
- ٧١ - قصائد للزبيدي والمصحفي على سبيل المعارضة في الضاد والظاء
- ٧٢ - رؤيا منام لابن شبلاق
- ٧٣ - شعر للمكفوف القبري في حلبة السباق
- ٧٤ - قصة القرحة التي حصلت بأنف محمد بن معاوية بن الأحمر وخروجه إلى المشرق
- ٧٥ - مكافأة المنصور لسعيد البلينة على قصيدته القافية
- ٧٦ - كلام ابن حزم عن الإمام منذر بن سعيد وقصته مع أبي جعفر النحاس
- ٧٧ - أبو سعيد بن قالوس يهجو ابن مدرك
- ٧٨ - مناظرة الأدباء لصاعد بن الحسن أبي العلاء في مجلس المنصور ابن أبي عامر
- ٧٩ - بيتان من الشعر على حائط بخط أبي نواس من شعره
- ٨٠ - حوار بين المنصور بن أبي عامر وأحمد بن سعيد بن حزم حول إطلاق سجين
- ٨١ - توديع أبي محمد بن حزم لأبي بكر محمد بن إسحاق
- ٨٢ - فراسة إسماعيل اليهودي وكان ابن حزم جالساً في دكانه
- ٨٣ - ابن حزم يعدل أبا السري عمار بن زياد لأنه عشق لأجل
- ٨٧ - رؤيا في المنام
- ٨٤ - كلام ابن حزم عن صديقه أبي عامر محمد

- ٨٥ - ابن حزم يتحدث عن علاقته ببعض أصدقائه ٨٩
- ٨٦ - نص عن ابن حزم وهو في شاطبة وقرطبة ٩١
- ٨٧ - كلام ابن حزم عن عبد الله بن مغيث والد شيخه يونس
وتأليف عبد الله كتاباً على نحو كتاب الصولي عن خلفاء
الأندلس بأمر من الحكم المستنصر ٩٣
- ٨٨ - مداعبة عبود بشعر لتلميذه أبي العاصي المورودي ٩٧
- ٨٩ - بيتان لأبي خالد التراس ٩٧
- ٩٠ - مكيدة ابن العريف لأبي العلاء صاعد في مجلس المنصور ٩٨
- ٩١ - بيتان لابن جهور ٩٩
- ٩٢ - قصيدتان على سبيل المعارضة بين القاضي منذر بن سعيد
ومحمد بن أبي الحسين حول مقابلة الأخير لكتاب العين مع
القالبي ٩٩
- ٩٣ - شعر لعبد الملك بن حبيب الفقيه المالكي ١٠١
- ٩٤ - شعر لابن عبد ربه قبيل موته ١٠١
- ٩٥ - شعر لابن عبد ربه وقد رش بماء خلال استماعه لغناء حسن
تحت روشن بعض الرؤساء ١٠٢
- ٩٦ - أول يوم يصل فيه ابن حزم لحضرة المظفر ١٠٣
- ٩٧ - من أخبار عبد الرحمن التغلبي وبيتان له في الورد ١٠٣
- ٩٨ - شعر لأبي الأصبع يؤانس به أخاه الخليفة المستنصر بالله ١٠٤
- ٩٩ - كلام ابن حزم عن ابن أبي الفهد وروايته لشيء من شعره ١٠٤
- ١٠٠ - من شعر عبد الرحمن بن أحمد بن مثنى ١٠٥
- ١٠١ - كلام ابن حزم عن ابن الجحاف ١٠٥
- ١٠٢ - كلام ابن حزم عن صديقه أبي عبد الله محمد بن يحيى الطنبلي
وأستاذه أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي زيد، وانتهاج البربر
لمنازل آل حزم وخروج ابن حزم من قرطبة إلى المرية ونكبة
خيران لابن حزم وتغريبه إلى حصن القصر هو وصديقه ابن
اسحاق، ومساكنته للمرتضى ببلنسية وعلاقته ببعض أصدقائه

- هناك ودخول ابن حزم قرطبة في عهد القاسم بن حمود ١٠٥
- ١٠٣ - وصية أحمد بن حزم لابنه أبي محمد ١١٧
- ١٠٤ - كلام ابن حزم عن عملين أدبيين لابن الجزيري وابن دراج في فتح شنت ياقب ١١٧
- ١٠٥ - امتحان أبي العلاء صاعد للأدباء في مجلس المنصور ١١٨
- ١٠٦ - كلام ابن حزم عن قاسم بن أصبغ ١١٩
- ١٠٧ - كلام ابن حزم عن الطليق ١١٩
- ١٠٨ - شعر لأبي شاعر القبري ١٢٠
- ١٠٩ - شعر لسعيد بن فتحون في الدفاع عن المنطق ١٢٠
- ١١٠ - كلام ابن حزم عن ابن الفرضي ١٢٠
- ١١١ - كلام عن أبان بن عيسى بن دينار وكلام للزهري في ذم الرأي ١٢١
- ١١٢ - كلام لسحنون في الاحتفاء بالسنة المطهرة ١٢٢
- ١١٣ - عن رفع اليدين في الصلاة ١٢٢
- ١١٤ - كلام للإمام مالك في الاحتفاء بالنصوص الشرعية ١٢٣
- ١١٥ - كلام لمالك وابن وهب حول السنة والرأي ١٢٣
- ١١٦ - عمل مالك رفع اليدين في الصلاة ١٢٤
- ١١٧ - حول إسناد حديث لا ضرر ولا ضرار ١٢٤
- ١١٨ - عن رفع اليدين في الصلاة ١٢٥
- ١١٩ - قصة ابن كليب مع أسلم ١٢٥
- ١٢٠ - غرام ابن حزم بجاريته في صباه، وتاريخ انتقال آل حزم إلى دورهم الجديدة، والتاريخ لفتنة البربر وخروج ابن حزم من قرطبة ١٤٠
- ١٢١ - أسباب تأليف طرق الحمامة وشعر ابن حزم في صديقه عبيد الله بن عبد الرحمن بن المغيرة ١٥١
- ١٢٢ - كلام ابن حزم عن أخيه أبي بكر ١٥٣
- ١٢٣ - رثاء ابن حزم لقرطبة ١٥٤

- ١٢٤ - نص آخر في رثاء ابن حزم لقرطبة ١٥٦
- ١٢٥ - مناظرة ابن حزم لبعض علماء اليهود في الاختتان ١٥٩
- ١٢٦ - كلام ابن حزم عن مذهب اليهود في المراد (بشارهسير) الكتاب المنسوب إلى سليمان عليه الصلاة والسلام ١٦٠
- ١٢٧ - إمساك ابن حزم عن الرد على هذيان محمد بن عيسى الصوفي ١٦٠
- ١٢٨ - يوجد بالأندلس مخالفون لمالك من علماء الحديث وأهل الظاهر والشافعية ١٦٠
- ١٢٩ - ابن زرب القاضي يجمع بين معه في ناحية المسجد ١٦١
- ١٣٠ - خبران يوردهما أبو محمد عن جهل أحد المقرئين بالأندلس وفسق الآخر ١٦١
- ١٣١ - حملة ابن حزم على بعض القضاة ١٦٣
- ١٣٢ - كلام ابن حزم عن الفجل ١٦٤
- ١٣٣ - كلام ابن حزم عن الطلسمات والسحر ١٦٥
- ١٣٤ - نص له آخر في الحيل والطب والسحر ١٦٥
- ١٣٥ - تحقيق ابن حزم لمد النبي ﷺ ١٦٦
- ١٣٦ - شعر لابن شخيص ١٦٧
- ١٣٧ - إطالة ابن معدان للخطبة في جامع قرطبة ١٦٨
- ١٣٨ - عن وفاة ابن الفرضي ١٦٨
- ١٣٩ - استماع قاضي الجماعة ابن السليم لغناء جارية ١٦٨
- ١٤٠ - كلام ابن حزم عن عمر بن شعيب ١٦٩
- ١٤١ - كلام ابن حزم عن أبي غالب تمام بن غالب ١٧٠
- ١٤٢ - شعر للفخري في البرم من الشعر ١٧١
- ١٤٣ - حيلة أعرابي في الإخبار عن الكلاء مع أنه عوهد على الكتمان ١٧١
- ١٤٤ - شعر رواه ابن حزم في مجلس الوزير أبيه أحمد بن حزم ١٧٢
- ١٤٥ - شعر لأبي سعيد البستي ١٧٢
- ١٤٦ - ابن شهيد الجدي يعارض ابن جهور بيتين من الشعر ١٧٢
- ١٤٧ - مناظرة ابن حزم للجرجاني حول وجود الله وتناهي الزمان ١٧٣

- ١٤٨ - ابن حزم يروي شعراً لشيخه حسان بن مالك ١٧٤
- ١٤٩ - شعار ابن محامس على باب داره ١٧٦
- ١٥٠ - يحيى بن مالك يحور بيتاً غزلياً إلى الزهد ١٧٦
- ١٥١ - تورع الإمام مالك عن تقبيل يد السلطان، وكلام مالك عن
نافع في قلة الفتيا ١٧٦
- ١٥٢ - كلام مالك في الاجتهاد ١٧٧
- ١٥٣ - تزويج المظفر بنت عمه من ابن قندمولاه ١٧٨
- ١٥٤ - شعر لطاهر بن محمد في الوزير أحمد بن حزم ١٧٩
- ١٥٥ - نبوة صاعد اللغوية بأسر غرسية بن شانجة على سبيل الفأل ١٧٩
- ١٥٦ - كلام ابن حزم عن عبد الله بن الناصر ١٨٠
- ١٥٧ - كلام ابن حزم عن شيخه ثابت ١٨٠
- ١٥٨ - من شعر ابن الطنبلي ١٨٢
- ١٥٩ - من شعر ابن بدر ١٨٢
- ١٦٠ - بداهة الوزير أحمد بن حزم في رد غرور أبي القاسم الزبيدي ١٨٣
- ١٦١ - من شعر جعفر بن عثمان ١٨٤
- ١٦٢ - من شعر يحيى الغزال ١٨٤
- ١٦٣ - من شعر أبي عمران المرادي في الزهد ١٨٤
- ١٦٤ - كلام ابن حزم عن ضرورة الخلافة ١٨٥
- ١٦٥ - كلام ابن حزم عن عشرة أمور تلزم الخليفة ١٨٦
- ١٦٦ - كلام ابن حزم عما ينبغي من توزيع أوقات إمام المسلمين .. ١٨٧
- ١٦٧ - ضرورة الوزراء من شتى الاختصاصات ١٨٨
- ١٦٨ - ضرورة الشورى للإمام ١٨٨
- ١٦٩ - ضرورة تشجيع الإمام للعمارة والغراس ١٨٨
- ١٧٠ - ما يجب على الإمام من ناحية الإمامة الصغرى والمساجد ... ١٨٩
- ١٧١ - لا ينبغي للإمام أن يبحث عن شيء من الحدود ١٩٠
- ١٧٢ - ما يلزم الإمام من جهة البريد ١٩٠
- ١٧٣ - ما ينبغي للإمام من ناحية عمال الزكاة ١٩١

- ١٧٤ - ما يلزم الإمام من ناحية والي الخراج ١٩١
- ١٧٥ - ما يلزم الإمام من جهة العمال والولاة ١٩١
- ١٧٦ - ما يلزم الإمام من جهة السجون ١٩٤
- ١٧٧ - إفادة ابن حزم عن أعتاب بجمال رية والجزائر ١٩٥
- ١٧٨ - مناظرة ابن حزم لبعض المالكية ١٩٥
- ١٧٩ - قرى ميورقة تقيم الجمع ١٩٦
- ١٨٠ - عن تكفين بعض فقهاء الأندلس ١٩٦
- ١٨١ - سعر الدينار بالأندلس ١٩٦
- ١٨٢ - مناظرة ابن حزم لبعض المالكية ١٩٦
- ١٨٣ - مذهب بعض فقهاء الأندلس في القنوت ١٩٧
- ١٨٤ - زميل لابن حزم في الدراسة ضربه معلمه فبيست عينه ١٩٧
- ١٨٥ - رجل سالت بيضته فولد له ١٩٧
- ١٨٦ - بعض فقهاء الأندلس يحلفون بالشهود ١٩٨
- ١٨٧ - مقدار الدرهم الأندلسي ١٩٨
- ١٨٨ - مقدار دينار الذهب بمكة والدرهم والرطل ١٩٨
- ١٨٩ - تبكير الزرع في الأندلس ١٩٩
- ١٩٠ - مناظرة ابن حزم لبعض النوكي حول الياس والخضر ٢٠٠
- ١٩١ - دار الإمارة في عهد رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين ٢٠٠
- ١٩٢ - ابن حزم ينتفع بوصية ابن إسحاق لوالده، وبكلام للخيل بن أحمد ٢٠١
- ١٩٣ - من شعر أبي الأصبغ الخازن ٢٠١
- ١٩٤ - مداعبة ابن حزم لأبي مروان الطنبلي ٢٠٢
- ١٩٥ - شعر لمركوش النحوي ٢٠٢
- ١٩٦ - بيت لأعرابي من ديار ربيعة ٢٠٣
- ١٩٧ - كلام لابن حزم عن المتنبي ٢٠٣
- ١٩٨ - كلام لابن حزم عن أسباب التقليد ٢٠٣
- ١٩٩ - كلام لابن حزم عن عبد الرحمن الداخل ٢٠٤

- ٢٠٠ - كلام لابن حزم يدل على الميوعة في الأندلس ٢٠٤
- ٢٠١ - كلام ابن حزم عن قرعوس بن العباس ٢٠٤
- ٢٠٢ - كلام ابن حزم عن أحمد بن بيطر ٢٠٤
- ٢٠٣ - كلام ابن حزم عن فضل بن سلمة ٢٠٤
- ٢٠٤ - كلام ابن حزم عن الجاحظ ٢٠٥
- ٢٠٥ - رسالة ابن حزم إلى ابن الحوات ٢٠٥
- ٢٠٦ - مناظرة ابن حزم لشيخه حسان بن مالك ٢٠٨
- ٢٠٧ - مذهب المالكية في تعجيل العتمة ٢٠٩
- ٢٠٨ - كلام ابن حزم عن محمد بن عبد الله بن حكم ٢٠٩
- ٢٠٩ - كلام ابن حزم عن أحمد بن تليد ٢٠٩
- ٢١٠ - كلام ابن حزم عن أحمد بن برد ٢٠٩
- ٢١١ - تأسف ابن حزم على فقهاء المالكية ٢٠٩
- ٢١٢ - فساق بعض أهل العلم في الأندلس ٢١٠
- ٢١٣ - تنكيت ابن حزم بشيخ من شيوخ المالكية ٢١١
- ٢١٤ - انتقاد ابن حزم لبعض أئمة المساجد من المالكية ٢١١
- ٢١٥ - كلام ابن حزم عن حماقة بعض اليهود بالأندلس ٢١٢
- ٢١٦ - كلام ابن حزم عن أتباع ابن مسرة ٢١٢
- ٢١٧ - كلام ابن حزم عن إسماعيل الرعيني ٢١٤
- ٢١٨ - مناظرة ابن حزم لليث بن حرفش ٢١٥
- ٢١٩ - سبب اختلاط مروان بن حدير وحنون محمد بن عباس ٢١٦
- ٢٢٠ - كلام ابن حزم عن سليمان بن وانسوس البربري ٢١٩

نَوَادِرُ الْإِمَامِ ابْنِ حَزْمٍ

خَرَجَهَا وَعَلَّقَ عَلَيْهَا
أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عَقِيلٍ الظَّاهِرِيُّ
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

السَّفَرُ الثَّانِي
يَتَضَمَّنُ ١٥١ نَصًّا

٢٢١ - قال أبو عبد الرحمن : وجدت هذا النص مسنداً إلى أبي محمد :

بسم الله الرحمن الرحيم .

صلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أخبرنا الشيخ الإمام القدوة العلامة قاضي القضاة بدر الدين أبو عبد الله محمد بن الإمام العارف برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني (إذنا) قال:

ثنا أبو العباس أحمد بن الفرّج بن علي بن سلمة الدمشقي إجازة. قال:

أنبأنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن البطي إجازة. قال:

أنبأنا أبو عبد الله محمد بن نصر الحميدي الحافظ إجازة. قال:

سمعت الفقيه أبا محمد علي بن أحمد بن سعيد الحافظ وهو ابن حزم الأندلسي (وقد جرى ذكر الصحيحين فعظم منها ورفع من شأنها، وحكى أن سعيد بن السكن اجتمع إليه يوماً قوم من أصحاب الحديث فقالوا له: إن الكتب من الحديث قد كثرت علينا فلو دلنا الشيخ على شيء يقتصر عليه منها؟).

فسكت عنهم ودخل إلى بيته فأخرج أربع رزم ووضع بعضها على بعض وقال: هذه قواعد الإسلام كتاب مسلم، وكتاب البخاري، وكتاب أبي داود، وكتاب النسائي، ثم جرى الكلام، فقال لنا أبو محمد:

وما وجدنا للبخاري ومسلم - رحمهما الله - في كتابها شيئاً لا يحتمل مخرجاً^(١) إلا حديثين لكل واحد منها حديث.

(١) يريد أبو محمد - بناء على أصله في الدليل - بالمخرج الاحتمال الراجح، أو المتعين ضرورة، أما الاحتمالات المرسلة التي لا سند لها إلا الدعوى فكثيرة.

ثم غلبه^(١) في تخريجه الوهم مع إتقانها وصحة معرفتها.

فأما الذي في كتاب مسلم فأخرجه عن عباس بن عبد العظيم، وأحمد بن جعفر المعقري: عن النضر بن محمد اليمامي: عن عكرمة — هو ابن عمار: عن أبي زميل وهو سماك الحنفي^(٢) : عن ابن عباس هو عبد الله بن عباس.

قال : كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه. فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا نبي الله ثلاث أعطينهن؟.

قال : نعم.

[قال]^(٣) : عندي أحسن نساء العرب [و] أجملهم أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجهما.

قال : نعم.

[قال] ومعاوية تجعله كاتباً [بين يديك].

قال : نعم.

قال : وتؤمرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين؟.

قال : نعم.

قال أبو زميل : ولولا أنه طلب ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم ما أعطاه ذلك، لأنه لم يسأل شيئاً إلا قال نعم.

(١) وردت غلبه في الأصل مهملة غير معجمة تصلح أن تكون (غلبه) أو (علته) وقد صححتها من فتح الباري ٢٦٤/١٧.

(٢) في الأصل : الجعفي.

(٣) كل ما بين القوسين المعكوفين زيادة من صحيح مسلم.

قال لنا أبو محمد : وهذا حديث موضوع لاشك في وضعه، والآفة فيه من عكرمة بن عمار، ولا يختلف اثنان من أهل المعرفة بالأخبار في أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج أم حبيبة إلا قبل الفتح بدهر وهي بأرض خبشة وأبوها أبو سفيان [٢٨/ب] كافر هذا مالا شك فيه.

وأما الذي في كتاب البخاري وقد تابعه مسلم عليه فهو قبل تمام الكتاب بأوراق في باب ترجمه ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٦٤] ذكره عن عبد العزيز بن عبد الله: عن ^(١) سليمان هو ابن بلال: عن شريك بن عبد الله هو ابن أبي نمر. قال: سمعت أنس بن مالك يقول: ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه.

هكذا قال، ثم مضى في الحديث وفيه : حتى جاء سدره المنتهى ودنا جبر رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله فيما وحي إليه خمسين صلاة ^(٢).

قال أبو محمد : فهذه ألفاظ معجمة منكرة والآفة من شريك في ^(٣) ذلك.

أولها : قوله : قبل أن يوحى إليه، وأنه حينئذ فرضت عليه الخمسون صلاة.

(١) في الأصل : بن.

(٢) في الأصل : فأوحى إلى محمد مما أوحى إليه ما يوحى خمسين صلاة. وقد شطب في الأصل على جملة (محمد مما أوحى).

والتصحیح من صحيح البخاري.

(٣) في الأصل : من، وقد وضعت مكانها (في) لأنها أنسب للسياق.

وهذا بلا خلاف من^(١) أحد من أهل العلم : إنما كان قبل الهجرة بسنة بعد أن أوحى إليه بنحو اثنتي عشرة^(٢) سنة.

فكيف يكون ذلك قبل أن يوحى إليه؟.

فنسأل الله العظمة والتوفيق. [٢٩/أ]

التعليق على النص

هذه رسالة وردت في الجزء الأول من فهرسة الدكتور رمضان ششن الموسوم بنوادير المخطوطات العربية في مكتبات تركيا ص ٧٤ تحت رقم ٧١ بعنوان: (جزء ذكر فيه [أي ابن حزم] حديثين أحدهما في صحيح البخاري، وثانيهما في صحيح مسلم زعم أنها موضوعان رواية أبي عبد الله محمد بن نصر الحميدي).

* قال أبو عبد الرحمن : هذه النسخة صورت لي بمسعى الوالد الكريم الدكتور إحسان عباس من مكتبة أحمد الثالث برقم ٧/٦٢٤ وهي من خطوط القرن التاسع الهجري، وليس في هذه النسخة تسمية معينة، ولا أعتقد أن ابن حزم أملى هذه الرسالة على تلميذه الحميدي على سبيل أنها تأليف مستقل، وإنما أتوقع أحد أمرين :

فإما أن تكون مادة هذه الرسالة فصلاً من أحد مؤلفات ابن حزم، ويكون الحميدي روى الكتاب عن شيخه، فساغ له أن ينقل منه فصلاً بصيغة (سمعت الفقيه أبا محمد) كما هي عادة الحميدي في النقل من كتب شيوخه، وكما تبيحه طرق تحمل الرواية المعتبرة عند العلماء.

وإما أن تكون هذه الرسالة من أمالي الإمام ابن حزم في مجالسه بالأندلس، أو مما دار في مجلسه بحضور الحميدي.

(١) في الأصل : لاخلاف، وفي فتح الباري ١٧/٢٦٤ : بين أحد.

(٢) في الأصل : عشر سنة.

وعلى أي حال فهذه الرسالة ثابتة عن ابن حزم نقل عنها العلماء
وشاروا إليها كما سيأتي، بل رواها بنصها كاملة أبو الفضل محمد بن طاهر
نقيسراني المقدسي في كتابه (الانتصار لأئمة الأمصار) بإسناده إلى
خميدي^(١) .

ومن أشار إليها أبو محمد عبد الحق الإشبيلي في الجمع بين الصحيحين،
وأبو عمرو بن الصلاح.

والحديثان الواردان في الصحيحين اللذان ردهما أبو محمد هما:

١ — حديث عبد الله بن عباس عند مسلم الذي فيه أن أبا سفيان بعد
سلامه عرض على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يزوجه بنته أم المؤمنين
(أم حبيبة) رضي الله عنها.

ووجه الاستنكار أن الرسول صلى الله عليه وسلم تزوج أم حبيبة قبل
إسلام أبي سفيان بسنين، تزوجها فيما بعد الحديبية سقت إليه من بلاد
الحبيشة^(٢) .

ونكارة هذا الحديث مما سلم بها العلماء، فالذهبي يرى أن مسلماً ساق
أصلاً منكراً^(٣) ، وكذلك القاضي عياض والنووي اعتبراه مشكلاً.

وقد قال ابن حزم عن هذا الحديث في أحد كتبه : إنه وهم من بعض
الرواة^(٤) .

فإلى هنا لا يزال رأي ابن حزم معقولاً، وإنما المستنكر منه قوله :

(١) فتح الباري ١٧/٢٦٤.

(٢) جوامع السيرة ص ٣٥.

(٣) ميزان الاعتدال ٣/٩٣.

(٤) شرح النووي لصحيح مسلم ١٦/٦٤.

(وهذا حديث موضوع لاشك في وضعه والآفة فيه من عكرمة بن عمار).

* قال أبو عبد الرحمن : إذا كان الحديث موضوعاً، وكانت آفته عكرمة بن عمار فالنتيجة أن عكرمة وضاع.

وهذه النتيجة بمقدمتها الأولى شنيعة من ثلاثة وجوه :

أولها : أنها مخالفة لإجماع النقاد والعلماء على عصمة الصحيحين من الوضع.

وثانيها : أنها مخالفة لإجماع النقاد والعلماء على براءة عكرمة من الوضع.

وثالثها : أنها مبنية على غفلة من الفرق بين الوهم والوضع.

ولا خير على الشيخ أبي عمرو بن الصلاح إذا شنع على أبي محمد بن حزم لحكمه بالوضع، وإنما المستغرب مبالغته في التشنيع على أبي محمد لاستشكاله الحديث ورده له، ثم محاولته رد الإشكال بما لا تتحملة عقول العلماء.

قال عفا الله عنه :

(وما توهمه ابن حزم من منافاة هذا الحديث لتقدم زواجها غلط منه، لأنه يحتمل أنه سأل تجديد عقد النكاح تطيباً لقلبه، لأنه كان ربما يرى عليه غضاضة من رياسته ونسبه أن تزوج بنته بغير رضاه) (١) .

* قال أبو عبد الرحمن : لا مجال للكهانة أمام النص العربي المبين، وما ذكره ابن الصلاح ليس مفهوماً من الحديث لانصاً ولا إيماء ولا استنتاجاً، وليس هو احتمالاً متعيناً.

ولا أسلم من رد الحديث والحكم بأنه وهم من قبل عكرمة بأي احتمال من احتمالات الوهم التي يقع فيها الرواة.

(١) المصدر السابق.

٢ — حديث أنس بن مالك من طريق شريك بن عبد الله بن أبي نمر. رواه البخاري مطولاً، وأسنده مسلم مختصراً، وأورده ابن حزم مقتصراً على محل الشاهد.

وهذا الحديث استشكله أبو محمد بن حزم ولم يحكم بوضعه، ولم يذكر كل استشكال ورد عليه، وإنما اكتفى بإيراد استشكلين مع أن ابن قيم الجوزية في زاد المعاد وغيره أوردوا عليه اثني عشر استشكالا (١٥).

بل إن الإمام مسلماً لما ساق طرفاً منه لمح إلى أوهام الراوي فقال:
(فقدّم وأخر، ونقص).

والذهبي يعتبر هذا الحديث من غرائب الصحيح (١٦).

والأمران اللذان استشكلهما ابن حزم هما :

قوله (جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه).

مع العلم أن الإسراء بعد أن أوحى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، بنحو اثنتي عشرة سنة، لأنه كان قبل الهجرة بسنة.

وابن حزم اعتبر هذا النص منكراً، وجعل آفته شريك بن عبد الله. ومعنى هذا أن شريكاً تفرد به.

وبمثل حكم ابن حزم على هذا النص كان حكم الخطابي والقاضي عياض وعبد الحق الإشبيلي والنووي.

(١) فتح الباري ١٧/٢٦٤ — ٢٦٥ وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الصالحى ٣/٢١٨ — ٢٢٢.

(٢) ميزان الاعتدال ٢/٢٦٩ — ٢٧٠.

وتعقبهم الحافظ ابن حجر برد دعوى التفرد أولاً، وبرد دعوى الإشكال ثانياً.

أما دفع دعوى التفرد فلأن كثير بن خميس وافق شريك بن عبد الله في رواية هذا النص بموجب إسناد سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في كتابه المغازي^(١).

* قال أبو عبد الرحمن : إذا صح هذا الإسناد ارتفعت دعوى التفرد، وبقي النص من هذين الطريقتين مشكلاً.

أما رفع دعوى الإشكال فقد بناه الحافظ بن حجر على دعوى أن شق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، وأما الإسراء فبعدها، لأن في نص هذا الحديث عن نفر الذين شقوا صدره: فكانت تلك الليلة فلم يرههم حتى أتوه ليلة أخرى).

* قال ابن حجر : (ولم يعين المدة التي بين المجيئين، فيحمل على أن المجيء الثاني كان بعد أن أوحى إليه وحينئذ وقع الإسراء والمعراج.

وإذا كان بين المجيئين مدة فلا فرق في ذلك بين أن تكون تلك المدة ليلة واحدة أو ليالي كثيرة أو عدة سنين.

وهذا يرتفع الإشكال ويسقط تشنيع الخطابي وابن حزم وغيرهما. اهـ
وهذا أخذ ابن قيم الجوزية وابن كثير^(٢).

* قال أبو عبد الرحمن : لا والله ما ارتفع الاستشكال ولا زال، لأن نص الحديث هكذا: (فكانت تلك الليلة فلم يرههم حتى أتوه ليلة أخرى).

(١) فتح الباري ٢٥٨/١٧.

(٢) فتح الباري ٢٥٨/١٧ وسبل الهدى والرشاد ٥/٣.

* قال أبو عبد الرحمن : ليس من أساليب العرب في مثل هذا التركيب أن يكون الفاصل بين اليلتين أعواماً، والعبرة في تفسير الكلام العربي بمعهود لغة العرب.

ومنهم من دفع الإشكال بدعوى طريفة، فقال معنى (قبل) في قوله (قبل أن يوحى إليه) التقييد: أي قبل أن يوحى إليه في شأن الإسراء والمعراج، وليس المقصود القبلية المطلقة بحيث تشمل بداية الوحي^(١).

* قال أبو عبد الرحمن : هذا احتمال غير متعين، ومع أنه غير متعين فلا مرجح له، وإذن فهو مجرد دعوى عارية من البرهان، لأنه ليس للوحي بشأن الإسراء معهود في الذهن أو السياق.

* قال أبو عبد الرحمن : والأسلم أن نحمل هذا النص على الوهم بأي احتمال من احتمالات الوهم التي يقع فيها الرواة، ومن تلك الاحتمالات ما قاله أبو الفضل بن طاهر: (ولعله أراد أن يقول: بعد أن أوحى إليه) فقال: (قبل أن يوحى إليه)^(٢).

* قال أبو عبد الرحمن : وفي الحديث قوله :

(ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى).

* قال أبو عبد الرحمن : سبحان الله العلي العظيم هذا كلام شنيع، وأي توجيه له فهو من باب المغالطة، ولا أسلم من رده واعتباره وهمًا، وإنما المقصود في هذا السياق جبريل عليه السلام.

وقد رده الخطابي بكلام يبلغ^(٣) والله المستعان.

(١) فتح الباري ١٧/٢٦٥.

(٢) المصدر السابق ١٧/٢٦٤.

(٣) راجع فتح الباري ١٧/٢٦٢ - ٢٦٣.

* قال أبو عبد الرحمن : كنت نشرت هذا النص^(١) فذيل عليه شيخنا أبو تراب الظاهري متع الله به قائلاً :

ذيل لتعليق ابن عقيل على رسالة نادرة لابن حزم :

قال أبو تراب :

إن مجلة عالم الكتب مطمع أنظار المحققين — اليوم — قد انبثق جودها بفوائد خيرها، منذ أول النشأة، ونحن نستفيد من كل جزء منها جديد مما يحمله من عطاء، بارك الله في جهود يحياها الساعاتي ذي الزكاة الفائقة في معرفة التراث، والحرص الرابي على ذخائره ونفائسه.

وفي الجزء الرابع من المجلد الأول الذي خرج في ربيع الآخر ١٤٠١هـ وقفت على رسالة نادرة للحافظ ابن حزم أملاها على تلميذه الحميدي تتعلق بحديثين وردا في الصحيحين، ونشرتها المجلة، وأصلها بمكتبة أحمد الثالث بتركية (رقم ٧/٦٢٤) بتحقيق صديقي العلامة أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، وهو من هو في العناية بآثار الحافظ ابن حزم طول باع، وحسن تفهم، وجلداً على البحث، وتحصيلاً لكتبه، وتفانياً في خدمتها، وانخراطاً في سلكها، وقد أتبعني بصلته، وتوفر علي جميل إحسانه، بارك الله فيه، ولست ممن ينسى من يتسخى عليه، كيف وهو: (كان لنا لما أتى جدافاه) وتصويره لي هذه الرسالة، قبل نشرها، بعض تلك الأفضال التي يشكر عليها، وجاء تحقيقه لها على وجازته نقطا على عروس الحروف: طوقت طلبة العلم منه، ونقلتهم غنيمة. نديت كفه، وهو يسك بشناتره قلمه :

وكف ترى وكف الحيا كيف ينهمي إلى خلق يهدي نسيم الصبا النفحا

وآيات علم أغمد الجهل نورها وغايات جد ليس تطلبا مزحا

(١) انظر مجلة عالم الكتب العدد الأول سنة ١٤٠١هـ.

والمقدمة التي حررها صديقي الظاهري مستوفية المقصود، رزينة النصل
والنبل، ترنو بعين أبيها إذا لحظت، وتمضي في سكيكة مستقيمة لاعوج فيها
ولا أمت.

والنص معروف الأصل، غير منكور النقل، اشتهر بين المتقدمين، وتناولوه
بالخفض والرفع إلا أنه عن لي أن أذيل تحقيق صديقي بذيل هو محضري،
ولعل الباحث واجد مزيداً عليه، فليلحق من شاء تعليق هذه بأمرها وليدة
ابن عقيل، فهي التي كانت ذات در أنتجتها، وبالله التوفيق.

قال محمد بن الوزير، في تنقيح الأنظار (ج ١ ص ١٢٩) :

قد رد الحافظ على (ابن حزم) مذكوره، وجمع (ابن كثير) الحافظ جزءا
مفرداً في بيان ضعف كلامه.

* وقال الحافظ في الإصابة (ج ٤ ص ٣٠٦) في معرض رده على ابن
الأثير لقوله : وهو وهم من بعض الرواة :

وفي جزمه بكونه وهماً نظراً، فقد أجاب بعض الأئمة باحتمال أن يكون
أبو سفيان أراد تجديد العقد.

* وقال ابن كثير في «البداية» (ج ٤ ص ١٤٥) :

والأحسن في هذا أنه أراد أن يزوجه ابنته الأخرى (عزة) لما رأى في
ذلك من شرف له، واستعان بأختها أم حبيبة، كما في الصحيحين، وإنما
وهم الراوي في تسميتها (أم حبيبة).

قال أبو تراب :

هو يشير إلى ما جاء في صحيح البخاري في النكاح في باب وأمهاتكم
من الرضاعة، ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب، وفي صحيح مسلم في
الرضاع :

أن أم حبيبة أم المؤمنين بنت أبي سفيان قالت : يا رسول الله : انكح أختي بنت أبي سفيان عزة؟.

فقال : أو تحبين ذلك؟.

قالت : نعم لست لك بمخلية، وأحب من شاركني في حب أختي.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن ذلك لا يحل لي.

قالت : فإننا نحدث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة درة؟.

قال : بنت أم سلمة؟.

قالت : نعم.

قال : لو أنها لم تكن ربيبتني في حجري ما حلت لي ، إنها لابنة أخي من الرضاعة أرضعتني وأبا سلمة (ثوية).

هذا مجموع لفظ الصحيحين.

* وقال ابن القيم في زاد المعاد (ج ١ ص ٢٨) :

وقالت طائفة : بل الحديث صحيح، ولكن وقع الغلط والوهم من أحد الرواة في تسمية أم حبيبة وإنما سأله أن يزوجه أختها عزة، ولا يبعد خفاء التحريم للجمع عليه، فقد خفي ذلك على ابنته، وهي أفقه منه وأعلم.

إلى أن قال : فهذه هي التي عرضها أبو سفيان على النبي صلى الله عليه وسلم فسمّاها الراوي من عنده أم حبيبة، وقيل بل كانت كنيّتها أيضاً أم حبيبة، فإن صحت كنيّتها بأم حبيبة أيضاً فقد زال كل إشكال، ويكون المراد (عزة) لا (رملة) وهي أم المؤمنين.

قال أبو تراب :

وفي معجم الطبراني بسنده عن أم حبيبة أنها قالت : يا رسول الله: هل لك في حنة بنت أبي سفيان؟.

قال : أصنع ماذا؟.

قالت : تنكحها.

قال : لا تلح لي.

وفي صحيح مسلم وسنن النسائي وردت تسميتها عزة، وفي بعض طرق الحديث عند أبي موسى اسمها درة، والمحفوظ أن درة اسم بنت أبي سلمة كـ في الصحيح، ولم أقف في معاجم الصحابة على كنيها، والله أعلم^(١).

٢٢٢ — قال أبو محمد :

واحتج بعضهم بأن قال : لا بد من التقليد، لأنك تأتي الجزار فتقلده في أنه سمي الله عز وجل، ويمكن أن يكون لم يسم، وهكذا في كل شيء.

قال أبو محمد : المحتج بهذا : إما كان بمنزلة الحمير في الجهل، وإما كان رقيق الدين، لا يستحي ولا يتقي الله عز وجل، فيقال له: إن كان ما ذكرت عندك تقليداً: فقلد كل فاسق وكل قائل، وقلد اليهود والنصارى فاتبع دينهم، لأننا كذلك نبتاع اللحم منهم ونصدقهم أنهم سمو الله تعالى

(١) الجام الأعلام ص ٧٦ — ٧٨.

قال أبو عبد الرحمن : جرى الله الشيخ أبا تراب خيراً، فقد تم ما أغفله تكاسلي، وقد تركت — عمداً — غير ما ذكره الشيخ كثيراً من جمع الشراح وتوجيههم، ذلك أن غرضي الاختصار على بيان الأوهام في الحديثين.
أما بيان كيفية حصول الأوهام فخارج عن غرضي، لأنه أمر يطول جداً ويحتاج إلى تفرغ.

على ذبيحتهم، كما نبتاعه من المسلم الفاضل ولا فرق، ولا فضل بين ابتياعه من زاهد عابد وبين ابتياعه من يهودي فاسق.

ولا أثر ولا فضيلة لذبيحة العالم الورع على ذبيحة الفاسق الفاجر. فقلد كل قائل على ظهر الأرض وإن اختلفوا، كما نأكل ذبيحة كل جزار من مؤمن أو ذمي.

فإن قال بذلك خرج عن الإسلام وكفى مؤنته، ولزمه ضرورة أن لا يقلد عالماً بعينه دون من سواه، كما أنه لا يقلد جزاراً بعينه دون من سواه.

وإن أبى من ذلك فقد أبطل احتجاجه بتقليد الجزار وغيره، وسقط تمويهه.

ولكن ليعلم الجاهل أن هذا الذي شغب به هذا المموه — من تصديقنا الجزار والصانع وبائع سلعة بيده — : ليس تقليداً أصلاً، وإنما صدقناهم لأن النص أمر بتصديقهم، وقد سأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه المسألة بعينها، فقالوا: يا رسول الله إنه يأتي قوم حديثو عهد بالكفر بذبائح لاندري أسموا الله تعالى عليها؟.

فقال عليه السلام : سمو الله أنتم وكلوا أو كما قال عليه السلام.

أمر تعالى بأكل طعام أهل الكتاب وذبائحهم.

فإن أتونا في تقليد رجل بعينه بنص على إيجاب تقليده، أو بإجماع على إيجاب تقليده : صرنا إليه واتبعناهم، ولم يكن ذلك تقليداً حينئذ، لأن البرهان كان يكون حينئذ قد قام على وجوب اتباعه^(١).

(١) الإحكام ٦/٦٤ - ٦٥.

٢٢٣ — قال أبو محمد :

ولقد أخبرني ثقة صدق من إخواني من أهل التمام في الفقه والكلام والمعرفة وذو صلابة في دينه: أنه أحب جارية نبيلة أدبية ذات جمال بارع.

قال : فعرضت لها فنفرت، ثم عرضت فأبت، فلم يزل الأمر يطول وحبها يزيد، وهي لا تطيع ألبته، إلى أن حملني فرط حبي لها مع عمى الصبا على أن نذرت أنني متى نلت منها مرادي أتوب إلى الله توبة صادقة.

قال : فما مرت الأيام والليالي حتى أذعنت بعد شماس ونفار فقالت له: أبا فلان وفيت بعهدك؟.

فقال : أي والله فضحكت.

وذكرت بهذه الفعلة ما لم يزل يتداول في أسماعنا : من أن في بلاد البربر التي تجاور أندلسنا يتعهد الفاسق على أنه إذا قضى وطره ممن أراد أن يتوب إلى الله فلا يمنع من ذلك، وينكرون على من تعرض له بكلمة ويقولون له: أتحرّم رجلاً مسلماً التوبة.

قال : ولعهدي بها تبكي وتقول : والله لقد بلغتني مبلغاً ما خطر قط لي ببال. ولا قدرت أن أجيب إليه أحداً.

ولست أبعد أن يكون الصلاح في الرجال والنساء موجوداً، وأعوذ بالله أن أظن غير هذا، وإني رأيت الناس يغلطون في معنى هذه الكلمة — أعني الصلاح — غلطاً بعيداً.

والصحيح في حقيقة تفسيرها أن الصالحة من النساء هي التي إذا ضبطت انضبطت وإذا قطعت عنها الذرائع أمسكت.

والفاسدة هي التي إذا ضبطت لم تنضبط، وإذا حيل بينها وبين

الأسباب التي تسهل الفواحش تحيلت في أن تتوصل إليها بضروب من الحيل.

والصالح من الرجال من لا يداخل أهل الفسوق ولا يتعرف إلى المناظر الجالبة للأهواء ولا يرفع طرفه إلى الصور البديعة التركيب.

والفاسق من يعاشر أهل النقص وينشر بصره إلى الوجوه البديعة الصنعة، ويتصدى للمشاهد المؤذية، ويحب الخلوات المهلكات.

والصالحان من الرجال والنساء كالنار الكامنة في الرماد لا تحرق من جاورها إلا بأن تحرك، والفاسقان كالنار المشتعلة تحرق كل شيء.

وأما امرأة مهملة ورجل متعرض فقد هلكا وتلفا، ولهذا حرم على المسلم الالتذاذ بسماع نغمة امرأة أجنبية، وقد جعلت النظرة الأولى لك والأخرى عليك، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من تأمل امرأة وهو صائم حتى يرى حجم عظامها فقد أفطر.

وإن فيما ورد من النهي عن الهوى بنص التنزيل — شيئاً مقنعاً.

وفي إيقاع هذه الكلمة (أعني الهوى) اسما على معان، وفي اشتقاقها عند العرب دليل على ميل النفوس وهويها إلى هذه المقامات. وإن المتمسك عنها مقارع لنفسه محارب لها.

وشيء أصفه لك تراه عياناً : وهو أني مارأيت قط امرأة في مكان تحس أن رجلاً يراها أو يسمع حسها إلا وأحدثت حركة فاضلة كانت عنها بمعزل وأتت بكلام زائد كانت عنه في غنية مخالفين لكلامها وحركتها قبل ذلك.

ورأيت التهمهم لخارج لفظها وهيأة تقلبها لائحاً فيها ظاهراً عليها لاختفاء به.

والرجال كذلك إذا أحسوا بالنساء.

وم إظهار الزينة وترتيب المشي وإيقاع المزح عند خطوط المرأة بالرجل وجتياز الرجل بالمرأة: فهذا أشهر من الشمس في كل مكان.

والله عز وجل يقول : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [سورة النور : ٢٠] وقال تقدست أسماؤه: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيَعْلَمَ مَايَخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [سورة النور : ٣١] فلولا علم الله عز وجل بدقة إغماضهن في السعي لإيصال حبهن إلى القلوب ولطف كيدهن في التحيل لاستجلاب الهوى: لما كشف الله عن هذا المعنى البعيد الغامض الذي ليس وراءه مرمى، وهذا حد التعرض فكيف بما دونه.

ولقد اطلعت من سر معتقد الرجال والنساء في هذا على أمر عظيم، وأصل ذلك أنني لم أحسن قط بأحد ظناً في هذا الشأن، مع غيرة شديدة ركبت في.

وحدثنا أبو عمر أحمد بن محمد بن أحمد : ثنا أحمد : ثنا محمد بن عيسى بن رفاعة: حدثنا علي بن عبد العزيز: حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام عن شيوخه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الغيرة من الإيمان.

فلم أزل باحثاً عن أخبارهن كاشفاً عن أسرارهن، وكن قد أنسن مني بكتمان فكن يطلعنني على غوامض أمورهن.

ولولا أن أكون منبهاً على عورات يستعاذ بالله منها لأوردت من تنبهن في الشر ومكرهن فيه عجائب تذهل الألباب.

وإني لأعرف هذا وأتيقنه، ومع هذا يعلم الله — وكفى به علماً — أنني بريء الساحة سليم الأديم صحيح البشرة، نقي الحجة.

وإني أقسم بالله أجل الأقسام أنني ماحللت مثزري على فرج حرام قط، ولا يحاسبني ربي بكبيرة الزنا مذ عقلت إلى يومي هذا والله المحمود على ذلك، والمشكور فيما مضى، والمستعصم فيما بقي.

حدثنا القاضي أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن جحاف المعافري — وإنه لأفضل قاض رأيته —: عن محمد بن إبراهيم الطليطلي: عن القاضي بمصر بكر بن العلاء في قول الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [سورة الضحى : ١١] أن لبعض المتقدمين فيه قولاً، وهو أن المسلم يكون مخبراً عن نفسه بما أنعم الله تعالى به عليه من طاعة ربه التي من أعظم النعم، ولا سيما في المفترض على المسلمين اجتنابه واتباعه.

وكان السبب فيما ذكرته أنني كنت وقت تأجج نار الصبا وشرة الحداثة وتمكن غرارة الفتوة مقصوراً محظراً علي بين رقباء ورقائب، فلما ملكت نفسي وعقلت صحبت أبا علي الحسين بن علي الفاسي في مجلس أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد الأزدي شيخنا وأستاذي رضي الله عنه، وكان أبو علي المذكور عاقلاً عاملاً، ممن تقدم في الصلاح والنسك الصحيح وفي الزهد في الدنيا والاجتهاد للآخرة، وأحسبه كان حصوراً لأنه لم تكن له امرأة قط، ومارأيت مثله جملة علماً وعملاً ودينياً وورعاً، فنفعني الله به كثيراً وعلمت موقع الإساءة وقبح المعاصي. ومات أبو علي رحمه الله في طريق الحج.

ولقد ضمنى المبيت ليلة في بعض الأزمان عند امرأة من بعض معارفي مشهورة بالصلاح والخير والحزم ومعها جارية من بعض قراباتنا من اللاتي قد ضمنها معي النشأة في الصبا، ثم غبت عنها أعواماً كثيرة، وكنت تركتها حين أعصرت ووجدتها قد جرى على ووجهها ماء الشباب ففاض وانساب، وتفجرت عليها ينابيع الملاحة فترددت وتحيرت، وطلعت في سماء وجهها نجوم الحسن فأشرقت وتوقدت، وانبعثت في خديها أزاهير الجمال فتمت واعتمت فأنت كما أقول :

خريدة صاغها الرحمن من نور جللت ملاحتها عن كل تقدير
لوجاءني عملي في حسن صورتها يوم الحساب يوم النفخ في الصور

لكننت أحظى عباد الله كلهم بالجننتين وقرب الخرد الحور

وكانت من أهل بيت صباحة، وقد ظهرت منها صورة تعجز الوصاف، وقد طبق وصف شباهها قرطبة فبت عندها ثلاث ليال متوالية، ولم تحجب عني على جاري العادة في التريبة، فلعمري لقد كاد قلبي أن يصبو ويثوب إليه مرفوض الهوى، ويعاوده منسي الغزل. ولقد امتنعت بعد ذلك من دخول تلك الدار خوفاً على لبي أن يزدهيه الاستحسان، ولقد كانت هي وجميع أهلها ممن لا تتعدى الأطماع إليهن، ولكن الشيطان غير مأمون الغوائل، وفي ذلك أقول :

لا تتبع النفس الهوى ودع التعرض للمحن
إبليس حي لم يمت والعين باب للفتن
وأقول :

وقائل لي : هذا ظن يزيدك غيا
فقلت : دع عنك لومي أليس إبليس حيا

وما أورد الله تعالى علينا من قصة يوسف بن يعقوب وداوود بن يشي رسل الله عليهم السلام إلا ليعلمنا نقصاننا وفاقتنا إلى عصمته، وأن بنيتنا مدخولة ضعيفة، فإذا كانا صلى الله عليهما وهما نبيان رسولان ابنا أنبياء رسل ومن أهل بيت نبوة ورسالة مكرمين في الحفظ مغموسين في الولاية، محفوفين بالكلاءة، مؤيدين بالعصمة لا يجعل للشيطان عليهما سبيل ولافتح لوسواسه نحوهما طريق: وبلغا حيث نص الله عز وجل علينا في قرآنه المنزل بالجليلة المؤصلة والطبع البشري والخلقة الأصيلة، لا بتعمد الخطيئة ولا القصد إليها — إذ النسيون مبرؤون من كل ماخالف طاعة الله عز وجل. لكنه استحسان طبيعي في النفس للصور — فن ذا الذي يصف نفسه بملكها ويتعاطى ضبطها إلا بحول الله وقوته؟.

وأول دم سفك في الأرض قدم أحد ابني آدم علي سبب المنافسة في النساء، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : باعدوا بين أنفاس الرجال والنساء.

وهذه امرأة من العرب تقول، وقد حبلت من ذي قرابة لها حين سئلت: ما يبطنك يا هند؟.

ف قالت : قرب الوساد وطول السواد وفي ذلك أقول شعراً منه :

لا تلثم من عرض النفس لما	ليس يرضي غيره عند المحن
لا تقرب عرفجا من لهب	ومتى قربته قامت دخن
لا تصرف ثقة في أحد	فسد الناس جميعا والزمن
خلق النسوان للفحل كما	خلق الفحل بلا شك لمن
كل شكل يتشهى شكله	لا تكن عن أحد تنفي الظن
صفة الصالح من إن صنته	عن قبيح أظهر الطوع الحسن
وسواه من إذا تقففته	أعمل الحيلة في خلع الرسن

وإني لأعلم فتى من أهل الصيانة قد أولع بهوى له فاجتاز بعض إخوانه فوجده قاعداً مع من كان يحب فاستجلبه إلى منزله فأجابه إلى منزله بامتنال المسير بعده فضى داعيه إلى منزله وانتظره حتى طال عليه التربص فلم يأت. فلما كان بعد ذلك اجتمع به داعيه فعدده عليه وأطال لومه على إخلافه مواعده، فاعتذر وورى، فقلت أنا للذي دعاه: أنا أكشف عذره صحيحاً من كتاب الله عز وجل إذ يقول: ﴿وما أخلفنا موعدك بملكننا ولكننا حملنا آوزارا من زينة القوم﴾ [سورة طه : ٨٧] فضحك من حضر، وكلفت أن أقول في ذلك شيئاً فقلت :

وجرححت لي جرح جبار فلا تلم ولكن جرح الحب غير جبار
وقد صارت الخيلان وسط بياضه كنييلوفر حفته روض بهار
وكم قال لي من مت وجدا بحبه مقالة محلول المقالة زاري
وقد كثرت مني إليه مطالب ألح عليه تارة وأداري
ثم في التداني ما يبرد غلة ويذهب شوقا في ضلوعك ساري
فقلت له : لو كان ذلك لم تكن عداوة جبار في الأنام لجار
وقد يترأى العسكران لدى الوغى وبينها للموت سبل بوار^(١)

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن : هذا الثقة الذي تحدث عنه أبو محمد سلك مسلك بشار بن برد في قوله :

لا يؤيسنك من مخدرة قول تغلظه وإن جرحا
عسر النساء إلى مياسرة والصعب يسهل بعدما جمحا
وهذا النموذج مع غيره دليل على فساد الأخلاق في الأندلس، وهو أثر من آثار الحضارة والخلطة.

وأما التصميم على المعصية بنية التوبة فقولة لا أدري لها وجهاً في الشرع، وعندي أنها حيلة من حيل إبليس.

أما حديث : (من تأمل امرأة وهو صائم): فقد قال أستاذنا الدكتور إحسان عباس في تعليقه على هذا النص :

(١) رسائل ابن حزم ٢٧٠/١ - ٢٧٦ من طوق الحمامة.

لم أجده نصاً، ومما هو بسبيله ماجاء في مصنف عبد الرزاق ١٩٣/٤ :
من تأمل خلق امرأة وهو صائم بطل صومه.

* قال أبو عبد الرحمن : ورواه ابن الجوزي في ذم الهوى ص ١٢٧
بإسناده إلى هناد بن السري إلى حذيفة موقوفاً، ونصه: من تأمل خلق امرأة
من وراء الثياب فقد أبطل صومه.

وإسناده أبي محمد إلى أبي عبيد القاسم بن سلام إسناد إلى كتابه
(الإيمان) والحديث موجود فيه ص ٢٧ وقال محققه الألباني: رواه البزار وابن
بطة في الإبانة عن أبي سعيد مرفوعاً بسند فيه مجهول الحال. أهـ.

وأورده الحلبي في كتابه المنهاج ٣٩٧/٣ بلفظ : الغيرة من الإيمان
والمذاء من النفاق، وأحال محققه الأستاذ حلمي محمد فودة إلى صحيح
الترمذي في كتاب البر، وإلى سنن الدارمي في المقدمة.

أما الأزدي فترجمته في صلة ابن بشكوال، وقد دخل الأندلس
سنة ١٣٩٤هـ وعاد إلى مصر أثناء فتنة البربر بقرطبة وتوفي بها سنة ٤١٠هـ.

وذكر أبو محمد قصتي يوسف وداوود عليها السلام إلماحا.

* قال أبو عبد الرحمن : أما يوسف فقد استعصم بنص القرآن.

وأما داوود فقد أنكر أبو محمد القصة التي تنسبها إليه الإسرائيليات في
كتابه الفصل، وناقشت ذلك في تحقيقي لدم الشبابة لابن قدامة بالجزء
الأول من كتابي الذخيرة.

وفي هذا النص ما يشعر بإقرار أبي محمد للاشتقاق في اللغة.

* * *

واحتج بعضهم بأن قال : روي عن عمر أنه قال : إني لأستحي من الله عز وجل أن أخالف أبا بكر.

قال أبو محمد : وهذا يبطل من خمسة أوجه :

أولها : أن هذا حديث مكذوب محذوف لا يصح منفرداً هذا اللفظ كما أوردوه، وإنما بلفظ إذا حقق فهو حجة عليهم، وسنورده عند الفراغ بذكر حججهم ثم الابتداء بالاحتجاج عليهم في هذا الباب إن شاء الله تعالى.

والثاني : أن خلاف عمر لأبي بكر أشهر من أن يجله من له أقل علم بالروايات، فمن ذلك خلافه إياه في سبي أهل الردة سباهم أبو بكر، وبلغ الخلاف من عمر له أن نقض حكمه في ذلك، وردهن حرائر إلى أهلهن إلا من ولدت لسيدها منهن، ومن جلتن كانت خولة الحنفية أم محمد بن علي.

وخالفه في قسمة الأرض المفتحة، فكان أبو بكر يرى قسمتها، وكان عمر يرى إيقافها ولم يقسمها.
وخالفه في المفاضلة أيضاً في العطاء، فكان أبو بكر يرى التسوية، وكان عمر يرى المفاضلة وفاضل.

ومن أقرب ذلك ما حدثنا عبد الله بن ربيع : ثنا عمر بن عبد الملك : ثنا محمد بن بكر : ثنا سليمان بن الأشعث : ثنا محمد بن داود بن سفيان، وسلمة بن شبيب قالوا : ثنا عبد الرزاق : ثنا معمر : عن الزهري : عن سالم : عن ابن عمر قال : قال عمر : إني إن لا أستخلف فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف، وإن أستخلف فإن أبا بكر قد استخلف، قال ابن

عمر: فوالله ما هو إلا أن ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأباً بكر فعلمت أنه لا يعدل برسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً، وأنه غير مستخلف.

قال أبو محمد : فهذا نص خلاف عمر لأبي بكر فيما ظن أنه فعل النبي صلى الله عليه وسلم. وقد خالفه في فرض الجدد، وفي غير ذلك كثيراً بالأسانيد الصحاح، المبطللة لقول من قال: إنه كان لا يخالفه.

الثالث : أن هذا لوصح كما أوردوه وموهوا به — وهو لا يصح كذلك:—
لكان غير موجب لتقليد مالك وأبي حنيفة، ولا يتمثل في عقل ذي عقل أن في تقليد عمر لأبي بكر ما يوجب تقليد أهل زماننا لمالك وأبي حنيفة، فبطل تمويههم بما ذكروا.

والرابع : أن المحتج بما ذكر عن عمر ينبغي أن يكون أوقع الناس وأقلهم حياء، لأنه احتج بما يخالفه، وانتصر بما يبطله، لأنه لا يستحي مما استحي منه عمر، لأن المحتجين بهذا يخالفون أباً بكر وعمر في أكثر أقوالهما.

وقد ذكرنا خلاف المالكيين لما رووا في الموطأ عن أبي بكر وعمر فيما خلا من كتابنا، فأغنى تردادهم، وبيننا أنهم رووا عن أبي بكر ست قضايا خالفوه منها في خمس، وخالفوا عمر في نحو ثلاثين قضية مما رووا في الموطأ فقط.

فهلا استحي هذا المحتج مما استحي منه عمر؟! .
ويلزمه أن يقلد أباً بكر وعمر، وإلا فقد أقر على نفسه بترك الحق إذ ترك قول عمر، وهو يحتج بقوله في إثبات التقليد. وأيضاً لو صح : أن عمر قلد — وقد أعاده الله من ذلك —: لكان هو وسائر من خالفه من الصحابة وأبطلوا التقليد واجباً أن

ترد أقوالهم إلى النص، فلأيها شهد النص أخذ به، والنص يشهد لقول من أبطل التقليد^(١).

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن : هذا النص من تحقيقات أبي محمد بن حزم الكثيرة التي تتوثب لها العقول وتهفو إليها البدائنه.

وقد سلك في هذا النص الوجيز مسالك جدلية في منتهى الروعة والمتعة.

فأول مسلك : منع الارتباط بين دعواهم واستدلّاهم، وهو أن قول عمر رضى الله عنه: (إنني لأستحي من الله أن أخالف أبا بكر): ليس معناه: إنني أقلد أبا بكر حياء من الله!.

وإنما معناه : إن أبا بكر رضى الله عنه حكم بأن رأيه في الكلالة محتمل للخطأ والصواب، وإنني أستحي من الله أن أخالفه في الاعتراف بذلك الاحتمال فأجزم بصواب رأيي.

وليس هذا التأويل تحكماً من أبي محمد، بل هو التأويل الصحيح الذي لا يصح غيره بدليل سياق القصة كلها الذي أغفلوه، وسأورد السياق كاملاً إن شاء الله بعد قليل.

ولا يمكن أن يكون معنى هذا السياق : إنني أقلد أبا بكر حياء من الله، لأن عمر خالف أبا بكر رضى الله عنها — في هذه القضية ذاتها.

وإليك سياق هذا المسلك الجدلي من كلام أبي محمد.

قال أبو محمد رحمه الله :

أخبرنا محمد بن سعيد النباتي : ثنا أحمد بن عون الله : ثنا قاسم بن

(١) الإحكام ٦/٦٥ - ٦٧.

أصبغ: ثنا محمد بن عبد السلام الحشني: ثنا محمد بن بشار: ثنا محمد بن جعفر غندر: ثنا شعبة: عن عاصم الأحول: عن الشعبي: أن أبا بكر قال في الكلالة: أقضي فيها، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فني ومن الشيطان، والله منه بريء، وهو مادون الولد والوالد، فقال عمر بن الخطاب: إني لأستحي من الله أن أخالف أبا بكر.

قال أبو محمد: هذا هو الحديث الذي موهوا به واستحلوا الكذب بإيراده مفرداً مما قبله، وإنما استحي عمر من مخالفة أبي بكر رضي الله عنها في اعترافه بالخطأ، وأنه ليس كلامه كله صواباً، لافي قوله في الكلالة.

وبرهان ذلك أن عمر أقر عند موته أنه لم يقض في الكلالة بشيء، وقد اعترف أنه لم يفهما قط.

وحق لو صح أنه وافق أبا بكر في الكلالة في الحديث المذكور، لما كانت فيه حجة، لأن الشعبي راوي الحديث لم يدرك عمر، وأبعد روايته فعن علي، على اختلاف في رؤيته له أيضاً.

وأما الاضطراب عن عمر في الجد فإن محمد بن سعيد أخبرني: عن أحمد بن عون الله: عن قاسم بن أصبغ: عن الحشني: عن بندار: عن ابن أبي عدي: عن شعبة: عن يحيى بن سعيد الأنصاري: عن سعيد بن المسيب قال: قال عمر بن الخطاب حين طعن: إني لم أقض في الجد شيئاً.

وأما الاختلاف عنه رضي الله عنه في الكلالة فهو أن حماداً حدثني قال: ثنا ابن مفرج: عن عبد الأعلى بن محمد بن الحسن قاضي صنعاء: عن الدبري: عن عبد الرزاق: عن معمر: عن الزهري: عن سعيد بن المسيب: أن عمر بن الخطاب كتب في الجد والكلالة كتاباً، فكث يستخير الله يقول: اللهم إن علمت فيه خيراً فأَمْضِهِ، حتى إذا طعن دعا بالكتاب فحج، فلم يدر أحد ما كان فيه، فقال: إني كنت كتبت في الجد والكلالة كتاباً، وكنت أستخير الله فيه، فرأيت أن أترككم على ما كنتم عليه.

قال عبد الرزاق : وحدثنا ابن جريج : أخبرني ابن طاووس عن أبيه :
عن ابن عباس : أن عمر بن الخطاب أوصى عند الموت فقال : الكلالة كما
قلت .

قال ابن عباس : وما قلت ؟ .

قال : من لا ولد له .

قال أبو محمد : هذا أصح سند يرد في هذا الباب عن عمر ، لاتصاله
وعدالة ناقله ، وإمامتهم وصحة سماع بعضهم من بعض ، وهو كما ترى
مخالف لرأي أبي بكر في الكلالة ، لأن أبا بكر كان يقول : الكلالة من
لا ولد له ^(١) .

وعمر عند الموت قال : الكلالة من لا ولد له فقط بالسند الذي لا داخله
فيه ، فبطل بهذا مارواه الشعبي الذي أبعد ذكره رؤيته علياً رضي الله عنه
بالكوفة يتوضأ في الرحبة ، هذا إن صح أنه رآه أيضاً ^(٢) .

وثاني مسلك : التنزل في الاستدلال ، وهو تخريج حديث الشعبي على
الوجه الصحيح دلالة وإن كان غير ناهض ثبوتاً .

وثالث مسلك : معارضة الدعوى غير الصحيحة المحتج لها بخبر مجرد من
سياقه بدعوى أصح ، وهي إثبات خلاف عمر لأبي بكر في عدة قضايا
صحيحة النقل .

ورابع مسلك : التنزل في الاستدلال من وجه آخر ، وهو التسليم —
جدلاً — أن عمر يستحي من مخالفة أبي بكر : إلا أن هذا لا يعني أن
نستحي من مخالفة أبي حنيفة ومالك .. إلخ رحمهم الله .

(١) هكذا في الأصل ، والصواب : مادون الولد والوالد .

(٢) الإحكام ١٢٧/٦ — ١٢٩ .

والسبب في ذلك اختلاف المقتضى بيننا وبين عمر وأبي بكر.

ولم يبين أبو محمد هذا الفارق وإنما ألمح إليه.

والفارق معروف من كون أبي بكر شهد التنزيل وداوم الصحبة، وأن النص ورد باتباع سنة الخلفاء الراشدين.

كما أن لهذا الفارق معنى آخر يقوم على الإلزام، فيقال لهم: إذا كان لازماً عندكم تقليد أبي بكر لحياء عمر - رضي الله عنها - فلا تعدوا بذلك إلى تقليد أبي حنيفة لأن أبا بكر غير أبي حنيفة.

وغاية ما يتحصل لهم مساواة أنفسهم بالصحابة فيقولون :

إذا صح لعمر أن يقلد صح لنا ذلك.

والواقع أن عمر اجتهد ولم يقلد ولم يقطع باجتهاده.

وخامس مسلك : الإلزام بالتناقض، لأنهم احتجوا بخبر لم يستحوا من مخالفته مع أنهم استحوا من مخالفة من لم يؤمروا بتقليده.

والمسلك السادس : الرد إلى البرهان اللازم المتفق على لزومه وهو النص الشرعي الذي نهى عن التقليد ولم يأمر به.

وإحصاء مسائل الموطأ التي وردت في هذا النص وغيره استفادته أبو محمد من شرحه للموطأ أول اشتغاله بالعلم الشرعي.

٢٢٥ - قال أبو محمد :

قلنا : ومن أين لكم بأن ذلك العالم أحاط بجميع أقوال أهل الإسلام؟.

ونحن نبدأ لكم بالصحابة رضي الله عنهم، فنقول: بالضرورة ندري يقيناً

لا مرية فيه: أنهم كانوا عشرات ألوف، فقد غزا عليه السلام حنينا في ثني عشر ألف إنسان، وغزا تبوك في أكثر من ذلك، وحج حجة الوداع في ضعف ذلك، ووفد عليه من كل بطن من بطون قبائل العرب وفود أسلموا وسألوه عن الدين، وأقرأهم القرآن، وصلوا معه، كلهم يقع عليه اسم لصحبة.

ولقد تقصينا من روي عنه فتيا في مسألة واحدة فأكثر: فلم نجدهم إلا مئة وثلاثة وخمسين بين رجل وامرأة فقط، مع شدة طلبنا في ذلك وتهمنا.

وليس منهم مكثرون إلا سبعة فقط، وهم: عمر، وابنه عبد الله، وعلي، وابن عباس، وابن مسعود، وأم المؤمنين عائشة، وزيد بن ثابت.

والمستوطنون فهم ثلاثة عشر فقط يمكن أن يوجد في فتيا كل واحد منهم جزء صغير، فهؤلاء عشرون فقط.

والباقون مقلون جداً. فيهم من لم يرو عنه إلا فتيا في مسألة واحدة فقط، ومنهم في مسألتين وأكثر من ذلك يجتمع من فتيا جميعهم جزء واحد هو إلى نصغر أقرب منه إلى الكبر.

أفترى سائرهم لم يفت قط ولا في مسألة.

ألا هذا والله هو الكذب البحت والإفك والبهت^(١)!!

٢٢٦ — قال أبو محمد :

باب في تسمية من روي عنه^(٢) من أصحاب رسول الله

(١) الإحكام ١٧٦/٤.

(٢) في ط : عنهم.

صلى الله عليه وسلم على مراتبهم في كثرة الفتيا فقط،

وفيمن بعدهم إلى زماننا على قدر مراتبهم في كثرة

الفتيا فقط، وكيف تيسر فيمن تقاربت فتاويهم رضوان

الله عليهم :

عائشة أم المؤمنين، عمر بن الخطاب، علي بن أبي طالب، ابن مسعود، ابن عمر، زيد بن ثابت، عبد الله بن عباس، عثمان بن عفان، سعد بن أبي وقاص، أبو بكر الصديق، أبو بكر، جابر بن عبد الله، حذيفة بن اليمان، جرير بن عبد الله البجلي، أبو موسى الأشعري، عبد الله بن الزبير، عثمان بن مظعون، جابر بن سمرة، عبد الله بن أنيس، عبد الله بن أبي أوفى، أم سلمة أم المؤمنين، عبد الله بن عمرو بن العاصي، أبو اليسر، غرة بن الحارث، أنس بن مالك، عبادة بن الصامت، معاوية بن أبي سفيان، الزبير، طلحة، عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، سمرة بن جندب، قدامة بن مظعون، محمد بن مسلمة، خباب، عبد الرحمن بن عوف، أبو جحيفة، أبو عبيدة بن الجراح، الحسن، والحسين ابنا علي بن أبي طالب، معاذ بن جبل، النعمان بن بشير، أبو مسعود عقبة بن مالك البدرى، سعيد بن زيد، أبي، أبو أيوب، أبو طلحة، أبو سعيد [الخدري]^(١)، أبو هريرة، أبو ذر، حفصة أم المؤمنين، [ليلى بنت قانف، أم عطية، أم سليم، صفية أم المؤمنين]^(٢) أم حبيبة أم المؤمنين، عمران بن الحصين، عمرو بن العاصي، عبد الله بن جعفر، أسامة بن زيد، العباس، عبد الرحمن بن سهل، خالد بن الوليد، مالك بن الحويرث، عوف بن مالك، بسر بن أبي أرطاة، عمار، ماعز الأسلمي، سيار بن روح بن سيار، ظهير بن رافع، رويغ بن ثابت، فضالة بن عبيد، رافع بن خديج، زيد بن أرقم، البراء بن عازب، فاطمة

(١) ماين القوسين زيادة من ط.

(٢) ماين القوسين زيادة من خ.

بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاطمة بنت قيس، المقداد، عدي بن حاتم^(١)، سهل بن سعد، سويد بن مقرن، معاوية بن مقرن، عبد الله بن سلام، سلمان الفارسي، أبو الدرداء، عمرو بن عبسة، عتاب بن أسيد، أبو محمد عثمان بن أبي العاصي، هشام بن حكيم، الجارود العبدي، عبد الله بن سرجس، الغامدية، أبو مخذرة، أبو شريح الكعبي، أبو برزة، بريدة الأسلمي، طارق بن شهاب، أبو الغادية السلمي، المغيرة بن شعبة، أساء بنت أبي بكر الصديق، أم شريك، الحولاء بنت تويت، أبو قتادة السلمي، دحية بن خليفة، سهلة بنت سهيل، حسان بن ثابت، عبد الله بن رواحة، أسيد بن الحضير، أبو منيب، أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، أبو السنابل بن بعكك، أبو سلمة بن عبد الأسد، الضحاك بن قيس، حبيب بن مسلمة، سعد بن معاذ [رضي الله عنه]^(٢) قيس بن سعد^(٣) عقيل بن أبي طالب. أبو أسيد، أبو سعيد بن المعلى، سلمة بن الأكوع، بلال المؤذن، ثمامة بن أثال، حكيم بن حزام، خبيب بن عدي، عبد الله بن معمر العدوي، شرحبيل بن السمط، ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، نافع أخو أبي بكر، النعمان^(٤)، صهيب بن سنان، الضحاك بن خليفة، ضمرة بن العيص، عمير بن سعد، أم الدرداء الكبرى، ثابت بن قيس بن الشماس، خبيب بن عدي^(٥)، ثعلبة بن زهدم، عبد الله بن أبي بكر الصديق، زينب بنت أم سلمة أم المؤمنين، أم أيمن، أم يوسف، عاتكة بنت زيد بن عمرو ابن نفيل، عبد الله بن عوف الزهري، وابصة بن معبد الأسدي، سرق،

(١) هو الطائي الحمصي، وفي خ (الثقفي) وعليها علامة التحويق.

(٢) ما بين القوسين زيادة من (خ).

(٣) في خ : قيس بن أمية.

(٤) في خ : النعمان.

(٥) قال محققا ط : ليس في الصحابة خبيب بن عدي، وإنما هو خبيب بالخاء المعجمة فرجا كان الاسم الوارد هنا محرفا، فإن كان المراد هنا خبيب بن عدي فهذا قد تقدم ذكره قبل قليل.

أبوسعيد الخير حديثه في المغازي، أبو عبد الله البصري حديثه ضمن هؤلاء
ثلاثة، جبير بن مطعم، أبو حية المصري، عبد الرحمن بن الأسود، معقيب
بن أبي فاطمة.

فهم مئة واثنان وأربعون رجلاً وعشرون امرأة، فالجميع مئة واثنان
وستون منهم المكثرون سبعة، ذكرناهم أولاً على الولاء، ومنهم ثلاثة عشر
متوسطون، والباقيون مقلون جداً.

وقد جاءت روايات بأبواب من الفقه محملة، جاءت منقولة عن مئتين
منهم، رضوان الله عليهم، كالاشتراك في الهدي، والصلاة خلف الجالس،
وتكبير المأموم قبل إمامه الثاني والسجود في بعض القرآن، وما أشبه هذا.

ومن أهل مكة بعد الصحابة رضي الله عنهم :

عطاء بن أبي رباح، طاووس بن كيسان، مجاهد بن جبر، عبيد بن
عمير الليثي، ابنه عبد الله بن عبيد، عمرو بن دينار، عبد الله بن أبي
مليكة، عمرو بن شعيب، محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاصي، عبد الله
بن سابط، عكرمة مولى ابن عباس، أبو الزبير، عبد الله بن خالد بن أسيد،
عبد الله بن طاووس.

وبعدهم :

عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، سفيان بن عيينة.

وبعهما :

مسلم بن خالد الزنجي، سعيد بن سالم القداح.

وبعهما :

محمد بن إدريس الشافعي.

وبعده :

عبد الله بن الزبير الحميدي، موسى بن أبي الجارود، إبراهيم بن محمد لشافعي.

ومن أهل المدينة بعد الصحابة رضوان الله عليهم :

سعيد بن المسيب، عروة بن الزبير، القاسم بن محمد بن أبي بكر نصديق، عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، خارجة بن زيد بن ثبّت، أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، سليمان بن يسار، أبان بن عثمان بن عفان، أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وهو ابن الحنفية علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم، ابنه محمد بن علي، سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، رضي الله عنهم، نافع مولى ابن عمر، أبو بكر بن سليمان بن أبي حثمة، عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة، أم كلثوم بنت أبي بكر نصديق، عيسى بن طلحة بن عبيد الله، عبد الرحمن، ومجمع ابنا جارية، مروان بن الحكم.

وبعدهم :

أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، ابنه محمد، وعبد الله، عبد الله بن عمرو بن عثمان، ابنه محمد، عبد الله، والحسن ابنا محمد بن الحنفية، عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنهم، مصعب بن محمد ابن شرحبيل العبدري، محمد بن المنكدر التيمي، عبد الله بن عمر بن حفص ابن عاصم، عبد الله بن الحسن بن علي، جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم، يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري، محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، يزيد بن هرمز، عمرو بن حسين، سعد بن إبراهيم الزهري، عباس بن عبد الله بن معبد، زيد بن أسلم، صفوان بن سليم الزرقلي، عثمان بن عروة بن الزبير، ربيعة

ابن أبي عبد الرحمن، إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد بن العاصي،
عبد الله بن حرملة الأسدي.

وبعدهم :

محمد بن أبي ذئب القرشي العامري، مالك بن أنس، عبد العزيز بن
أبي سلمة الماجشون، محمد بن إسحاق.

وبعدهم :

أصحاب مالك الذين نذكر - فإنهم وإن كانوا في أغلب فتياهم
موافقين له فلم^(١) يقلدوا في الكل، بل خالفوه في كثير - وهم:

عبد العزيز بن أبي حازم، المغيرة بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عياش
ابن أبي ربيعة المخزومي، محمد بن إبراهيم بن دينار، عثمان بن عيسى بن
كنانة، محمد بن مسلمة المخزومي، عبد الله بن نافع الصائغ، عبد الملك بن
عبد العزيز [بن]^(٢) الماجشون، مطرف بن عبد الله بن سليمان بن يسار،
أبو المصعب الزهري من ولد عبد الرحمن بن عوف، وهو أحمد بن أبي بكر بن
الحارث بن زرارة بن المصعب بن عبد الرحمن بن عوف.

ومن أهل البصرة بعد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين :

عمرو بن سلمة الجرمي، وقد قيل إن له صحبة، مسلم بن يسار، الحسن
بن أبي الحسن البصري، جابر بن زيد^(٣)، محمد بن سيرين، يحيى بن
يعمر، أنس بن سيرين، أبو قلابة الجرمي وهو صاحب ابن عباس، واسمه
عبد الله بن زيد، أبو العالية الرياحي، بكير بن عبد الله المزني، حميد بن

(١) في ط : لم.

(٢) ما بين القوسين زيادة من خ.

(٣) في الأصلين : يزيد.

عبد الرحمن، مطرف بن عبد الله الشخير، زرارة بن أوفى، أبو بردة بن أبي موسى الأشعري، معبد بن عبد الله بن عكيم الجهني، عائشة بنت طلحة بن عبيد الله، زياد بن مطر العدوي، ابنه العلاء بن زياد، عبد الملك بن يعلى القاضي.

وبعدهم :

أيوب السخيتاني، عبد الله بن عوف، أشعث بن عبد الملك الحمراني، حفص بن سليمان المنقري، خالد بن [أبي]^(١) عمران، سليمان [ابن] طرخان التيمي، يونس بن عبيد، إياس بن معاوية القاضي، طلحة بن إياس القاضي، عثمان بن سليمان الليثي، عوف بن أبي جميلة هو الأعرابي، بلال بن بردة بن أبي موسى، أشعث بن جابر بن زيد، قتادة بن دعامة.

وبعدهم :

عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، سعيد بن أبي عروبة، حماد بن سلمة، حماد بن زيد، عبيد الله بن الحسن العنبري القاضي، عبد السلام بن عمير، إسماعيل بن عليّة، بشر بن المفضل بن لاحق، معاذ بن معاذ العنبري، أبو عاصم الضحاك بن مخلد، معمر بن راشد، قریش بن أنس، عبد الله بن معاذ العنبري، كلثوم، يحيى بن أكثم القاضي، سليمان بن حرب الواشجي، عبد الوارث بن سعيد التنوري، إبراهيم بن عليّة، مهذب بن هلال، الزبير بن سليمان بن أحمد الزبيري.

وكان شعبة بن الحجاج، وعبد الرحمن بن مهدي، ويحيى بن سعيد القطان، وخالد بن الحارث: من الفقهاء، ولكن شغلهم الورع عن الاشتغال بالفتوى.

(١) ما بين القوسين زيادة من خ.

ومن أهل الكوفة بعد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين :

علقمة بن قيس بن يزيد، وعماه الأسود بن يزيد النخعي، وعبد الرحمن بن يزيد، أبو ميسرة وهو عمرو^(١) ابن شرحبيل الهمداني، مسروق بن الأجدع الهمداني، عبيدة السلماني، شريح بن الحارث الكندي القاضي، سلمان بن ربيعة الباهلي، سويد بن غفلة الجعفي، الحارث بن قيس الجعفي، عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد بن قيس، عبد الله بن عتبة بن مسعود، خيثمة، أبو حذيفة، أبو عطية مالك بن عامر، أبو الأحوص سالم بن سليم، زر بن حبیش، عمرو بن ميمون الأودي، همام بن الحارث، نباتة بن الجعفي، معضد الشيباني، الحارث بن سويد بن يزيد بن معاوية النخعي، الربيع بن خثيم، شريح بن هانيء، عمرو بن عتبة بن فرق السلمي، أبو عتبة^(٢)، صلة بن فرق العبسي، تميم بن حذلم، خدّاش بن عمرو، شريك ابن حنبل، أبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي، عبيدة بن نضلة، عبد الرحمن ابن أبي يعلى، أبو عبيدة وعبد الرحمن ابنا عبد الله بن مسعود، ميسرة، زاذان، الضحاك المشرقي، ميمون بن أبي شبيب.

وبعدهم :

إبراهيم النخعي، عامر الشعبي، سعيد بن جبیر، جبلة بن سحيم، القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، أبو بكر بن أبي موسى الأشعري، محارب بن دثار، الحكم بن عتيبة.

وبعدهم :

حماد بن أبي سليمان، منصور بن المعتمر السلمي، المغيرة بن مقسم

(١) في خ : عمر.

(٢) في خ : أبوه عتبة.

الضبي، عبد الله بن أبي لبابة، سليمان بن مهران الأعمش، مسعر بن كدام الهلالي.

[وبعدهم] ^(١) :

محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري القاضي، عبد الله بن شبرمة القاضي الضبي، سعيد بن أشوع القاضي، شريك القاضي، القاسم بن معن، سفيان بن سعيد الثوري، أبو حنيفة النعمان بن ثابت، الحسن بن صالح بن حي، الحجاج بن أرطاة.

وبعدهم :

حفص بن غياث النخعي، وكيع بن الجراح، يحيى بن آدم، حميد الرؤاسي، المعافى بن عمران الأشجعي، القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عبد الله بن داود الخريبي.

وبعدهم أصحاب أبي حنيفة — فإنهم وإن كانوا كثيراً ماوافقونه فلم يقلدوه — :

كزفر بن الهذيل العنبري، وأبي يوسف القاضي، وهما بن أبي حنيفة، والحسن بن زياد اللؤلؤي، ومحمد بن الحسن القاضي [وعافية القاضي، ونوح بن دراج القاضي، وأسيد بن عمر النخلي القاضي] ^(٢) .

ومن أهل الشام بعد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين:

أبو إدريس الخولاني، وعدي بن عميرة الكندي، عبد الله بن أبي زكريا الخزاعي، قبيصة بن ذؤيب الخزاعي، جنادة بن أبي أمية الأزدي، سليمان بن حبيب المحاربي، الحارث بن عمير الدهماني، خالد بن معدان،

(١) ماين القوسين زيادة من خ.

(٢) ماين القوسين زيادة من خ.

عبد الرحمن بن غنم الأشعري، عدي بن عدي الكندي، أم الدرداء، جبير بن نفيير.

وبعدهم :

عبد الرحمن بن جبير بن نفيير، مكحول، عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين، رجاء بن حيوة.

وقد كان عبد الملك بن مروان يعد من الفقهاء قبل قيامه، ابن^(١) محمد القاضي، حدير بن كريب.

وبعدهم :

يحيى بن حمزة القاضي، أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، إسماعيل بن أبي المهاجر، موسى بن عمرو، سعيد بن عبد العزيز التنوخي، سليمان بن موسى، أيوب بن موسى، عمرو بن سعيد، مخلد بن الحسين الأزدي، أبو إسحاق الفزاري، الوليد بن مسلم صاحب الأوزاعي، العباس بن يزيد صاحب الأوزاعي، شعيب بن إسحاق صاحب أبي حنيفة.

ومن أهل مصر بعد الصحابة رضي الله عنهم أجمعين :

يزيد بن أبي حبيب، بكير بن عبد الله الأشج.

وبعهما^(٢) :

عمرو بن الحارث الأنصاري، والليث بن سعد، وعبيد الله بن جعفر.

وبعدهم أصحاب مالک — فإنهم وإن كانوا وافقوه في الأغلب فقد خالفوه — :

(١) هكذا في الأصلين ولم أهتم إلى معرفة المراد به.

(٢) في خ : وبعدهم.

كعبد الله بن وهب، وأشهب، وعثمان بن أبي كنانة، وعبد الرحمن بن القاسم على غلبة تقليد مالك عليه في الأكثر.

ثم أصحاب الشافعي، وكانوا مجتهدين غير مقلدين :

كأبي يعقوب البويطي، وإسماعيل بن يحيى المزني.

ومن المائلين إلى قول مالك وإن كانوا لم يستهلكوا في التقليد :

محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، أصبغ بن الفرّج.

ومن المائلين إلى قول الشافعي كذلك :

محمد بن عقيل الفريابي، محمد بن علي بن يوسف النسائي.

ومن المائلين إلى قول أبي حنيفة كذلك :

أحمد بن أبي عمران، أبو بكر بكار بن قتيبة القاضي، أبو جعفر أحمد بن محمد [بن سلامة]^(١) الطحاوي.

ومن غير هذه الأمصار :

الحارث بن الجارود قاضي الموصل روى عنه أبو عوانة، المعافى بن عمران، عمرو بن حبيب، مطرف بن مازن قاضي صنعاء، عبد الرزاق بن همام الصنعائي، هشام بن يوسف، وابنه عبد الرحمن، محمد بن ثور، سماك ابن الفضل — يمانيون — عبد الله بن المبارك الخراساني، يحيى بن يحيى التميمي، نعيم بن حماد الخراساني، إسحاق بن راهويه النيسابوري، لأنه مات بها وسكنها وهو في أصله مروزي، أحمد بن حنبل الإمام الجليل رضي الله عنه، محمد بن أسلم الطوسي، أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي، الحسين بن

(١) ما بين القوسين زيادة من ط.

علي الكرابيسي، سليمان بن داوود بن علي الهاشمي، أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي^(١) اللغوي، أبو خيثمة زهير بن حرب، هشيم بن بشير الواسطي، إبراهيم بن علي، داوود بن علي بن خلف الأصبهاني الإمام لأهل الظاهر، محمد بن نصر المروزي، محمد بن إسماعيل البخاري، مسلم بن الحجاج النيسابوري، محمد بن جرير الطبري، أبو بكر محمد بن المنذر النيسابوري، أبو بكر محمد بن علي بن خلف الأصبهاني إمام أهل الظاهر، عبد الله بن أحمد بن المغلس، عبد الله محمد لقبه^(٢) رويم، عبد الله بن محمد الرضيع، أبو بكر بن النجاد، محمد بن أحمد الأواني، الخلال أبو الطيب محمد بن أحمد الديباجي، أبو عبيد علي بن حرب قاضي مصر، أبو إسحاق إبراهيم^(٣) بن جعفر بن جابر قاضي حلب، يحيى بن أبي ميسرة قاضي مكة، محمد بن شجاع الثلجي، سحنون بن سعيد الإفريقي، سعيد بن محمد ابن الحداد إفريقي، بقي بن مخلد أندلسي، قاسم بن أصبغ أندلسي.

وممن أدركنا ممن جرى على سنن من تقدم ممن ذكرنا : مسعود بن سليمان بن مفلت^(٤) . أبو الحيار، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري.

فهؤلاء أهل الاجتهاد من أهل العناية والتوفر على طلب علم أحكام القرآن، وفقه كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإجماع العلماء واختلافهم، والاحتياط لأنفسهم فيما يدينون به ربهم تعالى، وقلما فاتنا من أهل هذه الصفة أحد، والحمد لله رب العالمين.

أما من قلد دينه رجلا ولا يعدو مذهبه : فليس من أهل العلم

(١) يراجع خ فيه أبو عبد الله القاسم بن سلام الحنطاعي.

(٢) في ط بقية رويم بن عبد الله.
ويظهر لي أن في الكلام سقطا وصحته : لقبه نفطويه، رويم، عبد الله بن.

(٣) في ط : محمد.

(٤) في ط : تغلب.

بالاجتهاد، ولا يذكر في جملتهم، وإنما يذكر في أهل التقليد، لا أهل الاجتهاد
ممن ذكرنا، وحسبنا الله ونعم الوكيل^(١).

التعليق على النص

قال محققاً جوامع السيرة في مقدمتها ص ٢٤^(٢) :

وهذه الرسالة تنمية لتلك الأصول الأولى التي وضعها ابن سعد في
كتاب الطبقات عن الصحابة الذين كانوا يفتون في حياة الرسول صلى الله
عليه وسلم.

وقد اطلع ابن قيم الجوزية على رسالة ابن حزم هذه ونقل جزءاً منها في
كتابه إعلام الموقعين.

ولكن يبدو أن النسخة التي اطلع عليها تختلف عن نسختنا في ترتيبها،
كما أن بعض الأسماء التي ذكرها ابن القيم غير موجودة في نسختنا، وبعض
مالدينا لم يذكره ابن القيم. أهـ.

قال أبو عبد الرحمن : هاهنا أمور :

أولها : أن تجريد أهل الفتوى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم عمل قام به أيضاً — غير ابن سعد — : الإمام النسائي
في رسالته المطبوعة (تسمية فقهاء الأمصار)، وابن جرير في
ذيل تاريخه.

وثانيها : أن ابن حزم أفاد من تلك الأصول، ولكن المرجح عندي أن
مصدره الأساسي كتابه (الإيصال) الذي جمع فيه أقوال السلف
فجرد منه أسماء المفتين.

(١) جوامع السيرة ط ٣١٩ — ٣٣٥ وخ ورقة ١٤٠/ب — ١٤٧/أ.

(٢) وانظر أيضاً ص ٣١٩ حاشية.

وثالثها : أن ابن قيم الجوزية لم يعتمد في سياقه على هذا النص من جوامع السيرة، وإنما اعتمد على النص الأطول الذي سيرد إن شاء الله بعد هذا النص من كتاب الإحكام.
قال أبو عبد الرحمن : وهذا النص قارنت فيه بين الرسالة المطبوعة الملحقة بجوامع السيرة ورمزت لها بحرف (ط) والنسخة الخطية من جوامع السيرة بمكتبة عارف حكمت ورمزت لها بحرف (خ).

* * *

٢٢٧ - قال أبو محمد :

وهذا حين نذكر إن شاء الله تعالى اسم كل من روي عنه مسألة فما فوقها من الفتيا من الصحابة رضي الله عنهم، وما فاتنا منهم إن كان فات^(١) إلا يسير جداً ممن لم يرو عنه أيضاً إلا مسألة واحدة أو مسألتان وبالله تعالى التوفيق.

المكثرون من الصحابة رضي الله عنهم فيما روي عنهم من الفتيا :

عائشة أم المؤمنين، عمر بن الخطاب، ابنه عبد الله، علي بن أبي طالب، عبد الله بن العباس، عبد الله بن مسعود، زيد بن ثابت.

فهم سبعة [فقط]^(٢) يمكن أن يجمع من فتيا كل واحد منهم سفر ضخيم، وقد جمع أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب بن أمير المؤمنين المأمون فتيا عبد الله بن العباس [رضي الله عنها]^(٣) في عشرين كتاباً، وأبو بكر المذكور أحد أئمة الإسلام في العلم والحديث^(٤).

(١) في خ : فاتنا.

(٢) مابين القوسين زيادة من خ.

(٣) مابين القوسين زيادة من خ.

(٤) ولد سنة ٢٦٨ وتوفي سنة ٣٤٢ هـ ترجمته في المنتظم ٣٧٥/٦ والوافي ٩٣/٥.

وقال في جبهة الأنساب ص ٢٤ : مات بمصر له تواليف منها فقه عبد الله بن العباس رضي الله عنها مجزأ على أبواب الفقه في عشرين كتاباً.

والمتوسطون منهم فيما روي عنهم من الفتيا رضي الله عنهم :

أم سلمة أم المؤمنين، أنس بن مالك، أبو سعيد الخدري، أبو هريرة، عثمان بن عفان، عبد الله بن عمرو بن العاص، عبد الله بن الزبير، يوموسي الأشعري، سعد بن أبي وقاص، سلمان الفارسي، جابر بن عبد الله، معاذ بن جبل، أبو بكر الصديق. فهم ثلاثة عشر فقط يمكن أن يجمع من فتيا كل امرئ منهم جزء صغير جداً.

ويضاف أيضاً^(١) إليهم طلحة، الزبير، عبد الرحمن بن عوف، عمران ابن الحصين، أبو بكرة،^(٢) عبادة بن الصامت، معاوية بن أبي سفيان.

والباقون منهم رضي الله عنهم مقلون في الفتيا [جدا]^(٣) لا يروى عن الواحد منهم إلا المسألة والمسألان والزيادة اليسيرة على ذلك فقط، يمكن أن يجمع من فتيا جميعهم جزء [صغير]^(٤) فقط بعد التقصي والبحث، وهم [رضي الله عنهم]^(٥) أبو الدرداء، أبو اليسر^(٦)، أبو سلمة الخزومي^(٧)، أبو عبيدة بن الجراح، سعيد بن زيد، الحسن، والحسين ابنا علي [بن أبي

(١) في خ : إليهم أيضاً.

(٢) اسمه نفيع بن مسروح أو ابن الحارث الثقفي رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ترجمته في الاستيعاب ٢٤/٤ والإصابة ٥٤٢/٣.

(٣) ما بين القوسين زيادة من خ.

(٤) ما بين القوسين زيادة من ط.

(٥) ما بين القوسين زيادة من ط.

(٦) بفتح الياء والسين واسمه كعب بن عمرو الأنصاري من أهل بدر رضي عنه. ترجمته في الإصابة ٢١٧/٤.

(٧) في الصحابة رضي الله عنهم خمسة اشتهروا بكنية أبي سلمة، وفي بني مخزوم اثنان والمراد هنا عبد الله بن عبد الأسد رضي الله عنه. ترجمته في الإصابة ٣٢٦/٢ - ٣٢٧.

طالب^(١) ، النعمان بن بشير، أبو مسعود^(٢) ، أبي بن كعب، أبو أيوب، أبو طلحة^(٣) ، أبو ذر، أم عطية^(٤) ، صفية أم المؤمنين، [حفصة أم المؤمنين]^(٥) ، أم حبيبة أم المؤمنين، أسامة بن زيد، جعفر بن أبي طالب، البراء بن عازب، قرظة^(٦) بن كعب، أبو عبد الله البصري^(٧) نافع أخو أبي بكر لأمه، المقداد بن الأسود، أبو السنايل بن بعكك^(٨) الجارود العبدي^(٩) ، ليلى بنت قانف^(١٠) ، أبو محذور^(١١) أبو شريح الكعبي^(١٢) أبو برزة الأسلمي^(١٣) ، أسماء بنت أبي بكر، أم شريك الحولاء بنت^(١٤) تويت، أسيد بن الحضير، الضحاك بن قيس، حبيب بن مسلمة^(١٥) ، عبد الله بن أنيس، حذيفة بن اليمان، ثمامة بن أثال، عمار بن ياسر، عمرو بن ياسر،

-
- (١) مابين القوسين زيادة من ط.
 (٢) في الصحابة اثنان بهذه الكنية، والمراد عقبة بن عمرو الأنصاري البصري رضي الله عنه.
 ترجمته في الإصابة ٤٨٣/٢ - ٤٨٤.
 (٣) في الصحابة بهذه الكنية ثلاثة والمراد زيد بن سهل الأنصاري رضي الله عنه ترجمته في الإصابة ٥٤٩/١ - ٥٦٠.
 (٤) هي نسيبة بنت الحارث الأنصاري رضي الله عنها. ترجمتها في الإصابة ٤٥٥/٤.
 (٥) مابين القوسين زيادة من ط.
 (٦) بفتح القاف والراء الأنصاري رضي الله عنه. ترجمته في الإصابة ٢٢٣/٣.
 (٧) أبو عبد الله هو نفسه نافع إلا أن سقوط واو العطف في هذا السياق يحدث لبسا لهذا فصلت بين الأعلام بالفواصل.
 (٨) العبدري القرشي من مسلمة الفتح رضي الله عنه، وبعكك على وزن جعفر. ترجمته في الإصابة ٩٦/٤.
 (٩) هما اثنان رضوان الله عليهما. وانظر الإصابة ٢١٧/١ - ٢١٨.
 (١٠) الثقفية، وقانف بالنون نص على ذلك ابن الأثير في أسد الغابة ٢٦٠/٧.
 وفي الأحكام من كل الطبقات بالهمزة وفي خ بالنون.
 (١١) المؤذن الجمحي القرشي رضي الله عنه ترجمته في الإصابة ١٧٥/٤ - ١٧٦.
 (١٢) الخزاعي رضي الله عنه ترجمته في الإصابة ١٠٢/٤.
 (١٣) اسمه نضلة بن عبيد رضي الله عنه.
 (١٤) تويت بمثنائين مصغرا. انظر عنها الإصابة ٢٦٩/٤ - ٢٧٠.
 (١٥) في (خ) بعد مسلمة : بن مسلمة.

عمرو بن العاص، أبو الغادية^(١) الجهني السلمي، أم الدرداء الكبرى^(٢)،
الضحاك بن خليفة المازني، الحكم بن عمرو الغفاري، وابصة ابن معبد
الأسدي، عبد الله بن جعفر، عوف بن مالك، عدي بن حاتم، عبد الله بن
أبي أوفى، عبد الله بن سلام، عمرو بن عنبة، عتاب بن أسيد، عثمان بن
أبي العاص، عبد الله بن سرجس، عبد الله بن رواحة، عقيل بن أبي
طالب، عائذ بن عمرو، أبو قتادة^(٣)، عبد الله بن معمر العدوي، عمير بن
سعد، عبد الله بن أبي بكر الصديق، عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق،
عاتكة بنت زيد بن عمرو، عبد الله بن عوف الزهري، سعد بن معاذ، أبو
منيب^(٤)، سعد بن عبادة، قيس بن سعد، عبد الرحمن بن سهيل، سمرة بن
جندب، سهل بن سعد الساعدي، معاوية بن مقرن، سويد بن مقرن،
معاوية بن الحكم، سهلة بنت سهيل، أبو حذيفة بن عتبة، سلمة بن
الأكوع، زيد بن أرقم، جرير بن عبد الله البجلي، جابر بن سمرة،
جويرية أم المؤمنين، حسان بن ثابت، حبيب بن عدي، قدامة بن مظعون،
عثمان بن مظعون، ميمونة أم المؤمنين، مالك بن الحويرث، أبو أمامة
الباهلي، محمد بن مسلمة، خباب بن الارت، خالد بن الوليد، ضمرة^(٥)
بن العيص، طارق بن شهاب، ظهير بن رافع، رافع بن خديج، فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفاطمة بنت قيس، هشام بن حكيم بن
حزام، أبوه حكيم بن حزام، شرحبيل بن السمط، أم سليم^(٦)، دحية بن
خليفة الكلبي، ثابت بن قيس بن الشماس، ثوبان مولى رسول الله صلى

(١) اسمه يسار. انظر عنه الإصابة ١٥٠/٤ - ١٥١.

(٢) اسمها خيرة وترجمتها في الإصابة ٢٨٧/٤ - ٢٨٨.

(٣) في الصحابة بهذه الكنية اثنان : الخزاعي، والسدوسي، والمراد الأول. انظر الإصابة
١٥٧/٤ - ١٥٨.

(٤) الكلبي ترجمته في الإصابة ١٨٧/٤.

(٥) في خ : حمزة.

(٦) بهذه الكنية عدد من الصحابيات ولعل المراد بنت ملحان.

الله عليه وسلم، سرق^(١)، المغيرة بن شعبة، بريدة بن الحصيب الأسلمي، رويغ بن ثابت، أبو حميدة^(٢)، أبو أسيد^(٣)، فضالة بن عبيد، رجل يعرف بأبي محمد^(٤) رويغنا عنه وجوب الوتر [هو من الأنصار اسمه مسعود بن أوس نجاري بدري^(٥)، وزينت بنت أم المؤمنين، أم سلمة، عتبة بن مسعود، بلال^(٦) المؤذن [مكرز^(٧)]، عرفة بن الحارث، سيار بن روح أو روح بن سيار، أبو سعيد بن المعلى، العباس بن عبد المطلب، بسر بن أبي أرطاة، [ويقال بسرة بن أرطاة]^(٨)، صهيب بن سنان، أم أيمن^(٩)، أم يوسف^(١٠) [ماعرز^(١١)، الغامدية^(١٢) فهو ثناح^(١٣)].

[وأما فقهاء]^(١٤) التابعين الذين روي عنهم الفتيا فن بعدهم فنحن إن

- (١) بضم السين المهملة وفتح الراء المشددة وأنكر العسكري هذا الضبط وخفف الراء على وزن عمر. ترجمته في الإصابة ١٩/٢ - ٢٠.
- (٢) وقيل أبو حميد. انظر الإصابة ٤٧/٤ وهكذا ورد في المخطوط.
- (٣) في الصحابة رضوان الله عليهم عدد بهذه الكنية ولا أدري من يعني أبو محمد. وانظر الإصابة ٨/٤ - ٩.
- (٤) في خ : أبو محمد رجل رويغنا.
- (٥) انظر عنه الإصابة ١٧٦/٤.
- (٦) ماين القوسين زيادة من ط، وفي خ علامة لحق للهامش الأيمن ولم يقيد به اللحق.
- (٧) لعله ابن حفص العامري القرشي. انظر الإصابة ٤٣٥/٣. وماين القوسين زيادة من ط.
- (٨) ماين القوسين زيادة من ط.
- (٩) هي مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته بركة بنت ثعلبة رضى الله عنها.
- (١٠) ترجمتها في الإصابة ٤١٥/٤ - ٤١٧.
- (١١) هي بركة الحبشية مولاة أم حبيبة رضى الله عنها.
- (١٢) ترجمتها في الإصابة ٢٤٣/٤.
- (١٣) في الصحابة أربعة بهذا الاسم، والأظهر أنه يريد ماعرز بن مالك الأسلمي. وانظر الإصابة ٣١٧/٣ - ٣١٨.
- (١٤) انظر عنها رضى الله عنها أسد الغابة ٤٤٠/٧.
- (١٥) ماين القوسين زيادة من ط وفي خ علامة لحق إلى الهامش الأيمن ولم يقيد به شيء، أو أن ما قيد لم يظهر في الصورة التي لدي.
- (١٦) ماين القوسين زيادة من ط.

شاء الله تعالى نذكر من عرف منهم على البلاد المشهورة في صدر الإسلام خاصة وأما بعد ذلك فلا يحصيهم إلا الله عز وجل.

مكة أعزها الله [وحرسها] ^(١) :

عطاء بن أبي رباح ^(٢) مولى أم كرز الخزاعية، طاووس بن كيسان الفارسي، [والأسود والد عثمان بن الأسود] ^(٣) ، مجاهد بن جبر، عبيد بن عمير الليثي، ابنه عبد الله بن عبيد، عمرو بن دينار، عبد الله بن أبي مليكة، عبد الله بن سابط، عكرمة مولى ابن عباس.

وهؤلاء من أصحاب ابن عباس رضي الله عنهم، وقد أخذوا أيضاً عن ابن عمر، [وأم المؤمنين] ^(٤) عائشة، وعلي وجابر.

ثم أبو الزبير المكي، وعبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية، وعبد الله بن طاووس.

ثم بعدهم عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، سفيان بن عيينة وكان أكثر فتياه في المناسك وكان يتوقف في الطلاق.

وبعدهم مسلم بن خالد الزنجي، سعيد بن سالم القداح، وبعدهما محمد بن إدريس الشافعي، ثم ابن عمه إبراهيم بن محمد الشافعي، أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي، أبو الوليد موسى بن أبي الجارود ^(٥) ، ثم أبو بكر

(١) ماين القوسين زيادة من خ.

(٢) في الأصل : عطاء بن مكث بن أبي رباح والصواب عطاء بن أبي رباح، وزيادة بن مكث خطأ فاحش فليس في نسب عطاء هذا الاسم.
قال أبو عبد الرحمن : ووردت كلمة مكث في هامش خ.

(٣) ماين القوسين زيادة من ط.

(٤) ماين القوسين زيادة من ط.

(٥) في خ : الجارودي.

ابن أبي مسرة، ثم غلب عليهم تقليد الشافعي، إلا من لانتقف الآن على اسمه منهم.

المدينة أعزها الله وحرسها^(١) :

سعيد بن المسيب المخزومي، وكان على بنت^(٢) أبي هريرة وأخذ عنه كثيراً وعن سعد بن أبي وقاص وغيره، عروة بن الزبير بن العوام، القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق وأخذ عن عائشة [أم المؤمنين]^(٣)، عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي وأخذ عن ابن عباس، خارجة بن زيد بن ثابت وأخذ عن أبيه، أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، سليمان بن يسار أخذ عن أمي المؤمنين عائشة وأم سلمة وعن غيرهما من الصحابة.

وهؤلاء هم الفقهاء السبعة المشهورون في المدينة.

وكان من أهل الفتيا أيضاً فيها : أبان بن عثمان بن عفان وأخذ عن أبيه، عبد الله وسالم ابنا عبد الله بن عمر، أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب^(٤)، ابنه محمد وأخذ عن جابر، أبو بكر بن سليمان بن أبي خيثمة العدوي عدي قريش، نافع مولى ابن عمر روينا عنه نحو عشر مسائل من فتياه، عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة أخي أبي أمامة، أسعد بن زرارة رضي الله عنه وذكر^(٥) سفيان أنها كانت تستفتي في البيوع وأخذت عن عائشة وعن الصواحب الأنصاريات، ومروان بن الحكم قبل أن يقوم بالشام، وكان دون هؤلاء.

(١) في خ : حرسها الله وأعزها.

(٢) في خ : بيت.

(٣) ما بين القوسين زيادة من ط.

(٤) في خ : بن علي رضي الله عنهم - بدون ابن أبي طالب -.

(٥) في خ : ذكر بدون واو.

وبعدهم أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وابناه محمد وعبد الله، عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وابنه محمد، عبد الله والحسن ابنا محمد بن الحنفية وهو محمد بن علي بن أبي طالب^(١)، جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، مصعب بن محمد بن شرحبيل العبدي، محمد بن المنكدر التيمي، محمد بن مسلم بن شهاب الزهري وقد جمع محمد بن أحمد بن مفرج^(٢) فتاويه في ثلاثة أسفار ضخمة على أبواب الفقه، عبد الله بن الحسن بن الحسين^(٣) ابن علي [بن أبي طالب]^(٤)، ويحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري، وأبو الزناد عبد الله بن هرمز، عمر بن حسين، سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف، ربيعة [بن أبي عبد الرحمن مولى بني تميم من قريش وهو ربيعة]^(٥) الرأي، العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب، عبد الرحمن بن حرملة الأسلمي، زيد بن أسلم، عثمان بن عروة بن عروة بن الزبير، صفوان بن سليم، إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص [الأموي، ثم كان بعد هؤلاء]^(٦) عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن الخطاب، محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب القرشي العامري، محمد بن إسحاق، مالك بن أنس، عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون، محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ولي قضاء المدينة وبفتياه^(٧) ضرب جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس مالك بن أنس.

(١) في خ : ابنا محمد بن علي بن أبي طالب وهو ابن الحنفية.

(٢) ذكره أبو محمد في رسالة الميزان كما في نفح الطيب ١٧٠/٣.

(٣) في خ : الحسن.

(٤) ما بين القوسين زيادة من ط.

(٥) ما بين القوسين زيادة من ط.

(٦) ما بين القوسين زيادة من ط، وفي خ : وبعدهم.

(٧) في خ : وفتياه — بدون باء.

وبعدهم أصحاب مالك كعبد العزيز بن أبي حازم، والمغيرة بن عبد الرحمن [بن الحارث] ^(١) بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي، ومحمد بن مسلمة بن محمد بن هاشم [بن إسماعيل] ^(٢) بن الوليد بن المغيرة المخزومي وله ديوان كبير جداً سماعه ^(٣) من مالك وعبد الله بن نافع الأعور الصائغ، وعبد الملك بن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون ^(٤)، ومطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار، وأبو مصعب ^(٥) أحمد بن أبي بكر بن الحارث بن زرارة بن المصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، وهو آخر من بقي من الفقهاء المشاهير بالمدينة، ومات سنة اثنتين وأربعين ومئتين أيام المتوكل، وولي قضاء المدينة، وقل العلم بها بعد ذلك، فإننا لله وإنا إليه راجعون، [والله ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل] ^(٦).

[فقهائهم] ^(٧) البصرة [بعد الصحابة رضي الله عنهم] ^(٨) :

عمرو بن سلمة الجرمي وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولأبيه صحبة، أبو مريم الحنفلي، كعب بن سور ^(٩)، عمرو بن يثربي، الحسن بن أبي

(١) ماين القوسين زيادة من ط.

(٢) ماين القوسين زيادة من ط. وفي خ : هشام وفي هامشها: وقيل بن همام.

وفي جهرة الأنساب ص ١٤٨ : هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد.

(٣) في ط — مماته.

(٤) في ط : الماجشون.

(٥) في خ : المصعب.

(٦) ماين القوسين زيادة من ط.

(٧) ماين القوسين زيادة من ط.

(٨) ماين القوسين زيادة من ط.

(٩) بضم السين المهملة، وهو أزدي، وكان قاضي البصرة زمن الصحابة ولاء عمر بن الخطاب.

ذكر البخاري في التاريخ الصغير (٤٠) أنه قتل يوم الجمل وله ترجمة في طبقات ابن سعد

(ج ٧ قسم ١ ص ٦٥).

الحسن وأدرك خمس مئة من الصحابة وقد جمع بعض الفقهاء فتياه في سبعة أسفار ضخمة^(١) جابر بن زيد، أبو الشعثاء أخذ عن ابن عباس، محمد بن سيرين، يحيى بن يعمر، أبو قلابة عبد الله بن زيد الجرمي، مسلم بن يسار، أبو العالية الرياحي مولى^(٢) ، بكر بن عبد الله المزني [صلية]^(٣) ، حميد بن عبد الرحمن^(٤) ، مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي، زرار بن أوفى، وأبو بردة بن أبي موسى الأشعري، معبد بن عبد الله بن عكيم^(٥) الجهني، عبد الملك بن يعلى الليثي القاضي، بلال بن أبي بردة ابن أبي موسى الأشعري.

وهؤلاء لقوا أكابر الصحابة رضي الله عنهم.

ثم كان بعدهم : أيوب بن كيسان السخيتاني، سليمان بن طرخان التيمي مولى يونس بن عبيد، عبد الله بن عون، خالد بن أبي عمران^(٦) ، القاسم بن ربيعة، أشعث بن عبد الملك الحمراني، حفص بن سليمان المنقري، قتادة بن دعامة السدوسي^(٧) ، إياس بن معاوية القاضي.

(١) هو ابن مفرج. ذكر أبو محمد في رسالة الميزان أنه جمع فقه البصري في سبعة أسفار. انظر نفع الطيب ١٧٠/٣.

(٢) هو مولى امرأة من بني رياح وليس مولى بكر كما يظن من ظاهر السياق، بل بكر أحد الفقهاء الذين سرد المؤلف أسماءهم.

(٣) ما بين القوسين زيادة من خ.

(٤) هو الحميري. ووقع في الأصل بين لفظي المزني وحيد لفظ صلية ولم نفهم له معنى ولا وجهها وستكرر مراراً بين الأسماء فالله أعلم. أحمد شاكر.

قال أبو عبد الرحمن : المعنى أنه من نسل جد القبيلة ومن صلب أحفاده، وليس انتسابه ولاء أو حلفاً.

(٥) بضم العين المهملة.

(٦) هذا ليس من البصريين بل هو من أهل تونس كان فقيه أهل المغرب ومفتي أهل مصر والمغرب. أحمد شاكر.

قال أبو عبد الرحمن : لعل أبا عمران تحريف لأبي عثمان، فهو من فقهاء البصرة.

(٧) ما بين القوسين زيادة من ط.

وبعدهم سوار بن عبد الله القاضي العنبري أبو بكر العتكي، عثمان بن مسلم^(١) البستي، طلحة بن إياس القاضي، عبيد الله بن الحسن العنبري القاضي، أشعث بن جابر^(٢) [بن يزيد]^(٣)، عمرو بن عبيد.

ثم كان بعد هؤلاء : عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، سعيد بن أبي عروبة، حماد بن سلمة، حماد بن زيد، عبد الله بن داود الخريبي^(٤)، إسماعيل بن عليّة، بشر بن المفضل بن لاحق، معاذ العنبري، أبو عاصم الضحاك بن مخلد، معمر بن راشد، قريش بن أنس، عبيد الله بن معاذ بن معاذ، محمد بن عبد الله الأنصاري، كلثوم بن كلثوم، ثم دخل عندهم رأي أبي حنيفة بيوسف بن خالد وغيره، ورأي مالك بأحمد بن المذل إلا قليلاً ممن لم يبلغنا أمره.

وممن بلغنا ذكره كسليمان بن حرب الواشجي فإنه كان جارياً على السنن الأول في فتياه، وإبراهيم بن عليّة، ويحيى بن أكرم القاضي، وعبد السلام بن عمر^(٥) ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وخالد بن الحارث الهجيمي، وعبد الوارث بن سعيد التنوري، وشعبة بن الحجاج، ونظرائهم من أئمة المحدثين ممن لاشك في سعة علمه بالسنن والآثار عن الصحابة وفي أنه كان لا يقلد أحداً في دينه.

(١) في الأصل سليمان وهو خطأ والبتى بفتح الباء الموحدة وكسر التاء المثناة المشددة. أحمد شاكر.

قال أبو عبد الرحمن : وفي خ سليمان.

(٢) في المصرية أشعث بن جابر بن زيد وكذلك في الأندلسية إلا أنها زادت أيضاً بن عمرو بن عبيد وكلاهما خطأ، والصواب ما صنعناه فأشعث بن جابر هو أشعث بن عبد الله بن جابر الحداني، وعمرو بن عبيد هو القدري المشهور وكلاهما من فقهاء البصرة. أحمد شاكر.

(٣) مابين القوسين زيادة من خ.

(٤) بضم الخاء المعجمة وفتح الراء.

(٥) في خ : عمرو.

فهم معدودون فيمن ذكرنا، ولكن فتاويهم قليلة جداً، وإنما كانوا يقولون في فتياهم على مارووا من فتاوي الصحابة والتابعين، ولا يكادون يستدلون في كثير ممن ذكرنا إذ لا ^(١) يحفظ عنه إلا المسألة والمسألان ونحو ذلك، وكثير منهم أكثر في الفتيا جداً.

[فقهاء ^(٢)] الكوفة [بعد الصحابة رضي الله عنهم ^(٣)]:

عقلمة بن قيس النخعي، الأسود بن يزيد النخعي ^(٤) وهو عم عقلمة أخو أبيه، أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل الهمداني، مسروق بن الأجدع الهمداني، عبيدة السلماني، شريح بن الحارث الكندي القاضي، سلمان بن ربعة الباهلي، زيد بن صوحان ^(٥)، سويد بن غفلة، الحارث بن قيس الجعفي، عبد الرحمن بن يزيد بن قيس النخعي أخو الأسود بن يزيد بن عبد الله بن عتبة بن مسعود القاضي، خيثمة بن عبد الرحمن، وأبو حذيفة، سلمة بن صهيب أبو عطية، مالك بن عامر، وأبو الأحوص، عبد الله بن سخبرة، زربن حبيش الأسدي، خلاص بن عمرو وهو من أصحاب علي رضي الله عنه، عمرو بن ميمون الأودي من أصحاب معاذ بن جبل، همام بن الحارث، نباتة الجعفي، الحارث بن سويد، زيد ^(٦) بن معاوية النخعي، معضد الشيباني، الربيع خثيم ^(٧) الثوري، عتبة بن فرقد السلمي، ابنه عمرو، صلة بن زفر العيسى، شريك بن حنبل، أبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي، عبيد ^(٨) بن فضلة، وهؤلاء أصحاب ابن مسعود وعلي.

(١) في ط : بدون (لا).

(٢) ماين القوسين زيادة من ط.

(٣) ماين القوسين زيادة من ط.

(٤) ماين القوسين زيادة من ط.

(٥) في خ زيد ورد قبل سلمان.

(٦) في خ : ويزيد.

(٧) في خ : خثيم

(٨) في خ : عبيدة.

وأكابر التابعين كانوا يفتون في الدين ويستفتيهم الناس وأكابر الصحابة
أحياء حاضرون [موجودون^(١)] يجوزون لهم ذلك، وأكثرهم قد أخذ من
عمر بن الخطاب وعائشة أم المؤمنين وعلي وغيرهم.

ولقي عمرو بن ميمون معاذ بن جبل وصحبه وأخذ عنه ففعل ذلك^(٢)
وأوصاه معاذ عند موته أن يلحق بابن مسعود فيصحبه ويطلب العلم عنده.

ويضاف إلى هؤلاء أبو عبيدة، وعبد الرحمن ابنا عبد الله بن مسعود،
وعبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري وأخذ عن مئة وعشرين من الصحابة،
وميسرة وزادان والضحاك المسرفي^(٣).

ثم كان بعدهم إبراهيم النخعي، وعامر الشعبي، وسعيد بن جبير مولى
بني أسد صاحب ابن عباس، والقاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن
مسعود الهذلي، وأبو بكر بن أبي موسى الأشعري وكان سائر إخوته بالبصرة،
ومحارب بن دثار سدوسي^(٤)، والحكم بن عتيبة، وجبل بن سحيم الشيباني
وصحب ابن عمر.

ثم كان بعد هؤلاء حماد بن أبي سليمان، ومنصور بن المعتمر السلمي،
والمغيرة بن مقسم الضبي، وسليمان الأعمش مولى بني أسد، ومسعر بن
كدام الهلالي.

ثم كان بعد هؤلاء محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى القاضي، وعبد الله
ابن شبرمة القاضي الضبي، وسعيد بن أشوع^(٥) القاضي، وشريك القاضي

(١) ما بين القوسين زيادة من خ.

(٢) ما بين القوسين ليس في ط وإنما وردت قبل ذلك بعد : وأخذ عنه.

(٣) في خ : الشرقي.

(٤) في خ : السدوسي.

(٥) بفتح الهمزة والواو بينها معجمة ساكنة.

نخعي، والقاسم بن معن، وسفيان بن سعيد الثوري، وأبو حنيفة النعمان ابن ثابت، والحسن بن صالح بن حي.

ثم كان بعدهم : حفص بن غياث القاضي، ووكيعة بن الجراح، وأصحاب أبي حنيفة، كأبي يوسف القاضي، وزفر بن الهذيل بصري سكن لكوفة، وحماد بن أبي حنيفة، والحسن بن زياد اللؤلؤي القاضي، ومحمد بن الحسن قاضي الرقة^(١) وعافية القاضي، وأسد بن عمرو، ونوح بن دراج نقاضي، وأصحاب سفيان الثوري كالأشجعي، والمعاذ بن عمران، وصاحبي الحسن بن حي: حميد الرؤاسي، ويحيى بن آدم.

وقوم من أصحاب الحديث لم يشتهروا بالفتيا، ثم غلب عليهم تقليد أبي حنيفة، وإنما ذكرنا من ذكرنا من أصحاب أبي حنيفة دون سائرهم لأنهم لم يستهلكوا في التقليد، بل خالفوه باختيارهم في كثير من الفقه فدخلوا من أجل ذلك في جملة الفقهاء.

وكذلك من ذكرنا في فقهاء المدينة من أصحاب مالك ومن ذكره منهم في فقهاء أهل مصر.

وأما من استهلك في التقليد فلم يخالف صاحبه في شيء : فليس أهلاً أن يذكر في أهل الفقه، ولا يستحق اسمه في أهل العلم، لأنه ليس منهم، ولكنه كمثّل الحمار يحمل أسفارا.

[وبالله تعالى التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل]^(٢)

فقهاء الشام بعد الصحابة رضي الله عنهم :

أبو إدريس الخولاني ولقي معاذاً وأخذ عنه، شرحبيل بن الصمت^(٣) ،

(١) في خ : القاضي بالرقة.

(٢) ما بين القوسين زيادة من ط.

(٣) في خ : السمط.

عبد الله بن أبي زكريا الخزاعي، قبيصة بن ذؤيب الخزاعي وطلب بالمدينة، وجنادة بن أبي أمية، وسليمان بن حبيب المحاربي، والحارث بن عميرة الزبيدي، وخالد بن معدان، وعبد الرحمن بن غنم^(١) الأشعري، وجبير بن نفير.

ثم كان بعدهم عبد الرحمن بن جبير بن نفير، ومكحول، وعمر بن عبد العزيز، ورجاء بن حيوة، وكان عبد الملك بن مروان يعد من الفقهاء قبل أن يلي ماولي، وحدير بن كريب^(٢).

ثم كان بعد هؤلاء يحيى بن حمزة القاضي، وأبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، وإسماعيل بن أبي المهاجر، وسليمان [هو مولى^(٣)] ابن موسى الأموي^(٤) وسعيد بن عبد العزيز، ثم مخلد بن الحسين، والوليد بن مسلم، والعباس بن يزيد صاحب الأوزاعي، وشعيب بن إسحاق صاحب أبي حنيفة، وأبو إسحاق الفزاري صاحب ابن المبارك.

ثم لم يكن بعد هؤلاء في الشام^(٥) فقيه مشهور.

فقهاء مصر بعد الصحابة [رضي الله عنهم^(٦)]

يزيد بن أبي حبيب، وبكير بن عبد الله بن الأشج^(٧) وبعدهما عمرو بن الحارث، وقد روى عن ابن وهب أنه قال: لو عاش لنا عمرو بن الحارث

(١) في خ : وعبد بن غنم.

(٢) حدير بالحاء والذال المهملتين وهو وكريب مصفران.

(٣) مابن القوسين زيادة من ط.

(٤) سليمان هو ابن موسى وهو مولى لبني أمية.

(٥) في خ : بالشام.

(٦) مابن القوسين زيادة من ط.

(٧) بالشين المعجمة والجيم المشددة وفي الأصل الأشجع وهو خطأ. أحمد شاكر.

ما احتجنا معه إلى مالك ولا إلى غيره وهو أنصاري صليبة والليث بن سعد، وعبيد الله^(١) بن أبي جعفر.

وبعدهم أصحاب مالك كعبد الله بن وهب، وعثمان بن كنانة، وأشهب، وابن القاسم على غلبة تقليد مالك عليه إلا في الأقل.

ثم أصحاب الشافعي كأبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني، وأبي يعقوب يوسف بن يحيى البويطي، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم.

ثم غلب عليهم تقليد مالك وتقليد الشافعي إلا قوماً قليلاً لهم اختيارات كمحمد بن علي بن يوسف، وأبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي وغيرهما.

وكان بالقيروان سحنون بن سعيد وله كثير^(٢) من الاختيار، وسعيد بن محمد بن الحداد.

وكان بالأندلس^(٣) ممن له أيضاً شيء من الاختيار^(٤) يحيى بن يحيى، وعبد الملك بن حبيب، وبقي بن مخلد، وقاسم بن محمد صاحب الوثائق يحفظ لهم فتاوي يسيرة^(٥).

وكذلك أسلم بن عبد العزيز القاضي، ومنذر بن سعيد.

وممن أدركنا من أهل العلم على الصفة التي من بلغها استحقq الاعتداد به في الاختلاف: مسعود بن سليمان بن مفلت، ويوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري.

(١) في خ : وعبد الله.

(٢) في خ : يسير.

(٣) في خ : في الأندلس.

(٤) في خ : اختيار.

(٥) في خ : ففهم فتاوي محفوظة، وفي هامشها كما في ط.

وكان باليمن مطرف بن مازن قاضي صنعاء، وعبد الرزاق بن همام، وهشام بن يوسف، ومحمد بن ثور، وسماك بن الفضل.

ومن الأئمة المتقدمين من أهل الثبات على السنن الأول^(١) ولكنهم ليسوا في أعداد أهل الأمصار منهم خراسانيون، ومنهم من سكن بغداد^(٢) :

عبد الله بن المبارك الخراساني، ونعيم بن حماد، وأبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي صاحب الشافعي بغدادي، وأحمد بن محمد بن حنبل مروزي سكن بغداد، وإسحاق بن راهويه نيسابوري سكن بغداد، وأبو عبيد القاسم بن سلام اللغوي كوفي سكن بغداد، وسليمان بن داوود بن علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وحسين بن علي الكرابيسي بغدادي، وكان أبو خيثمة زهير بن حرب يجري مجراهم، ولم يكن له اتساعهم، وأبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلي [صاحبه]^(٣) وأبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازيان، وكان هشيم بن بشير له اختيارات.

وكان بعد هؤلاء داوود بن علي، ومحمد بن نصر المروزي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، ثم محمد بن جرير الطبري، ومحمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، وأصحاب داوود كمحمد ابنه، وعبد الله بن أحمد بن المغلس، عبد الله بن محمد^(٤)، رويم، وعبد الله^(٥) بن محمد الرضيع، وأبي بكر بن

(١) في خ : الأولى.

(٢) في ط : قال أبو محمد.

(٣) ماين القوسين زيادة من خ.

(٤) حذف واو العطف أوهم أن رويما هو عبد الله بن محمد.

والواقع أن رويما هو ابن أحمد بن يزيد بن رويم. ترجمته في تاريخ بغداد ٨ - ٤٣٠ - ٤٣٢.

ولعل عبارة عبد الله بن محمد سقط منها (أبو) وأن المراد أبو عبد الله بن محمد نبطويه لفتيه الظاهري.

(٥) في طبقات الفقهاء للشيرازي ص ١٧٦ : عبيد الله.

نَجَّار^(١) وأبي بكر أحمد بن محمد الأواني^(٢) ، والخلال^(٣) ، وأبي الطيب محمد بن أحمد الديباجي، بغداديون كلهم.

ومن نظرائهم ولكنهم من أصحاب القياس : أبو عبيد علي بن حرب^(٤) قاضي مصر، وأبو إسحاق إبراهيم بن جعفر بن جابر قاضي حلب، وكانا مائلين إلى الشافعي.

ومن هؤلاء أيضاً : محمد بن شجاع البلخلي^(٥) وأحمد بن أبي عمران، وبكار بن قتيبة بصري ولي قضاء مصر وبهامات.

فهؤلاء أيضاً لهم اختيارات وإن كانوا في الأغلب لايفارقون أبا حنيفة وأصحابه: زفر وأبا^(٦) يوسف، ومحمد بن الحسن.

قال أبو محمد [علي]^(٧) : وهذا الباب له منفعة عظيمة في تكذيب دعوى الإجماع في مسائل الفقه التي لا تعلم أقوال الناس فيها إلا بالرواية.

-
- (١) يظهر لي أن المراد أحمد بن سلمان بن الحسن أبو بكر النجاد الفقيه الحنبلي. ترجمته في تاريخ بغداد ١٨٩/٤ - ١٩٢.
- ولعل عند أبي محمد زيادة علم بأنه ظاهري إما بعد كونه حنبلياً وإما قبل ذلك. وفي النسخة المصرية (البحات) ولم أعرف من هو.
- (٢) لم أعرفه، و (أوانا) بليدة كثيرة البساتين والشجر بينها وبين بغداد عشرة فراسخ.
- (٣) في فهرسة ابن النديم ص ٢٧٣ أبو الطيب ابن الخلال.
- (٤) هذا الاسم خطأ صوابه (أبو عبد الله محمد بن عبدة بن حرب) انظر ترجمته في كتاب قضاة مصر وملحقه (ص ٤٧٩ - ٤٨٠ و ٥١٤ - ٥١٨) وفي الجواهر المضية (٢ : ٨٧) وفي لسان الميزان (٥ : ٢٧٢). أحمد شاكر.
- قال أبو عبد الرحمن : لعله اختلط عند أبي محمد بعلي بن حرب الموصللي المحدث المتوفي سنة ٢٦٥هـ.
- (٥) في خ : الثلجي.
- (٦) في الأصل (زفر بن يوسف) وهو خطأ.
- (٧) مابن القوسين زيادة من خ.

فهؤلاء الذين ذكرناهم الذين يعتد خصومنا بأقوالهم في الخلاف وبإجماعهم في الإجماع بعد إجماع الصحابة [رضي الله عنهم]^(١) ، وهؤلاء الذين رويت عنهم الأقوال في مسائل الفقه، وكثير من هؤلاء لا يحفظ عنهم إلا لمسألتيان والثلاث وربما فاتنا من لم نذكر إلا أنهم بلا شك يسير، ومن لا يحفظ عنه إلا اليسير جداً، ونحن بشر والكمال من الناس للنبيين عليهم السلام ولن وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بالكمال^(٢) وبالله تعالى التوفيق.

فإذا لم يضبط من التابعين إلا من سميناء، وكل من يدري شيئاً من الأخبار يوقن قطعاً بأنهم ملؤا الأرض من أقصى السند وأقصى خراسان إلى أرمينية وأذربيجان إلى الموصل، وديار ربيعة وديار مضر إلى أقصى الشام، إلى مصر، إلى أفريقية إلى أقصى الأندلس إلى أقاصي بلاد البربر، إلى الحجاز واليمن، وجميع جزيرة العرب، إلى العراق إلى الأهواز، إلى فارس، إلى كرمان، إلى سجستان، إلى كابل إلى السند وأصبهان، وطبرستان وجرجان والجبال وأن جميع هذه البلاد فيها الإسلام، وغلب عليهم والله تعالى الحمد، وأنه لم يكن للمسلمين في جميع ما ذكرنا من البلاد ولا قرية ضخمة إلا كان فيها المفتي والمقرئ، وربما أكثر من واحد، فكيف يسوغ لذي^(٣) عقل له حظ من دين يخاف الله تعالى في الكذب، ويتقي العار والشهرة والافتضاح بالإنفاق على كل مفت كان في البلاد المذكورة في دعواه الإجماع على ما لا يتيقن أن كل واحد من مفتي جميع تلك البلاد قال به، وإذا كان ممن سميناهم جزء يسير ممن لم يبلغنا اسمه لا يوجد لأكثرهم إلا مسائل يسيرة جداً، وهم عدد يسير فأين فتاويهم في سائر ما لم يرد^(٤)

(١) ما بين القوسين زيادة من خ.

(٢) في خ : به.

(٣) في خ : من له.

(٤) في خ : يرو.

التعليق على النص

قال ابن قيم الجوزية بعد سياقه لجملة من هذا النص :

فهؤلاء من نقلت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أدري بأي طريق عد معهم أبو محمد: الغامدية وما عزا؟.

ولعله تخيل أن إقدامها على جواز الإقرار بالزنا من غير استئذان لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك هو فتوى لأنفسها بجواز الإقرار، وقد أقرأ عليها، فإن كان تخيل هذا فما أبعد من خيال؟!.

أو لعله ظفر عنها بفتوى في شيء من الأحكام^(١).

* * *

٢٢٨ - قال أبو محمد^(٢) :

المنفعة بمعرفة قسمة الأشياء تحت الأجناس ثم تحت الأنواع عظيمة فيما جاء في القرآن والسنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع الديانة لا يستغني عن معرفة ذلك عالم متدين أصلاً، وذلك أن يرد النص في الأمر والنهي والخبر الذي معناه أمر أو نهي أو خبر عن غائب بلفظ عام.

فكل ما دخل تحت ذلك اللفظ من أنواعه، ثم تحت تلك الأنواع من أشخاصها: فذلك الحكم الوارد على الجملة الأولى التي هي جنس لها تحتها لازم لجميع تلك الأشخاص الواقعة تحت تلك الأنواع.

(١) إعلام الموقعين ١/١٤، وقد أفاد ابن قيم الجوزية من رسالة ابن حزم فيما بين ١/١٣ - ٢٨.

(٢) ورد هذا الفصل بآخر كتاب النصائح المنجية والفضائح المخزية لابن حزم من مخطوط الخزنة العامة بالرباط.

فن علم رتبة الأجناس والأنواع وأنها ليست شيئاً غير أشخاصها : علم أن ذلك الحكم منصوص على كل شخص يقع تحت تلك الجملة، ومن جهل ذلك ظن أنه قياس وأن حكمنا على كل واحد من الأشخاص ليس منصوصاً عليه في ذلك النص الذي جاء على الجملة الجامعة لتلك الأشخاص وهذا خطأ فاحش.

وكذلك القول في التلائمات ولا فرق لأن كل نص على جملة فهو نص على ملائمتها بيقين مثل: كل مسكر حرام هي ملائمة: كل مسكر فليس حلال.

وكذلك أيضاً انعكاس الموجبات الكلية والجزئية فنفعة كل ذلك عظيمة جداً، لئلا يتعدى بالحكم ما يصح هنا في الانعكاس.

وكذلك ما انطوى في اللفظ وإن لم يكن ملائماً له كقولك : هذا شيء [٥٢/ب] مكيال فقد انطوى في هذا اللفظ أنه عرف مقداره بمكيال وما أشبه ذلك.

وبالله تعالى التوفيق. [٥٣/أ]

التعليق على النص

قال أبو عبد الرحمن : وجه اعتبار هذا النص من النوادر أنه نبذة كتبها المؤلف وألحقها بمؤلفه النصائح ولم ينشر بعد.

ثم إنه في أهم أصول الظاهر وهو (الدليل) الذي تتجلى به قدرتهم على الاستنباط، فهو مهم لمن أراد دراسة الدليل عند الظاهرية، وهو أصل لم يعط حقه من الدراسة.

تجده تأصيلاً في الأحكام والتقريب وتجده تطبيقاً في خلال كتب ابن حزم العامة بالاستدلال كالمحلى والفصل.

* * *

٢٢٩ - قال أبو محمد :

ظن قوم بجهلهم أن قولنا بالدليل خروج منا عن النص والإجماع.
وظن آخرون أن القياس والدليل واحد.

فأخطؤا في ظنهم أفحش خطأ، ونحن إن شاء الله عز وجل نبين الدليل الذي نقول به بياناً يرفع الإشكال جملة فنقول وبالله تعالى التوفيق :
الدليل مأخوذ من النص ومن الإجماع.

فأما الدليل المأخوذ من الإجماع فهو ينقسم أربعة أقسام كلها أنواع من أنواع الإجماع وداخلة تحت الإجماع وغير خارجة عنه، وهي استصحاب الحال، وأقل ما قيل، وإجماعهم على ترك قولة ما، وإجماعهم على أن حكم المسلمين سواء، وإن اختلفوا في حكم كل واحدة منها^(١).

وهذه الوجوه قد بينها كلها في كلامنا في الإجماع فأغنى عن تردها.
وبالله تعالى التوفيق.

وأما الدليل المأخوذ من النص، فهو ينقسم أقساماً سبعة كلها واقع تحت النص :

أحدها : مقدمتان تنتج نتيجة ليست منصوطة في إحداها، كقوله عليه السلام: كل مسكر خمر وكل خمر حرام.

(١) في الأصل (منها) وهو خطأ.

النتيجة : كل مسكر حرام، فهاتان المقدمتان دليل برهاني على أن كل مسكر حرام.

وثانيها : (٢) شرط معلق بصفة فحيث وجد فواجب ماعلق بذلك الشرط مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ يَنْتَهِوا يَغْفِرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [سورة الأنفال: ٣٨].

فقد صح بهذا أن من انتهى غفر له. وثالثها : لفظ يفهم منه معنى فيؤدى بلفظ آخر، وهذا نوع تسميه أهل الاهتبال بحدود الكلام (المتلازمات) مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ لِأَوْاهٍ حَلِيمٌ﴾ [سورة التوبة : ١١٤]. فقد فهم من هذا فهماً ضرورياً أنه ليس بسفيه.

وهذا هو معنى واحد يعبر عنه بالفاظ شتى كقولك : الضيغم والأسد والليث والضرغام وعنيسة، فهذه كلها أسماء معناها واحد وهو الأسد.

ورابعها : أقسام تبطل كلها إلا واحداً فيصح ذلك الواحد مثل أن يكون هذا الشيء إما حراماً فله حكم كذا، وإما مباحاً فله حكم كذا، فليس فرضاً ولا حراماً فهو مباح له حكم كذا. أو يكون قوله يقتضي أقساماً كلها فاسد فهو قول فاسد.

وخامسها : قضايا واردة مدرجة فيقتضي ذلك أن الدرجة العليا فوق التالية لها بعدها وإن كان لم ينص على أنها فوق التالية، مثل قولك: أبو بكر أفضل من عمر، وعمر أفضل من عثمان: فأبو بكر بلاشك أفضل من عثمان.

وسادسها : أن نقول : كل مسكر حرام، فقد صح بهذا أن بعض المحرمات مسكر، وهذا هو الذي تسميه أهل الاهتبال بحدود الكلام (عكس القضايا)، وذلك أن الكلية الموجبة تنعكس جزئية أبداً.

(١) في الأصل (وثانيها) وهو خطأ.

وسابعها : لفظ ينطوي فيه معان جمة، مثل قولك: زيد يكتب، فقد صح من هذا اللفظ أنه حي، وأنه ذو جارحة سليمة يكتب بها، وأنه ذو آلات يصرفها، ومثل قوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ [سورة آل عمران: ١٨٥] فصح من ذلك أن زيدا يموت وأن هندا تموت وأن عمراً يموت، وهكذا كل ذي نفس، وإن لم يذكر نص اسمه.

فهذه هي الأدلة التي نستعملها، وهي معاني النصوص ومفهومها، وهي كلها واقعة تحت النص، وغير خارجة عنه أصلاً، وقد بينها وأنعمنا الكلام عليها في كتابنا الموسوم بكتاب التقريب، واقتصرنا هاهنا على هذا المقدار من ذكرها فقط.

وجميع هذه الأنواع كلها لا تخرج عن أحد قسمين : إما تفصيل لجملة، وإما عبارة عن معنى واحد بألفاظ شتى كلغة يعبر عنها بلغة أخرى.

وأما ما أدرك بالحس فقد جاء النص بقوله عز وجل ﴿أم لهم أعين يبصرون بها﴾ [سورة الأعراف: ١٩٥] وسائر النصوص المستشهد فيها بالحواس وبالعقل، مع أن الحواس والعقل أصل لكل شيء، وبها عرفنا صحة القرآن والربوبية والنبوة، فلم نحتاج في إثباتها بالنص، لأنه لولا النص لم يصح ما يدرك بالعقل والحواس، لكن حسماً لشغب أهل الضعف العاكسين للاستدلال القائلين: لا نأخذ إلا ما في النصوص، وقد مضى الكلام في هذا في (باب إثبات حجة العقل) من كتابنا هذا.

وبالله تعالى التوفيق.

والاستدلال هو غير الدليل، لأنه قد يستدل من لا يقع على الدليل، وقد يوجد الاستدلال وهو طلب الدليل ممن لا يجد ما يطلب، وقد يرد الدليل مهاجمة على من لا يطلبه: إما بأن يطالعه في كتاب، أو يخبره به مخبر، أو يثوب إلى ذهنه دفعة.

فصح أن الاستدلال غير الدليل، وصح أن دليلنا غير خارج عن النص أو الإجماع أصلاً، وأنه إنما هو مفهوم اللفظ فقط.

والعلة لا تسمى دليلاً، والدليل لا يسمى علة، فالعلة هي كل ما أوجب حكماً لم يوجد قط أحدهما خالياً من الآخر كتصعيد النار للرطوبات واستجلابها الناريات فذلك من طبعها.

وهاهنا خلط أصحاب القياس فسموا الدليل علة والعلة دليلاً ففحش غلطهم، وسموا حكمهم في شيء لم ينص عليه بحكم قد نص عليه في شيء آخر دليلاً، وهذا خطأ، بل هذا هو القياس الذي ننكره ونبطله، فزجوا المعاني، وأوقعوا على الباطل اسم معنى صحيح وعلى معنى صحيح سم معنى باطل، فزجوا الأشياء وخلطوا ماشاءوا، ولم يصفوا بعض المعاني من بعض فاختلط الأمر عليهم، وتاهوا ماشاءوا والحمد لله على هدايته وتوفيقه ﴿وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ [سورة الأعراف: ٤٣].

وبالله تعالى التوفيق والحول والقوة عز وجل (١).

التعليق على النص

هذا الفصل الموجز الذي لم ينل سوى هذه اللفظة الوجيزة في كتاب الأحكام أكبر كتبه الأصولية هو في الواقع الذي يتميز به المذهب الظاهري، ولا يمكن تصور المذهب الظاهري إلا من خلال هذا الأصل.

وقد أحال أبو محمد إلى التقريب، وما في التقريب تععيد موجز، وهذا الأصل حقيق بأن يدرس استنباطاً من خلال احتجاج ابن حزم وجد له في شتى كتبه.

(١) الأحكام ١٠٥/٥ - ١٠٨.

٢٣٠ - قال أبو محمد :

ولقد ذكرنا هذا مفتياً كان عندنا بالأندلس، وكان جاهلاً، فكانت عاداته أن يتقدمه رجلان، كان مدار الفتيا عليهما في ذلك الوقت، فكان يكتب تحت فتياهما: أقول بما قاله الشيخان، فقضي أن ذينك الشيخين اختلفا، فلما كتب تحت فتياهما ماذكرنا، قال له بعض من حضر: إن الشيخين اختلفا؟!.

قال : وأنا أختلف باختلافهما^(١)!!.

التعليق على النص

هذه لفظة من لفتات ابن حزم الكثيرة عن المتسمين بالعلم في بلده، ولوسمى لنا الأشخاص لكملت المتعة وتحققت القيمة التاريخية.

* * *

٢٣١ - قال أبو محمد :

مانعلم لهم شبهة غير هذا إلا ماذكرنا آنفاً عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكل هذا لاحجة لهم فيه.

أما تشنيعهم بذكر قول الله تعالى : ﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾ [سورة الفرقان: ٦٨] وتنظيرهم مايجب على القاتل بما يجب على الزاني: ففساد جداً وتحريف لكلام الله تعالى وحكمه عن مواضعه، وخطأ بحت من عدة وجوه :

أولها : أنه قياس والقياس كله باطل.
والثاني : أنه لوصح القياس لكان هذا منه عين الباطل، لأن الله تعالى لم

(١) الإحكام ٧٧/٦

يسوقط بين القتاتل والزاني في الحكم، وإنما سوى بينهما في وعيد الآخرة فقط، وليست أحكام الدنيا كأحكام الآخرة لأن من تاب من كل ذلك فقد سقط عنه الوعيد في الآخرة، ولم يسقط عنه حكم الدنيا باتفاقهم معنا.

الثالث : أنه لا خلاف في أنه لا يراعى ذلك في القتل.
الرابع : أن حكم الزاني إذا وجب عليه القتل — بلا خلاف ممن يعتد به — فإن القتل بالرجم خاصة، وليس ذلك حكم القتاتل إذا استقيد منه بلا خلاف إلا أن يكون قتل بالحجر.

الخامس : أن الله تعالى قال في أول هذه الآية التي موهوا بإيراد بعضها دون بعض ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾ فيلزمهم إذا ساواوا بين حكم القتاتل والزاني لأن الله تعالى ذكرهم معاً في هذه الآية: أن يساواوا بين القتاتل والكافر لأن الله تعالى ذكرهم كلهم معاً وساوى بينهم في وعيد الآخرة ﴿إلا من تاب﴾ فيلزمهم إذا أسلم الكافر والمرتد يراجع الإسلام أن يجلد مئة سوط ويبقى سنة لأن القتل قد سقط عن القتاتل المعفو عنه وعن الزاني غير المحصن.

فإن قالوا الإجماع منعنا من ذلك قيل لهم : فقد أقرتهم بأن الإجماع منع قياسكم الفاسد وأبطله.

السادس : أن قياسهم هذا أيضاً باطل على أصولهم، لأنه لا خلاف من أحد من الأئمة كلها في أن الزاني غير المحصن لم يجب قط عليه قتل سقط عنه بل دمه حرام قبل زناه وفي حالة زناه وبعد زناه.

قال أبو محمد: فن الباطل البحت والضلال والبهت أن

يقاس^(١) من وجب عليه بفعله قتل فسقط عنه على من لم يجب عليه قط بفعله ذلك.

وهذا قياس الشيء على ضده وخلافه وما لا يشبهه.

وقد قلنا إن القوم لا القياس يحسنون، ولا النصوص يتبعون، ولا شيئاً من الأصول يلتزمون.

والسابع : أن القتل لا يشبه الزنا، لأن من وطئ امرأة محرمة عليه أجنبية غير قاصد إلى ذلك وهو يظنها مباحة فلا حد عليه ولا كفارة ولا غرامة. ومن قتل مؤمناً خطأ غير قاصد إلى القتل فعليه الكفارة وعلى عاقلته غرامة الدية.

فقد فرق الله بين أحكام ما أرادوا بجهلهم التسوية بين أحكامه.

والثامن : أن الزنا لا عفو فيه للولي، ولا خلاف أن العفو للولي في القتل.

والتاسع : أن في القتل دية أو مفاداة ولا خلاف أنه ليس في الزنا دية ولا مفاداة فظهر فساد كلامهم هذا الذي لا شيء أفسد منه.

وبالله تعالى التوفيق.

فكيف ولا يسلم لهم أن الزنا من المحصن فيه القتل وحده، بل فيه القتل والجلد معاً، وليس ذلك في القتل بلا خلاف، فهذا وجه عاشر، إلا أنهم لا يقولون به فلذلك نهنا عليه وإن كان لازماً لهم في الحقيقة، لأن القول به صحيح.

ووجه حادي عشر يلزم المالكيين : وهو أنهم يرون على المرأة القاتلة إذا عفي عنها جلد مئة ونفي سنة ولا يرون ذلك على المرأة الزانية غير المحصنة.

وهذا حكم منهم بأن الفرع المقيس أقوى وأثبت حكماً من الأصل المقيس عليه، وهذا طريف جداً.

(١) في الأصل : قاس.

* قال أبو محمد : فإن قولهم في هذه المسألة لأهجر من أن يتشاغل به، ولكن قد غلط به كثير فأوجب ذلك تكلف بيان خطأهم وبالله تعالى التوفيق.

وأما الخبر الذي تعلقوا به ففي غاية البطلان والسقوط لأنه عن إسماعيل بن عياش، وهو ضعيف جداً لاسيما فيما روى عن الحجازيين فلا خير فيه عند أهل العلم، ثم هو عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وهو متروك الحديث مطروح^(١).

ثم لو صح لما كان لهم فيه حجة أصلاً لوجهين :

أحدهما : أنه لم يأت قط فيمن عفي عنه قود وجب عليه عندهم، إنما جاء فيمن قتل عبده ولم يكن قط على هذا عند المالكيين قود، فلا يجوز لهم أن يقيسوا عليه ماوجب عليه قود فعفي عنه، لأنه قياس للشيء على ضده.

والثاني : أن فيه أنه حرم سهمه مع المسلمين وهم لا يقولون بهذا، فقد أبطلوا احتجاجهم به.

ومن الباطل أن يكون خبر بعضه حجة وبعضه ليس بحجة، فسقط تعلقهم بالنص والخبر وبالقياس ولم يبق لهم إلا التعلق بما روي في ذلك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فنظرنا فيه فوجدناه لاحجة لهم فيه، لأنه لا يصح عن عمر أبداً، لأنه إما عن عمرو بن شعيب: أن عمر، وإما عن العباس بن عبد الله: أن عمر، وكلاهما لم يولد إلا بعد موت عمر بدهر طويل.

والثاني : أنه إنما جاء عن عمر — لو صح — فيمن لم يجب عليه قود

(١) هذا باتفاق. انظر ميزان الاعتدال ١/١٩٣ — ١٩٤.

عندهم لافيمن وجب عليه قود فعفي عنه، فزادوا على عمر مالم يقل ولا جاء عنه قط.

والثالث : أنه قد صح عن ابن عباس خلافة، وإذا صح الخلاف عن الصحابة رضي الله عنهم، فليس قول بعضهم أولى من بعض، والواجب حينئذ الرجوع إلى أمر الله تعالى — عند التنازع — إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

* قال أبو محمد : فلم يبق لأهل هذه المقالة حجة أصلاً ولا شبهة والله الحمد، وكل قول عري عن الأدلة فهو باطل بيقين^(١).

التعليق على النص

- ١ — هذا النص ورد مختصراً في تنمة أبي رافع الملحقة بالمحلى^(٢).
 - ٢ — كتب هذه المسألة رداً على من قال بنفي وتأديب من قتل مسلماً عمداً فعفي عنه.
 - ٣ — هذه المسألة أنموذج جيد لحاذق لمعارضة القياس بالقياس، كما رسم منهج ذلك في آخر كتابه الإحكام^(٣).
- وذلك أنه يأتي إلى مايتوهمه القائسون مقتضى للتسوية فيعارضه بوجوه تقتضي التفريق.

* * *

(١) تنمة المحلى ورقة ١١٢ — ١١٣.

(٢) انظر المحلى ط المنيرية ٤٦٣/١٠ — ٤٦٤ أثناء المسألة ٢٠٦٩.

(٣) انظر الإحكام ٤٢/٨ — ٤٧.

٢٣٢ — قال أبو محمد :

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله، وعلى أصحابه الأكرمين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وذريته الفاضلين الطيبين.

أما بعد يا أخي يا أبا بكر^(١) : سلام عليك سلام أخ مشوق طالبت بينه وبينك الأميال والفراسخ، وكثرت الأيام والليالي، ثم لقيك في حال سفر ونقلة، ووادك في خلال جولة ورحلة، فلم يقض من مجاورتك أرباباً، ولا بلغ في محاورتك مطلباً، وإني لما احتللت بك، وجالت يدي في مكنون كتبك، ومضمون دواوينك، لححت عيني في تضاعيفها درجاً، فتأملت، فإذا فيه خطاب لبعض الكتاب من مصاقبين في الدار أهل إفريقية، ثم ممن ضمته حاضرة القيروانهم إلى رجل أندلسي لم يعينه باسمه^(٢) ، ولا ذكره بنسبه، يذكر له فيها أن علماء بلدنا بالأندلس — وإن كانوا على الذروة العليا من التمكن بأفانين العلوم، وفي الغاية القصوى من التحكم على وجوه المعارف — فإن همهم قد قصرت عن تخليد مآثر بلدهم، ومكارم ملوكهم، ومحاسن فقهاءهم، ومناقب قضاتهم، ومفاخر كتابهم، وفضائل علمائهم.

ثم تعدى ذلك إلى أن أخلى أرباب العلوم منا من أن يكون لهم تأليف يحيي ذكركم ويبقي علمهم، بل قطع على أن كل واحد منهم قد مات

(١) هو أبو بكر محمد بن إسحاق المهلبى الإسحاقى الوزير، من أهل الأدب والفضل (الجدوة : ٤٢) وقد كان صديقاً لابن حزم ينتقلان معاً في أرجاء الأندلس، واعتقلها خيران معا كذلك. إحسان عباس.

وهو الذى خاطبه أبو محمد برسالة فى فضل الأندلس. ابن عقيل.

(٢) لعل ابن حزم يعنى أنه لم يجد فى الرسالة التى بعثها ابن الربيب اسم المرسل إليه ونسبته، وقد صرح ابن بسام — كما ذكر المقرئ فى النفع — أن ابن الربيب خاطب أبا المغيرة ابن حزم وأن أبا المغيرة رد عليه برسالة أطال فيها القول وختم بذكر جملة من تولى أهل الأندلس (الذخيرة ١/١ : ١١١ — ١١٦) إحسان.

فدفن علمه معه، وحقق ظنه في ذلك، واستدل على صحته عند نفسه بأن شيئاً من هذه التآليف لو كان منها موجوداً لكان إليهم منقولاً، وعندهم ظاهراً، لقرب المزار، وكثرة السفار، وترددهم إليهم، وتكررهم عليهم.

ثم ضمنا المجلس الحافل بأصناف الآداب، والمشهد الآهل بأنواع العلوم، والقصر المعمور بأنواع الفضائل، والمنزل المحفوف بكل لطيفة وسعة من دقيق المعاني وجليل المعالي، قرارة المجد ومحل السؤدد، ومحط رجال الخائفين، وملقى عصا التسيار عند الرئيس الأجل الشريف قديمه وحسبه، الرفيع حديثه ومكتسبه، الذي أجله عن كل خطة يشركه فيها من لا توازي قومه نومه، ولا ينال حضرة هويناه، وأربأ به عن كل مرتبة يلحقه فيها من لا يسمو إلى المكارم سموه، ولا يدنو من المعالي دنوه، ولا يعلو في حميد الخلال علوه، بل اكتفى من مدحه باسمه المشهور، وأجتزى من الإطالة في تقريره بمتناه المذکور، فحسبي بدينك العلمين دليلاً على سعيه المشكور، وفضله المشهور: أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن قاسم صاحب البونت^(١) أطال الله بقاءه، وأدام اعتلاءه، ولا عطل الحامدين من تحليمه بجلاله، ولا أخلى الأيام من تزيينها بعلاله، فرأيت أنه أعزه الله تعالى حريصاً على أن يجابو هذا المخاطب، وراغباً في أن يبين له ما لعله قد رآه فنسي أو بعد عنه فخفي، فتناولت الجواب المذكور بعد أن بلغني أن ذلك المخاطب قد مات، رحمنا الله تعالى وإياه، فلم يكن لقصده بالجواب معنى، وقد صارت المقابر له مغنى، فليسنا بمسمعين من في القبور، فصرفت عنان الخطاب إليك، إذ من قبلك صرت إلى الكتاب المجاب عنه، ومن لدنك وصلت إلى الرسالة المعارضة.

(١) ذكر ابن الأبار في التكملة ٣٨٨/١ أن ابن حزم كتب هذه الرسالة يطلب من أبي عبد الله محمد بن عبد الله الفهري صاحب البونت ويلقب بين الدولة، والبونت من أعمال بلنسية استقل فيها بنوقاسم الفهريون بعد الفتنة وأولهم عبد الله بن قاسم [— ٤٢١هـ]، وخلفه بين الدولة وبقي حاكماً حتى سنة ٤٣٤هـ (أعمال الأعلام : ٢٠٨). إحسان.

وفي وصول كتابي على هذه الهيئة حيثما وصل كفاية لمن غاب عنه من أخبار تأليف أهل بلدنا مثل ما غاب عن هذا الباحث الأول، والله الأمر من قبل ومن بعد، وإن كنت في إخباري إياك بما أرسمه في كتابي هذا كمهد إلى البركان نار الحباحب، وباني صوى في مهيع القصد اللاحب، فإنك وإن كنت المقصود والمواجه، فإنما المراد من أهل تلك الناحية من نأى عنه علم ما استجلبه السائل الماضي، وما توفيقي إلا بالله سبحانه^(١).

التعليق على النص

أبو محمد ذو علاقة قديمة بآل قاسم فيما يظهر، لأن حاكم البونت الأول عبد الله بن القاسم هو الذي آوى الخليفين المرتضى، والمعتد بالله، ومن البونت كان انطلاقهما إلى قرطبة، وكان أبو محمد وزيراً لهما.

أما ابنه محمد بن عبد الله فقد ولي البونت فيما بين ٤٢١ — ٤٣٤ هـ^(٢).

وأما أبو بكر ابن إسحاق المهلبى فلم أجد عنه أكثر مما أوردته في السفر الأول^(٣).

وابن الربيب توفي سنة ٤٢٠ هـ^(٤).

وعلى هذا يكون أبو محمد ألف رسالته هذه بعد سنة ٤٢٠ هـ بيقين، لأنه ألفها بعد وفاة ابن الربيب، وقبل عام ٤٣٤ هـ، لأنه ألفها وابن قاسم لا يزال حياً.

(١) نفع الطيب ١٥٨/٣ — ١٦٠.

(٢) انظر دولة الطوائف لعنان ص ٢٤٩ — ٢٥١.

(٣) انظر نوادر ابن حزم ٨٢/١.

(٤) انظر عنه تراجم المؤلفين التونسيين ٣٤٠/٢ — ٣٤١.

بل ألفها قبل عام ٤٢٦هـ الذي توفي فيه صديقه ابن شهيد، لأنه ذكره
حيًا.

قال أبو عبد الرحمن : ورسالة ابن حزم هذه بعنوان : (رسالة الميزان في
التسوية بين علماء الأندلس وأهل بغداد والقيروان)، ولعل مصدر هذه
التسمية برنامج المنتوري^(١) .

* * *

٢٣٣ - قال أبو محمد :

وذكر محمد بن سحنون بن سعيد في كتابه الذي جمع فيه أحكام أبيه
أيام ولايته قضاء مدينة القيروان لابن الأغلب قال:

شكي إلى أبي رجل يأتي زوجته أنه غيب عنه ابنته وحال بينه وبينها
فبعث في أبي الجارية قال أين ابنتك امرأة هذا؟

فقال : والله ما أتتني ولا أدري أين هو ولا لها عندي علم.

قال : فأمر به فحمله إلى وسط السوق وضرب مئة سوط ثم سجنه ثم
أخرجه مرة ثانية وجلده في وسط السوق مئة سوط، ثم أنا أشك أذكر الثالثة
أو الرابعة أم لا؟.

قال : فمات الرجل من الضرب في السجن ثم وجد ابنته في بعض
الشعاب عند قوم من أهل الفساد^(٢) .

(١) انظر كتابي ابن حزم ١/١٨٤.

(٢) المحلى ٤٠٢/١١ وابن سحنون هو محمد بن عبد السلام (سحنون) بن سعيد التنوخي توفي
سنة ٢٥٦هـ.

٢٣٤ - قال الحميدي :

أبو المحشى شاعر أعرابي مشهور قديم، أنشد له أبو محمد علي بن أحمد:

هما مهذا لي العيش حتى كأنني
خفية رف بين قادمتي نسر

قال : ويقال إن هذا البيت رد ابن هرمة عن الأندلس وقد وصل إلى تهرت حين أنشده في جملة ما أنشده من شعره^(١) .

التعليق على النص

هذا النص من أحد كتب أبي محمد المفقودة عن الأندلس.

وأبو المحشى اسمه عاصم بن زيد بن يحيى التيمي، وله بنت شاعرة^(٢) .

* * *

٢٣٥ - وقال الحميدي عن ابن الهيثم :

ابن الهيثم من المشهورين بعلم الطب، والتقدم فيه، وله كتاب في الخواص والسموم والعقاقير من أجل الكتب وأنفعها ذكره أبو محمد علي بن أحمد^(٣) .

* * * ٢٣٦ - قال الحميدي عن ابن سيد :

ابن سيد إمام في اللغة العربية، كان في أيام الحكم المستنصر له في اللغة الكتاب المعروف بكتاب العالم نحو مئة مجلد مرتب على الأجناس بدأ

(١) الجذوة ص ٤٠١ .

(٢) انظر عنه المغرب لابن سعيد ١٢٣/٢ - ١٢٤ ونفع الطيب ١٦٧/٤ - ١٦٨ .

(٣) الجذوة ص ٤٠٧، وانظر نفع الطيب ١٧٥/٣ .

بالفلك وختم بالذرة، وله في العربية الكتاب المنبوز بكتاب العالم والمتعلم على المسألة والجواب، وكتاب شرح فيه كتاب الأخفش ذكره أبو محمد علي بن أحمد وأثنى عليه، ولم يسمه لنا، ولعله أحمد بن أبان بن سيد المذكور في بابه والله أعلم^(١).

التعليق على النص

قال أبو محمد في رسالته عن فضل الأندلس :

ومنها كتاب أحمد بن أبان بن سيد في اللغة المعروف بكتاب العالم نحو مئة سفر على الأجناس في غاية الإيعاب بدأ بالفلك وختم بالذرة^(٢).

ثم ذكر أبو محمد شخصاً آخر هو ابن سيده صاحب المحكم والمختص فقال عن الأنحاء: وكتاب ابن سيده في ذلك المنبوز بالعالم والمتعلم، وشرح لكتاب الأخفش^(٣).

ولدي صورة من السفر الأول من كتاب العالم صورتها من المغرب، وهي من تأليف أحمد بن أبان بن سيد^(٤).

* * *

٢٣٧ - وقال الحميدي :

ابن طريف مولى العبيدين نحوي مشهور، زاد في كتاب الأفعال لمحمد

(١) الجذوة ص ٤٠٥ وانظر ص ١١٨.

(٢) نفع الطيب ١٧٢/٣.

(٣) نفع الطيب ١٧٢/٣ - ١٧٣.

(٤) انظر عن ابن سيد الأعلام ٨١/١، ومعجم المؤلفين ١٣٢/١ - ١٣٣.

بن عمر بن القوطية زيادات استفيدت منه، وأخذت عنه، ذكره أبو محمد عني بن أحمد^(١) .

التعليق على النص

* قال أبو محمد في رسالته عن فضل الأندلس :

وكتاب الأفعال لمحمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية بزيادات ابن طريف مولى العبيد بن فلم يوضع في فنه مثله^(٢) .

وابن طريف هو أبو مروان عبد الملك القرطبي المتوفى سنة ٤٠٠هـ^(٣) .

* * *

٢٣٨ - وقال الحميدي :

ابن آمنة الحجاري فقيه عالم، شافعي المذهب، بصير بالكلام على اختياره. له كتاب في أحكام القرآن ذكره أبو محمد علي بن أحمد وأثنى عليه^(٤) .

التعليق على النص

هكذا ورد ضبطه في الجذوة (آمنة) وهو الأصح إن شاء الله.

وفي نفخ الطيب (أمية)، فقد أورد نص كتاب أبي محمد عن فضل الأندلس وجاء فيه:

(١) الجذوة ص ٤٠٦ .

(٢) نفخ الطيب ١٧١/٣ .

(٣) انظر عنه معجم المؤلفين ١٨٢/٦ - ١٨٣ .

(٤) الجذوة ص ٤٠٤ .

ومنها في أحكام القرآن كتاب ابن أمية الحجاري، وكان شافعي المذهب بصيراً بالكلام على اختياره^(١).

* قال أبو عبد الرحمن : من المرجح أنه أبو محمد ابن آمنة عبد الله بن مطرف القرطبي المتوفى سنة ١٣٤٠هـ، وقد ترجم له ابن الفرضي^(٢).

٢٣٩ - وقال الحميدي عن ابن عفيف :

أبو عمر بن عفيف يروي عن سعيد بن القزاز، ذكره أبو محمد علي بن أحمد، وفي شيوخ أبي العباس أحمد بن عمر بن أنس العذري: أبو عمر أحمد بن محمد عفيف. يروي عن محمد بن عبد الله البلوي، وأظنه هذا^(٣).

٢٤٠ - وقال الحميدي :

أبو الوليد بن حريش، من أهل الأدب المذكورين، ذكره أبو محمد علي بن أحمد وأخبرني عنه. قال: لما احتضر أبو العباس بن جهور قال:

أرجو بالحياة وقد نأيتم
تقضى النحب وانقطع الكلام

ثم مات على أثر ذلك^(٤).

(١) نفع الطيب ١٦٩/٣.

(٢) انظر عنه معجم المؤلفين ١٥٣/٦.

(٣) الجذوة ص ٣٩٩، ولعل أبا محمد ذكره في أحد كتبه المفقودة عن الأندلس، وابن عفيف هو قاضي لورقة في عهد خيران الصقلي توفي سنة ٤٢٠هـ. انظر عنه الصلة ٤٢/١ - ٤٤.

(٤) الجذوة ص ٤٠٣ ولعل أبا محمد ذكره في أحد كتبه المفقودة عن الأندلس.

٢٤١ - وقال الحميدي عن ابن بطلال :

يحيى بن سليمان بن بطلال البطليوسي يروي عن أبيه ذكره أبو محمد علي بن أحمد^(١) .

٢٤٢ - وقال الحميدي :

أبو عبد الله بن عاصم، نحوي مشهور، ذكره أبو محمد علي بن أحمد، وقال: إنه كان لا يقصر عن أكابر أصحاب محمد بن يزيد المبرد^(٢) .

التعليق على النص

• قال أبو محمد بن حزم في رسالته عن فضل الأندلس :

وإذا صرحنا بذكر محمد بن يحيى الرباحي وأبي عبد الله بن عاصم: لم يقصرا عن أكابر أصحاب محمد بن يزيد المبرد^(٣) .

٢٤٣ - قال الحميدي :

محمد بن عاصم أبو عبد الله نحوي مشهور إمام في العربية، ذكره أبو محمد علي بن أحمد، وأثنى عليه وقال :

كان لا يقصر عن أكابر أصحاب محمد بن يزيد المبرد^(٤) .

(١) الجذوة ص ٣٧٦ ط ج، ولعل أبا محمد ذكره في أحد كتبه المفقودة عن الأندلس.

(٢) نفح الطيب ١٧٨/٣، وقارن بالجدوة ط ق ص ٧٤ و ٩١.

(٣) الجذوة ص ٧٩ - ٨٠.

(٤) الجذوة ص ٧٩ - ٨٠.

٢٤٤ - قال الحميدي عن ابن مفلت :

مسعود بن سليمان بن مفلت أبو الخيار، فقيه عالم زاهد، يميل إلى الاختيار والقول بالظاهر، ذكره أبو محمد علي بن أحمد، وكان أحد شيوخه^(١).

* * *

٢٤٥ - وقال الحميدي :

يحيى بن إسحاق الوزير أديب فاضل، غلب عليه الطب، فبرع فيه وذكر به، وله في ذلك كتب نافعة يعتمد عليها، ذكره أبو محمد علي بن أحمد^(٢).

* * *

٢٤٦ - وقال الحميدي عن ابن أزهر :

يحيى بن أزهر أبو محمد، أديب، شاعر، يروي عن أبي بكر عبادة بن ماء السماء، ذكره أبو محمد علي بن أحمد^(٣).

* * *

٢٤٧ - وقال الحميدي عن ابن نصر :

يحيى بن خلف بن نصر الرعيني روى عنه أبو محمد علي بن أحمد، وذكر أنه كان صاحب صلاة سالحة من بلاد الأندلس^(٤).

* * *

(١) الجذوة ص ٣٥٠ وقد مرت ترجمته في السفر الأول.

(٢) الجذوة ص ٣٧٤، وقد ذكره أبو محمد في فضل الأندلس كما في نفح الطيب ١٧٥/٣.

(٣) الجذوة ص ٣٧٤، ولعل أبا محمد ذكره في أحد كتبه المفقودة التي ألفها عن الأندلس.

(٤) الجذوة ص ٣٧٦، ولعل أبا محمد ذكره في أحد كتبه المفقودة التي ألفها عن الأندلس.

٢٤٨ - قال أبو محمد :

وقد ذكر أبو الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي في كتاب (تلفظ والإصلاح) أن إبراهيم بن سيار النظام رأس المعتزلة مع علو طبقة في الكلام وتمكنه وتحكمه في المعرفة : تسبب إلى ما حرم الله عليه من فتى نصراني عشقه بأن وضع له كتابا في تفضيل التثليث على التوحيد، فيا غوثاه! عيذك يارب من تولج الشيطان ووقع الخذلان!.

التعليق على النص

قال أبو عبد الرحمن : النظام لاخير في كثير من مذاهبه التي ذكرها العلماء كابن حجر في لسان الميزان، ولكنه أفضل بكثير من ابن الراوندي. وابن الراوندي ملحد كذوب.

* * *

٢٤٩ - قال أبو عبد الرحمن :

وهذا نص آخر رأيته منسوباً لأبي محمد من كتابه الإعراب.

قال المعلق على نسخة الجزء الثاني من الإعراب.

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

الحمد لله الذي وفق لاتباع [السنة]^(١) النبوية من وفق من عباده، فله الحمد، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق الذي لاحكم إلا فيما أمر به أو

(١) ما بين القوسين زيادة في الأصل يقتضيها السياق.

نهى عنه من كتاب أو سنة ثابتة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بالحق الملزم الإنس والجن باتباعه إلى قيام الساعة صلى الله عليه وسلم.

وبعد : فإن الاستكثار من الخير من أمارات التوفيق، وقد أعلمت كل ماوقفت عليه من هذا الكتاب.

وقد رأيت على جزء من نسخة من كتاب الإحكام — وهو الثالث — قوبل بنسخة الإمام أبي العباس الفتح بن أبي رافع الفضل بن أبي محمد علي بن أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم — رضي الله عنهم — فألفت في آخر الجزء المذكور فصلاً من كتاب الإعراب أثبتته مطالعة لينفع الله تعالى به من شاء، فالفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل. ورأيت هذا الفصل المبارك أفرد لمعنى اشتمل عليه من الكلام على ما ارتطم الناس فيه من التقليد، وفيه فوائد غير ذلك، فكلام هذا الإمام لا يخلو من خير.

أهلنا الله تعالى للهدى، وأخذ بنواصينا لاتباع كتابه وما ثبت من سنن نبيه صلى الله عليه وسلم ووفقنا لتقصي الإجماع، وأعاننا بالإخلاص فيما نحاوله.

إنه ولي ذلك، وبالله تعالى التوفيق.

قال أبو محمد رحمه الله تعالى :

وبقيت لهم تمويه، وهي آخر سهم في كنانتهم وصباية شعبهم، وذلك أنهم يقولون لخصمهم عند انقطاع حيلهم، وإذا أبدع بهم، وبهرهم بالبرهان من نصوص الكتاب والسنة الثابتة النقل، وواضح موجبات العقل :

أفأ خطأ الصحابة والتابعون والفقهاء وكل من سلف إلا داوود أو إلا أنت؟

فيرعون بهذا الباطل سمع^(١) العامي، ويحيرون به دماغ الجاهل، وجوابهم
و- الله تعالى التوفيق :

كلا ما قلت قط بهذا المحال، بل داوود وغيره ونحن نخطيء فلا تموهوا
بـ كذب، فما ندعوكم لا إلى داوود ولا إلى أنفسنا، فكل من دعاكم إلى
داوود أو إلى نفسه: بفيه الحجر والإثلب^(٢) ، وعليه من الله تعالى السخط
والغضب.

وإنما ندعوكم وندعو أنفسنا معكم إلى من يخطيء الصاحب والتابع
والفقيه وكل أحد دونه، ولا يخطيء هو فما يعلمنا من الديانة — وهو رسول
الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم — وإلى ما أتى
به من عند الله تعالى من القرآن وبيانه من السنة، فهو الذي لو لم تأتمر
له^(٣) الصحابة لم يكن لهم من الله تعالى ولاية ولا استحقوا اسم الصحبة
وكذلك كل من بعدهم، فلسنا ندعوكم إلى اتباع سواه كما افترضه الله
تعالى على الإنس والجن، وأنتم مقرون بهذا، كما ندعو أنفسنا إلى ذلك
أيضاً.

ثم نعكس عليهم هذا السؤال حقاً فهو لهم لازم لا لنا.

فنقول للحنيفيين :

أفأخطأ كل من سلف وخلف من الصحابة والتابعين والفقهاء إلا أبا
حنيفة فأصاب في جميع أقواله؟.

ونقول للمالكين :

(١) لم أستبن معنى هذه الكلمة في الأصل وأثبتها هنا (سمع) بدليل فيرعون، لأن الإرعاء بمعنى
إصغاء السمع.

(٢) الإثلب : التراب وفتاة الحجارة.

(٣) في الأصل : تؤمر به.

أفأخطأ الصحابة والتابعون والفقهاء وجميع الأئمة حاشى مالكاً فإنه أصاب في جميع أقواله؟.

وقد صححت في روايتكم عنه — وقد صح عنه أيضاً عند غيركم كصحته عندكم — أنه قال: أيها الناس كل الناس مأخوذ من كلامه ومترك إلا ما قاله صاحب هذا القبر.

ونقول للشافعيين أيضاً كذلك [.. إلخ] حاشى الشافعي عندكم فإنه أصاب في جميع أقواله إن هذا العجب!!.

وإنما لزمهم هذا دوننا، لأنهم يدعون الناس إليه كل طائفة منهم إلى صاحبها ولا تنصر إلا قوله.

فإن قالوا لنا : أفلم ينتبه لا تباعه عليه السلام أحد غيركم، ولا وفق لطاعته سواكم؟.

قلنا : بل كل من سلف وخلف من الصحابة والتابعين — رضي الله عنهم — والفقهاء بعدهم رحمة الله عليهم وافقهم أيضاً.

وسبيلنا في هذه كسبيلهم^(١) ، ومجمعون أيضاً على صحتها معنا، ولا إسلام لمن عند عن هذا بعد العلم به، وكلكم يريد الخير فصيب ومخطيء، فن أصاب فله أجران وللمخطيء أجر واحد.

وافترض الله تعالى الرجوع عند التنازع إلى القرآن والسنة لا إلى قول أحد سواهما.

فالسابقون مأجورون على كل حال، والمقلد المتعصب لقول إنسان بعينه يحتاج لكل قولة عنه هو المبتدع المعلوم الموزور.

(١) في الأصل : كسبيلكم.

أفأخطأ الصحابة والتابعون والفقهاء وجميع الأئمة حاشى مالكاً فإنه أصاب في جميع أقواله؟.

وقد صححت في روايتكم عنه — وقد صح عنه أيضاً عند غيركم كصحته عندكم — أنه قال: أيها الناس كل الناس مأخوذ من كلامه ومترك إلا ما قاله صاحب هذا القبر.

ونقول للشافعيين أيضاً كذلك [.. إلخ] حاشى الشافعي عندكم فإنه أصاب في جميع أقواله إن هذا العجب!!.

وإنما لزمهم هذا دوننا، لأنهم يدعون الناس إليه كل طائفة منهم إلى صاحبها ولا تنصر إلا قوله.

فإن قالوا لنا : أفلم ينتبه لا تباعه عليه السلام أحد غيركم، ولا وفق لطاعته سواكم؟.

قلنا : بل كل من سلف وخلف من الصحابة والتابعين — رضي الله عنهم — والفقهاء بعدهم رحمة الله عليهم وافقهم أيضاً.

وسبيلنا في هذه كسبيلهم^(١) ، ومجمعون أيضاً على صحتها معنا، ولا إسلام لمن عند عن هذا بعد العلم به، وكلكم يريد الخير فصيب ومخطيء، فن أصاب فله أجران وللمخطيء أجر واحد.

وافترض الله تعالى الرجوع عند التنازع إلى القرآن والسنة لا إلى قول أحد سواهما.

فالسابقون مأجورون على كل حال، والمقلد المتعصب لقول إنسان بعينه يحتج لكل قولة عنه هو المبتدع المعلوم الموزور.

(١) في الأصل : كسبيلكم.

وإنما الحق المفترض علينا وعليكم وعندنا وعندكم بلا خلاف : اتباع كلام الله تعالى وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالواجب علينا وعليكُم طلب ذلك، فإن وجدنا قولكم موافقاً للقرآن والسنة لزمكم تبع^(١) وماعدا هذا من تشنيعكم علينا فباطل بما ذكرنا.

ثم نعكس هذا الإلزام عليهم فهو لهم لازم، فنقول لهم :

أفلم^(٢) يتنبه للحق والصواب في كل مسألة اختلف الناس فيها غير نبي حنيفة ومالك والشافعي، ولم يوفق للصواب إلا صاحبكم الذي قلدتموه ونصرتُم قوله؟ فهذا لازم لهم لا لنا، لأنهم لا يحتجون إلا بقول صاحبهم، وكل طائفة منهم هكذا حالها، ونحن لا نحتج إلا بما يعدون معنا أنه ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يلزم فرض اتباعه كل أحد بإقرارهم.

فن أعظم تخليطاً ممن يلوم من اتبع من هو عند اللائم فرض اتباعه؟.

ونحيبهم عن كل السائلين جواباً جامعاً كافياً، وهو أن نقول لهم :

بل يخطيء كل أحد حاشى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يخطيء في الدين أصلاً، فاتبعوا من لا يخطيء ودعوا من يخطيء والفرض على الجميع اتباعه.

على أن كل طائفة من الطوائف المذكورة تقذف الطائفة الأخرى بخلاف القرآن والسنة والإجماع في جمهور ما يحتجون به.

فلم نسلك في هذا إلا سبيلهم ولا استشهدنا عليهم إلا بهم.

(١) هكذا في الأصل، ولعل المعنى : التباعد عن التقليد أو التشنيع.

وربما كانت العبارة محرفة وصحتها : لزمنا اتباعه.

(٢) في الأصل : فلم.

وسؤالهم لنا في كل ما ينكرون علينا : إنما هو أن يقولوا لنا: لم اتبعتم في هذه المسألة ماحكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهلا تركتموه؟.

وهلا زدتم عليه بقياسكم ورأيكم ما لم يأمر به؟.

أوهلا نقصتم بعض ما أمر به لقول من سواه تقليداً له فقط عن غير برهان لديه؟.

وسألنا لهم في كل ما ننكره عليهم هو معكوس هذه الوجوه وهو أن نسألهم: لم تركتم هذا الذي ذكر أو زدتم عليه ما ليس منه؟.

أو لم نقصتم منه بعض ما يقتضيه؟.

فليتأمل المرء الخائف على نفسه منا ومنهم أي السائلين هو الحق اللازم وأيهما الباطل الممتنع الشنيع، ثم لينظر لنفسه قبل فوت النظر؟.

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فاعلموا رحمكم الله أن ليس من أسلافهم الفضلاء بعد إلا وهو معنا عليهم.

هذا الإمام أبو حنيفة يقول : ما جاء من القرآن فالسمع والطاعة له، وما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعينين، وما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم فنختار من أقوالهم ولا نخرج عنهم، وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال.

فهذا الإمام أبو حنيفة لا يرى اتباع التابعين فيما ليس فيه عن الصحابة أثر.

وهذا مالك يقول بإيجاب الشفعة في الثمرة المبيعة دون الأصل ثم قال: وما سمعته عن أحد.

فلم ينكر أن يقول ما أوجبه الحق عنده وإن لم يعلم أحداً قاله قبله.

وهذا الشافعي رضي الله عنه يقول في رسالته الجديدة التي ثنا بها عبد الله بن ربيع التميمي: ثنا أحمد بن سعيد بن حزم الصدفي: ثنا أسلم بن عبد العزيز بن هاشم: ثنا أبو إبراهيم المزني ثنا الشافعي قال:

إن ما لا يعلم فيه خلاف فليس إجماعاً.

فلم ينكر على نفسه ولا على غيره القول بما أداه إليه الدليل وإن كان لا يعلم له قائلًا.

وثنا حمام بن أحمد: ثنا عباس بن أصبغ: ثنا محمد بن عبد الملك بن أيمن: ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قال أبي: من ادعى الإجماع فقد كذب. ما يدريه لعل الناس قد اختلفوا، لكن ليقل: لا أعلم خلافاً.

فهذا أحمد لا يرى ما لا يعلم فيه خلافاً إجماعاً، وهو لا ينكر أن الإجماع حجة.

وثنا يوسف بن عبد الله النمري: ثنا عبيد بن محمد بن سلمون: ثنا عبد الله بن علي بن الجارود: ثنا إسحاق بن بهرام الكوسج: قال: سمعنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي — هو ابن راهويه — وقد ذكر له قول أحمد بن حنبل في مسألة فقال ابن راهويه:

أجاد قد كنت أحسب أن أحداً لم يتابعني عليه.

فهذا إسحاق لا ينكر القول بما رآه حقاً وإن قدر أن أحداً لم يتابعه عليه فن بقي معهم؟.

وبطل بهذا تمويههم والحمد لله رب العالمين كثيراً.

فهذا مبطل تمويههم أيضاً أن موهوا فقالوا:

لا يجوز أن يظن بأبي حنيفة أو بمالك أنه قال قولاً لا يعرفه لمن سلف قبله، بل لاشك أنه لم يقله إلا وقد عرف قائله به من السلف قبله؟.

فأوردنا هذه الروايات التي ذكرنا لحسم هذا الشغب ولزيمهم أنهم قد صح عنها وعن غيرهما جواز القول بما رآه القائل حقاً وإن لم يعرف أن أحداً قال به، فلا يبقى لهم متعلق بوجه من الوجوه وبالله تعالى التوفيق.

وأيضاً فإن كل قولة لقائل في دين الإسلام فإنها لا تخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما :

إما أن تكون موافقة لنص محكم غير منسوخ، أو تكون غير موافقة. فإن كانت موافقة لنص محكم فهي الحق ولا يضير الحق من تركه ولا يقويه أخذ من أخذ به.

وإن كانت غير موافقة لنص محكم : فبالضرورة يدري كل ذي تمييز أن أول من قال بها من صاحب أو تابع فن دونها فإنه قال بقول لم يقله أحد قبله، فعلى أصولهم هو مجمع على تركه، فوجب على أصولهم أنه لا ينجو أحد من أهل العلم قديماً وحديثاً من خلاف الإجماع.

فليظنوا فيما يقتحمون من هذه المقالة وما يلزمهم فيها من تضليل السلف وتكفيرهم ونعوذ بالله تعالى من هذا.

ثم بعد هذا كله فإننا في مسألتنا التي خالفونا فيها أكثر موافقة منهم للصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين رضي الله عنهم منهم على ما بينا في كلامنا في المسائل مسألة مسألة.

نعم وأقوالهم أشد مخالفة للقياس من أقوالنا على أننا لانعني شيئاً من ذلك وهم يرونه حجة وفي هذا كفاية لمن عقل وبالله تعالى التوفيق.

ولا ننكر الصواب على من أصاب ولا نتبع على الخطأ من أخطأ وإن كثر المخطيء وقل المصيب، والحمد لله رب العالمين. أهـ.

قال تحت هذا بعد تمامه ما هذا نصه : (إلى هنا انتهى المؤلف قبل رمضان سنة خمس وأربعين وأربع مئة) أهـ.

وجد هذا بخط يده في هذا التاريخ، والله تعالى الحمد كما هو أهله، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً مؤبداً.. آمين.

التعليق على النص

قال أبو عبد الرحمن : ذكر أبو محمد كتاب الإعراب في الأحكام، فقال: ومثل هذا^(١) لهم كثير جداً يجاوز المئين من القضايا قد جمعناها والله حمد في كتابنا الموسوم: الإعراب عن الحيرة والالتباس الموجود في مذاهب أهل الرأي والقياس^(٢) أهـ.

وهذا النص — مع نصوص غيره^(٣) — يدل على أن أبا محمد ألف كتاب فعلاً.

وثمة نصوص تدل على أنه لم يتم تأليفه بعد.

قال في الأحكام :

ونحن نورد إن شاء الله طرفاً يسيراً من تناقضهم في التعليل، لندل بذلك على فساد مذهبهم، وإلا فتناقضهم لو تتبع لدخل في أزيد من ألف ورقة.

(١) يعني : مخالفة المقلدين للصاحب لا يعرف له مخالف.

(٢) ٢٢٢/٤ ط مني و ٥٦٩/٤ ط منه.

(٣) انظر المحلى ٥٠٣/٩ م ١٨٤٨ عن تركهم رأي صاحب و ٣٢٥/١٠ م ٢٠١٤ عن تركهم رواية عمرو بن شعيب و ١٧/١٠ م ١٨٦٨ عن تركهم رأي الصحابي و ٣٥٦/١٠ م ٢٠٢١ عن تركهم رأي الصحابي ط مني.. و ١١/١١ م ١٨٥٢ و ١٩٦ م ١٨٧٢ و ٧٤٦ م ٢٠١٨ و ٢٢٦/١٢ م ٢٠٢٥ ط تحا.

ولعل الله تعالى يعيننا على تقصي ذلك في كتاب الإعراب^(١) .

وذكر مسائل لبعض الفقهاء بدون براهين ثم قال :

وأكثر من هذا سنذكره إن شاء الله تعالى في ذكر نخالط أقوالهم في كتاب الإعراب^(٢) .

* قال أبو عبد الرحمن : وكان أبو محمد وعد بتأليف كتاب ضخم في تنافض الفقهاء ثم عدل عنه اكتفاء بالإعراب، إلا أن الإعراب لم يف بالمسائل التي أوصلها أبو محمد إلى ألف ومئتين.

فكان الإعراب الموجود الآن في حكم غير المنتهى بعد، ولهذا ترى في آخر أبواب الإعراب.

ومثل هذا كثير جداً.

* قال أبو عبد الرحمن : توجد نسخة من الجزء الثاني بمكتبة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بتونس^(٣) ولم أطلع عليها بعد.

(١) ١١٤/٨ ط مني و ١٤٠/٨ ط منه.

(٢) المحلى ٩٦/٦ ط مني و ١٢٥/٦ ط نحا.

(٣) قال سعيد الأفغاني في مقدمته لكتاب (ملخص إبطال القياس ص ٣ - ٤): لكنني اطلعت على جزء من كتاب لابن حزم في هذا الموضوع، في مكتبة العلامة التونسي الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في قصره العامر بالمرسى على بعد نحو (١٦ كم) من تونس، هو الجزء الأول من كتاب الإعراب عن الحيرة والالتباس الواقعيين في مذاهب أهل الرأي والقياس) لابن حزم، والجزء ضخم ضاع من أوله أوراق غير قليلة، عاثت فيه الأرضة وخطه أميل إلى الدقة، ينتهي بـ :

قال أبو محمد رحمه الله تعالى : ذكرنا من تناقضهم في القياس كما وعدنا بحول الله وقوته ما فيه كفاية لمن نصح نفسه، وتالله لو تتبعناه لكان أضعاف ما ذكرنا، وبالجملة فما يسلم لهم قياس أصلاً... وتركهم منه وبالله تعالى التوفيق وله الحمد رب العالمين، وبعد هذا: هنا تم الجزء الأول من كتاب (الإعراب عن الحيرة والالتباس الموجودين في مذاهب أهل =

كما توجد نسخة من الجزء الثاني بمكتبة شستربتي بدبلن عاصمة إيرلندة
رقم ٣٤٨٢.

وقد علمت من أستاذي الدكتور إحسان عباس أن الدكتور عبد المجيد
تركي يقوم الآن بتحقيقه^(١).

ونسخة شستربتي هي التي حققت عنها هذا النص الموجود من الجزء
الأول من الإعراب.

وهذه النسخة عليها تملك أبي البقاء بدر الدين محمد بن إبراهيم بن محمد
بششكي الظاهري (٧٤٨ - ٨٣٠هـ) ثم تملك أحمد بن علي بن محمد بن
أحمد الغيطي الشافعي وقد سجل تاريخ تملكه بعام ٩٣٨هـ.

أما الناسخ فلم أعرفه وإنما كان النسخ بتاريخ ١٨/٥/٧٦١هـ، وبعد
أن يكون البششكي.

وتقع النسخة في ٢١٤ ورقة انتسخت من أصل عورض بأصل المؤلف
خطه.

أما الفصل الذي ألحقه الناسخ من الجزء الأول من الإعراب فنقول عن
أصل بخط ابن حزم وجده الناسخ على نسخة من كتاب الإحكام وقد حرر
سنة خمس وأربعين وأربع منه بخط المؤلف نفسه أبي محمد بن حزم.

=الرأي والقياس) ويتلوه إن شاء الله ذكر طرف يسير من شنيع أقوالهم في الدين لم يتعلقوا
في شيء منها بكتاب ولا بسنة، والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً) أهد.
والنسخة كلها بخط (البدر البششكي) كتبها في رجب سنة ٧٨١هـ، وطالها (ابن حجر)
سنة ٧٩١هـ وأثبت خطه بذلك، ثم ذيل (السخاوي) بخطه على خط ابن حجر، فهي
جديدة بكتابتها البدر ومطالها ابن حجر وبصاحبها السخاوي وكلهم من أعلام العلماء.

(١) طال انتظاري لانتفاء هذا المشروع، ثم استشقيت من مكالمة تلفونية للدكتور عبد المجيد
بباريس أنه لم يباشر هذا العمل بعد.

* قال أبو عبد الرحمن : فهذا التاريخ يحتمل أن يكون تاريخاً للانتهاز من تأليف وكتابة الجزء الثالث من الإحكام، ويحتمل أن يكون تاريخاً لكتابة هذا الفصل من كتاب الإعراب الملحق بالجزء الثالث من الإحكام.

وعلى أي حال فناسخ الجزء الثاني من الإعراب لم يطلع على الجزء الأول وإنما نقل فصلاً منه وجده ملحقاً بالجزء الثالث من الإحكام لابن حزم.

* قال أبو عبد الرحمن : ورد في طرة الأصل الذي حققت عنه هذه الإفادات:

- ١ — أن البدر البشتكي انتسخه لنفسه.
- ٢ — هذا سفر فيه الجزء الثاني من كتاب الإعراب.
- ٣ — قال الناسخ علقت هذا الأصل من نسخة كان في آخرها ما هذا نصه: بلغت المعارضة بأصل المؤلف رضي الله عنه بخطه ومنه نسخ.
- ٤ — أشار الناسخ إلى أن هذا الكتاب يتضمن فصلاً من كتاب الإعراب أبدع فيه ابن حزم ما شاء.
- ٥ — في الحاشية اليسرى من أسفل :

الحمد لله من أحمد بن علي بن محمد بن أحمد الغيطي الشافعي لطف الله به سنة ٩٣٨هـ.

* قال أبو عبد الرحمن : وينتهي هذا السفر بقوله :

* قال أبو محمد رحمه الله تعالى : فذكرنا من تناقضهم في القياس كما وعدنا بحول الله تعالى ومنه ما فيه كفاية لمن نصح نفسه.

وبالله لو تتبعناه لكان أضعاف ما ذكرنا، وبالجمله فما يسلم لهم قياس أصلاً من تركهم لمثله في تلك المسألة نفسها أو تركهم لأقوى منه وبالله تعالى التوفيق وله الحمد رب العالمين.

هنا تم هذا الكتاب المبارك ولله تعالى الحمد وبه جلا وعلا.

وكان في آخره ما هذا نصه :

تم الجزء الأول والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ويتلوه في الثاني إن شاء الله تعالى طرف يسير من شنيع أقوالهم في الدين لم يتعلقوا في شيء منها لا بقرآن ولا بسنة.

وفيه بلغت المقابلة بأصل المؤلف بخطه ومنه نسخ.

أقول : ومنه علقت هذا الأصل إلا اليسير في أوله.

وصلوات الله تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه.

وتاريخ الأصل المذكور يوم السبت رابع عشرين شعبان من سنة ستين وخمس مئة.

وانتهى تعليق هذا الأصل يوم الأحد ثامن عشر شهر جمادى الأول سنة ٧٦١هـ.

* قال أبو عبد الرحمن : من قوله هنا تم هذا الكتاب المبارك.. إلخ: إنما هو من كلام البشتكي ونقله.

وبعد آخر كلمة وهي (سنة ٧٦١هـ) ورد الفصل المنقول من الجزء الأول من الإعراب.

* قال أبو عبد الرحمن : أتوقع أن قول الناسخ الأول (تم الجزء الأول) وهم منه، وإنما الصحيح تم الجزء الثاني وقوله (ويتلوه في الثاني) وهم أيضاً وأن الصحيح ويتلوه في الثالث وذلك لأمرين:

أولها : لو كانت هذه النسخة هي الجزء الأول لوجد فيها هذا الفصل من الجزء الأول الملحق بالأحكام.
أما نص الناسخ بأنه ترك أوراقاً يسيرة من أول الجزء لم ينسخها فلا يعني أن هذا النص من تلك الأوراق المطمورة، لأنه من المستبعد أن يترك الناسخ الأصل وينقل من غيره، وعلى فرض صحة هذا الاحتمال فمن البعيد أن يفعله ولا ينبه عليه.
وثانيهما : أن العموم والخصوص الذي تبدأ به النسخة ليس هو أول مباحث الأصول فدل على أن هناك جزءاً قبله.

* * *

٢٥٠ - قال أبو عبد الرحمن : وجدت هذا النص :

قال الفقيه الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد اليزيدي الفارسي رحمه الله في بيان أصل الاختلاف الشرعي وأسبابه :

تطلعت النفس - بعد تيقنها أن الأصل المتفق عليه المرجوع إليه أصل واحد لا يختلف، وهو ما جاء عن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم إما في القرآن وإما من فعله أو قوله الذي لا ينطق عن الهوى فيه - لما رأيت وشاهدت من اختلاف علماء الأمة فيما سبيله واحدة وأصله غير مختلف، فبحشت عن السبب الموجب للاختلاف ولترك من ترك كثيراً مما صح من السنن، فوضح لي بعد التفتيش والبحث: أن كل واحد من العلماء بشر ينسى كما ينسى البشر^(١)، وقد يحفظ الرجل الحديث ولا يحضره ذكره

(١) قال في الإحكام فصل فيه بيان سبب الاختلاف الواقع بين الأئمة في صدر هذه الأمة: فإن قيل: فعلى أي وجه ترك هو - يعني مالكا ومن قبله - كثيراً من الأحاديث؟ قيل له وبالله تعالى التوفيق: قد بينا هذا فيما خلا ولكن نأتي بفصول تقتضي تكرار ما قد ذكر، فلا بد من تكرارها، وذلك أن مالكا وغيره بشر ينسى كما ينسى سائر الناس.. ثم ساق معني الكلام الموجود هنا. راجع الإحكام ١٢٤/٢ - ١٢٥.

فيفتني بخلافه، وقد يعرض هذا في آي القرآن. ألا ترى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر على المنبر أن لا يزداد في مهر النساء على عدد ذكره [مبلاً إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزد على ذلك العدد في مهر نسائه] ^(١).

حتى [ذكرته امرأة [من جانب المسجد] ^(٢) بقول الله عز وجل ﴿وَأْتِيَتْمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا﴾ [سورة النساء : ٢٠] فترك قوله وقال: كل أحد أعلم منك حتى النساء ^(٣).

وفي رواية أخرى : امرأة أصابت وأخطأ رجل ^(٤).

[علما منه رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان لم يزد في مهر النساء على عدد ما فإنه لم يمنع مما سواه والآية أعم.] ^(٥).

وكذلك أمر رضي الله عنه برجم امرأة ولدت لستة أشهر، وذكره ^(٦) علي رضي الله عنه قول الله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [سورة الأحقاف: ١٥] مع قوله :

﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾ [سورة البقرة: ٢٣٣] فرجع عن الأمر برجمها.

وهم أن يسطو بعينة بن حصن إذ جفا عليه حتى ذكره ^(٧) الحر بن

(١) مابن القوسين زيادة ليست في الأحكام، وفي الأحكام : فذكرته.

(٢) مابن القوسين زيادة ليست في الأحكام.

(٣) في الأحكام : كل أحد أفقه منك يا عمر.

(٤) في الأحكام : وأمر المؤمنين أخطأ.

(٥) مابن القوسين زيادة ليست في الأحكام.

(٦) في الأحكام : وأمر برجم امرأة ولدت لستة أشهر، فذكره.

(٧) في الأحكام : إذ قال له : يا عمر ماتعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل.

قيس^(١) بيقول الله تعالى: ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾ [سورة الأعراف: ١٩٩]^(٢) فأمسك عمر.

وقال رضي الله عنه يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله ما مات رسول الله ولا يموت حتى يكون آخرنا^(٣) ، فقرئت ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ [سورة الزمر: ٣٠] فرجع عن ذلك^(٤) وقد كان علم الآية ولكنه نسبها لعظم الخطب الوارد عليه. فهذا وجه عمدة الخلاف للآية والسنة بنسيان لا بقصد.

وقد يذكر العالم الآية أو السنة لكن يتأول منها تأويلاً لأمر خصوص أو نسخ أو معنى ما، وإن كان كل ذلك يحتاج إلى دليل^(٥) .

ولاشك أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا بالمدينة حوله عليه السلام مجتمعين وكانوا ذوي معاش يطالبونها وفي ضنك من القوت^(٦) ، فن متحرف في الأسواق، ومن قائم على نخله ويحضره عليه السلام في كل وقت منهم طائفة إذا وجدوا أدنى فراغ مما هم في سبيله^(٧) .

وقد نص على ذلك أبو هريرة رضي الله عنه فقال : إن إخواني من

(١) في الإحكام : الحر بن قيس بن حصن بن حذيفة.

(٢) في الإحكام وقال له : يا أمير المؤمنين هذا من الجاهلين.

(٣) في الإحكام : أو كلاماً ما هذا معناه.

(٤) في الإحكام : فسقط السيف من يده ونخر إلى الأرض وقال : كأني والله لم أكن قرأتها قط.

فإذا أمكن هذا في القرآن فهو في الحديث أمكن، فقد ينساه ألبتة، وقد لا ينساه بل يذكره ولكن يتأول فيه تأويلاً فيظن فيه خصوصاً أو نسخاً أو معنى ما.

(٥) في الإحكام : وكل هذا يحتاج إلى دليل.

(٦) في الإحكام : من القوت شديد قد جاء ذلك منصوباً وأن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر أخرجهم الجوع من بيوتهم فكانوا من متحرف... إلخ.

(٧) في الإحكام : هذا مالا يستطيع أحد أن ينكره.

المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإخواني من الأنصار كان يشغلهم القيام على نخلهم، وكنت امرأ مسكيناً أصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني.

وقد قال عمر رضي الله عنه ألهاني الصفق بالأسواق في حديث استيذان أبي موسى^(١).

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن المسألة ويحكم بالحكم ويأمر بالشيء ويفعل، فيحفظ من حضره، ويغيب عن غاب عنه، فلما مات عليه السلام وولي أبو بكر رضي الله عنه^(٢) كان إذا جاءت القضية ليس عنده فيها نص سأل من بحضرته من الصحابة فيها، فإن وجد عندهم نصاً رجع إليه وإلا اجتهد في الحكم فيها^(٣).

[ووجه اجتهاده واجتهاد غيره منهم رجوع إلى نص عام، أو إلى أصل إباحة متقدمة أو إلى نوع من هذا يرجع إلى أصل، ولا يجوز أن يظن أحد أن اجتهاد أحد منهم هو أن يشرع شريعة باجتهاده أو يخترع حكماً لا أصل له. حاشا له من ذلك]^(٤).

فلما ولي عمر رضي الله عنه فتحت الأمصار وتفرقت الصحابة في

(١) في الإحكام : وقد أقر بذلك عمر فقال : فإني مثل هذا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألهاني الصفق في الأسواق، ذكر ذلك في حديث استيذان أبي موسى.

(٢) في الإحكام : فن حينئذ تفرق الصحابة للجهاد إلى مسيلمة وإلى أهل الردة وإلى الشام والعراق، وبقي بعضهم في المدينة مع أبي بكر رضي الله عنه، فكان إذا جاءت القضية... إلخ.

(٣) في الإحكام : ليس عليه غير ذلك.

(٤) مابين القوسين زيادة ليست في الإحكام.

الأقطار، فكانت الحكومة تنزل بمكة أو بغيرها من البلاد فإن كان عند الصحابة الحاضرين لها نص حكم به وإلا اجتهد في ذلك ^(١) .

وقد يكون في تلك القضية نص موجود عند صاحب آخر في بلد آخر، وقد حضر المدني مالم يحضر المصري وحضر المصري، مالم يحضر الشامي، وحضر الشامي مالم يحضر البصري، وحضر البصري مالم يحضر الكوفي، وحضر الكوفي مالم يحضر المدني.

كل هذا موجود في الآثار ^(٢) [وتقتضيه الحالة التي ذكرنا] ^(٣) من مغيب بعضهم عن مجلسه عليه السلام في بعض الأوقات وحضور غيرهم، ثم مغيب الذي حضر وحضور الذي غاب فيدري كل واحد منهم ما حضر ويفوته ما غاب عنه.

هذا أمر مشاهد ^(٤) .

وقد كان علم التميم عند عمار وغيره وغاب عن عمر وابن مسعود، فقالا : لا يميم الجنب ولولم يجد الماء شهرين!!.

وكان حكم المسح على الخفين عند علي وحذيفة ولم تعلمه عائشة ولا ابن عمر ولا أبو هريرة على أنهم مدنيون!!.

وكان توريث بنت الابن مع البنت عند ابن مسعود وغاب عن أبي موسى، وكان حكم الاستئذان عند أبي موسى وأبي سعيد ^(٥) وغاب عن عمر، وكان حكم الإذن للحائض في أن تنفر قبل أن تطوف عند ابن

(١) في الأحكام : وإلا اجتهد أمير تلك المدينة في ذلك.

(٢) في الأحكام : في الآثار وفي ضرورة العلم بما قدمنا.

(٣) ما بين القوسين زيادة ليست في الأحكام.

(٤) في الأحكام : هذا معلوم ببينة العقل.

(٥) في الأحكام : وأبي.

عباس وأم سلمة^(١) ولم يعلمه عمر وزيد بن ثابت، وكان حكم تحريم المتعة والحمر الأهلية عند علي وغيره ولم يعلمه ابن عباس، وكان حكم الصرف عند عمر وأبي سعيد وغيرهما وغاب ذلك عن طلحة وابن عباس وابن عمر، وكذلك حكم إجلاء أهل الذمة من بلاد العرب كان عند ابن عباس وعمر فنسيه عمر سنين فتركهم حتى ذكر بذلك [فذكره]^(٢) فأجلاهم] ومثل هذا كثير^(٣) ..

فضى الصحابة على هذا ثم خلف بعدهم التابعون الآخذون عنهم وكل طبقة من التابعين في البلاد التي ذكرنا فإنما تفقهوا مع من كان عندهم من الصحابة، فكانوا لا يتعدون فتاويهم لا تقليداً ولكن لأنهم^(٤) أخذوا ورووا عنهم إلا اليسير مما بلغهم عن غير ما كان في بلادهم من الصحابة كاتباع أهل المدينة في الأكثر فتاوى ابن عمر، واتباع أهل مكة في الأكثر فتاوى ابن عباس، واتباع أهل الكوفة في الأكثر فتاوى ابن مسعود.

ثم أتى من بعد التابعين فقهاء الأمصار كأبي حنيفة وسفيان وابن أبي ليلى بالكوفة وابن جريج بمكة ومالك وابن الماجشون بالمدينة وعثمان البتي وسوار بالبصرة والأوزاعي بالشام والليث بمصر.

فجروا على تلك الطريقة من أخذ كل واحد منهم عن التابعين من أهل بلده [وتابعيهم عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين]^(٥) فيما كان عندهم وفي اجتهدهم فيما ليس عندهم، وهو موجود عند غيرهم ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

(١) في الإحكام : أم سليم.

(٢) ماين القوسين ليس في الإحكام.

(٣) في الإحكام زيادة شواهد قبل قوله : ومثل هذا كثير.

(٤) في الإحكام : لا تقليداً لهم ولكن لأنهم إنما.

(٥) ماين القوسين ليس في الإحكام.

وكل من ذكرنا مأجور على ما أصاب فيه أجرين ومأجور فيما خفي عنه [ولم يبلغه] ^(١) أجراً واحداً.

[قال الله تعالى : ﴿لأنذركم به ومن بلغ﴾ [سورة الأنعام: ١٩] ^(٢)].

وقد يبلغ الرجل من ذكرنا نصان ظاهرهما التعارض فيميل إلى أحدهما بضرب من الترجيحات ويميل غيره إلى النص الذي ترك الآخرون بضرب من الترجيحات أيضاً، كما روي عن عثمان في الجمع بين الأختين أحلتها آية وحرمتها آية.

وكما مال ابن عمر إلى تحريم نساء أهل الكتاب جملة بقوله تعالى: ﴿ولا تنكحوا المشركات حتي يؤمن﴾ [سورة البقرة: ٢٢١].

قال ولا أعلم شركاً أعظم من قول المرأة أن عيسى ربه.

وغلب ذلك على الإباحة المنصوصة ^(٣) .

ومثل هذا كثير.

فعلى هذه الوجوه ترك بعض العلماء ما تركوا من الحديث والآيات، وعلى هذه الوجوه خالفهم نظراؤهم فأخذ هؤلاء ما ترك أولئك وأخذ أولئك ما ترك هؤلاء [لاقصداً إلى خلاف النصوص ولا تركاً لطاعتها لكن لأحد الأعذار التي ذكرنا] ^(٤) :

إما من نسيان.

وإما أنها لم تبلغهم.

(١) ما بين القوسين زيادة ليست في الأحكام.

(٢) ما بين القوسين زيادة ليست في الأحكام.

(٣) في الأحكام : ذكر زيادة مسائل.

(٤) ما بين القوسين زيادة ليست في الأحكام.

وإما لتأويل ما.

وإما لأخذ بخبر ضعيف لم يعلم الآخذ به ضعف روايته وعلمه غيره فأخذ بخبر آخر أصح منه أو بظاهر آية.

وقد يتنبه بعضهم إلى النصوص الواردة إلى معنى يلوح له منه حكم بدليل ويغيب عن غيره^(١).

ثم كثرت الرحلة إلى الآفاق، وتداخل الناس، وانتدب أقوام لجمع حديث النبي صلى الله عليه وسلم وضمه وتقبيده، ووصل إلى البلاد البعيدة إلى من لم يكن عنده، وقامت الحجة على من بلغه شيء منه، وجمعت الأحاديث المبينة لصحة أحد التأويلات المتأولة في الحديث، وعرف الصحيح من السقيم، وزيف الاجتهاد المؤدي إلى خلاف كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى ترك عمله، وسقط العذر عمن خالف ما بلغه من السنن ببلوغها إليه وقيام الحجة بها عليه: فلم يبق إلا العناد والتقليد^(٢).

وعلى هذه الطريقة كانت الصحابة رضوان الله عليهم وكثير من التابعين يرحلون في طلب الحديث الأيام الكثيرة طلباً للسنن والتزاماً لها، وقد رحل أبو أيوب من المدينة إلى مصر في حديث واحد إلى عقبة بن عامر، ورحل علقمة والأسود إلى عائشة وعمر، ورحل علقمة إلى أبي الدرداء بالشام.

وكتب معاوية إلى المغيرة: اكتب إلي بما سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومثل هذا كثير.

قال أبو محمد : فقد بينا والحمد لله وجه ترك من ترك بعض الحديث

(١) في الإحكام ذكر عشرة وجوه يتبسط أكثر من هذا.

(٢) سياق الإحكام يختلف عما هنا وفيه بسط أكثر.

والسبب الموجب للاختلاف وشفّت النفس ما اعترض فيها ورفعنا الإشكال عنها.

والله عز وجل المعين على البحث والهادي إلى الرشد بمنه. ^(١) .

التعليق على النص

هذا فصل لم أجده في كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدي، وإنما أورده محمد مصطفى الحسني الرومي بآخر كتابه (المستخرج من الجمع بين الصحيحين للحميدي) حسب النسخة المصورة من دار الكتب بالقاهرة.

* قال الرومي بعد نهاية الكتاب :

وقد استشرف بعض الطالبين إلى معرفة الأسباب الموجبة للاختلاف بين الأئمة الماضين رضي الله عنهم أجمعين مع إجماعهم على الأصل المتفق عليه المستبين حتى احتيج إلى تكلف التصحيح في طلب الصحيح، وقربت على هذا الطالب معرفة بعض العذر في اختلاف المتأخرين لبعدهم عن المشاهدة.

وإنما تعذر عليه معرفة الوجه في اختلاف الصحابة رضوان الله عليهم مع مشاهدتهم نزول التنزيل وأحكام الرسول صلى الله عليه وسلم وحرصهم على الحضور إليه والكون بين يديه والأخذ عنه والاقتراس منه، وهذا الذي وقع لهذا الطالب الباحث قد وقع لبعض من قبله الخوض فيه والبحث.

ووضع في هذا المعنى بعض الأئمة من علماء الأئمة فصلا رأينا إثباته هاهنا لإزالة هذه الشبهة عن هذا الطالب الباحث وعن غيره ممن خفي ذلك عنه وتطلع إلى معرفة الوجه فيه.

(١) في الإحكام : فقد بينا وجه ترك من ترك بعض الحديث، وأزحنا العلة في ذلك، ورفعنا الإشكال جملة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفي هذا الفصل التصور لكل صور وقوع ذلك منهم وكيفية اتفاقه لهم حتى كأنه شاهده معهم.

وهذا أول الفصل المخرج في ذلك أوردناه بلفظ مصنفه رحمه الله. أهـ.

* وقال أبو عبد الرحمن:

وهذا الفصل موجود بكتاب ابن حزم الإحكام لأصول الأحكام مع خلاف يسير وقد أثبت في الحواشي ما يتميز به هذا الفصل من زيادة على الإحكام طفيفة.

وهذه عادة ابن حزم يلخص الفصول من مؤلفاته الكبيرة للتسهيل على الطلاب، وربما كان ذلك من نسخة ثانية من الإحكام نسقها أبو محمد.

* * *

٢٥١ - قال أبو محمد^(١) :

يقال رجل من الجن، وشيطان من الإنس لقول الله تعالى وجل : ﴿كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن﴾ [سورة الجن: ٦].

ولقوله عز وجل : ﴿شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾ [سورة الأنعام: ١١٣].

* * *

٢٥٢ - قال أبو محمد^(٢) :

برهان من نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلافة أبي بكر،

(١) ورد هذا الفصل بآخر مخطوط النصائح المنجية.

(٢) ورد هذا النص ملحقاً بآخر كتاب النصائح المنجية.

قال علي: قد صحت الرواية بأن امرأة قالت: يا رسول الله: أرأيت إن رجعت ولم أجذك — كأنها تريد الموت —؟.

فقال لها عليه السلام : فأتي أبا بكر.

قال علي : وهذا نص جلي في استخلاف أبي بكر رضي الله عنه.

وأيضاً فإن الخبر قد جاء من الطرق الثابتة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي توفي فيه: لقد هممت أن أبعث إلى أبيك وأخيك فأكتب كتاباً لكيلا لا يقول قائل: أنا أحق أو يتمنى متمن ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر.

ورويناه أيضاً : ويأبى الله والنبيون إلا أبا بكر.

فهذا نص جلي على استخلافه عليه السلام أبا بكر على ولاية الأمة بعده. [٥٣/أ].

* * *

٢٥٣ — قال أبو محمد :

كل لفظ ورد من الله عز وجل مما يكون في الآخرة مما قد أيقنا أن ذلك اللفظ واقع على معنى محدود بطبيعة ليست في الآخرة :

فباليقين نعلم أنه اسم وضعه الله عز وجل على ما هو أعلم به كالكتب المذكورة أنه يعطيها عز وجل الناس يوم القيامة باليمين والشمال ووراء الظهر والاستنساخ الذي تكتب به أعمالنا.

قال عز وجل : ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ [سورة الجاثية: ٢٩].

فإن الكتب عندنا لا تكون إلا في جلد أو كاغد أو خشب أو حجر أو عظم أو بعض المعادن مما لاشك في أنه ليس هنالك على ما هو عندنا في الدنيا.

وكالطعام الذي ذكر عز وجل أنه في الجنة من لحم الطير والعسل واللبن والخمر والفواكه فلا شك في أنه هنالك بخلاف ما هو في الدنيا، لأنه لا ذبح في الجنة ولا موت ولا آلة ولا نار يطبخ بها^(١) ولا تلوث بدم.

ولا شك في أن ذلك العسل ليس من نحل مانسمعه، وأن ذلك اللبن ليس من ضأن وماعز وبقر وإبل ما نخلبه بكلفة.

وأن تلك الخمر ليست معصورة من عنب يكون بالأيدي^(٢) ويتناول بها وبالأرجل.

وهكذا سائر ما هنالك بلا كلفة كله حق نؤمن به ونقطع بأنها أمور على الدوام أوقدها الله على ما شاء مما هو أفضل وألذ وأعلى مما هو في الدنيا لانعلمه إلا كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: إن فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت [٥٢/أ] ولا خطر على قلب بشر.

وهذا قولنا والحمد لله رب العالمين [٥٢/ب].

التعليق على النص

هذه فائدة علقها أبو محمد وأثبتها الناسخ بآخر كتابه (النصائح المنجية والفضائح المخزية) ولسوء الحظ كان في آخر هذه الصفحة آثار رطوبة استبهمت لأجلها الحروف، وقد تعبت في استظهارها وماعجزت عنه هو

(١) بعد هذه الجملة كلمة عجزت عن استظهارها.

(٢) أثبت هذه العبارة اجتهدا بشكل مقارب لصور الخط المغربي في الأصل.

كلمتان فقط اجتهدت في تخريجها بشكل مقارب للمخطوط لفظاً ومقارب للسياق معنى.

وبآخر كتاب النصائح فصل في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وفصل عن نوع من أنواع الدليل عند أهل الظاهر، وفصل عن تسمية الجنى رجلاً.

وكل هذه الفصول أثبتتها هنا لأنها من كلام ابن حزم، وأهملت نقلين أحدهما من كتاب الموفقيات للزبير بن بكار، وثانيهما لأبي علي الفارسي في إعراب ﴿فعدة من أيام أخر﴾.

ربما كان هذا النقلان من تعليق الناسخ، وربما كانا من تعليق ابن حزم للفائدة والله المستعان.

* * *

٢٥٤ - قال أبو محمد ابن حزم :

تعدى سبيل الرشد من جار واعتدى	وضاء له نور الهدى فتبلدا
وخاب امرؤ وافاه حكم محمد	فقال بآراء الرجال وقلدا
نبي أتى بالنور من عند ربه	وما جاء من عند الإله هو الهدى
أرى الناس أحزابا وكل يرى الذي	يجبىء ^(١) به المنجي وسائر الردى
وألقوا كتاب الله خلف ظهورهم	وقول رسول الله ويلهمو غدا
وقالوا بأن الدين ليس بكامل	وكذب ما قالوا الإله وفندا

(١) في طبعة الكتاني، وفي نسخه بعث بها إلي مكتوبة بالآلة الكاتبة بلفظ: (يجبىء)، وهذا لا يستقيم وزناً، ومافي الأصل: يجبىء.

وما فرط الرحمن شيئاً ولم يكن
وقد فصل التحريم والحل كله
وعلم وجه الحكم فيما اعتدوا به
ولم يتعبدنا بعنت ولم يرد
وحرّم قول الظن في غير موضع
أخي عد عن سبل الضلال فإنني^(١)
ودع عنك آراء الرجال وقولهم
وقل لرسول الله: سمعاً وطاعة
أوامره حتم علينا ونهيه
حرام وفرض طاعة قد تيقنت
فإن^(٢) يسبد برهان يبين أنه
نسياً ولم يترك بريته سداً
وبين أحكام العباد وسدداً
ونص عليه الحكم نصاً وردداً
يكلفنا^(٣) ما لا نطبق تعبدنا
وأن تقتفي ما لست تعلم موعداً
رأيت الهدى أهدي دليلاً وأرشداً
وخذ بكتاب الله نفسي لك الفدا
إذا قال قولاً أو تيمم مقصداً
تلافيه^(٤) بالإقلاع عنه مجرداً
ومن ترك التخيير والوقف^(٥) سداً
على غير ذا صرنا معاً للذي بدا

(١) في طبعة الكتاني : يكف.

(٢) نشرت البيت في جريدة الدعوة اجتهاداً قبل اطلاعي على الأصل هكذا:

(أخي عد عن التجديف في الحق إنني)

وطبعه الكتاني هكذا : (أخي عد عن سبل الضلال فإنني)

وجعل دال عد مخففة وضم الباء في سبل، وهذا خلل في الوزن.

ورأيت في الأصل هكذا (أخي عد عن سبل الضلال فإنني) وهذا غثل أيضاً.

(٣) في الأصل وفي المطبوع : نلاقه.

(٤) في الأصل وفي المطبوع : الوقوف.

(٥) في المطبوع : يبد، وفي الأصل : يبدوا.

وأفعاله اللائي^(١) تبين واجبا
على أسوة لازلت مؤتسيا به
وإقراره الأفعال منه إباحة
وماصح عنه مسندا قل بنصه
وسو كتاب الله بالسنة التي
سواء أتت نقل التواتر أو أتت
وقل إنه علم ولا تقل إنه
فكل من الوحي المنزل قد أتى
وخذ ظاهر الألفاظ لا تتعدها
فتأويلها تحريفها عن مكانها
فإن جاء برهان بتأويل بعضها
وكل عموم جاء فالحق حمله
وإن جاء بالتخصيص نص فخصه
وأخرج قليلا من كثير وإن بدت
وإن صح ما بين النصوص تعارض

من الله فاحملها عليه وما عدا
وليست بفرض والسعيد من اقتدا
لها فحال أن تقر من افسدا^(٢)
وإياك لا تحفل بماليس مسندا
أتت عن رسول الله تنجو من الردى
بما قد روى الآحاد مثني وموحدا
من الظن ليس الظن من دين أحدا
عن^(٣) الله إن الذكر يحفظ سرمدا
إلى غاية التأويل تبقي مؤيدا
ومن حرف الألفاظ حاد عن الهدى
فألق إلى الحق الذي جاء مقلدا
على مقتضاه دون أن ترددا
به وحده واحذر بأن تتزيذا
معارضه فاشدد على الزائد اليدا
فنسوخها ماجاء منهن مبتدا

(١) في الأصل : اللتي.

(٢) هكذا في الأصل والمطبوع، ويستقيم الوزن إذا سهلت همزة القطع وأدغمتها في نون من.

(٣) في المطبوع : من.

وإن عدم التاريخ فيها فخذ بما
تكن موقفا أن قد أطعت وتاركا
وكل مباح في الكتاب سوى الذي
وإن لم يرد نص بإلزام طاعة
وعند اختلاف الناس فالحكم راجع
وذاك سبيل المؤمنين ومن يرد
ولا تدع الإجماع فيما جهلته
وإن امرؤ في الدين حكم نفسه
فتلك حدود الله لا تعتدنها
وجاء بدعوى لادليل يقيمها
ومن قال محتاطا بردع ذريعة
محل حرام أو محرم ما أتى
ومن يدعي نسخا على الحكم لم يجز
ولا تنتقل عن حال حكم علمته

يزيد على^(١) المعهود في الأصل ترشدا
لكل مقال قيل بالظن مبعدا
يفصل بالتحريم منه معددا
من الله لم يلزمك أن تتعبدا
إليه وبالإجماع من بعد يهتدى
خلاف سبيل المؤمنين فما اهتدى
ولم تعلم التحقيق جمعا ومفردا
قياسا أو استحسان رأي لذواعة^(٢)
ومن قال بالتعليل فيه قد اعتدى
وأسرف في دين الإله وألحدا
برأي رآه قد أتى الله والردى
بتحليله مخطي^(٣) الكتاب تعمدا
على ذاك بالبرهان ليم^(٤) مفندا
لقول عن الإجماع والنص جردا

(١) في المطبوع : عن.

(٢) في المطبوع : لز واعتدى.

(٣) في المطبوع : خطي.

(٤) في المطبوع : ليس.

من الحل والتحريم أو من لوازم عليك فلا تعد السبيل المهددا^(١)
ولا تلتقف^(٢) حكم البلاد وجريها على عمل ممن أغار وأنجدا
وإن لم تجد نصا على الحكم فالتمس إلى قصده جمع النصوص لترشدا
فتمنح حكما بينها قد جهلته^(٣) وتجمع شملا كان منها مبيدا
وذاك على معناه نص وإنه لحق كما لو كان نصا مجردا
وهذا الذي يدعى اجتهدا وليس ما تقول ألو الآراء منها تلددا^(٤)
وأثقلهم جمع النصوص فأظهروا على الدين نقصان النصوص تبلا
وقالوا لنا إكماله وتمامه تباركت ربي أن تكون مفندا
وقد قلت إن الدين أكملته لنا وفصلته والحق ماقلت ممجدا
ولا تلتقف^(٥) عند الخطاب دليله ولا تلتزم شرعا سوى شرع أحدا
فكل نبي خص إنذار قومه وأحمد عم الناس أدنى وأبعدا

(١) في الأصل : (عليك أنه لا تعد السبيل المهددا) وهكذا في المطبوع إلا أنه شدد الدال في (تعد).

وما أثبتته هنا يستقيم به البيت وزنا ومعنى.

(٢) في المطبوع والأصل : ولا تلتقف.

(٣) في المطبوع : (فتمنح حكما بينها قد جعلته) وقد عدلت البيت فيما نشرته في الدعوة هكذا: (فتمنح حكم بينها قد جهلته) ولا حصلت على الأصل وجدت الشطر هكذا: (فتمنح حكما بينها قد جهلته).

قال أبو عبد الرحمن : والصحيح ما أثبتته هنا، وبناء منح على المعلوم صحيح، لأن أخذ الحكم من جملة نصوص من عمل المستنبط، وهذا هو البرهان المركب من عدة دلالات.

(٤) في المطبوع : (تقوله ألو الآراء تلددا) وفي الأصل : (تقول ألو الآراء منها تلددا).

(٥) في الأصل والمطبوع : تلتقف.

وأخلص لدى الأعمال نيتك التي بها ترتقي الأعمال لله مصعدا
وصل على الزاكي المجير عن العمى نبي الهدى خير الأنام محمدا
ولله حمدي سرمدا غير منقض على ماهدي حمدا كثيرا مرددا

التعليق على النص

هذه القصيدة نشرها محمد إبراهيم الكتاني بمجلة معهد المخطوطات العربية
في الجزء الأول من المجلد الحادي والعشرين عام ١٩٧٥م ص ١٤٨ - ١٥١
وأعدت أنا نشرها بجريدة الدعوة عدد ٥١٧ في ١٣٩٥/٨/٢٥هـ.

قال الكتاني في المقدمة لها :

عشرت على هذه المنظومة في آخر المجلد الثاني من كتابه الإحكام في
أصول الأحكام الموجودة ضمن مخطوطات مكتبة ابن يوسف بمدينة مراكش
تحت رقم ٥٢٤ من ص ٤٥٨ - ٤٦٢ . وبعدها مانصه :

مؤدي هذه القصيدة أبو الوليد سعد السعودي (كذا) أحمد بن عمر قال:
أنشدنيها الفقيه الإمام.

وما بعد هذه الكلمة لم أستطع قراءته وهو في آخر سطر من الصفحة،
والورقة التي بعدها مفقودة.

ولم يرد ذكر لهذه القصيدة في شيء من المصادر، ولا نسبها لابن حزم
أحد من المؤلفين.

كما لانعرف منها نسخة أخرى في مكان آخر، ولهذا قررت نشرها في
مجلة معهد المخطوطات إفادة للمهتمين بآثار ابن حزم. أهـ.

* قال أبو عبد الرحمن : لقد صورت الجزء الثاني من الإحكام الملحق
به هذه القصيدة فوجدت صحة العبارة هكذا :

يروي هذه القصيدة أبو الوليد سعد السعدي أحمد بن عفير. قال أنشدتها
الفقيه.

قال أبو عبد الرحمن :

ووجدت في الذيل والتكملة بقية السفر الرابع ص ١٩ :

أبو الوليد سعد السعدي [٥١٣ - ٥٨٨] بن أحمد بن هشام بن إدريس
بن محمد بن عفير: ظاهري مصمم على القول بالظاهر. اهـ.

* قال أبو عبد الرحمن : وهو هنا يروي عن أحفاد ابن حزم أو أحد
تلاميذ تلاميذه.

وفيما نشره الكتاني تصحيف وخلل في الوزن مما اضطرني إلى المقارنة
بالأصل، بل إن تشكيل الحروف في مجلة معهد المخطوطات أحدث خللاً
كثيراً.

خذ على سبيل المثال :

(وهذا الذي يدعي اجتهداً وليس ما)

فضبطوا دال يدعو بالتشديد، وهذا يخل بالبيت وزناً ومعنى، وإنما هي
بضم الياء وسكون الدال وفتح العين الممدودة.

ومثله :

ولا تدع الإجماع فيما جهلته.

ضبطوها بفتح التاء وفتح الدال وسكون العين.

وإنما هي بتشديد الدال وكسر العين.

ومثل هذا كثير، والله المستعان.

* قال أبو عبد الرحمن : وهذه قصيدة لي نظمها في أصول أهل الظاهر أثبتها هاهنا كاملة لأجل المناسبة، وقد سبق نشرها لها بديواني (النغم الذي أحبيته).

لله عزم لم يضرك وصاله	وجلال فكر لا يغيض نواله
ما العبقرية غير عنقا مغرب	لولا تراث شف عنك كماله
من للحقيقة إذ يهض جناحها	زيف يطول على اللبيب مطاله
زيف من التقليد أعشى أمة	أبت الصواب وفاتها منواله
وتفلسف أعمى رأوه حكمة	وهو الجنون جليبه ومحاله
وتصوف يهذي به مستوقح	لا ورده عذب ولا نهاله
وغرف يهذي بكل سخيفة	تصمي الحجى فيريه غرباله
ومسفسط ظلم العقول مراده	قد كذبت توحيده أقواله
العقل — في حسابه وغروره —	رب البرية والشديد محاله
لا تبخسوا العقل الجليل مجاله	مادام نور الله جل جلاله ^(١)
وحذار أن تستسلموا لغروره	مادام مخلوقا يضيق مجاله
قل للمؤله عقله ووطنونه	أإلاهه من في الورى أمثاله؟
عقلي وعقلك في خلاف دائم	وأعز ما يسمو إليه يخاله
من لي بعقل لا يرد قضاؤه	ومنال إزجاء الصواب مناله

(١) نور الله : على سبيل الإضافة كناية الله.

ما العقل معصوم بجبل صوابه	ما ظل يعقب جزمه إرقاله
إن الإله مبرراً ومنزه	عن كل تشريب أباه كماله
والعقل - يا هذا - مطامح شهوة	وصلت بأهواء النفوس حباله
العقل يفهم ما عناه إلهنا	بتصور سمح القياد رعاله ^(١)
فإنه لم يعنت عقول عبیده	بالمعضلات وصانها إفضاله
مافي محارات العقول تعنت	والعقل في كنف الإله سحاله ^(٢)
ليست محارات الحجى كمحاله	والشرع لا يبغى لديه محاله ^(٣)
ويلي تصور عقلنا تمييزه	بين الفروق إذا بدا استفحاله
فهم وتميز هما دور الحجى	وسواهما الداء الدوي عضاله
إن اقتراح العقل سياً ملحد	تبع الظنون وغره إدلاله
لسنا نخاف العقل ينفي شرعنا	والعقل يطرد يته إقباله
إننا نهينا أن نقدم رأينا	والوحي فينا لم يغض هطاله
قفو وتقديم وإيجاب إذا	داعبن عقلا استطار خباله
ها نحن نمسح خفنا من فوقه	والرأي يأبى ما أبى استدلاله ^(٤)

(١) المراد بالرجال هنا : تتابع التصورات من العقل.

(٢) السحال : الحبال الواهية.

(٣) قد يحار العقل في فهم بعض مسائل الشرع، ولكنه لا يستحيل عليه فهمها.

(٤) قال علي رضي الله عنه :

لو كان الدين بالرأي لكان مسح أسفل الخفين أولى من مسح أعلاه.

ومعجل نقي الوضوء جبينه ما للجبين وقد جنت أكفاله^(١)
ويد يعز على المعري قطعها ويريبنا من لغوه إكفاله^(٢)
ليس اقتراح العقل إلا ردة أو فتنة باهت بها أفياله^(٣)
هذا الوجود كماله وجماله وصلاله وجباله ورماله^(٤)
يارب ما اقترحوا عليك حدوثه بدءا ولم يعتص عليك زواله
كانوا هباء ما أذنت ببرئهم لم يشهدوا إذ قدرت آجاله^(٥)
الشرع للخلق الضعيف هداية والعقل مخلوق يعوق كلاله
والخلق تقدير الإله كما قضى والشرع ما حال الخليقة حاله
إن الشريعة كالخليقة رتبة إذ تلك سنته وتيك عياله^(٦)
ومنزل الشرع العليم بخلقه لم يهمل العقل الوثيق شكاله

(١) الأكفال : الأعجاز.

قال ابن حزم : لا يوجب العقل أن يحدث المرء من أسفله فيغسل أعلاه!.

الإحكام ٢٩/١.

(٢) هذا تعريض بقول المعري :

تناقض ما لنا إلا السكوت له وأن نعوذ بمولانا من النار
كف بخمس مئين في الشرع قد وديت ما بالها قطعت في ربع دينار؟

(٣) الأفيال : ضعاف القول.

(٤) جمع صلة وهي الأرض اليابسة.

(٥) في القرآن الكريم : ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم﴾.

(٦) في الحديث : الخلق عيال الله.

أي يعولهم بعنايته ورزقه وفضله.

(٧) الشكال : الرباط.

لولا الغواية لم يهن إشعاله	فأفاض فيه للهداية مشعلا
فإذا تملص غره إيغاله ^(١)	وحاه بالقانون يعصم حكمه
لهداية الشرع الظليل ظلاله	إن الذي خلق العقول أحالها
يهدي الغواة من العمى إرساله	يارب أرسلت الرسول معلما
ومعفراً تحت الشرى أقتاله ^(٢)	تتلوه أنصار الإله مظفرا
والعقل نبراس الهدى ونباله	السيف حرز الوحي ضد مكابر
بمراده ومراده إجماله ^(٣)	الدين أمر لازم تحقيقه
والنهي حتم ظاهر إعماله	ثم النواهي لا يباح حرامها
حطت بها عن ديننا أغلاله	ويجئىء بينها منادح رحمة
دون اللزوم أكيدته ونفاله ^(٤)	ندب يثاب آتية غدا
دون الحرام وفي الحرام جزاله ^(٥)	ويليه مكروه يحبذ تركه

(١) أعني قوانين أرسطو الثلاثة.

(٢) أقتاله : أعداؤه.

(٣) الأصل في الأوامر العموم. هذا معنى إجماله.

(٤) نفال : جمع نفل.

وإنما قلت : أكيدته ونفاله مراعاة لتقسيم مقلدي أبي حنيفة فالندب عندهم قسمان : مستحب، وسنة مؤكدة.

(٥) الإكثار من المكروهات — تقصداً — يصل إلى الحرام، إذ الإدمان على ذلك تعمد لمخالفة مراد الشرع، وتوسع في الرخصة. ودليل هذا نصوص مجتمعة.

والأصل في أمر الخطاب ونهيه	الحتم فورا والعموم مآله ^(١)
ومآله للنسب أو لكرهه	من أجل برهان سما استدلاله
والأصل في المسكوت عنه إباحة	عفو حلال لا يشار سؤاله ^(٢)
قاسوا شريعة ربهم بعقولهم	مستدركين بما يطول نكاله
إبليس قبلا ماهداه قياسه	فشوى لعينا واستمر وباله
النار خير لا تقاس بطينه	لم يدر أن المصطفى صلصاله
وقريش قاسوا البيع مثل ربائهم	والله ميز ما عناه حلاله
هاتوا قياسا لم يرد تبيانه	إن كان حقا تحتذى أشكاله
مافرط الله العليم بشرعه	ونصوصه الإسلام وهي كماله
كامل البيان فلم نجد لقياسكم	معنى زكت عند الإله خلاله
ما كان ربكمونسيا ساهيا	ورسوله فينا هدى أقواله
قالوا قياس الوحي هاهو حجة	وبذا مشى صحب الرسول وآله
قلنا قياس الوحي نص ظاهر	وقياسكم ظن يبين ضلاله
ودعوا التعلل بالصحاب فإنهم	خير الورى للدين بل أبطاله
ودليلنا من نقلهم لا رأيهم	ونحبهم حبا لنا أحفاله
لو كان رأيهمو دليلا لازما	ماكان يعقب قتله إبطاله

(١) كل ماخرج من عموم النص بدليل فآل الباقي إلى العموم.

(٢) بهذا ورد الحديث الصحيح.

إن الإله أبى الخلاف شريعة
ياقوم ما معنى القياس بديننا
قالوا : القياس هنا جوامع حكمة
قلنا : جوامعه خلاف قياسكم
قالوا : القياس تشابه نقفوا به
قلنا : التشابه ذو وجوه جمّة
إن جاء نص بالتشابه جملة
أو جاء إلزام به في موضع
قالوا : انضباط الوصف يعني مقصدا
أو علة إن تطرد فقياسنا
قلنا اطراد الوصف أو تعليلكم
هلا اجتمعتم في الربا في علة^(١)
إن جاء نص بالقياس لعلة
أو جاء إلزام بهذا في موضع
إن اختلاف الرأي تيه مجاهل
والله لا يرضى التنازع شرعة

وهدى لشرع لايشاب كماله
أيسام نقصا عندكم إكماله؟!
يزهوها شرع الهدى ومقاله
نص صريح ينتفي إشكاله
قصد الإله فتنجلي أسداله
فبأبها يسدي السدى غزاله
فالحكم ثمة مابه إجماله
لم نعد مالا ينبغي استحلاله
والقصد دوما تبتغي آماله
متشوف ما يقتضي إعلاله
ظن يحير لغزه وضلاله
فقياسكم لم تشتبه أمثاله؟!
أو ضبط وصف تحتذى أشكاله
فالنص ظاهرنا ونحن أهاله^(٢)
وقياسكم لم تنبلج أدغاله
نص الإله وهذه أنفاله^(٣)

(١) اختلف المقلدون إلى اثني عشر مذهبا في علة الربا.

(٢) أهاله : أهله.. وأهال مصدر صحيح.

(٣) في سورة الأنفال : النهي عن التنازع.

والنص باسم الشيء يأتي تارة	ويجيبىء بالمعنى البعيد مناله ^(١)
أو ما كفاكم أن ينزل قوله	تتلونه فيريحكم إنزاله؟ ^(٢)
قالوا : قياس الأولوية فطرة	في العقل إن أذكى السجال جداله
قد حرم الله الكبير من الأذى	إذ حرم التأفيف وهو جفاله ^(٣)
أنبيح ضربا والمحرم دونه	لولا عقوق تتقى أذحاله؟
قلنا : الأذى والأف حكم واحد	بجواز قول غلب استعماله
وبجاز هذا النص نص ظاهر	أين القياس هنا وأين مجاله؟
ما الأولوية غير دعوى تدعى	والحكم للبرهان حيث تناله
قالوا : القياس وسيلة مشروعة	للكشف عن حكم بدت آسالة ^(٤)
إننا أمرنا باقتفاء قياسنا	للاعتبار فلا يخيس كياله
وقياسنا استحضار شبه غائب	بمشاهد ينقاس منه مثاله
وقياسنا حتيمة ذهنية	للعقل إن رام الصواب جداله
وقياسنا حتيمة شرعية	يرتاده من لا يشق إياله ^(٥)

(١) إن كان الخطاب نصا على الشيء باسمه فهو الظاهر، وإن كان نصا بالمعنى فهو الدليل.

والدليل أصل من أصول أهل الظاهر.

(٢) قال تعالى : ﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾ .

(٣) جفاله : ضئيله.

(٤) آسالة : أشباهه.

(٥) إياله : سياسته للنصوص.

وقياسنا توسيع فهم جامد
إن النوازل لا يعد عديدها
ضحوا رويدا فالدعاوي جمة
لغة العروبة في الحنايا حية
لغة الكتاب يحوطها ويصونها
هيهات أن تحظوا بفرحة حائد
ما الاعتبار كما زعمتم فرية
لكنه التحذير من كفر الألى
إن كان ذنب أولاء ذنب أولائكم
أين القياس أمام نص ظاهر
لم نعتبر بقياسهم وظنونهم
هلا اعتبرتم بالألى ألقوا أخوا
فإذا بكم أخوان جبر ماجد
لولا القياس تبدلت أرساله
والنص لم يستوفها احزئلاله^(١)
كم يدعي زيف المنى نحاله
وضمامها الدين الممنع جاله
من أنزل الذكر الحكيم مقاله
نقل المعاني واشمخر إلاله^(٢)
بقياس شبه قد بدا إحكاله^(٣)
إذ جاوزوا أمرا بدا إيساله^(٤)
فالحكم نصا تتقى أهواله
هذا الجناح وهذه أوجاله؟!
وأمامنا نص بدا خذاله
في الجب واجترم الخنى سرحاله^(٥)
ملك الورى وهفا له أقياله

(١) احزئلاله : اجتماعه.

(٢) إلاله : باطله.

(٣) إحكاله : اشتباهه.

(٤) إيساله : تحريمه.

(٥) السرحان والسرحال : هو الذئب.

وإذا السنون شديدة وتعيسة	يغلو الطعام ويحتذى وغاله ^(١)
إن الأئمة من قريش شرعة	حكم الرسول فلا يرام اعلاله
نص صحيح لا يؤول ظاهر	لم يحتمل تأويله نقاله
وظواهر الآثار ضربة لازب	من حاد عنها فالغواية فاله
فوثبت تحيي عهد أحمد حسبة	أن الخليفة من زكت أجداله
وشجاك أن تمنى الأمور بسافل	لا عمه حر ولا أخواله
وسللت بالبرهان عضبا فارها	وغشاك تحت رحي الوغى قسطاله
غرناط ماشهدت عليك ملامة	لكنه أمر بدا إقحاله ^(٢)
لله فيه حكمة وخبيثة	وقضاء ربك لا يرد مآله
دع أمر أندلس فلا أعياصه	أو صقره يرجى ولا أنساله
دع أمر أندلس يفرق شمله	بقاله وخصيه وثعاله
وكفأك من ميسور مالك بلغة	ولطالما ذل السؤول سؤاله
إن الوظيفة تسترق مناضلا	أبت العزيمة أن يكل نصاله ^(٣)

(١) وغاله : من يغالي بالثمن.

والأمر بالاعتبار ورد في قصة يوسف.
فإذا كان معناه القياس : كان معنى ذلك أن كل من باع أخاه سيصبح أخوه ملكا،
وسيفلو الطعام، إذ هذا هو مقتضى القياس.

(٢) لقد أسر أبو محمد في معركة غرناطة.

(٣) روي عن العقاد : أن الوظيفة رق القرن العشرين.

مابعت دينك بالتزلف خلصة	ولك اليراع فما يفل مقاله
وخلعت سربال الوزارة صادعا	بالحق مرا إذ أهين رجاله
وذرعت أرجاء البلاد مجادلا	وقعت من غلب العقول هزاله
وفضحت عباد الصليب مقرعا	والحق يعملو لو أمر فتاله
وهود أرغمت الحقيقة زعمهم	لم يغن خبرهمو ولا نغزاله ^(١)
تبدي صراح القول غير موارد	حرا وسربال التقى سرباله
فشجاك أن لم يفلحوا في كيدهم	وهرعت تتلو ما أذيل مذاله
أفنيْتُ مقتبل الحياة تلاعبا	ووعيتُ لهواً لم يفد عقباله
شعر النبيط يشوقني ما صاغه	راكانه العجمي أو هذاله ^(٢)
هزل من الملحون يلهي لغوه	ويصد عن غرر البيان حثاله
ما تلك إلا بيئة عايشتها	وتراث شعب يجتي زجاله
حسب الأريب إذا تفيأ منشأ	أن لا يبح بمننتاده هذاله
حتى تغنى باللامه ناصح	شيخ تمكن في الحشا إجلاله ^(٣)
ماراعه شدوي بذاك مرتلا	عن ظهر قلب ما تحشرج باله
لكنه رحم اليراعة والحجى	أن لا يجند في المجال زماله

(١) ابن نغزاله : يهودي رد عليه ابن حزم.

(٢) راكان بن حثلين، وهذال الشيباني.

(٣) هو فضيلة الشيخ صالح بن غصون صرفني من الأدب الشعبي إلى العلم الشرعي.

وطورا يسلمط بالنصيحة مشفقا ^(١)	وتجيش طورا بالأسى أمثاله
حم من التعنيف يغني بعضها	والغر يعجز في الملام حياله
هذا كتاب الله حسبك حفظه	في موقف يربو غدا مثقاله
وحديث أحمد لو تجوس رياضه	إن الأئمة في الورى حماله
ومتون علم لو وعيت أصولها	فحصيل سعيك والضنى أفلاله ^(٢)
ياليت شعري هل تبيت مسامرا	لغوا ومثلك يحتسى جرياله
ما ثم غير النار أشبع جوعها	بتراث جيل يزدري مواله
قلل من المأثور يعنت جمعه	وهيضي مع رسمه إملاله
فدلفت للعز المرجى حائرا	كمولّه ضاقت به أجواله
أو ليس كل أليف إلف واله	حتى يروض صبره استبداله
لم يغني إنصافهم أو زادهم	من رمز علم هاضني استثقاله ^(٣)
تالله لم أهدر تراث أئمة	للدين حفاظ وهم أبدالاه
لكنا عني الفطيم بلين	ويراض بالغض الغضيفض أفاله ^(٤)
غيري تبرم باليبوسة لائما	وأشاد بالعذب النير زلاله

(١) هو الوالد عمر رحمه الله.

(٢) أفلاله : مالا خير فيه.

(٣) الإنصاف والزاد من كتب الحنابلة.

(٤) الأفال : صغار الغنم.

شيخ تمكن في الشريعة فقهه	لولا العوار رمت بهن نباله
يرضيك للوجدان عذب بيانه	ويستيه دوما بالدليل مصاله
تغري حديث العهد فيح سهوله	وتشده للمعضلات قلاله
ياصاحب العلم الغزير تشوقنا	أحكامه إيصاله فخصاله ^(١)
أبديت من غرر البيان غرائبها	غيداقها عذب جرى سلساله
هذا المحلى لم يطب لفقيههم ^(٢)	فتوى أباهها فقهه وجداله
داويت بالأخلاق كل رذيلة ^(٣)	وشجاك من ترف الحديث زلاله
فالطوق مرسال الهوى حيرته ^(٤)	بدماء قلب هاجه بلباله
قلب خفوق لم يهم بريبة	والعرض زر عن الخنى سرواله
أطلقت قيد العقل من أغلالهم	وهناك بالتقليد شد عقاله
إن قيل من للحكم فهو فقيهه	أو قيل من للنقل فهو صقاله
شم إمام المسلمين بغرهم	يهفولهن جنوبه وشماله

* * *

٢٥٥ - قال أبو محمد :

ولا معنى لمراعاة وجود البصر وعدمه، لأن الله تعالى لم يوجب ذلك ولا

(١) هذه من مؤلفات ابن حزم.

(٢) هو الغز بن عبد السلام.

(٣) لابن حزم مداواه النفوس، وهو كتاب في الأخلاق.

(٤) لابن حزم طوق الحمامة، وهو كتاب في الحب.

رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا في ذلك إجماع يمكن تيقنه أبداً، والناس على الخلاف حتى يوقن الإجماع لا على الإجماع حتى يوقن الخلاف.

قال الله عز وجل : ﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك لذلك خلقهم﴾ [سورة هود : ١١٨].

ونحن على يقين من أمر الله تعالى بالقود من الاعتداء، وعلى ظن وشك من إجماع الصحابة هاهنا.

هذا على مسامحة المخالف في ذلك، ولا يحل ترك اليقين من النص لظن أنه ^(١) كاذب.

قال الله عز وجل : ﴿إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ [سورة النجم : ٢٨].

وحق لو كنا على شك من الإجماع لكان ^(٢) بلا شك متبع اليقين ومادل الحس على مالا نوقنه من الإجماع أعذر وأصح طريقاً وأسلم عند الله تعالى من الجسر على مالا علم له به من دعوى الإجماع في موافقة الكذب على جميع الأمة.

فكيف ونحن والله الحمد على يقين ثابت وفلج صحيح من أنه لا إجماع هاهنا، لأن الإجماع أمر من قبل الله تعالى حق وحجة لله عز وجل باللغة ووحى منه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والوحي ذكره، والذكر محفوظ، ومن الباطل المتيقن أنه يخفى الإجماع الذي هو حجة الله تعالى حتى لا يوقن، فلا تقوم حجة الله تعالى حينئذ.

(١) في الأصل (لعل كاذب)، وفي الهامش : لظن. ولست أدري أهى بدل من (لعله) أم مقرونة بما بعدها.

(٢) كان : أي الحال أو الأمر.

فصح يقيناً أنه لو كان هاهنا إجماع لكان مشهوراً متيقناً كتيقنا هاهنا إجماع الصحابة وأهل الإسلام على أن الظهر على المقيم أربع، والعصر كذلك، والعتمة كذلك أربع أربع، والصبح ركعتان، والمغرب ثلاث، ورمضان الذي هو بين شعبان وشوال، وأن الحج إلى مكة إلى الكعبة وعرفة، وسائر ماتيقنا الإجماع عليه، فثبت بذلك حجة الله عز وجل على عباده وبالله تعالى التوفيق^(١).

التعليق على النص

- ١ — هذا النص مما لم يرد في تنمة أبي رافع.
- ٢ — مذهب أبي محمد في إلغاء ميزة البصر في المقاصة هو المتفق مع عموم الآية الكريمة ﴿وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ﴾ [سورة المائدة : ٤٥]. ولكن ذلك ليس مقتضى المماثلة في المقاصة، لأن عين البصير غير عين الأعمى. وهذه المسألة من مسائل المذهب الظاهري معضلة تحتاج إلى تحقيق.
- ٣ — مذهب ابن حزم في الإجماع مضطرب جداً، فتارة يعتبره اتفاق الصحابة اتباعاً لداوود بن علي، وتارة يعتبره ما يجب أن يكون عليه الاتفاق وليس هو الاتفاق. وذلك هو النص الشرعي إما لارتفاع الاحتمال المعتبر في دلالة، وإما لارتفاع الاحتمال المعتبر في ثبوته كالتواتر ونقل الكافة. وكذلك الحكم الشرعي الذي من لم يوافقه لم يكن مسلماً. وأبو محمد هاهنا ناقض أصله إذ قال : (والناس على الخلاف حتى يوقن الإجماع) فقد اعتبر الإجماع هنا بمعنى الاتفاق. أما تفسير الإجماع بمعنى ما يجب أن يكون عليه الاتفاق — كما هو

(١) تنمة المحلى ورقة ٦١.

مذهب أبي محمد — فالأصل أن المسلمين على الإجماع حتى يوجد
العدر الذي حصل به الخلاف.
وإذا أردنا الناس عموماً — مسلمهم وكافرهم — فالأصل كما قال أبو
محمد: الناس على الخلاف.. إلخ.
٤ — ما ذكره أبو محمد من إجماع الصحابة وأهل الإسلام على أن الظهر على
المقيم أربع.. إلخ: ليس هو نقلاً للاتفاق، وإنما هو نتيجة لشرط
الإسلام، أي ما يجب أن يكون عليه الاتفاق.

* * *

٢٥٦ — قال أبو محمد :

ولقد كان يلزم الحنيفيين والمالكيين والشافعيين المتبعين لخلاف الصحاب
إذا وافق تقليدهم: أن يلتزموا هاهنا حكم سعيد بن العاصي، لأن سعيداً لم
يحكم بهذا إلا بالكوفة، إذ وليها لعثمان بن عفان رضي الله عنه بحضرة جملة
من الصحابة، ولا يحفظ له خلاف من أحد منهم، وسعيد له صحبة، لأن
أباه قتل يوم بدر كافراً، وأسلم يوم فتح مكة، ولقي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجالسه وأكرمه وكساه.
والرواية كوفية.

ويكون حكم بذلك بالمدينة أيام وليها لمعاوية بحضرة الصحابة هنالك.
وفي أيام معاوية مات سعيد.

ولكن هذا مما تناقضوا فيه، والقوم كما ترون لا يتبعون أحداً، ولا يطردون
قولاً ولا يبطلون بأن يبطلوا ما حققوا نصراً لهوهم في اتباع من قلدوه دينهم،
ونعوذ بالله من الحمية المردية (١) .

(١) تنمة المحلى ورقه ٤٢ — ٤٣.

التعليق على النص

١ - مر في أحد أسفار هذا الكتاب مذهب أبي محمد في قضيه إلزام المجتهد على أصل مذهبه.

٢ - رأيي على وجه العموم أن المجتهد لا يلزمه ماورد على أصل مذهبه حتى نعلم أنه لم يثبت لديه مايعارضه ويترجح عليه في أصل مذهبه أيضاً.

٣ - الأخذ بقول الصاحب إذا لم يعرف له مخالف مما اضطرب فيه رأي أبي محمد. ورأيي أنه حجة إذا تيقن أو ترجح أن قول الصحابي عن توقيف.

وهو حجة قاطع بالتوقيف إذا عدم نقل عن مخالف، وترجح علم عدد من الصحابة به.

أما ما لم يعلم فيه مخالف من الصحابة ولا يعلم فيهم قائل به فليس شيئاً فلا يبنى عليه.

وحجية قول الصاحب لا يعرف له مخالف ليس ذلك لأنه من صور الإجماع بمعنى الاتفاق، وإنما ذلك لغلبة الظن بأنه عن توقيف.

٤ - في هذا النص أنموذج لتشنيع أبي محمد.

٥ - استعمل أبو محمد كلمة (الحنيفين) كثيراً في كتبه مما يبعد دعوى التصحيف أو التحريف.

والقاعدة أن يقول (الحنفيون) بدون ياء بعد النون.

ومن العسير تخطئة هذا الإمام الفحل.

والمخرج من أحد احتمالين :

فإما أن يكون عند أبي محمد سماع لم يبلغني عن استعمال العرب لحنيفي كما سمع سليمي وعميري.

وإما أن يكون أراد التفريق بين النسبة إلى أبي القبيلة وصاحب المذهب كما روعي ذلك في سليمي وعميري (١).

* * *

٢٥٧ — قال أبو محمد :

وكثيراً ما أسمعهم يقولون : إن قول مالك وسط من الطرفين!!.

هذا كلام فاسد وما جاء قط نص ولا إجماع بأن نتوسط ما بين الأقوال، وإنما قال تعالى: ﴿وإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول﴾ وما أمر الله تعالى بأن نتوسط الأقوال وأي توسط في قوله في توريث المطلقة المبتوتة في المرض؟.

وإنما قلد في ذلك أقل ممن خالف هاهنا من الصحابة، ولحق بأبعد أطراف الأقوال.

وغير هذا كثير جداً، وما يقع له التوسط من طرفي الأقوال إلا في النادرة كما يقع لغيره وربما أقل وبالله تعالى التوفيق (٢).

التعليق على النص

١ — قال أبو عبد الرحمن : الوسطية في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ودينها ظاهرة مشهودة، وقد استقرأ منها شيئاً كثيراً شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (الجواب الصحيح).

(١) انظر شرح الاسترأبادي للشافية ٢/٢٨.

(٢) تنمة المحلى لابن خليل ج ١ ورقة ١٥.

وكذلك سيد قطب عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ [سورة البقرة: ١٤٣].

* قال أبو عبد الرحمن : وإذ هذا هو الشأن فتحري الوسطية من أقوال مجتهدي المسلمين المتورعين تحر لمراد الله.

ولكن هذا التحري لا يعاب به المجتهد إذا حصل له اليقين أو الرجحان من اجتهاده.

وإنما يأنس لهذا التحري إذا تكافأت عنده الاحتمالات، وليس هذا التحري تقليداً لأهل الوسط، وإنما رجح نظره بنظرهم لأجل الملحظ الذي ذكرته آنفاً.

٢ — قال أبو عبد الرحمن : وهذا نص ضمن جملة نصوص أوردها ابن خليل في تتمته وهي غير موجودة في تنمة أبي رافع المطبوعة بآخر المحلى.

* * *

٢٥٨ — قال أبو محمد رحمه الله تعالى :

يكفي من عظيم خلافهم للإجماع أنه لا يختلف أحد ممن له أقل علم بالأخبار من مسلم وكافر أنه لم يكن قط في عصر الصحابة واحد فما فوقه يأتي إلى قول صاحب أكبر منه فيأخذه كما هو ويترك قول غيره فلا يلتفت إليه.

ثم لا يختلف اثنان في أنه لم يكن قط في عصر التابعين واحد فما فوقه عمد إلى أقوال تابع أكبر منه أو صاحب فأخذها كما هي ودان الله^(١) تعالى بها وترك قول من سواه.

(١) في الأصل : الله.

ثم لا يختلف اثنان في أنه لم يكن قط في عصر تابعي التابعين واحد فما فوقه عمداً إلى أقوال تابع أو صاحب فأخذها كما هي وضارب دونها كل ماسواها.

هذا إجماع من جميع الصحابة كلهم وجميع التابعين أولهم عن آخرهم وجميع تابعي التابعين لاخلاف فيه عن أحد منهم، فهذا هو الإجماع التام المقطوع به المتيقن من جميع الأعصار الثلاثة المحمودة.

وهم يعرفون هذا ويقررون به ولا يقدرّون على إنكاره.

ثم خالف جميع متأخريهم هذا الإجماع وحرفوه وابتدعوا ضلالة لم يسبقهم إليها أحد قبلهم فصاروا فرقتين:

إحداهما : قلدت أبا حنيفة بلا طلب دليل ولا تكلف به.

والأخرى : جعلت شغلها في دينها البحث عما ينصرون به أقوال أبي حنيفة على تضادها واختلافها.

وأن له قولتين : إحداهما تحرم، والأخرى تحلل ما حرم في الأخرى، فينصرونها جميعاً مجاهرة لله تعالى بهذا الباطل بكل خبر مكذوب يدرون أنه غير صحيح، وبكل قياس فاسد، وتعليل بارد لم يعرفه قط صاحب ولا تابع.

وقيهم طائفة لا تدري الخروج عن أبي حنيفة وأبي يوسف وعمر بن الحسن والحسن بن زياد وزفر.

وكل هذا بدعة هتكوا بها إجماع أهل الإسلام قاطبة ثم تلاهم المالكيون والشافعيون، فهذا خلاف الإجماع حقاً، لأكاذيبهم المفضوحة، ودعائهم المفتراة في دعواهم الإجماع حيث لا إجماع إلى خلافهم الإجماع حقاً [و] كذبهم على جميع الصحابة رضي الله عنهم وعلى جميع أهل الإسلام أولهم

عن آخرهم، فأخذوا طرفي جبل الضلالة وانتظموا التلبيس معاً ونعوذ بالله من الضلالة والهلاك^(١).

التعليق على النص

١ — هذا النوع من الإجماع سماه أبو محمد إجماعاً تاماً، ووصفه في موضع آخر بالإجماع اللازم^(٢).

وهذا الإجماع يسميه المعاصرون السيرة العملية.

٢ — مستند تسمية هذه المعرفة إجماعاً أمران :

أولهما : وجود المقتضى، وهو معرفة حال كل من شهر بالعلم قبل عصور التقليد بأنه لم يأت لإمام بعينه.

وثانيهما : تخلف المانع — وهو مانع محصور قابل للعلم به —، إذ لم ينقل التقليد قبل التمهيد لأبي حنيفة وبقية الأئمة رحمة الله عليهم.

وقد قلت في أكثر من مناسبة بأن الإجماع بمعنى نقل الاتفاق متعذر، ولا يصح منه سوى معنيين تفقرهما أبو محمد في كتبه:

أولهما : ارتفاع الاحتمال المعتبر المعارض للاتفاق المقطوع به المنقول أغلبه.

وذلك كما مر في الصورة الآنفة الذكر.

وثانيهما : ما يجب أن يكون عليه الاتفاق، وهو ما يجب التصديق به كخبر التواتر وما كان شرطاً لصحة الإسلام وما كان معروفاً بضرورات العقل والحس.

(١) الإعراب ٢ ورقة ١٥١/ب.

(٢) انظر مراتب الإجماع ص ٨٠.

٣ — ما ذكره أبو محمد عن مقلدي أبي حنيفة ظاهرة في جميع المذاهب الأخرى بما فيها مذهب الظاهرية، وليس في ذلك أدنى تحامل.

فصدر من العلماء وافقوا إمامهم في الأصول والقواعد وخالفوه في بعض المسائل الفرعية وهم من يسمون مجتهدى المذهب.

وهم صنفان : فمنهم من أخذ قواعد وأصول إمامه نظراً واستدلالاً، ومنهم من وافقها تقليداً وتنشئة متوقفاً أنها الأصح.

وآخرون لاسيما المتأخرون قلدوا إمامهم أمر دينهم في الأصول والفروع، ووظفوا عبقريتهم ومعارفهم للتخريج على مراد إمامهم والتوفيق بين أقواله المتعارضة.

وهؤلاء هم الذين ندد بهم أبو محمد.

* * *

٢٥٩ — قال أبو محمد :

وحمل الكلام على ظاهره الذي وضع له في اللغة فرض لا يجوز تعديه إلا بنص أو إجماع، لأن من فعل ذلك فقد أفسد الحقائق كلها والشرائع كلها والمعقول كله.

فإن قالوا إن حل الكلام على المعهود أولى من حمله على غير المعهود : قيل لهم: الأولى في ذلك حل الأمور على معهودها في اللغة، ما لم يمنع من ذلك نص أو إجماع أو ضرورة.

ولم يأت نص ولا إجماع ولا ضرورة تمنع مما ذكرنا في معنى النظر، فقد وافقنا المعتزلة على أنه لا عالم عندنا إلا بضمير ولا فعال إلا بمعاناة، ولا رحيم إلا برقة.

ثم أجمعوا معنا على أن الله تعالى عالم بكل ما يكون بلا ضمير، وأنه عز وجل فعال بلا معاناة، ورحيم بلا رقة.

فأي فرق بين تجويزهم مذكرونا وبين عدم تجويزهم رؤية ونظراً بقوة غير القوة المعهودة لولا الخذلان ومخالفة القرآن والسنة نعود بالله من ذلك؟! .
وقد قال بعض المعتزلة أخبرونا إذا رؤي الباري تعالى أكله يرى أم بعضه؟.

* قال أبو محمد : وهذا سؤال تعلموه من الملحدين إذ يسألونا نحن والمعتزلة فقالوا: إذا علمتم الله تعالى أكله تعلمونه أم بعضه؟.

* قال أبو محمد : هذا سؤال فاسد مغالط به، لأنهم أثبتوا كلاً وبعضاً حيث لا كل ولا بعض، والبعض والكل لا يقعان إلا في ذي نهاية، والباري تعالى خالق النهاية والمتناهي فهو تعالى لا متناه ولا نهاية فلا كل له ولا بعض.

* قال أبو محمد : الآية المذكورة والأحاديث الصحاح المأثورة في رؤية الله تعالى يوم القيامة موجبة للقبول، لتظاهرها وتباعدها عن الناقلين لها.

ورؤية الله عز وجل يوم القيامة كرامة للمؤمنين لا حرمان ذلك الله من فضله، ومحال أن تكون هذه الرؤية رؤية القلب لأن العارفين به تعالى يرونه في الدنيا بقلوبهم، وكذلك الكفار في الآخرة بلا شك.

فإن قال قائل إنما أخبر الله تعالى بالرؤية عن الوجه : قيل له وبالله تعالى التوفيق : معروف في اللغة التي خطبنا بها أن تنسب الرؤية إلى الوجه والمراد به العين. قال بعض الأعراب :

أنافس من ناجاك مقدار لفظة وتعتاد نفسي إن نأت عنك عنها

وإن وجوها يصطحب بنظرة إليك لمحسود عليك عيونها^(١)

التعليق على النص

١ - دعوى أبي محمد في الحمل على الظاهر هو مذهبي الذي أخذت به عن نظر واستدلال، ولم أجد في عقلي ووسائل معرفتي احتمالاً معتبراً يقتضي مني وقفة تأمل لمحاسبة يقيني.

وكذلك تعيين المعهود من الظاهر أمر لم يحذقه أبو محمد، ولهذا أخطأ في قضية : إذن البكر صماتها، وقضية التأفيف.

ذلك أنه قال : «الأولى في ذلك حل الأمور على معهودها في اللغة ما لم يمنع من ذلك نص أو إجماع أو ضرورة».

* قال أبو عبد الرحمن : هذه قاعدة خرقاء، والصواب - وهو استدراك على جميع أهل الظاهر وغيرهم - :

أن الأولى الحمل على معهود المتكلم، لأن المبتغى مراده، ومعهود الشرع مرتبة أولويته على هذا النحو :

أ - معهود الشرع ذاته، أي اصطلاحه الخاص، أو ما عرف أنه مقصوده من سياقه في مواضع مختلفة.

وخير من انتفع بهذا الأصل من أهل القبلة شيخ الإسلام ابن تيمية، فإنه - على سبيل المثال - لما رأى اختلاف العلماء في معنى الإيمان جنح إلى الاستنباط من عموم النصوص الشرعية ليصل إلى المعهود الشرعي، وقال بهذا الصدد :

(١) الفصل ٩/٣ - ١٠.

ونحن نذكر ما يستفاد من كلام النبي صلى الله عليه وسلم مع ما يستفاد من كلام الله تعالى فيصل المؤمن إلى ذلك من نفس كلام الله ورسوله، فإن هذا هو المقصود، فلا نذكر اختلاف الناس ابتداء^(١).

وهذا المعهود الشرعي ليس هو مدلول نص شرعي، بل هو معهود نصوص شرعية.

وبيان ذلك أن أي كلام في الوجود يدل من عدة أنحاء :

- أولها : دلالة المفردة كدلالة كلمة (عين) على عدد من المعاني.
 - وثانيها : دلالة الصيغة كدلالة وزن (فعل) على المبالغة، و (فاعل) على التتابع.
 - وثالثها : دلالة الرابطة والعلاقة كدلالة باء الجر على الإلصاق والسببية.
 - ورابعها : دلالة سياق النص الواحد، وذلك بحكم قانون النحو والبلاغة وشواهد القرائن.
 - وهذا السياق يخص المدلول اللغوي للمفردة والصيغة والرابطة.
 - وخامسها : دلالات السياقات لعدة نصوص.
- فيإذا اتحدت هذه الدلالات على مفهوم واحد كان ذلك المفهوم معهوداً للمتكلم بمجموع تلك النصوص.
- وإن لم تتحد على مفهوم واحد ضبطت كل حالة بخصائصها وهذا هو المنهج في النصوص الشرعية التي تتوهم بعض الأفهام أنها متعارضة كإثبات مشيئة العبد ونفيها، وكالإخبار بأن الكفار يوم القيامة لا يتكلمون، والإخبار بأنهم يتلاومون ويتلاعنون^(٢).

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام (كتاب الإيمان الكيين) ٦/٧.

(٢) انظر التحقيق الممتع حول هذا في رد ابن حزم على ابن النفريلة (إسماعيل اليهودي).

ومن المعهود الشرعي الاصطلاح الشرعي على معنى خاص
كالاصطلاح بالصلاة على هيئة مخصوصة.

ب — معهود العرف العام للمخاطبين، لأننا إذا لم نجد عرفاً خاصاً
للمتكلم رجعنا إلى عرف المخاطب.

وهذا العرف العام هو المجاز الغالب الاستعمال كغلبة استعمال (أف)
على أقل الإيذاء، وكغلبة نيابة صمات الفكر عن نطقها^(١).

ج — معهود الحقيقة اللغوية إذا لم يوجد اصطلاح للمتكلم خاص،
ولا عرف للمخاطب غالب الاستعمال، لأن الأصل الحمل على حقيقة لغة
العرب، ومنزل الشرع ومبلغه متكلمان بلغة العرب.

د — معهود المجاز العربي غير غالب الاستعمال بشرط أن لا يوجد معهود
شرعي، ولا مجاز غالب الاستعمال، وبشرط أن يقوم برهان على أن الحقيقة
اللغوية غير مرادة، وبشرط أن يكون ذلك المجاز صحيحاً في لغة العرب.

ثم إن قام برهان يعين ذلك المجاز دون غيره فهو قطعي أوراجح فإن لم
يقم برهان يعينه فهو مراد للشرع محتمل.

إلا أن الحق لا يعدو المجازات المحتملة المتكافئة.

٢ — مذهب أبي محمد في إلزام المعتزلة حول العلم والفعل والرحمة
مذهب متخاذل جداً يصغر عن مستوى تفكير ابن حزم، لأنه قال:

(١) أنكر شيخ الإسلام ابن تيمية المجاز في لغة العرب بكتابه الإيمان، وتابعه تلميذه ابن قيم
الجوزية في الصواعق المرسلة، وتابعها شيخنا محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله جميعاً.
وإنكارهم المجاز مكابرة، ومعارضة لأهل الاختصاص، ومدافعة لوقائع اللغة، وأرجو أن أعان
على تأليف شاف بهذا الصدد مع أنني جلوت القاعدة في كتابي (اللغة العربية بين
القاعدة والمثال).

(لا عالم عندنا إلا بضمير، ولا فعال إلا بمعاناة ولا.. إلخ).

قال أبو عبد الرحمن : هاهنا وهلتان :

أولاهما : أن ما ذكره أبو محمد ليس هو المعهود اللغوي لمعنى عالم وفعال ورحيم.
وإنما هو معهودنا الحسي لمن رأيناه يسمى عالماً وفعالاً ورحيماً.
فلا بد من دقة الانتباه بمقتضى دقة الفروق.

وثانيهما : أن هذا المعهود الحسي لا اللغوي إنما هو بالنسبة لمن عرفنا
كيفية.
والله جل جلاله لا تدركه حواسنا، فكان على أبي محمد أن
يثبت الصفة الوجودية التي أثبتها الشرع وهي العلم والفعل
والرحمة، ويكف عن الكيفيات إيجاباً وسلباً، وهي الضمير
والمعاناة والرقعة.
بل ينفي من الكيفيات مانفاه الشرع.

٣ — رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة مما لا خلاف فيه بين أهل السنة
والجماعة كما قرر ذلك أبو محمد على ضوء ما تواترت به النصوص.
أما كون هذه الرؤية بحاسة بصر أقوى من حواسنا في الدنيا فنقف.
فإن صح بذلك خبر شرعي قلنا به، وإن لم يصح خبر فليس لنا أن
نتزيد.

٤ — لا يعجبني كلام أبي محمد عن كل وبعض فيما يتعلق بربنا جل
جلاله.

بل الصواب عندي أن نثبت الرؤية لأن الشرع أثبتّها، وننفي الإدراك
والإحاطة لأن الشرع نفاهما.

٥ - اعتبرت هذا النص من نوادر أبي محمد لأنه تأصيل لمذهبه في الأخذ بالظاهر، وقد بينت في كتابي (ابن حزم خلال ألف عام) أن ابن حزم شغل عن ترسية الظاهر تقريراً وتصوراً بردوده، فتجميع تأصيلاته المتفرقة لجميع للنوادر.

* * *

٢٦٠ - قال أبو محمد :

وأما قولهم إنه ليس الله تعالى إلا كلام واحد فخلاف مجرد الله تعالى ولجميع أهل الإسلام، لأن الله عز وجل يقول: ﴿لو كان البحر مدداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً﴾ [سورة الكهف: ١٠٩].

وقال تعالى : ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفذت كلمات الله﴾ [سورة لقمان: ٢٧].

* قال أبو محمد : ولا ضلال أضل ولا حياء أعدم، ولا مجاهرة أطم، ولا تكذيب لله تعالى أعظم ممن سمع هذا الكلام الذي لا يشك مسلم أنه خبر الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بأن الله تعالى كلمات لا تنفذ.

ثم يقول هو من رأيه الخسيس إنه ليس الله تعالى إلا كلاماً واحداً!!.

فإن ادعوا بأنهم فروا بأن يكثروا مع الله تعالى أكذبهم قولهم إن هاهنا خمسة عشر شيئاً كلها متغايرة، وكلها غير الله تعالى وخلاف الله، وكلها لم تزل مع الله تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً^(١).

(١) الفصل ١٢/٣ - ١٣.

التعليق على النص

إثبات أبي محمد لكلام الله هو مقتضى الخبر الشرعي، وإلزامه لخصومه إلزام جيد.

أما آخر كلامه فهو حنين إلى مذهبه الخاطيء في جعله أسماء الله وصفاته ألفاظاً مترادفة، وهذا منتهى التعطيل، وقد هدم شيخ الإسلام ابن تيمية هذا المذهب بتقريرات نفيسة وبراهين جبارة.

وسيكون لي مع عقيدة أبي محمد إن شاء الله جولة وجولة، وإنما أثبت هذا النص في النواذر لأنه أنموذج لتشنيعه واتهامه خصه بسوء النية.

٢٦١ - قال أبو محمد :

فإذا كانت الاستطاعة في اللغة التي بها نتكلم نحن وهم إنما هي صفة في المستطيع: فبالضرورة نعلم أن الصفة غير الموصوف، لأن الصفات تتعاقب عليه، فتمضي صفة وتأتي أخرى، فلو كانت الصفة هي الموصوف لكان الماضي من الصفات هو الموصوف الباقي ولا سبيل إلى غير هذا ألبتة.

فإذ لاشك في أن الماضي هو غير الباقي : فالصفات هي غير الموصوف بها، وماعدا هذا عين المحال والتخليط.

فإن قالوا : إن الاستطاعة ليست مصدر استطاع ولا صفة المستطيع كإبروا وأتوا بلغة جديدة غير التي بها نزل القرآن والتي هي لفظة الاستطاعة التي فيها منازعة إنما هي كلمة من تلك اللغة.

ومن أحوال شيئاً من الألفاظ اللغوية عن موضوعها في اللغة بغير نص

محتمل لها ولا إجماع من الشريعة، فقد فارق حكم أهل العقول والحياء وصار في نصاب من لا يتكلم معه.

ولا يعجز أحد أن يقول إن الصلاة ليست ماتعون بها وإنما هي أمر كذا وكذا والماء هو الخمر وفي هذا بطلان الحقائق كلها^(١).

التعليق على النص

هذا النص أنموذج لتمسك أبي محمد بلغة العرب التي هي مبنى الأخذ بالظاهر.

وسياتي إن شاء الله عدة نصوص في هذا الغرض ننظم بها مذهبه الأصولي.

* * *

٢٦٢ — قال أبو محمد :

ثم نظرنا في قول أبي حنيفة وأصحابه فوجدناه في غاية الفساد لأنه فرق في الصغير يغصب بين أن يموت حتف أنفه أو بجمي أو فجأة فلا يضمن غاصبه شيئاً، وبين أن يموت بصاعقة تحرقه أو حية تنهشه فيضمن ديته، وهذا عجب لانظير له، وهذا قول لا يعضده قرآن ولا سنة صحيحة ولا سقيمة ولا إجماع، ولا قول صاحب ولا قياس ولا رأي سديد ولا معقول، ولا احتياط، وما نعلم أحداً قال هذا القول قبله، وهذا مما انفرد به، فسقط هذا القول بلامرية.

ثم نظرنا في قول مالك فوجدناه أيضاً خطأ، لأنه فرق بين استعانة الصغير والعبء في الأمر ذي البال فيضمن، ومن استعانها في الأمر غير ذي البال فلا يضمن.

(١) الفصل ٣٩/٣ — ٤٠.

وهذا أيضاً تقسيم لا يؤيده قرآن ولا سنة صحيحة ولا سقيمة ولا إجماع ولا قول صاحب ولا قياس ولا رأي سديد ولا معقول.

ولا يخلو مستعين الصغير من أن يكون متعدياً بذلك أولاً يكون متعدياً، فإن كان متعدياً فحكم العدوان في القليل والكثير سواء، وإن كان ليس متعدياً فالقليل والكثير مما ليس عدواناً سواء، وكذلك إيجاب الدية على من باع حراً فلم يوجد الحر، فهذا لا وجه له لأنه لم يقتله^(١).

التعليق على النص

١ — أسلف أبو محمد المذهب الذي نقله عن أبي حنيفة وهو :
أن من غصب صبيّاً حرّاً فأتى عنده بجمي أو فجاءة فلا شيء عليه.
فإن أصابته صاعقة أو نهشته حية فديته على عاقلة الغاصب^(٢).
قال أبو عبد الرحمن : الحالتان اللتان فرق بينهما أبو حنيفة كلاهما قضاء الله وقدره، فلا نعلم بينهما فرقاً ولو من باب الثقافة الدنيوية.

٢ — هذا النص أنموذج من تشنيع ابن حزم على خصومة وقطع الحجة دونهم.

إلا أن الدكتور عمر فروخ وقف عند مثل هذا النص وقفة عجيبة جداً، فقال :
قال ابن حزم (المحلى ١ : ١٠٥، أسفل الصفحة) :

وفرق بعضهم بين دم ماله نفس سائلة ودم ماله نفس سائلة.
وهذا خطأ لأنه قول لم يأت به قرآن ولا سنة ولا إجماع ولا قول صاحب ولا قياس. أهـ).

(١) المحلى ١١/١٦.

(٢) المحلى ١١/١٥.

إن القارىء من غير ذوي الاختصاص يظن هنا أن كلمة (قياس) معطوفة على ما قبلها، ثم يظن ذلك القارىء العادي أنه لوجاء قياس عن أحد في أمر من الأمور أو لو أمكن القياس في ذلك: لجاز ذلك الأمر، مع أن الذي قصده ابن حزم ما يلي :

(... وهذا خطأ لأنه قول لم يأت به قرآن (لم يرد في القرآن) ولا سنة ولا إجماع ولا قول صاحب (من أصحاب رسول الله). ولا قياس (ألبتة، لأن القياس عندنا غير مقبول). نحن نعرف ذلك من كتب ابن حزم نفسه^(١) . ١ هـ.

* قال أبو عبد الرحمن : فقد جعل الدكتور فروخ كلمة (ولا قياس) كلمة مستأنفة لا معطوفة.
وعلى هذا فليجعل فروخ كلمة : (ولا قياس) في النص الذي أوردته وما بعدها كلاماً مستأنفاً.
وحينئذ يكون المعنى : لا قياس ألبتة، ولا رأي سديد ألبتة، لأن الرأي السديد عندنا غير مقبول!!.

* قال أبو عبد الرحمن : الصواب : أن الواو للعطف لا للاستئناف في مثل هذه الجمل.

وهذا التشنيع من أساليب التنزل في الاستدلال على مذاهب المخالفين.
والمعنى : لا يخلو مستدل من نص صحيح.. إلخ، أو رأي سديد.. إلخ، أو نص ضعيف.. إلخ.. أو رأي فاسد.. إلخ.
إلا أن المردود عليه لا يتصور له حجة مطلقاً ولو بنص ضعيف أو رأي فاسد.

* * *

(١) ابن حزم الكبير ص ١٠ - ١١.

٢٦٣ — قال أبو محمد :

واعلم أن المساعدة في طلب الحقائق لا تجوز ألبة، وإنما هو حق أو باطل.

لا يجوز أن يكون الشيء حقاً باطلاً، ولا باطلاً حقاً، ولا لا باطلاً لا حقاً.

فإذا بطل هذان القسمان ببديهة العقل ضرورة ثبت القسم الثالث إذ لم يبق قسم سواه وهو إما حق وإما باطل.

ولذلك قال لنا الأول الواحد عز وجل في عهده إلينا : ﴿فإذا بعد الحق إلا الضلال﴾ [سورة يونس: ١٠].

ولعل جاهلاً يعترض علينا هاهنا في شيئين، فيقول :

أنتم تقولون بإباحة أشياء كالغناء وغير ذلك فحق هي أم باطل؟.

فالجواب وبالله تعالى التوفيق :

أن كل ما أبجناه إذا فعله الفاعل ترويحاً لنفسه وعوناً على الصحة والنشاط ليقوى على إنفاذ أوامر خالقه عز وجل فهذا كله حق، وإذا فعله عبثاً وأشراً فكل ذلك ضلال.

إلا أن من الضلال ما هو لغو غير معدود علينا رفقاً بنا، ومنه ما هو معدود علينا عدلاً فينا.

وقد قال لنا الخيرة المرسل من قبل الواحد الأول صلى الله عليه وسلم: إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

والشيء الثاني أن يقول الناقد : قلتم : لاشيء إلا حق أو باطل،

فالحق برهاني: إما أول وإما منتج عن أول، وإما بقرب، وإما ببعد، وماعدا هذين الطريقين فباطل.

وأنتم تحكمون بخبر الواحد في الأحكام وبشهادة الشاهدين، وتقرون أن حكمكم ذلك لعله باطل.

فالجواب وبالله تعالى التوفيق : أن الحكم بخبر الواحد في الأحكام وبشهادة الشاهدين حق برهاني ضروري نقطع على غيبه، وأما الجزئيات من ذلك يعني من الشهادة فلا ندري أموافقة هي التي تيقنا أنه حق أو لا.

وهذا من تقصيرنا عن علم الغيب إلا أننا محققون بلا شك كل قضية منها فإما حق وإما باطل في ذاتها لا بد من ذلك، ولم ندع علم كل حق وعلم كل باطل، بل كثير من الأمور يخفى علينا الحكم فيها وهي في ذاتها إما حق وإما باطل.

ومن بديع ماغلط فيه إخواننا الموافقون لنا في النحلة^(١) والملة المخالفون لنا في الفتيا^(٢) : أن حكيم وردا في الشعير والتمر فنقلوا أحدهما إلى الزيتون والتين ومنعوا من نقل الآخر إلى الزيتون والتين!.

وهو أن التحريم جاء في الشعير بالشعير والتمر بالتمر في البيع إلا مثلاً بمثل كيلاً بكيلاً يداً بيد، وأمرنا بإخراج الشعير أو التمر في زكاة الفطر، فقالوا قول من تحكم: أما التحريم في البيع إلا مثلاً بمثل ويداً بيد: فنقول إلى الزيتون والتين.

أما الإعطاء في الزكاة فغير منقول إلى الزيتون والتين.

ولهم من مثل هذا وأشنع آلاف مما نبينه في كتبنا في أحكام الديانة إن شاء الله.

(١) في المطبوع : الخلة.

(٢) في المطبوع : الفتى.

والتحكم باللسان لا يعجز عنه من رضيه لنفسه، والباطل كثير.
وأما الذي نحمد الواهب المنعم عز وجل عليه أهله : فالحق.
والذي يجب أن يفرح له الحاصل عليه : فما أوجبه البرهان.
واعلم أنه لا فرق فيما تصح به الأحكام الشرعية وبين ما تصح به
القضايا الطبيعية في مراتب البرهان الذي قدمنا.
بل الخطأ في الشرائع أضر وأشد فساداً في الدنيا، وأردأ عاقبة في
الأخرى، وأحق بالنظر فيه والاحتياط بتصحيحه، وأولى بترك المسامحة،
وأحظى بتحري الصواب، وأن لا يقدم فيها إلا على ما أوجبه مقدمات
موجودة عن مثلها إلى أن تبلغ أوائل العقل والحس وبالله تعالى التوفيق، وله
الحمد ومنه الاستزادة من جميل مواهبه.
والخطأ في ذلك يشمل الباطل، وتنفرد هذه الجملة بالنكال في الدار
الآخرة لمن عاند وترك البحث وهو قادر عليه^(١).

التعليق على النص

* مذكروه أبو محمد من انحصار الأشياء في حق أو باطل صحيح
بالنسبة لذات الأشياء.

أما طالب الحقيقة فلا يملك ولا يستطيع القطع على الحق أو الباطل،
ولكنه يتيقن شيئاً، ويطرح عنده شيء، وتتساوى عنده الاحتمالات
فيتوقف.

* لا يجوز المسامحة في طلب الحقائق حتى لا يسهل اعتقاد الباطل.

(١) التقريب ص ١٧١ - ١٧٣.

ومقابل هذا لايجوز حصر القضية في حق أو باطل وهو لايمكك اليقين أو الرجحان.

* حصر أبو محمد القسمة في التالى :

أ — حق أو باطل.

ب — حق باطل، أو باطل حق.

ج — لا باطل ولا حق.

فإذا بطل القسمان الأخيران فقد صح الأول إلا أن تقسيم أبا محمد — قبل هذا التقسيم المرقم — أحدث لبساً.

والأصح في جهة القسمة أن يقولوا :

أ — إما حق.

ب — وإما باطل.

ج — وإما حق وباطل معاً في آن واحد ومكان واحد.

د — وإما لاحق ولا باطل في آن واحد ومكان واحد.

ولا احتمال غير ذلك، والقسمان الأخيران مستحيل تصورهما فلم يبق إلا الأولان وهما الصحيحان.

* لا يخل بأحكام هذه القسمة كون الشيء حقاً من وجه باطلاً من وجه لارتفاع الثالث المرفوع المحذور في القسمين الآخرين.

الاستشكال الثاني الذي عاجله أبو محمد عن خبر الواحد قدم فيه جواباً صحيحاً مليحاً.

والأصح عندي ما أسلفته من الثنائية بين الحق وجوداً وذاتاً وبين الحق اعتباراً واعتقاداً.

فيكون الحق في الاعتبار يقينياً أو راجحاً أو احتمالياً.
ويكون في الوجود قطعياً في نفيه أو إثباته.

* مذكره أبو محمد من الشعر والتمر أنموذج للمسامحة في طلب الحقائق — حسب اعتقاد أبي محمد — لأنه تحكم في التفريق بين أمرين حكمهما واحد.

قال أبو عبد الرحمن : وعندي أن دعوى التحكم مرفوضة، لأن من مذهب هؤلاء إجراء علل القياس — بالنسبة لإجراء الربا في الزيتون والتين — ولم يجدوا ما يقتضي القياس في زكاة الفطر أو وجدوا ما يمنع منه. وإنما حقيقة التحكم في إجراء الحكم ورده بدون برهان يعتقده المستدل.

وإنما على أبي محمد أن يعارض استدلالهم، ولا يصفهم بالتحكم إلا في حالة يصححون فيها استدلاله ثم يجرونه تارة ويردونه تارة دون برهان.

* تسوية أبي محمد بين الأحكام الشرعية والأحكام الطبيعية في مراتب البرهان غفلة شنيعة، لأن أحكام الطبيعة يمكن أن ترد إلى اختبار الحس والتجربة، وليس كذلك أحكام الشريعة.

وذلك من ناحية الواقع لا الاعتبار، فخير الواحد الصحيح نستيقنه اعتباراً بالضرورات العقلية والحسية المماثلة دون أن نستطيع رد واقعه إلى التجربة.

أما أمور الطبيعة فتردها إلى تجربتك الحسية إذا شككت في صحة واقعها.

أما كون الخطأ في الشرائع أضر فتلك فضية ثانية خاصة بعمل طالب الحقيقة لا بواقع الحقيقة.

* استعمل أبو محمد للشريعة لا أعرف له وجهاً في اللغة، وصوابها الشرعية حسب القاعدة اللغوية، ولولا أن أبا محمد استعمل حنيفياً كثيراً لقلت إنه حاذى طبيعية وهو ما يسمى بالاتباع في سياق الكلام.

* * *

٢٩٤ - قال أبو محمد !

مسألة في قول الله تعالى : ﴿ومن أحيائها فكأنما أحيأ الناس جميعاً﴾ [سورة البقرة: ٣٢].

روينا من طريق أبي بكر بن أبي شيبة : نا وكيع : نا سفيان الثوري : عن خصيف : عن مجاهد : عن ابن عباس في قول الله تعالى : ﴿أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً﴾ [سورة المائدة: ٣٢]. قال من أوبقها.

﴿ومن أحيائها فكأنما أحيأ الناس جميعاً﴾ . قال : من كف عن قتلها.

وبه إلى سفيان : عن منصور : عن مجاهد : ﴿ومن أحيائها فكأنما أحيأ لناس جميعاً﴾ قال : ومن أنجأها من غرق أو حرق فقد أحيأها.

وبه إلى وكيع : نا العلاء بن عبد الكريم . قال سمعت مجاهداً يقول : ﴿ومن أحيائها فكأنما أحيأ الناس جميعاً﴾ . قال : من كف عن قتلها فقد أحيأها.

قال علي : هذا ليس في تفسيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء فيسلم له، والرواية عن ابن عباس فيها خصيف وليس بالقوي.

قال أبو محمد : وهذا حكم إنما كتبه الله تعالى على بني إسرائيل ولم يكتبه علينا.

قال الله تعالى : ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض﴾ الآية.

قال علي : فهذا أمر قد كفيناه والله الحمد، إذ لو كتبه الله تعالى علينا لأعلمنا بذلك فله الحمد كثيراً.

وهذا والله أعلم إذ كتبه الله على بني إسرائيل فهو من الإصر الذي حمله على من قبلنا وأمرنا تعالى أن ندعوه في أن لا يحملنا علينا إذ يقول تعالى : ﴿ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦].

فإذ لم يكتبه الله تعالى علينا : فلم نكلف معرفة كيفيته، إلا أن الذي كتبه الله تعالى علينا هو تحريم القتل والوعيد الشديد فيه، ففرض علينا اجتنابه واعتقاد أنه من أكبر الكبائر بعد الشرك، وهو مع ترك الصلاة أو بعده.

ومما كتبه الله تعالى أيضاً علينا استتقاذ كل متورط من الموت إما بيد ظالم كافر أو مؤمن من متعد أو حية أو سبع أو نار أو سيل أو هدم أو حيوان أو من علة صعبة نقدر على معاناته منها أو من أي وجه كان، فوعدنا على ذلك الأجر الجزيل الذي لا يضيعه ربنا تعالى الحافظ علينا صالح أعمالنا وسيأه.

ففرض علينا أن نأتي من كل ذلك ما افترضه الله تعالى علينا، وأن نعلم أنه قد أحصى أجراً على ذلك من يجازي على مثقال الذرة من الخير والشر.

نسأله الله تعالى التوفيق لما يرضيه بمنه آمين وبالله تعالى نعتصم^(١).

(١) المحلى ١٨/١١ - ١٩.

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن : هذا أنموذج جيد من طرد أبي محمد لأصله، لأنه بين الدليل على خصوصية بني إسرائيل من ظاهر النص نفسه، ثم بين — على سبيل المدافعة — حقيقة التشريع للأمة المحمدية من نصوص أخرى.

* * *

٢٦٥ — قال أبو محمد :

تفسير ألفاظ تجري بين المتكلمين في الأصول :

اللفظ : هو كل ما حرك به اللسان^(١) .

يراد به الكلام. قال الله تعالى :

﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ [سورة ق: ١٨]

وحده على الحقيقة : هواء مندفع من الشفتين والأضراس والحنك والحلق والرئة.

(١) قال أبو عبد الرحمن : تعريف أبي محمد هاهنا تعريف لنوع من أنواع الملفوظ وهو الصوت. أما معنى اللفظ لغة فهو أشمل من ذلك، لأنه يعني ما طرحه الإنسان بفمه، ثم توسع به لعموم الطرح. انظر معجم مقاييس اللغة ٢٥٩/٥.

الخلاف : في أي شيء كان هو أن يأخذ الإنسان مسلكاً من القول أو الفعل، ويأخذ غيره مسلكاً آخر، وهو التنازع^(١).

قال الله عز وجل : «ولا تنازعوا فتفشلوا» [سورة الأنفال: ٤٦].

وقال تعالى : «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» [سورة النساء: ٨٢].

وهو التفرق. قال تعالى : «ولا تفرقوا» [سورة آل عمران: ١٠٣].

الإجماع : في اللغة ما اتفق عليه اثنان^(٢) فصاعداً، وهو الاتفاق، وهو حينئذ مضاف إلى من أجمع عليه.

(١) قال أبو عبد الرحمن : مادة خلف جعل لها ابن فارس ثلاثة أصول، وقد برهنت في كتابي اللغة العربية بين القاعدة والمثال على أن المادة لا تحتل غير أصل واحد. والأصل في هذه المادة أصل واحد هو الراء المغاير لقدام. ومنه اشتق التابع، لأن التابع خلف المتبوع.

قال ابن فارس : وأما قولهم : اختلف الناس في كذا، والناس خلفه أي مختلفون : فن الباب الأول [يعني التالي والتابع]، لأن كل واحد منهم ينحي صاحبه ويقم نفسه مقام الذي نجاه. اهـ. انظر معجم مقاييس اللغة ١١٣/٢.

قال أبو عبد الرحمن : وجه الاشتقاق أن الذي ينحي عادة يتقدم ويجعل غيره خلفاً. قال أبو عبد الرحمن : والخلاف يعني المغايرة في الفعل أو القول أو الاعتقاد. والخلاف ليس بمعنى الاختلاف بإطلاق، بل يعبر بالاختلاف بمعنى الخلاف، لأن الخلاف ناتج عن الاختلاف.

ويفترقان بأن الخلاف يراد به المغايرة فحسب، وأما الاختلاف فيكون للتناقض والتضاد وهما أخص من المغايرة.

وعلى هذا يحمل قوله تعالى : «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً». والتنازع نتيجة للخلاف وليس شرطاً له، وليس معنى له بالمطابقة. والتفرق نتيجة للخلاف، وليس كل تفرق نتيجة لكل خلاف.

(٢) الأصل في جمع الضم، ثم عبر به عن الاتفاق لأنه نتيجة للانضمام. ومنه اصطلاح الأصوليون على الإجماع بمعنى الاتفاق.

وأما الذي تقدم به الحجة في الشريعة فهو ما يتيقن أن جميع الصحابة رضي الله عنهم دانوا به عن نبيهم صلى الله عليه وسلم.

وأما [ما] (١) لم يكن إجماعاً في الشريعة فهو ما اختلفوا فيه باجتهادهم، أو سكت بعضهم عن الكلام فيه (٢).

السنة : هي الشريعة نفسها، وهي في أصل اللغة وجه الشيء (٣).

-
- = وقول أبي محمد : الإجماع في اللغة هو ما اتفق عليه اثنان فصاعداً. اهـ.
لا أعرف له وجوداً في اللغة.
وإنما الموجود في اللغة اتفاق من يعينهم الأمر كلهم سواء أكانوا اثنين أم أكثر.
وعلى قول أبي محمد يكون اتفاق كل اثنين ممن يعينهم الأمر إجماعاً.
والواقع أن هذا خلاف لا إجماع.
(١) مابن القوسين المعكوفين زيادة يقتضيها السياق.
- (٢) حققنا في تعليق على كتاب النبد لابن حزم في أصول الفقه أن مذهب ابن حزم في الإجماع مضطرب، وأن المستقر من مذهبه أن الإجماع ما يجب أن يكون عليه الاتفاق، وليس هو الاتفاق ذاته.
- (٣) الأصل في سنن الجريان والاطراد بسهولة.
قال ابن فارس : وما اشتق منه السنة وهي السيرة وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سيرته.
وإنما سميت بذلك لأنها تجري جرياً.
انظر معجم مقاييس اللغة ٦١/٣.
قال أبو عبد الرحمن : ثم توسع بها الأصوليون إلى مصدر مراد الرسول صلى الله عليه وسلم من قول وفعل وإشارة وإقرار.
ووجه الاشتقاق أحد أمرين أو هما معا :
إما لأن هذا المراد في الأعم الأغلب هو سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وإما لأن هذا المراد شرع ليكون سنة للمكلف.
وقد اقتصر بها المحدثون على الحديث الشريف، وتوسع بها العلماء للشريعة.
وقول أبي محمد عن السنة : وهي في أصل اللغة وجه الشيء. اهـ : كلام غير محقق بل هي بهذا المعنى في أحد استعمالات اللغة لا في أصل اللغة.

وأقسامها في الشريعة : فرض، أو ندب، أو تحريم [٧٤:أ]، أو كراهية أو إباحة.^(١)

كل ذلك قد بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى.

البدعة : كل ما قيل أو فعل مما ليس له أصل فيما نسبت إليه.

وهي ^(٢) في الدين كل ما لم يأت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن منها ما يؤجر عليه صاحبه ويعذر فيما قصد به الخير.

ومنها ما يؤجر عليه صاحبه جملة ويكون حسناً كما روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: نعمت البدعة هذه.

ومنها ما يكون مذموماً ولا يعذر صاحبه، وهو ما قامت الحجة على فساده فتمادى عليه العامل به ^(٣).

الكنية : هو ^(٤) لفظ يقام مقام الاسم كالضمائر المعهودة في اللغات كالتعريض بما يفهم منه المراد وإن لم يصرح بالاسم ومنه قيل للكنية كنية ^(٥).

(١) هذا التقسيم من جهة اللزوم وعدمه، ولها تقسيمات من وجوه أخرى ككونها فعلاً أو قولاً أو إشارة... إلخ.

(٢) الأصل في مادة بدع ابتداء الشيء وصنعه واختراعه لا عن مثال، وتوسع به لكل غريب مفارق للمألوف، ولكل شيء لا سألقة له في الواقع أو في معهود المجتمع أو ديانتهم أو مذهبه.

(٣) الذي أحققه في هذا أن نفرق بين (حكم الشرع) و(واقعة حكم الشرع). فكل حكم لم يرد به الشرع أو يعارضه فهو بدعة.

أما الواقعة فإن أقرتها أحكام الشرع فنعمت البدعة، وإن رفضتها فهي البدعة المحرمة.

(٤) هكذا في الأصل، وهو صحيح، والأصل أن يقول : وهي.

(٥) هذا تعريف صحيح إن شاء الله.

قال ابن فارس عن مادة كنو : يدل على تورية عن اسم بغيره. انظر معجم مقاييس اللغة ١٣٩/٥.

الإشارة : تكون^(١) باللفظ وتكون ببعض الجوارح، وهي تنبيه على المشار إليه وتنبيه له.

والمجاز : في اللغة هو ما سلكت عليه من مكان إلى آخر كما يقال: هذا المجاز من مكان كذا إلى مكان كذا^(٢) ثم استعمل فيما نقل عن موضوعه في اللغة إلى معنى آخر.

وذلك لا يعلم إلا بدليل من اتفاق أو مشاهدة^(٣).

وهو في الدين كل مانقله الله تعالى أو رسوله عليه السلام عن موضوعه في اللغة.

ولا يقبل من أحد في شيء من النصوص أنها مجاز إلا ببرهان يأتي به من نص آخر أو إجماع متيقن أو ضرورة حس.

وهو حينئذ حقيقة، لأن التسمية لله تعالى، فإذا سمي شيئاً ما باسم ما فهو اسم ذلك الشيء على الحقيقة في ذلك المكان.

(١) الإشارة من مادة (شور) والأصل في هذه المادة إبداء شيء وإظهاره وعرضه. ثم جاء الاشتقاق تبعاً للمعنى الرابطة، فإذا قلت شور به كان معنى ذلك أبدى عورته، وإذا قلت شور إليه أو أشار كان معنى ذلك أو ما إليه بكفه أو عينه أو حاجبه لأن الإيماء تنبيه للاستظهار.

ومن هنا اصطلح على اسم الإشارة في علم النحو لأن الأصل في تلك الأسماء مصاحبة الإيماء.

(٢) هذا المعنى هو أحد المعاني اللغوية وليس هو أصلها، بل الأصل قطع الشيء ومبارحته.

(٣) يعرف في لغة العرب بطريق الحصر والاستقراء، وقد تبسّط في شرح ذلك بكتابي اللغة العربية بين القاعدة والمثال.

وليس ذلك لغيره تعالى في الدين^(١) .

قال تعالى : ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [سورة النجم: ٢٣]^(٢) .

التشبيه : هو أن يشبه شيء بشيء في بعض صفاته^(٣) .

وهذا لا يوجب حكماً في الدين أصلاً وهو أصل القياس^(٤) لأن كل ما في العالم دون الله عز وجل فشبه بعضه لبعض من وجه أو وجوه، ومخالف له أيضاً من وجه من الوجوه، وهو التمثيل^(٥) .

(١) ما تخرج منه أبو محمد من التعبير عن مجاز الشرع بغير الحقيقة هو الذي دعا شيخ الإسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية وغيرهما رحمهم الله إلى إنكار المجاز لغة وشرعاً في التأصيل وإن وقعوا في الإقرار به تطبيقاً.
والصواب أن نفرق بين المراد ووسيلة المراد، فراد الشرع كله على الحقيقة لا يجوز غير هذا. ووسيلته وهو التعبير بلغة العرب قد يكون بأسلوب الحقيقة اللغوية وقد يكون بأسلوب المجاز اللغوي.

(٢) قال أبو عبد الرحمن : التسمية لله جل جلاله فيما سبقت تسميته في شرعه بأسماء دالة على مراده، فليس لمخلوق أن يسمى الخمر بغير اسمها ليستبيحها.
أما ما لم تمض به تسمية شرعية فهو ما أباح الله للمخلوق تسميته، فكل شيء استجد العلم به تستجد له تسمية.
هذه هي سنة الله الكونية.

(٣) التشبيه حسب مأخذ اللغة يعني تفسير شيء بشيء لاشتراكهما في صفة أولون أو أكثر.

(٤) هذه عبارة فيها مسامحة، والصواب أن التشبيه أحد أصول القياس، وليس هو كل أصوله.

(٥) قال أبو عبد الرحمن : إذا تعلق الحكم الشرعي بالصفة فهو متعلق بها في أي محل وجدت. وليس هذا قياساً بالتشبيه وإنما هو نص.

وإذا تعلق الحكم بالمحل فلا معنى للتشبيه إلا القفو والرجم بالظن.

والمتشابه في القرآن هو الذي نهينا عن اتباع تأويله وعن طلبه وأمرنا بالإيمان به جملة^(١) .

وليس هو شيئاً غير الأقسام التي في السور، والحروف المقطعة التي في أوائلها.

وكل ما عدا هذا من القول فحكم.

المفصل : هو ما بينت أقسامه، وهو في أصل اللغة ما فرق بعضه عن بعض.

تقول : فصلت اللحم ونحو ذلك^(٢) .

دليل الخطاب : معناه ضد القياس، وهو أن يحكم اللمسكوت [عنه] بخلاف حكم المنصوص عليه^(٣) .

(١) الاشتباه غير التشابه، لأن الاشتباه يعني الاختلاط واستحالة التمييز.

والتشابه يعني وجود أوجه الشبه مع إمكان التمييز.

فإن كان الوقف في الآية الكريمة على قوله تعالى : ﴿إلا الله﴾ — وهو الصحيح — فالتشابه هو المشتبه بالنسبة للمكلف، ولم يعبر عنه بالمشتبه لأنه معلوم عند الله جل جلاله. وإن كان الوقف عند قوله : ﴿والراسخون في العلم﴾ فالتشابه على وضعه لغة وليس بمعنى المشتبه.

(٢) هذا هو أصله في اللغة. قال ابن فارس عن فصل : كلمة تدل على تمييز الشيء من الشيء وإباتته عنه. انظر معجم مقاييس اللغة ٥٠٥/٤. قال أبو عبد الرحمن : وعلى هذا فتفصيل الآيات بمعنى تبيان معانيها وأحكامها وإزالة اللبس عنها.

(٣) تكفل أبو محمد وغيره من الأصوليين ببيان معنى دليل الخطاب في كتبهم المطولة. وفي أصول أهل الظاهر إقرار دليل الخطاب ولم يسموه دليل الخطاب وإنما سموه بإطلاق غير تقييد إذ عبروا بالدليل. مع قطعهم بأنه دليل النص علي الحقيقة. لهذا أحب أن أبين الفارق بين الدليلين.

الشرعية : هو^(١) ماشرعه الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم في الديانات أو على ألسنة أنبيائه عليهم السلام والحكم منها للناسخ.

وأصلها في اللغة الموضع الذي يمكن فيه ورد الماء للراكب والشارب من النهر.

قال تعالى : ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا﴾ [سورة الشورى: ١٣].

وقال امرؤ القيس :

ولما رأت أن الشريرة همها
وأن البياض من فرائصها دامي

= فالدليل عند الظاهرية هو ما تحتم بضرورة اللغة أو الحس أو العقل أنه معنى النص دون ورود أي احتمال معقول كالحكم بأن أبا بكر أفضل من عثمان على فرض ورود النص بهاتين المقدمتين:
أبو بكر أفضل من عمر.
وعمر أفضل من عثمان.
ودليل الخطاب كقولهم : لازكاة في غير السائمة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال في سائمة الغنم في كل أربعين شاة شاة.
قال أبو عبد الرحمن : هذا أحد احتمالات في حكم غير السائمة وليس وجها متعينا.
فن المحتمل أن لا يكون في غير السائمة زكاة، ومن المحتمل أن يكون حكمها حكم السائمة.
ومن المحتمل أن يكون فيها زكاة غير زكاة السائمة.
ومع تكافؤ الاحتمالات فليس لدينا دليل خطاب، بل نلتزم حكم غير السائمة من براهين أخرى.
(١) الأصح أن يقول : (هي) ولكنه عبر كثيرا بالذكر، لأنه يريد اللفظ: أي لفظ (شرية).

تيممت العين التي^(١) عند ضارج
تفییء علیها الظل عر مضها طامي^(٢)

اللغة [٧٤:ب] ألفاظ يعبر بها عن المسميات والمعاني المراد إفهامها،
ولكل أمة لغتهم.

قال عز وجل : ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾
[سورة إبراهيم: ٤]. ولا خلاف في أنه أراد اللغة.

الاستنباط : إخراج الشيء المغيب من شيء آخر كان فيه^(٣) .

وهو في الدين إن كان منصوباً على معناه فهو حق، وإن كان غير
منصوص على معناه فهو باطل^(٤) .

(١) في الأصل : الذي.

قال ابن فارس عن شرع : شيء يفتح في امتداد يكون فيه من ذلك الشريعة وهي مورد

البشارة الماء، واشتق من ذلك الشرعة في الدين والشريعة.



انظر معجم مقاييس اللغة ٢٦٢/٣.

(٢) البيتان ليسا في ديوان امرئ القيس ولا في شرح البطليوسي، وهما في معجم البلدان في
مادة ضارج ٤٥٠/٣.

والعرض الطحلب علي الماء.

(٣) هذا التعريف فيه غموض وتعقيد.

والأصل في الاستنباط استخراج الأمور الحسية كاستخراج الماء من الأرض.

وهو في الاصطلاح يعني استخراج المعنى والحكم من النص.

ولما كان استخراج الماء يتم بوسائط من معول ومسحاة. إلخ ويصاحبه مشقة في العمل

أصبح الاستنباط مصطلحاً على استخراج معاني النص التي لا تفهم مباشرة.

(٤) هذا الاشتراط من أبي محمد يعني التماس برهان آخر غير النص المستنبط منه.

والصواب أن صحة الاستنباط مشروطة بصحتها في لغة العرب، أو بكون المستنبط حتمياً

بضرورتي العقل واللغة كاستنباط أن للأب الثلثين في قوله تعالى:

﴿وورثة أبواه فلأمه الثلث﴾ وهذا هو الدليل عند الظاهرية.

والمستنبط باستنباط صحيح يسمى ظاهراً.

أما ورود نص آخر يؤيد هذا المستنبط أو يعارضه فهو من باب تأييد الظاهر المستنبط أو

صرفه عن ظاهره، وليس من باب تصحيح الاستنباط أو إبطاله.

والحكم هو إمضاء قضية في شيء^(١) .

وهو في الدين تحريم أو إيجاب على ما قدمناه^(٢) .

الإيمان أصله في اللغة^(٣) التصديق بالقلب بكل ما أمر الله تعالى أن يصدق به والنطق بذلك باللسان واستعمال الجوارح في جميع الطاعات.

برهان ذلك أن جميع أهل الإيمان مكذبون بأشياء مصدقون بأشياء وقد أطلق عليهم في الدين اسم الإيمان هكذا مطلقاً دون إضافة.

ولا خلاف في أنه لا يحل أن يطلق عليهم اسم التكذيب بلا إضافة.

الكفر أصله في اللغة التغطية . قال تعالى : ﴿ أعجب الكفار نباته ﴾ [سورة الحديد: ٢٠] يريد الزراع.

وقال الشاعر :

أَلَقْتُ ذَكَاءَ يَمِينِهَا فِي كَافِرٍ^(٤)

يريد الليل، لأنه يغطي كل شيء

(١) هذا في اصطلاح الفقه والقانون أما في اللغة فالأصل في مادة حكم المنع. وحيث أن إمضاء الحكم عادة على المقضي عليه يمنع من مراده الذي رافع من أجله سمي المقضي به حكماً.

(٢) الحكم في الشرع أعم من ذلك، وهو مفهوم النص ومراد الشرع فيدخل في ذلك الخبر.

(٣) ليس هذا أصله في اللغة، بل أصله في اللغة السكون والاطمئنان المناقض للخوف والقلق. واستعماله بمعنى التصديق استعمال حادث بعد نزول الشرع.

وهذا أصبح للإيمان مفهوم شرعي لم يعرفه العرب ولكنه مشتق من معاني لغتهم. وقد تقصيت تحقيق ذلك في السفر الخامس من كتابي الشروح والتعليقات.

(٤) هذا الشطر لثعلبة بن صعير المازني، وتتمام البيت :

فَتَذَكَّرْنَا ثِقْلًا رُئِيدًا بَعْدَمَا

أَلَقْتُ ذَكَاءَ يَمِينِهَا فِي كَافِرٍ

وهو في الدين من جحد ما افترض الله عز وجل الإيمان به بعد قيام الحجة عليه ببلوغ الحق نحوه بقلبه أو بلسانه أو بعمل عملاً جاء النص بأنه مخرج له عن اسم الإيمان على ما قد بينا في غير هذا الموضع.

وبرهان ذلك أن جميع من يطلق عليه اسم الكفر فإنه مصدق بأشياء مكذب بأشياء.

ولا يجوز بلا خلاف أن يطلق عليهم اسم الإيمان بلا إضافة.

الشرك هو في اللغة أن تجمع شيئاً إلى شيء فتشرك بينهما^(١).

وهو في الدين معنى الكفر سواء سواء لما قد بيناه في غير هذا المكان^(٢).

والتسمية لله تعالى لا لغيره.

الإلزام هو أن تحكم على الإنسان بحكم ما فإما واجب وإما غير واجب^(٣).

(١) هذا معنى الضم والجمع وهذا أحد وسائل الشرك لغة، أما المدلول فأعم من ذلك.

وحقيقته أن تجعل الشيء لطرفين لا ينفرد به أحدهما عن الآخر.

(٢) هذا الجزم يحتاج إلى تتبع لوجوه القرآن ومفرداته وغريبه ومشكله.

فإذا صح أن الشرك بمعنى الكفر في نصوص الشرع فذلك باعتبار حكم الشرع المطهر لا باعتبار تعريفه.

فإذا رجعنا إلى المأخذ الاشتقاقي من لغة العرب وجدنا في الكفر معنى جحد الحق لأنه تغطية، وجدنا معنى عمل الباطل لأنه تغطية لعمل الحق، وجدنا فيه صرف الحق لغير مستحقه بإطلاق، لأنه جحد وزيادة.

ووجدنا في الشرك معنى صرف الحق لمستحقه وغير مستحقه معاً.

فإذا أضفنا اعتبارات الشرع إلى معاني الاشتقاق وجدنا بينها عموماً وخصوصاً.

(٣) أصل لزوم لغة المصاحبة. قال ابن فارس : لزوم يدل على مصاحبة الشيء بالشيء دائماً

يقال : لزمه الشيء يلزمه.

انظر معجم مقاييس اللغة ٢٤٥/٥.

العقل هو استعمال الطاعات والفضائل وهو غير التمييز، لأنه استعمال ما أوجب التمييز فضله^(١).

فكل عاقل فهو مميز وليس كل مميز عاقلاً.

وهو في اللغة المنع. تقول عقلت البعير أعقله عقلاً.

وقد يستعمل أيضاً في اللغة بمعنى الفهم.

تقول : عقلت عنك أعقل عقلاً.

== قال أبو عبد الرحمن : ومن ذلك اشتق الإلزام بمعنى الحكم. وقد يكون الإلزام ليس بلازم في الواقع أو الشرع ولكنه لازم بسلطة القاضي المخطيء مثلاً. فهذا معنى قول أبي محمد : فإما واجب وإما غير واجب. ومنه قولهم في الجدل : ألزمتني ما ليس بلازم. (١) جنح أبو محمد إلى هذا التعريف في كثير من كتبه كمداواة النفوس والإحكام. والذي دعا أبا محمد إلى ذلك ما وجدته في نصوص الشرع المطهر من وصف الكافر والفاسق والمنافق بأنه لا يعقل. وهذا من ناحية اعتبار الشرع لا من ناحية تعريفه ولا من ناحية تعريف اللغة. وهذا بمجاز لغة العرب، لأن من لا ينتفع به يقتضى العقل كمن لا عقل له. قال أبو عبد الرحمن : وطالما دعوت في كتبي إلى التمييز بين معاني اللغة ومجازات الأدب. والعقل في لغة العرب بمعنى الحبس والمنع، ومنه اشتق العقل وهو الحبس الموجود فينا الذي نعرفه بآثاره، لأن نتيجة الانتفاع به الالتزام والامتناع عما لا يعقل فعله أو قوله أو اعتقاده. والعقل له ملكات منها التفكير والتمييز والفهم والحكم. وقول أبي محمد (وهو غير التمييز) صحيح من ناحية أن التمييز من ملكات العقل وليس هو جميع عمل العقل. ولكن أبا محمد أراد أن التمييز بمعنى المعرفة، والعقل بمعنى الالتزام وقد أخطأ من ثلاثة وجوه:

أولها : أن الالتزام معنى الأصل اللغوي لا العرف اللغوي العام. وأنه بعد هذا العرف العام لا يستعمل للالتزام إلا تجوزاً كما ذكرت آنفاً. وثانيها : أنه لا سبيل للمعرفة إلا بالعقل، وقد بينت وجه ذلك في صدر كتابي (لن تلحد)

وثالثها : أن التمييز لا يعني المعرفة، وإنما يعني وجهها من المعرفة.

وأهل الزمان يستعملونه فيمن وافق أوهواءهم

والحق من ذلك هو ما قاله الله عز وجل.
قال تعالى : ﴿وَجَعَلَ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة
يونس: ١٠٠]

يريد الذين يعصونه ولا يطيعونه.

وأما فقد التمييز فهو الجهل أو الجنون على حسب الحال^(٢) .
الفور هو ما استعمل بلا مهلة^(٣) .

والتراخي هو ما أخر وترك تعجيله^(٤) .

وحكم أوامر الله تعالى كلها الفور إلا أن يأتي نص أو إجماع بإباحة
التراخي في شيء منها فيوقف عنده.

الاحتياط هو التورع نفسه^(٥) وهو اجتناب ما يتقى أنه لا يجوز وإن لم
يصح ذلك أو اتقاء ما غيره خير منه عند ذلك المحتاط.

(١) قال أبو عبد الرحمن : وأهل زماننا نحن يسمونه العقل المعيشي.

(٢) فقد العقل هو الجنون، وفقد التمييز هو الغباء والجهل والغفلة.

(٣) الأصل في الفور لغة الغليان، ثم اشتقوا من ذلك معنى المبادرة.

قال ابن فارس : ومما قيس على هذا قولهم :

فعله من فوره : أي في بدء أمره قبل أن يسكن.

انظر معجم مقاييس اللغة ٤/٥٨.

(٤) مادة رخو تدل على اللين، وفي اللين معنى السهولة، فإذا تراخى عن الأمر بمعنى قعد عنه
وأبطأ فوجه الاشتقاق أنه استسهل شأن المبادرة.

(٥) الأصل في حوط لغة إضافة الشيء ويكون ذلك عادة لصيانتة.

ومن هذا اشتق المعنى الاصطلاحي، لأن المحتاط يصون نفسه عن احتمال المخالفة والأصل
في ورع الكف والانقباض.

فهما كما قال أبو محمد بمعنى واحد في الاصطلاح، والفرق بينهما في مأخذ الاشتقاق أن
يكون الاحتياط فيما يفعله الإنسان تقرباً واحتياطاً من التقصير، والورع فيما يتركه تعففاً من
مواقعة المخالفة.

وليس بواجب في شيء من الدين ولكنه حسن ولا يحل أن يقضى به على أحد ولا أن يلزم أحدا ولكن يندب إليه فقط.

والحد هو ما ذكر صفات المحدود الذاتية الجوهرية وهي تنبئ عن طبيعته وتميزه.

والرسم ذكر صفاته الغيرية [٧٥/أ] العرضية وهي تميزه فقط^(١).

والعلم تيقن الشيء على ما هو عليه عن برهان أولي أو راجع إلى أولي أو عن اتباع صادق قام البرهان على صدقه^(٢).

وعلم الباري تعالى ليس محدودا إذ ليس غيره — تعالى الله عن ذلك —^(٣).

الاعتقاد استقرار حكم ما في النفس وقد يكون حقاً ويكون باطلاً^(٤).

والعلم لا يكون إلا حقاً أبداً^(٥).

(١) أبو محمد شديد الاحتفاء بمنطق أرسطو، وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية من وجوه كثيرة في كتابه نقض المنطق أن الحد إما متعسر أو متعذر. والحد في أصل اللغة بمعنى طرف الشيء. وطرف الشيء ميمز لغيره ففما دونه معنى الجمع وفما وراءه معنى المنع.

(٢) في هذا الاصطلاح التفات إلى المعنى اللغوي وهو أن رسم الشيء أثره الدال عليه.

(٣) هذا في الاصطلاح، أما في اللغة فادة علم بمعنى أثر في الشيء يدل عليه.

فلما سمي بالمصدر — وهو كسر العين وسكون اللام — دلت الصيغة على أن العلم أبلغ من العلم [يفتح العين واللام] في الدلالة على الوضوح الذي نتيجه اليقين.

(٤) جعله العلم مرادفاً للفظ الجلالة من هفواته في العقيدة، بل لكل صفة معنى غير معنى الصفة الأخرى فليس العزيز بمعنى الحكيم.

(٥) العقد في اللغة بمعنى الوثوق والشد.

قال ابن فارس : ومنه عقد قلبه على كذا فلا ينزع عنه.

والبرهان كل قضية أو قضايا دلت على حقيقة حكم ما^(١) .

الدليل ما استدل به، وقد يكون برهاناً^(٢) .

وقد يقع اسماً لكل شيء ذلك على معنى كرجل ذلك على طريق ونحو ذلك.
والحجة هي الدليل نفسه وقد يكون برهاناً وإقناعاً وشغباً.

والدال هو المعروف بحقيقة الشيء، وقد يكون إنساناً معلماً وقد تعبر به عن الباري تعالى الذي علمنا كل ما نعلم.

-
- (١) في تاج العروس في فصل الباء من باب النون ١٣٨/٩ - ١٣٩: البرهان بالضم الحجة الفاصلة البينة.
وقال الراغب رحمه الله تعالى: البرهان أوكد الأدلة وهو الذي يقتضي الصدق أبداً لاحالة، وذلك أن الأدلة خمسة أضرب:
دلالة تقتضي الصدق أبداً، ودلالة إلى الصدق أقرب، ودلالة إلى الكذب أقرب، ودلالة هي إليهما سواء.
وقال الأزهري والزمخشري: إنها مولدة، والصواب بره إذا جاء بالبرهان.
قلت: وهذا بناء على أن البرهان وزنه فعلان.
والجوهري يرى أصالة نونه.
وكلا القولين في المصباح. أهـ.
قال أبو عبد الرحمن: انظر أيضاً: المفردات للراغب ص ٤٥ والصحاح ٢٠٧٨/٥ والتهذيب ٢٩٤/٦ - ٢٩٥ وأساس البلاغة ٣٨ والمصباح المنير ٦٣/١.
قال أبو عبد الرحمن: وفي تاج العروس فصل الباء من باب الهاء ٣٧٩/٩: أبهر الرجل إذا أتى بالبرهان أي بيان الحجة وإيضاحها.
هذا هو الصواب كما قال ابن الأعرابي إن صح عنه.
وأما قولهم: برهن فلان إذا أوضح البرهان فهو مولد نقله الأزهري.
واختلف في نون البرهان ف قيل هي غير أصيلة.
قال الليث، ومثله الزمخشري فإنه قال: البرهان مشتق من البراهة كالسلطان من السليط.
وقال غيره: يجوز أن يكون نون برهان نون جمع جعلت كالأصيلة كما جمعوا مصيرا على مصران، ثم جمعوا مصران على مصارين على توهم أنها أصيلة.
(٢) هو دليل إذا استدل به فإن دل فهو برهان، وإن لم يدل فهو شبهة.

وقد يسمى الدليل دالاً، والدال دليلاً في لغة العرب.

والاستدلال طلب الدليل من قبل معارف العقل ونتائجه أو من قبل معلم، والدلالة وقد تضاف إلى الدليل أيضاً.

والإقناع قضية أو قضايا آنست النفس بحكم شيء ما دون أن توقفها على حقيقته حجة ولم يقيم برهان يابطاله ^(١).

والشغب تمويه بحجة باطل ^(٢).

والتقليد قبول قول كل من لم يقيم على قبول قوله برهان ^(٣).

والإلهام شيء يقع في النفوس بلا دليل ولا استدلال ولا إقناع ولا تقليد ^(٤).

والنبوة اختصاص الله عز وجل من شاء من الناس بالإنباء بما ليس في قوة نوعه أن يعرفوه حتى يعرفوا به.

وليس ذلك لأحد بعد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاتم أنبيائه عليهم السلام ^(٥).

(١) هذا الاصطلاح مأخوذ من المعنى اللغوي وهو القنوع بمعنى الرضى.

(٢) الأصل لغة في الشغب تهيج الشر، ثم توسع به للعناد والتماذي فيه لأنه نتيجة التهيج عادة. والتمويه من وسائل العناد.

(٣) يظهر لي أن مرد هذا المعنى الاصطلاحي لغة إلى القلادة، فقلدته بمعنى ألبسته القلادة فكثروا بها عن الإمامة أي قلدته الإمامة مثل تقليد الولاية الأعمال.

(٤) لهم في أصل اللغة بمعنى ابتلع. قال ابن فارس : ومن هذا الباب الإلهام كأنه شيء ألقى في الروح فالتهمه. انظر معجم مقاييس اللغة ٢١٧/٥.

(٥) هذا صحيح بالنسبة للإنبياء بشرع جديد لأن الشرائع نسخت بدين الإسلام واستقرت عليه. أما الإنبياء بغير شرع جديد فممكن كرامة من الله ومن ذلك الرؤيا الصادقة. إلا أن أبا محمد ينكر الكرامات.

والنبأ في اللغة بمعنى الخبر مأخوذ من نبأ بمعنى أتى من مكان إلى مكان. قال ابن فارس : لأنه يأتي من مكان إلى مكان.

والرسالة زيادة معنى على النبوة وهو أن يأمر الله تعالى النبي بإنذار غيره والتبليغ إليهم^(١) .

والبيان كون الشيء في ذاته ممكناً أن يعرفه بحقيقته من أراد علمه^(٢) .
والنبيين والإبانة فعل المبين وهو إخراج المعنى من الإشكال إلى مكان الفهم بحقيقته.

والتبين فعل نفس المتين للشيء في فهمه إياه وهو الاستبانة أيضاً.
والمبين هو الدال نفسه.

والصدق هو الإخبار عن الشيء بما هو عليه أو بما يكون إذا كان شيئاً^(٣) .

والحق هو كون الشيء صحيح الوجود وكون الخبر صدقاً^(٤) .
والباطل ما ليس حقاً^(٥) .

(١) قال الباهر في شرح العناية بهامش فتح القدير ٤/١ : قيل الرسول هو النبي الذي معه كتاب كموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، والنبي هو الذي ينبيء عن الله تعالى وإن لم يكن معه كتاب كيوشع عليه السلام، وهو الظاهر. اهـ.
والذي ذكره أبو محمد فرق آخر.
وإذا رجعنا إلى أصل الاشتقاق اللغوي وجدنا فرقاً ثالثاً، وهو أن الإرسال يقتضي النبوة وتتابعها، فالأصل في مادة رسل كما قال ابن فارس الانبعث والامتداد.
انظر معجم مقاييس اللغة ٣٩٢/٢.

(٢) لا أعرف لهذا المعنى وجوداً في اللغة أو الاصطلاح، بل البيان في أصل معنى الصيغة فعل المبين، وترد مجازاً عن الشيء المبين.

وهكذا التبيين والإبانة إلا أن هذين مصدران لأحداث معينة، والبيان هو المصدر الأعم.

(٣) مأخوذ من القوة التي هي الأصل اللغوي في صدق.

(٤) الإحكام والصحة هما أصل الحق لغة.

(٥) الأصل في بطل الذهاب وقلة المكث.

والكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه أو ما يكون عليه إذا كان شيئاً^(١) .

والأصل ما أدرك بأول العقل والحواس^(٢) .

والفرع كل ما عرف بمقدمة راجعة إلى ذلك من قرب أو بعد^(٣) .

وقد يكون ذلك الفرع أصلاً لما أنتج منه.

والنص هو اللفظ الوارد في القرآن والسنة مبيناً لأحكام الأشياء ومراتبها وهو الظاهر، وهو ما يقتضيه اللفظ في اللغة المنطوق بها.

وقد يسمى ما يتكلم به المتكلم نصاً، إذ هو نص على مراده وإخباره عنه^(٤) .

والتأويل إخراج اللفظ عن مقتضاه في اللغة فإن كان بدليل قبل وإلا فلا^(٥) .

-
- (١) الأصل أيضاً لغة في الكذب الذهاب وقلة المكث.
 - (٢) هذا الاصطلاح ينبغي أن يكون خاصاً بأبي محمد، وهو في اللغة ما بني عليه غيره.
 - (٣) هذا أيضاً اصطلاح خاص بأبي محمد.
 - وهو في الاصطلاح ما بني على غيره، مأخوذ من المعنى الأصلي وهو الارتفاع، لأن الفرع ينبت من الأصل ويرتفع في الأفق.
 - (٤) النص عند الظاهرية قسمان : إما نص على الشيء باسمه كالنص على قطع السارق، وإما نص على الشيء بمعناه كالضرب بغير حق الذي هو أحد معاني الاعتداء.
 - وأصل النص في اللغة بمعنى نصب الشيء ورفع.
 - (٥) أصل التأويل في اصطلاح السلف — كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في أول كتابه درء التعارض — التفسير.
 - ووجهه لغة أن المعنى الذي ظهر بالتفسير هو المآل أي المرجع.
 - ثم استعمل في صرف الكلام عن ظاهره.
 - وقد ناقشت هذه القضية في كتابي (هكذا علمني ورد زورث).

والعموم حمل اللفظ على كل ما اقتضاه في اللغة ^(١) .
والفرق بين العموم والظاهر أن العموم لا يقع إلا على معنيين أو شخصين فصاعداً.
والظاهر قد يقع على واحد.
فكل عموم ظاهر، وليس كل ظاهر عمومياً ^(٢).
والخصوص حمل اللفظ على بعض ما يقتضيه اللفظ في اللغة ^(٣) .
فإن [٧٥/ب] كان بدليل قبل وإلا فلا.
والمحمل : لفظ يقتضي تفسيراً يؤخذ من لفظ آخر ^(٤) .
والمفسر لفظ يفهم منه معنى المحمل ^(٥) .
والأمر إلزام المأمور عملاً ما ^(٦) .
والنهي إلزام المنهي ترك عمل ما ^(٧) .

- (١) هذا الاصطلاح مأخوذ من المعنى اللغوي وهو الكثرة، فكلمة (كل ما اقتضاه) تعني الكثرة.
- (٢) لالقاء لغة بين العموم والظاهر، أما في الاصطلاح فالعموم أحد أقسام الظاهر كالفور والوجوب.
- (٣) الأصل في (خص) لغة الفرجة والثلثة.
- قال ابن فارس : ومن الباب خصصت فلاناً بشيء خصوصية بفتح الخاء وهو القياس، لأنه إذا أفرد واحد فقد أوقع فرجة بينه وبين غيره.
- انظر معجم مقاييس اللغة ١٥٣/٢.
- (٤) الأصل لغة في حمل العظم، ومنه التجمع، والتفصيل والتمييز، والإبانة وسيلة الإحاطة بالشئ العظيم.
- ومن هنا كان المحمل في الاصطلاح بمعنى غير المفسر.
- (٥) الإيضاح هو الأصل اللغوي لمادة فسر.
- (٦) وهذا هو الأصل اللغوي، وقد ذكر ابن فارس لهذه المادة خمسة أصول، ولكنها في الحقيقة ترجع إلى هذا المعنى.
- (٧) الأصل لغة في مادة (نهی) بلوغ الغاية، ومنه اشتق هذا المعنى.

والفرض والواجب واللازم والحتم^(١) أسماء مترادفة تقع بمعنى واحد على كل ما استحق تاركه اللوم .

واسم المعصية والحرام والمحذور والذي لا يجوز والممنوع عبارات مترادفة أيضاً^(٢) تقع بمعنى واحد على ما استحق فاعله اللوم.

واسم المعصية والطاعة التزام الأمور لما أمر به والانتهاز عما ينهى عنه^(٣) .

= قال ابن فارس : ومنه نهيته عنه، وذلك لأمر يفعله، فإذا نهيته فأنهت عنه فذلك غاية ما كان وآخره.
معجم مقاييس اللغة ٣٥٩/٥.

(١) أصل الفرض التأثير في الشيء. قال ابن فارس : ومن الباب اشتقاق الفرض الذي أوجبه الله تعالى وسمي بذلك لأن له معالم وحدوداً. معجم مقاييس اللغة ٤٨٩/٤ .
وأصل وجب في اللغة السقوط والوقوع ومنه أخذ الواجب بمعنى اللازم لأنه واقع على الملزم به.

ومر الكلام عن الإلزام.
والأصل في حتم الحكم وقد مر بيانه، بل زعم ابن فارس أن تاء حتم مبدلة من الكاف.
وعادة الحكم أن يلزم المحكوم عليه لهذا صار الحتم بمعنى اللازم.
قال أبو عبد الرحمن : والفرض عند الحنفية غير الواجب.
والحتم يستعمل عند الفلاسفة المعاصرين بمعنى نتائج التجربة الصحيحة، وقضايا الفكر الصادقة المأخوذة من خبرة وتجربة.

(٢) الأصل في عصى الشدة والقسوة، ومنه اشتق معنى المعصية لأنها شدة حالت دون الانقياد في العادة.

والأصل في حرم المنع بشدة، وهكذا الأصل في حظر بمعنى المنع، إلا أن الحرام أكد، لأنه منع بشدة.

والجواز عبور ومضي، ونفيه يعني المنع.
والمنع الحبس وبهذا كان بضد الإعطاء.
والحرام أخص المعاصي، والحظر أشمل منه، والمعصية أشمل منها.
و (المنع) و (لا يجوز) يعبر بهما عن المعصية.

(٣) أصل طوع في اللغة الانقياد.

والندب حض على فعل شيء ما وترغيب فيه من غير إيجاب للفعل وهو المستحسن، والمستحب والاختيار والائتساء، وذلك في أفعال الخير كلها^(١). والكراهة حض على ترك شيء مامن غير إيجاب للترك^(٢).

والإباحة وهي الحلال واسطة بين هذين، وهو مالم يحضوا على تركه ولا على فعله كسائر الحركات كلها^(٣).

(١) أصل هذا الاصطلاح مأخوذ من المعنى اللغوي وهو الخفة : إما لأن الحكم فيه خفيف لأن الأمر به غير ملزم، لذا صار خفيفاً، وإما لأن المكلف المحسن يخف إليه ويسهل عليه الامتثال.

واختار الأمر الأول ابن فارس. قال :

وعندنا أن الندب في الأمر قريب من هذا، لأن الفقهاء يقولون : إن الندب مالم يفرض.

وإن كان هذا صحيحاً فلأن الحال فيه خفيفة.

معجم مقاييس اللغة ٤١٣/٥.

ووجه استعمال المستحب بمعنى المندوب إليه أن عمل المكلف يترتب عليه العقاب والثواب.

ففيه خوف وحب، ولما كان المندوب إليه فيه ثواب وليس عليه عقاب كان مستحباً.

وهذا نفسه وجه الاختيار والاستحسان إلا أن هذين اللفظين لم يستقرا في اصطلاح الأصوليين.

والائتساء ليس بمعنى المندوب كما ظن أبو محمد بل الأسوة إما ممدوحة وإما مذمومة، والممدوح يشمل المتابعة في الواجب والمستحب والمباح.

(٢) الأصل في كره لغة المشقة، ومنه اشتق ما يخالف الرضا لأنه يشق على النفس التي لا ترضى به.

ووجه اشتقاق المعنى الاصطلاحي أن المكروه لا يرضاه الله بشرعه وقد تكرم جل جلاله بإسقاط الحرج فيه.

(٣) الأصل في بوح السعة.

قال ابن فارس : ومن هذا الباب إباحة الشيء، وذلك أنه ليس بمحظور عليه فأمره واسع. معجم مقاييس اللغة ٣١٥/١.

والأصل في الحل الفتح كحللت العقدة، والحلال موسع الأمر فيه فالتوسعة داخلة في معنى الفتح.

قال أبو عبد الرحمن : وحقيق أن نفرق بين الحلال والمباح من ناحية المأخذ اللغوي فنجعل المباح مالم يسبقه حظر، والحلال ما أبيح بعد حظر.

والقياس عندهم حكم لشيء ما بحكم شيء آخر لاجتماعه معه واشتباؤه به في صفة لم ينص عليها^(١) .

والنية قصد قصد إلى العمل بإرادة النفس له واعتقاد النفس ما استقر فيها^(٢) .

والشرط تعليق حكم ما يوجد بحكم آخر ورفع برفعه^(٣) .

والتفسير والشرح هما التبيين^(٤) .

والنسخ ورود أمر بخلاف أمر كان قبله ينتضي به أمد الأول^(٥) .

والاستثناء ورود لفظ أو بيان بفعل يقتضي إخراج بعض ما اقتضاه لفظ آخر^(٦) .

-
- (١) لأنهم اشترطوا أن يكون الجامع غير داخل في دلالة الحكم لغة.
 - (٢) الأصل في هذه المادة النوى، وهو التحول من دار إلى دار، ثم اشتق منه عزيمة القلب لأنها قصد.
 - (٣) هذا المعنى الاصطلاحي مأخوذ من المعنى اللغوي وهو العلامة.
 - (٤) التفسير مريبان مأخذه.
 - والشرح مأخوذ من المعنى اللغوي وهو ما في معنى التقطيع والتمييز، لأن في ذلك إبانة وتمييزاً، ولأن المفسر يقطع الكلام ليوضحه.
 - (٥) وهذا هو أصله لغة، لأنه رفع شيء وإثبات شيء مكانه.
 - (٦) الأصل في ثنى التكرار. قال ابن فارس : ومعنى الاستثناء من قياس الباب وذلك أن ذكره يثنى مرة في الجملة ومرة في التفصيل، لأنك إذا قلت: خرج الناس ففي الناس زيد وعمر. فإذا قلت : إلا زيداً، فقد ذكرت به زيداً مرة أخرى ذكراً ظاهراً. ولذلك قال بعض النحويين : إنه خرج مما دخل فيه فعمل فيه ما عمل عشرون في الدرهم.

وهذا كلام صحيح مستقيم.

معجم مقاييس اللغة ٣٩٢/١.

والجدل والجدال إخبار كل واحد من المختلفين بحجته أو بما يقدر أنه حجته^(١) .

والاجتهاد بلوغ الجهد في طلب الحق وإجهااد النفس في تفتيشه في مواضع طلبه^(٢) .

والرأي ما ظنته النفس صواباً دون برهان^(٣) .

والاستحسان ما اشتتهه النفس وواقعها^(٤) .

والصواب إصابة الحق^(٥) .

(١) هذه محاجة، والجدل إضافة نقض إلى المحاجة، فهو تقديم احتجاج ونقض احتجاج، ورد اعتراض.

قال ابن فارس عن معناه اللغوي : هو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه. معجم مقاييس اللغة ٤٣٣/١.

(٢) الأصل اللغوي في جهد المشقة.

(٣) هذا التخصيص للرأي، بل الرأي رؤية العقل ثم قد تكون رؤيته صحيحة وقد تكون باطلة.

قال ابن فارس : رأى يدل على نظر وإبصار بعين أو بصيرة.

معجم مقاييس اللغة ٤٧٢/٢.

(٤) الحسن بمرادف الجميل، وهي الأصل، أما الجميل فجواز.

ومقاييس الاستحسان مختلف في تعريف الأصوليين، فمنهم من جعله بمعنى الترجيح، ومنهم من جعله بالمعنى الذي ذكره أبو محمد.

(٥) ليس هذا التعريف صحيحاً.

بل الصواب كون الشيء حقاً في ذاته كأن يكون هو مراد الشرع.

والإصابة فعل المجتهد، وقد يكون مصيباً باجتهاده من لم يوفق للصواب في نتيجته.

وقد شرحت هذا المعنى في مقدمه السفر الرابع من كتابي ابن حزم خلال ألف عام وأصل صوب في اللغة الاستقرار.

قال ابن فارس : من ذلك الصواب في القول والفعل، كأنه أمر نازل مستقر قراره.

معجم مقاييس اللغة ٣١٧/٣.

والخطأ العدول عنه بغير قصد إلى ذلك ^(١) .

والعناد القصد إلى مخالفة الحق ^(٢) .

والجهل مغيب العلم عن النفس ^(٣) .

والطبيعة صفات في الشيء موجودة توجد بها على ماهي عليه ولا تعدم منه إلا بفساده وسقوط ذلك الاسم عنه ^(٤) .

ثم تفسير الألفاظ بحمد الله تعالى وعونه.

كتب هذا الباب من كتاب النبذ الكافية في أصول أحكام الدين تأليف الشيخ الفقيه الحافظ أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد رحمه الله.

وقرأت هذا على شيخنا أبي بكر البغدادي. قال : قرأ علينا الشيخ أبو عبد الله الرصافي.

قال : نا الشيخ أبو محمد بن علي [؟؟] مصنفه رحمه الله تعالى.

كتبه العبد الضعيف الراجي عفو ربه عز وجل محمد بن عبد الملك بن عبد العظيم الحنفي غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم [٧٦/أ].

(١) أخطأ من خطأ يخطو، وهو مجاوزة الشيء، ثم خصصه الاستعمال بمجاوزة الصواب من غير قصد.

(٢) الأصل في عند العتو، والعناد في الاصطلاح ترك للحق بقصد مع لجاج فيه وهذا هو العتو.

(٣) هذا الاصطلاح هو الأصل لغة.

(٤) هذا هو المعنى لغة، لأن الأصل في طبع استقرار الشيء على صفته ومقوماته.

التعليق على النص

* التعريف برجال سند هذا الفصل إلى مؤلفه والتعريف بالناسخ سيأتي إن شاء الله في الفقرة ٢٦٧.

* هذا الفصل ملحق بالنسخة الخطية من التقريب ألحقه به ناسخه وذكر أنه نقله من كتاب أبي محمد النبذ الكافية في أصول أحكام الدين.

قال أبو عبد الرحمن : توهمت أن هذا الكتاب هو نفس كتاب النبذ الذي حققه الكوثري^(١) ، ثم اتضح لي من هذا النص أن النبذ غير النبذة.

* هذه التعريفات مما حرص الأصوليين على التصدير بها في كتبهم.

ثم أفردت بالتأليف في نطاق فن معين كالحدود للباجي، ثم على نطاق مختلف العلوم خاصة علم الكلام والفلسفة كالتعريفات للجرجاني ودستور العلماء والكلديات وكشاف اصطلاحات العلوم.

وأغرم المعاصرون بتأليف معاجم عن مصطلحات فنون خاصة كمعجم الفلسفة ومعجم البلاغة ومعجم المصطلحات الأدبية ومعجم السياسة.. إلخ.

وكانت المجامع العلمية واللغوية وراء هذه العناية.

* سيلي هذا النص إن شاء الله نص مشابه صدر به أبو محمد كتابه الإحكام.

(١) انظر كتابي ابن حزم خلال ألف عام ٢٥٤/٢.

الباب الخامس : في الألفاظ الدائرة بين أهل النظر :

قال أبو محمد : هذا باب خلط فيه كثير ممن تلکم في معانيه، وشبك بين المعاني، وأوقع الأسماء على غير مسمياتها، ومزج بين الحق والباطل، فكثرت لذلك الشغب والالتباس وعظمت المضرة وخفيت الحقائق.

ونحن إن شاء الله تعالى بحوله وقوته مميّزون معنى كل لفظة على حقيقتها فنقول وبالله تعالى نتأيد :

الحد : هو لفظ وجيز يدل على طبيعة الشيء المخبر عنه كقولك : الجسم هو كل طويل عريض عميق، فإن الطول والعرض والعمق هي طبائع الجسم لو ارتفعت عنه لا ارتفعت عنه الجسمية ضرورة ولم يكن جسماً، فكانت هذه العبارة مخبرة عن طبيعة الجسم ومميزة له مما ليس بجسم.

والرسم : هو لفظ وجيز يميز المخبر عنه مما سواه فقط دون أن ينبىء عن طبيعته كقولك : الإنسان هو الضحاك، فإنك ميزت الإنسان بهذا اللفظ تمييزاً صحيحاً مما سواه إلا أنك لم تخبر بطبيعته لأنك لو توهمت الضحك مرتفعاً عن الإنسان لم تبطل بذلك عنه الإنسانية، ولا امتنع بذلك من الكلام في العلوم والتصرف في الصناعات، ولبقيت سائر طبائعه بحسبها.

قال أبو محمد علي : ولما كان هذان المعنيان متغايرين كل واحد منهما غير صاحبه: وجب ضرورة أن يعبر عن كل واحد منهما بعبارة غير عابرتنا عن الآخر، ولو عبرنا عنهما بعبارة واحدة لكننا قد أوقعنا من يقبل منا في الإشكال، ولكننا ظالمين لهم جداً، وغير ناصحين لهم، وهذا خلاف ما أخذ الله تعالى على العلماء، إذ يقول تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿لَتبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٧]. ومن لبس الحقائق فقد كتمها.

والعلم : هو تيقن الشيء على ما هو عليه : إما عن برهان ضروري موصل إلى تيقنه كذلك (إما أول بالحس أو ببديهة العقل، وإما حادث عن أول على ما بينا في كتاب التقريب من أخذ المقدمات الراجعة إلى أول العقل أو الحس، إما من قرب، وإما من بعد)، وإما عن اتباع لمن أمر الله تعالى باتباعه فوافق فيه الحق وإن لم يكن عن ضرورة ولا عن استدلال.

برهان ذلك أن جميع الناس مأمورون بقول الحق واعتقاده، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس كلهم إلى الإيمان بالله تعالى وبما جاء به والنطق بذلك، ولم يشترط عليه السلام عليهم أن لا يكون ذلك منهم إلا عن استدلال، بل قنع بهذا من العالم والجاهل، والحر والعبد، والمسيبي والمستعرب، واجتمعت الأمة على ذلك بعده عليه [السلام]. إلى اليوم، وقفنوا بذلك ممن أجابهم إليه ولم يشترط عليهم استدلال في ذلك.

فإذ ذاك كذلك فقد صح أن من اعتقد ما ذكرنا وقال به فهو عالم بذلك بيقين عارف به إذ لو كان غير عالم بذلك لحرم القول عليه بذلك ولحرم عليا اعتقاده، لأن الله تعالى يقول: ﴿ولا تقف ما ليس به علم﴾ [الإسراء: ٣٦]

وقال تعالى : ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ [سورة البقرة: ١٦٩] فصح (إذ هو مأمور باعتقاد الحق والقول به، ومنهي عن القول بما لا يعلم وع أن يقفوا ما لا يعلم) أن عقده في الحق وقوله به علم صحيح ومعرفة حقيقة وإن لم يكن ذلك عن استدلال.

ومن ادعى تخصيص نهي الله تعالى عن القول بما لا علم لنا به، وعن ما لا نعلم: كان مدعياً بلا دليل ومبطلاً في قوله، لأنه يقول: لا تقف ما ليس لك به علم إلا في الإيمان فاقف فيه ما لا علم لك به، وهذا كذ على الله تعالى مجرد.

فإن قال قائل : فإن الله يقول : ﴿قل هاتوا برهانكم إن كصادقين﴾ (سورة البقرة: ١١١) قلنا نعم: إنما خاطب الله تعالى بهذا من

بالباطل ولا برهان لصاحب الباطل، وأما المعتقد للحق فبرهان الحق قائم سواء علمه المعتقد له أو جهله.

وإنما يكلف البرهان أهل الباطل لإدخاض باطلهم، ولا يجوز أن يكلف الحق برهاناً لأنه لا يخلو مكلفه البرهان من أن يكون محقاً مثله أو مبطلاً، فإن كان محقاً مثله فهو معنت له والتعنت لا يجوز، وإن كان مبطلاً فحرام عليه الجدل في الحق.

قال تعالى : ﴿يَجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ [سورة الأنفال: ٦].

وقال تعالى : ﴿وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [سورة غافر: ٥].

فلا يجوز تكليف الحق برهاناً إلا على أن يعلمه فقط لاعلى سبيل معارضة، لأن من فعل ذلك يكون معارضاً للحق، ومعارضة الحق بالباطل لا تجوز.

قال تعالى ذاماً لقوم : ﴿وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ .

وقد تحذلق قوم فأداهم ذلك إلى الهلكة، فقالوا : الحدود لا تختلف في قديم ولا محدث.

وهذا كلام موجب الكفر، لأنهم يوقعون بذلك الباري تعالى تحت الحدوث، لأن كل محدود متناه ومركب، وكل مركب فخلق، لأنه مركب من جنسه وفصله المميز له مما جاء معه تحت جنسه، فقد جعلوا ربهم محدثاً تعالى الله عن ذلك.

وقالوا : حد العلم أنه صفة لا يتعذر بوجودها على الحي القادر إحكام الفعل.

قال علي : وهذا حد فاسد لأن النحل لا يتعذر عليها إحكام بناء الشمع ووضع العسل ولا تسمى عالمة، وقد يعرض للعالم الناقد خدر يبطل

يديه ورجليه فيتعذر عليه كل فعل حكمة أو غير حكمة وعلمه وعقله باقيان.
وقالت طائفة منهم : حد العلم منا ومن الله تعالى أنه صفة يتبين بها
المعلوم على ماهو عليه من أحواله.

قال علي : وكلا الحدين فاسد، ونحن نسألهم أهذه الصفة التي ذكرتم
أهي والموصوف بها شيء واحد أم هي والموصوف بها شيآن متغايران؟.

فإن قالوا : شيء واحد أبطلوا قولهم في الباري تعالى، ووافقوا
خصومهم إلا في العبارة فقط.

وأيضاً فإن كون الصفة والموصوف شيئاً واحداً أمر غير موجود في العالم
لأن الصفات تتعاقب على الموصوفات فتفنى والموصوف باق بحسبه ولاشك
في أن الفاني غير الباقي.

والصفة عرض، ونحن لم نقر بعلم الباري تعالى على معنى أنه صفة
كصفاتنا ولكن اتباعاً منا للنص الوارد في أن له علماً فقط إلا أننا نقطع
على أنه ليس غيره تعالى وأنه ليس عرضاً، ونحن لم نسلم الباري تعالى
علماً، وإنما قلنا إنه عليم كما قال تعالى.

فإن قالوا : فأى فرق بين عالم وعليم؟.

قل لهم : وأى فرق بين الجبار والمتجبر؟.

فسموا ربكم متجبراً.

وأى فرق بين أن نسلمه تعالى خير الماكرين وأن له مكرراً ولا نسلمه
ماكرراً؟.

وكذلك نسلمه حكيماً ولا نسلمه عاقلاً، ونسلمه الواحد ولا نسلمه الفرد
ولا الفذ؟.

وقد بينا في كتاب الفصل أن أسماء تعالى أسماء أعلام وليست مشتقة أصلاً وبالله التوفيق.

فإن قالوا : إن الصفة والموصوف شيآن متغايران صدقوا وأخرجوا بذلك صفات الباري تعالى عن هذا الحكم.

والاعتقاد : هو استقرار حكم بشيء ما في النفس : إما عن برهان، أو اتباع من صح برهان قوله فيكون علماً يقيناً ولا بد، وإما عن إقناع فلا يكون علماً متيقناً، ويكون إما حقاً أو باطلاً، وإما لا عن إقناع ولا عن برهان فيكون إما حقاً بالبحث وإما باطلاً بسوء الجد.

والبرهان : كل قضية أو قضايا^(١) دلت على حقيقة حكم الشيء.

والدليل : قد يكون برهاناً وقد يكون اسماً يعرف به المسمى وعبرة يتبين بها المراد كرجل ذلك على طريق تريد قصده، فذلك اللفظ الذي خاطبك به هو دليل على ما طلبت، وقد يسمى المرء الدال دليلاً أيضاً.

والحجة : هي الدليل نفسه إذا كان برهاناً أو إقناعاً أو شغباً.

والدال : هو المعروف بحقيقة الشيء، وقد يكون إنساناً معلماً، وقد يعبر به عن الباري تعالى الذي علمنا كل مانعلم، وقد يسمى الدليل دالاً على المجاز، ويسمى الدال دليلاً أيضاً كذلك في اللغة العربية.

والاستدلال : طلب الدليل من قبل معارف العقل ونتائجه أو من إنسان يعلم.

والدلالة : فعل الدال وقد تضاف إلى الدليل على المجاز.

(١) في هامش النسختين : وهي قضية أو قضايا صح بها علم على حقيقة الشيء. (محقق الأحكام).

والإقناع : قضية أو قضايا آنتست النفس بحكم شىء مادون أن توقفها على تحقيق حجة ولم يقم عندها برهان بإبطاله.

والشغب : تمويه بحجة باطل بقضية أو قضايا فاسدة تقود إلى الباطل وهي السفسطة.

والتقليد : هو اعتقاد الشىء لأن فلاناً قاله ممن لم يقم على صحة قوله برهان.

وأما اتباع من أمر الله باتباعه فليس تقليداً بل هو طاعة حق لله تعالى.

والإلهام : علم يقع في النفوس بلا دليل ولا استدلال ولا إقناع ولا تقليد، وهو لا يكون إلا: إما فعل الطبيعة من الحي غير الناطق ومن بعض الناطقين أيضاً كنسج العنكبوت وبناء النحل وما أشبه ذلك وأخذ الصبي الشدي وما أشبه ذلك، أو أول معرفة النفس قبل أوان استدلالها كعلمنا أن الكل أكثر من الجزء وهو في عدا هذين الوجهين باطل.

والنبوة : اختصاص الله عز وجل رجلاً أو امرأة من الناس بإعلامه بأشياء لم يتعلمها: إما بواسطة ملك، أو بقوة يضعها في نفسه خارجة عن قوى المخلوقين يعضدها خرق العادات وهي المعجزات وقد انقطعت بعد محمد صلى الله عليه وسلم.

والرسالة : أن يأمر الله تعالى نبياً بإنذار قوم وقبول عهده وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً.

والبيان : كون الشىء في ذاته ممكناً أن تعرف حقيقته لمن أراد علمه.

والإبانة والتبيين : فعل المبين وهو إخراجه للمعنى من الإشكال إلى إمكان الفهم له بحقيقة، وقد يسمى أيضاً على المجاز ما فهم منه الحق — وإن لم يكن للمفهوم منه فعل ولا قصد إلى الإفهام — مبيناً، كما تقول بين لي الموت أن الناس لا يخلدون.

والتبيين فعل نفس المبين للشيء في فهمه إياه وهو الاستبانة أيضاً والمبين هو الدال نفسه.

والصدق : هو الإخبار عن الشيء بما هو عليه.

والحق : هو كون الشيء صحيح الوجود.

ولا يغلط من لاسعة لفهمه فيظن أن هذا الحد فاسد بأن يقول : الكفر والجور صحيح وجودهما فينبغي أن يكونا حقاً.

فليعلم أن هذا شغب فاسد لأن وجود الكفر والجور صحيحين في رضى الله تعالى ليس هو صحيحاً بل هو معدوم فرضى الله تعالى بهما باطل.

وأما كونها موجودين من الكافر والجائر فحق صحيح ثابت لا شك فيه.

فمثل هذا من الفروق ينبغي مراعاته وتحقيق الكلام فيه وإلا وقع الإشكال وتحير الناظر.

وقد رأينا من يفرق بين الحق والحقيقة وهذا خطأ لا يخفى على ذي فهم ينصف نفسه، لأن الفرق بين هاتين اللفظتين لم تأت به لغة ولا أوجبه شريعة أصلاً إلا في تسمية الباري تعالى التي لا تؤخذ إلا بالنص ولا يحل فيها التصريف، فظهر فساد هذا الفرق بيقين وبالله تعالى التوفيق.

وأيضاً فإن الله تعالى قال : ﴿حقيق علي أن لا أقول على الله إلا الحق﴾ [سورة الأعراف: ١٠٥] ولا فرق عند أحد بين قول القائل حقيق علي كذا وبين قوله حق علي كذا، فظهر فساد هذا الفرق.

والباطل : ما ليس حقاً.

والكذب : هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه.

والأصل : هو ما أدرك بأول العقل وبالحس وقد ذكرناه قبل.

والفرع : كل ماعرف بمقدمة راجعة إلي ما ذكرنا من قرب أو من بعد وقد يكون ذلك الفرع أصلاً لما أنتج منه أيضاً.

والمعلوم : قسمان : معلوم بالأصل المذكور، ومعلوم بالمقدمات الراجعة إلي الأصل كما بينا.

وكل مانقل بتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أو أجمع عليه نقل جميع علماء الأمة عنه عليه السلام أو نقله الثقة عن الثقة حتى يبلغ إليه عليه السلام: فداخل في باب ماتيقتن ضرورة بالمقدمات المذكورة.

والنص : هو اللفظ الوارد في القرآن أو السنة المستدل به على حكم الأشياء، وهو الظاهر نفسه، وقد يسمى كل كلام يورد كما قاله المتكلم به نصاً.

والتأويل : نقل اللفظ عما اقتضاه ظاهره، وعما وضع له في اللغة إلى معنى آخر.

فإن كان نقله قد صح ببرهان وكان ناقله واجب الطاعة فهو حق، وإن كان نقله بخلاف ذلك اطرأ ولم يلتفت إليه وحكم لذلك النقل بأنه باطل.

والعموم : حمل اللفظ على كل ما اقتضاه في اللغة، وكل عموم ظاهر، وليس كل ظاهر عمومياً، إذ قد يكون الظاهر خبراً عن شخص واحد ولا يكون العموم إلا على أكثر من واحد.

والخصوص : حمل اللفظ على بعض ما يقتضيه في اللغة دون بعض، والقول فيه كما قلنا في التأويل آنفاً ولا فرق.

والألفاظ إما دالة على واحد، وإما على أكثر من واحد، فإن كانت ناقصة غير دالة كانت هدرأ.

والمجمل : لفظ يقتضي تفسيراً يؤخذ من لفظ آخر.

والمفسر : لفظ يفهم منه معنى المجمل المذكور.

والأمر : إلزام الأمر بالمأمور عملاً ما، فإن كان الخالق تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم فالطاعة لهما فرض، وإن كان ممن دونها فلا طاعة له.

والنهي : إلزام الناهي المنهي ترك عمل ما، والقول فيه كالقول في الأمر فلا فرق. وطاعة الأئمة فيما ليس بمعصية طاعة لله تعالى لتقدم أمر الله عز وجل بذلك.

والفرض : ما استحق تاركه اللوم واسم المعصية لله تعالى وهو : الواجب، واللازم، والحتم.

والحرام هو ما استحق فاعله اللوم واسم المعصية لله تعالى إلا أن يسقط ذلك عنه من الله تعالى عفو أو توبة وهو : المحذور، والذي لا يجوز، والممنوع.

والطاعة، تنفيذ الأمر من المأمور فيما أمر به والتوقف عن إتيان المنهي عنه، وقد يسمى كل بر طاعة.

والمعصية : ضد ذلك.

والندب : أمر بتخير في الترك إلا أن فاعله مأجور وتاركه لا آثم ولا مأجور وهو الائتساء والمستحسن، والمستحب، وهو الاختيار، وهو كل تطوع ونافلة كالركوع غير الفرض والصدقة كذلك والصوم كذلك وسائر أعمال البر.

والكراهة : نهي بتخير في الفعل إلا أن على تركه ثواباً وليس في فعله أجر ولا إثم، وذلك نحو ترك كل تطوع، ونحو اتخاذ المحاريب في المساجد، والتنشف بعد الغسل من الجنابة بثوب معد لذلك غير الذي يلبسه المرء، وبيع السلاح ممن لا يؤمن منه أن يستعمله فيما لا يحل، وابتياح الخصيان إذا أدى ذلك إلى خصائهم بطلب الغلاء في أثمانهم، والحلق في غير علة أو حج أو عمرة والأكل متكئاً.

والإباحة : تسوية بين الفعل وترك لا ثواب على شيء منها ولا عقاب
كمن جلس متربعا أو رافعا إحدى ركبتيه، أو كمن صبغ ثوبه أخضر أو
لازورديا وسائر الأمور كذلك وهو الحلال.

والقياس : عند القائلين به والمبطلين له : أن يحكم في شيء ما بحكم
لم يأت به نص لشبهه شيئا آخر ورد فيه ذلك الحكم وهو باطل كله.

والعلة : طبيعة في الشيء تقتضي صفة تصححها ولا توجد تلك الصفة
دونها ككون النار علة للإحراق والإحراق هو معلولها، والعلة أيضاً المرض،
ولا علة في شيء من الدين أصلاً، والقول بها في الدين بدعة وباطل^(١).

والسبب : أمر وقع فاختر الفاعل أن يوقع فعلاً آخر من أجله ولو شاء
أن لا يوقعه لم يوقعه ككون الذنب سبباً لعقوبة المذنب^(٢).

والغرض : نتيجة يقصدها الفاعل بفعله كالشبع الذي هو غرض الآكل
في أكله، وقد يكون الغرض اختياراً كمراد الله بشرع الشرائع تعذيب من
عصاه ونعيم من أطاعه^(٣).

والأمانة : علامة بين المصطلحين على شيء ما إذا وجدت علم الواجد

(١) لم يرد هذا المصطلح في فقرة ٢٦٥.
وأصل عل في اللغة التكرار، ومنه اشتق العائق لأنه عادة يكون من تكرار أحداث.
والذي يعوق الخطب عن الإحراق تخلف النار.

(٢) هذا المصطلح لم يرد في الفقرة السابقة.
وأصل سب في اللغة القطع، ومنه اشتق السبب وهو الحبل، لأن انقطاع الحيلة اقتضى
التوصل.

(٣) صعب على الإمام ابن فارس رحمه الله أن يجد لمادة غرض أصلاً جامعاً، والصحيح عندي
أن (المراد) هو المعنى الجامع وتفصيل ذلك في كتابي الذي لم ينته بعد بعنوان (مقياس
المقاييس) حررته على معجم مقاييس اللغة لابن فارس.

لها ما وافقه عليه الآخر، وقد يجعلها المرء لنفسه ليستذكرها ما يخاف نسيانه^(١) .

والنية : قصد العمل بإرادة النفس له دون غيره واعتقاد النفس ما استقر فيها.

والشرط : تعليق حكم ما بوجود حكم آخر، ورفع يرفعه، وهو باطل ما لم يأت به نص وذلك نحو قول القائل: إن خدمتي شهراً أعطيتك درهماً.

والتفسير والشرح : هما التبيين.

والنسخ : ورود أمر بخلاف أمر كان قبله ينقضي به أمر الأول.

والاستثناء : ورود لفظ أو بيان بفعل بإخراج بعض ما اقتضاه لفظ آخر، وكان المراد في اللفظ الأول ما بقي بعد المستثنى منه، وهذا هو الفرق بين النسخ والاستثناء، لأن النسخ كان فيه اللفظ الأول مراداً كله طول مدته، وأما المستثنى منه فلم يكن اللفظ الأول مراداً كله قط.

والجدل والجدال : إخبار كل واحد من المختلفين بحجته أو بما يقدر أنه حجته، وقد يكون كلاهما مبطلاً، وقد يكون أحدهما محققاً والآخر مبطلاً: إما في لفظه، وإما في مراده، أو في كليهما، ولا سبيل أن يكونا معاً محقين في ألفاظهما ومعانيهما.

(١) جرى هذا في إلف الناس بأن يعقد طرف عمامته أو يخط على ظهر كفه.

قال الشاعر :

إذا الشمس ذرت في البلاد فإنها

أمانة تسليمي عليك فسلمي

وقد مضى في الفقرة السابقة أن الأصل في أمر الإلزام ووجه اشتقاق العلامة من هذا

الأصل أن العلامة دافعة إلى التزام الأمر أو إلزامه بشيء ما.

فالشاعر ألزم محبوبته بالسلام لعلامة ذرور الشمس.

والاجتهاد : بلوغ الغاية، واستنفاد الجهد في المواضع التي يرجى وجوده فيها في طلب الحق، فصيب موفق أو محروم.

والرأي : ماتخيلته النفس صواباً دون برهان، ولا يجوز الحكم به أصلاً.

والاستحسان : هو ما اشتتهه النفس ووافقها كان خطأ أو صواباً.

والصواب : إصابة الحق.

والخطأ : العدول عنه بغير قصد إلى ذلك.

والعناد : العدول عنه بالقصد إلى ذلك.

والاحتياط : طلب السلامة.

والورع : تجنب ما لا يظهر فيه ما يوجب اجتنابه خوفاً أن يكون ذلك فيه.

والجهل : مغيب حقيقة العلم عن النفس.

والطبيعة : صفات موجود في الشيء يوجد بها على ما هو عليه ولا يعدم منه إلا بفساده وسقوط ذلك الاسم عنه.

ودليل الخطاب : هو ضد القياس، وهو أن يحكم للمسكوت عنه بخلاف حكم المنصوص عليه.

والشريعة : هي ما شرعه الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم في الديانة على السنة الأنبياء عليهم السلام قبله، والحكم منها للناسخ، وأصلها في اللغة الموضع الذي يتمكن فيه ورود الماء للراكب والشارب من النهر قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ [سورة الشورى: ١٣].

وقال امرؤ القيس :

ولما رأت أن الشريعة همها وأن البياض من فرائضها دامي
تيممت العين التي عند ضارج يفيسى عليها الظل عرمضها طامي
واللغة : ألفاظ يعبر بها عن المسميات وعن المعاني المراد إفهامها ولكل
أمة لغتهم.

قال الله عز وجل : ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾
[سورة إبراهيم: ٤].

ولا خلاف في أنه تعالى أراد اللغات ^(١) .

واللفظ : هو كل ما حرك به اللسان قال تعالى : ﴿ما يلفظ من قول إلا
لديه رقيب عتيد﴾ [سورة ق: ١٨].

وحده على الحقيقة أنه هواء مندفع من الشفتين والأضراس والحنك
والخلق والرئة على تأليف محدود، وهذا أيضا هو الكلام نفسه ^(٢) .

والخلاف : هو التنازع في أي شيء كان، وهو أن يأخذ الإنسان في
مسلك من القول أو العقل ويأخذ غيره في مسلك آخر، وهو حرام في
الديانة إذ لا يحل خلاف ما أثبتته الله تعالى فيها ^(٣) .

قال تعالى : ﴿ولا تنازعوا﴾ [سورة الأنفال: ٤٦].

وقال تعالى : ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾
[سورة النساء: ٨٢].

(١) الأصل في لغو اللهج بالشىء ومنه اشتقت اللغة.

(٢) أصل الكلام في اللغة النطق المفهم فهو أخص من اللفظ.

(٣) قال أبو عبد الرحمن : الخلاف في الحق غير الاختلاف في إحقاقه.

وهو التفرق أيضاً قال تعالى ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا﴾
[سورة آل عمران: ١٠٥].

والإجماع : هو في اللغة ما اتفق عليه اثنان فصاعداً، وهو الاتفاق، وهو
حينئذ مضاف إلى من أجمع عليه.

وأما الإجماع الذي تقوم به الحجة في الشريعة فهو ما يتقن أن جميع
الصحابة رضي الله عنهم قالوه ودانوا به عن نبيهم صلى الله عليه وسلم.
وليس الإجماع في الدين شيئاً غير هذا.

وأما ما لم يكن إجماعاً في الشريعة فهو ما اختلفوا فيه باجتهادهم أو سكت
بعضهم ولو واحد منهم عن الكلام فيه.

والسنة : هي الشريعة نفسها وهي في أصل اللغة وجه الشيء وظاهره.
قال الشاعر :

تريك سنة وجه غير مقرفة ملساء ليس بها خال ولا ندب
وأقسام السنة في الشريعة : فرض، أو ندب، أو إباحة، أو كراهة،
أو تحريم.

وكل ذلك قد سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل.
والبدعة : كل ما قيل أو فعل مما ليس له أصل فيما نسب إليه صلى الله
عليه وسلم، وهو في الدين كل ما لم يأت في القرآن ولا عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم، إلا أن منها ما يوجب عليه صاحبه ويعذر بما قصد إليه من
الخير، ومنها ما يوجب عليه صاحبه ويكون حسناً وهو ما كان أصله الإباحة كما
روي عن عمر رضي الله عنه (نعمت البدعة هذه) وهو ما كان فعل خير جاء
النص بعموم استحبابه وإن لم يقرر عمله في النص.

ومنها مايكون مذموماً ولايعذر صاحبه، وهو ما قامت الحجة على فساد
فتمادى عليه القائل به.

والكناية : لفظ يقام مقام الاسم كالضمائر المعهودة في اللغات،
وكالتعريض بما يفهم منه المراد وإن لم يصرح بالاسم ومنه قيل للكنية
كنية.

والإشارة : تكون باللفظ وتكون ببعض الجوارح وهي تنبيه المشار إليه
أو تنبيه عليه.

والمجاز : هو في اللغة ماسلك عليه من مكان إلى مكان، وهو الطريق
الموصل بين الأماكن، ثم استعمل فيما نقل عن موضعه في اللغة إلى معنى
آخر، ولا يعلم ذلك إلا من دليل من اتفاق أو مشاهدة.

وهو في الدين كل مانقله الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم عن
موضعه في اللغة إلى مسمى آخر ومعنى ثان، ولا يقبل من أحد في شيء من
النصوص أنه مجاز إلا ببرهان يأتي به من نص آخر أو إجماع متيقن،
أو ضرورة حس، وهو حينئذ حقيقة، لأن التسمية لله عز وجل، فإذا سمي
تعالى شيئاً ما باسم ما فهو اسم ذلك الشيء على الحقيقة في ذلك المكان،
وليس ذلك في الدين لغير الله تعالى. قال عز وجل: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ
سَمِيَتْهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [سورة النجم: ٢٣]

والتشبيه : هو أن يشبه شيء بشيء في بعض صفاته، وهذا لا يوجب
في الدين حكماً أصلاً، وهو أصل القياس، وهو باطل لأن كل ما في العالم
فشبه بعضه لبعض ولا بد من وجه أو من وجوه، ومخالف أيضاً بعضه لبعض
ولا بد من وجه أو من وجوه وهو أيضاً التمثيل ^(١).

(١) الحق أن التشبيه يقتضي الاشتراك في صفة أو أكثر، والتمثيل أبلغ، لأنه دعوى انتفاء
الفوارق في الاعتبار لا في الوجود، وهذا هو الأصل اللغوي.

والمتشابه : لا يوجد في شيء من الشرائع إلا بالإضافة إلى من جهل
دون من علم، وهو في القرآن، وهو الذي نهينا عن اتباع تأويله وعن طلبه،
وأمرنا بالإيمان به جملة، وليس هو في القرآن إلا للأقسام التي في السور
كقوله تعالى: ﴿والضحى والليل إذا سجى﴾ ﴿والفجر وليال عشر﴾
والحروف المقطعة التي في أوائل السور، وكل ما عدا هذا من القرآن فهو
محكم.

والمفصل : هو ما بينت أقسامه، وهو في أصل اللغة مافرق بعضه عن
بعض تقول فصلت الثوب واللحم وغير ذلك.

والاستنباط : إخراج الشيء المغيب من شيء آخر كان فيه، وهو في
الدين إن كان منصوباً علي جملة معناه فهو حق، وإن كان غير منصوب
على جملة معناه فهو باطل لا يحل القول به.

والحكم : هو إمضاء قضية في شيء ما، وهو في الدين تحريم أو إيجاب
أو إباحة مطلقة، أو بكراهة، أو باختيار.

والإيمان : أصله في اللغة التصديق باللسان والقلب معاً، لا بأحدهما دون
الثاني، وهو في الدين التصديق بالقلب بكل ما أمر الله تعالى به على لسان
رسوله صلى الله عليه وسلم والنطق بذلك باللسان ولا بد من استعمال
الجوارح في جميع الطاعات واجبها ونذبتها، واجتناب محرمها ومكروهها.

برهان ذلك أن جميع أهل الإيمان مكذبون بأشياء : منها أن يكون لله
تعالى ولد، وأن يكون مسيلمة نبياً، وغير ذلك كثير، ومصدقين بأشياء
كثيرة، وقد أطلق الله تعالى وأطلق جميعهم بعضهم على بعض اسم الإيمان
مطلقاً دون إضافة.

ولا خلاف بين أحد من الأمة في أنه لا يجوز أن يطلق اسم التكذيب
عليهم إلا بإضافة والكفار مؤمنون بأشياء كثيرة، ولا خلاف بين أحد من

الأمة في أنه لا يجوز أن يطلق عليهم اسم الإيمان مطلقاً إلا بالإضافة، فصح أن اسم الإيمان منقول من موضوعه في اللغة إلى ما ذكرناه.

والكفر : أصله في اللغة التغطية قال عز وجل : ﴿ كمثل غيث أعجب الكفار نباته ﴾ [سورة الحديد: ٢٠].

قال لبيد بن ربيعة :

أَلَقْتُ ذُكَاءَ يَمِينِهَا فِي كَافِرٍ

يُرِيدُ اللَّيْلَ لِأَنَّهُ يَغْطِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ.

وهو في الدين صفة من جحد شيئاً مما افترض الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجة عليه ببلوغ الحق إليه بقلبه دون لسانه، أو بلسانه دون قلبه، أو بهما معاً، أو عمل جاء النص بأنه مخرج له بذلك عن اسم الإيمان على ما بينا في غير هذا الكتاب.

برهان ذلك : أن جميع من يطلق عليه اسم الكفر فإنه مصدق بأشياء مكذب بأشياء ولا خلاف في أنه لا يجوز أن يطلق عليهم اسم الإيمان بلا إضافة.

وأهل الإيمان كفار بأشياء كثيرة منها التثليث وغير ذلك، ولا خلاف في أنه لا يجوز أن يطلق عليهم اسم الكفر بلا إضافة.

والشرك : هو في اللغة أن يجمع شيئاً إلى شيء فيشرك بينهما فيما جمعا فيه، وهو في الدين معنى الكفر سواء لما قد بيناه في غير هذا المكان، والتسمية لله تعالى لا لغيره.

والإلزام : هو أن تحكم على الإنسان بحكم ما فإما واجب، أو غير واجب.

والعقل : هو استعمال الطاعات والفضائل وهو غير التمييز لأنه استعمال ما ميز الإنسان فضله، فكل عاقل مميز وليس كل مميز عاقلاً، وهو في اللغة المنع: تقول عقلت البعير أعقله عقلاً.

وأهل الزمان يستعملونه فيما وافق أهواءهم في سيرهم وزيمهم.
والحق هو في قول الله تعالى : ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾
[سورة يونس: ١٠٠].

يريد الذين يعصونه.

وأما فقد التمييز فهو الجهل أو الجنون على حسب ماقابل اللفظ من ذلك.
والفور : هو استعمال الشيء بلا مهملة ولكن على أثر ورود الأمر به.

والتراخي : تأخير إنفاذ الواجب، وحكم أوامر الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم كلها على الفور إلا أن يأتي نص بإباحة التراخي في شيء ما فيوقف عنده.

والاحتياط : هو التورع نفسه وهو اجتناب مايتقي المرء أن يكون غير جائز وإن لم يصح تحريره عنده، أو اتقاء ماغيره خير منه عند ذلك المحتاط وليس الاحتياط واجباً في الدين ولكنه حسن.

ولا يحل أن يقضى به على أحد ولا أن يلزم أحداً لكن يندب إليه لأن الله تعالى لم يوجب الحكم به.

والورع : هو الاحتياط نفسه.

فصل في معاني حروف تتكرر في النصوص^(١)

واو العطف : لاشتراك الثاني مع الأول : إما في حكمه، وإما في الخبر عنه على حسب رتبة الكلام.

فإن كان الثاني جملة فهو اشتراك في الخبر فقط، وإن كان اسماً مفرداً فهو مشترك في حكم الأول.

وهي لا تعطي رتبة : أي أنها لا توجب أن الأول قبل الثاني ولا أنه بعده، بل ممكن فيها أن يكونا معاً، أو أن يكون أحدهما قبل الآخر بمهلة وبلا مهلة كقوله: جاءني زيد وعمرو، فجائز أن يأتيا معاً، وجائز أن يأتي زيد قبل عمرو وعمرو قبل زيد بساعة وبعام وبأقل وبأكثر.

والفاء : تعطي رتبة الثاني بعد الأول بلا مهلة كقوله : جاءني زيد فعمرو وزيد جاء قبل عمرو ولابد، وأتى عمرو إثره بلا مهلة^(٢) .

وثم : توجب أن الثاني بعد الأول بمهلة^(٣) .

وواو القسم : ليست واو عطف لأنها قد يبتدأ بها أول الكلام، ولا يبتدأ بواو العطف.

وأو : للشك وللتخيير مثل: قولك خذ هذا أو هذا، فإنما ملكت أخذ أحدهما.

(١) جميع هذا الفصل لم يرد في فقرة ٢٤١.

(٢) هذا هو أصل معناها في اللغة، وإذا فهذا هو ظاهر هذه الرابطة. وقد تخرج إلى وجوه آخر تحوزا.

انظر عن هذه الوجوه المغني ١٧٤/٢ - ١٧٦ ووصف المباني ص ٣٧٧ والجنى الداني ص ١٢١ - ١٢٢.

(٣) وماخرج عن ذلك مما ذكرته كتب حروف المعاني والصفات فهو مجاز.

وفي الشك قولك : جاءني زيد أو عمرو، فلم تقطع بجيئ أحدهما بعينه، لكن حقت أن أحدهما أتاك ولم تعينه ^(١) .

ومعنى الباء : الاتصال مثل قولك : مررت بزيد بتردد اتصال مرورك به، ولا توجب تبعيضاً ولا استيفاء ^(٢) .

ومن : معناها ابتداء أو تبعيض ^(٣) :

وإلى : معناها الانتهاء أو مع ^(٤) .

هذا يكثر جداً ولهذا قلنا : إنه لا بد للفقهاء أن يكون نحوياً لغوياً والا فهو ناقص، ولا يحل له أن يفتي لجهله بمعاني الأسماء وبعده عن فهم الأخبار ^(٥) .

(١) لها معاني كثيرة تتميز بدلالة السياق انظر عنها على سبيل المثال المغني ٦٤/١ - ٧١

وقد حقق ابن هشام رحمه الله أن أو موضوعة لأحد الشائين أو الأشياء بمعنى أنها ليست للتعين لما منع من التعين وهو دلالة السياق. وهذا هو الصحيح إن شاء الله.

(٢) الاتصال هو ما اصطلح عليه النحويون باسم الإلصاق.

ولها معاني كثيرة تعرف بالسياق منها التبعيض، إلا أن هذه المعاني مجازية.

(٣) الأصل في (من) عموم الابتداء والغاية وما بينها وقد يكون الابتداء من بعض الشيء. وما خرج عن ذلك فهو مجاز.

(٤) الأصل في إلى الانتهاء ولها معاني أخرى مجازية.

(٥) الإحكام ٣٥/١ - ٥٢ .

قال أبو عبد الرحمن : فهم شرع الله يقوم على تحرير قضايا الفكر وقضايا اللغة لمعرفة الظواهر التي هي مراد النص.

وقد حررت بعض قضايا الفكر في كتابي (لن تلحد) ولا أزال أعمل على تحرير ظواهر اللغة في كتابي (مقياس المقاييس).

وعسى أن أعان إن شاء الله على تحرير ظواهر الصيغ والروابط.

التعليق على النص

هذا الفصل أوفى من الفصل السابق برقم ٢٦٥ من ناحية زيادة المصطلحات وإضافة فصل الحروف، وبسط القول في معنى بعض المصطلحات.

ولم أعلق على ماسبق التعليق عليه تحاشياً للتكرار.

* عندما عرف أبو محمد العلم خاض خوضاً كلامياً حول علم الله جل جلاله.

والأولى وهو في مجال التعريف أن يعرف بعلم المخلوقين، أما علم الله فمع الإيمان بشموله وأننا نعلم بأن الله عليم ولا نعلم كيفية علمه: فكان عليه أن يبعد هذه القضية لأن التعريف لا يكون إلا لشيء تعلم كيفيته.

* خلق أبو محمد ورنق في الاستدلال على أن عقيدة العامي علم، وأنه غير مكلف البرهان.

والواقع أن العامي عالم فيما علمه جاهل فيما جهله، فإيمانه بالله علم يملك برهانه ويستطيع — رغم عاميته — معارضة محارات الإيمان بمحالات الكفر.

وقع دقائق شبه الكفر قد لا يقوى عليه، لأنه لا يحسن تصورهما، أولاً يحسن التعبير في دفعها، فإن تصور شيئاً منها ولم ترحز إيمانه ظلت عقيدته علماً.

ومالا يعلم أحكامه من فروع الشريعة باستدلال فهو جاهل به متبع أهل الذكر في تلقيه.

* حينما تورط أبو محمد في كلامه عن العلم، وزعم أن أسماء الله أسماء أعلام مترادفة غير متغايرة المعاني — كما هو مذهبه في الأسماء والصفات الذي شرحه في الفصل والدرة وغيرهما —: كان سبب تورطه أنه أجرى

صفات الله مجرى صفات البشر العارضة، والواقع أن صفات الله ملازمة لذاته جل جلاله.

فنحن نقر بصفات الله، ونعلم أن معنى الحكيم غير معنى الكريم، ونعتقد له الكمال المطلق ونشفق من زلة قلم تجر إلى التشبيه أو التعطيل.

ومذهب أبي محمد في الصفات مذهب تعطيل.

* * *

٢٦٧ - قال ناسخ كتاب التقريب :

كامل نسخ الديوان والحمد لله رب العالمين نسخته من نسخة شيخنا أبي بكر. قال: نسخته من نسخة شيخنا أبي عبد الله الرصافي المقروءة على أبي محمد، وخط أبي محمد عليها بالقراءة عليه.

وهي أصل فرغ من نسخها يوم الاثنين بعد صلاة الظهر في صفر سنة تسع وثلاثين وأربع مئة.

قال لي الشيخ أبو بكر : قال لي الشيخ أبو عبد الله : قال لنا أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الفقيه الحافظ: قرأت حدود المنطق على أبي عبد الله محمد بن الحسن المذحجي الطيب رحمه الله المعروف بابن الكتاني.

وما رأيت ذهنا أحد منه في هذا الشأن ولا أكثر تصريحاً له منه.

وكان قد قرأه على أبي عبد الله الجيلي الطيب، وقرأه الجيلي ببغداد على أبي سليمان داوود بن بهرام السجستاني، وقرأه داوود على متى.

ثم قرأته أيضاً على ثابت بن محمد الجرجاني العدوي المكنى بأبي الفتوح.

ومارأيت في خلق الله عز وجل أعلم بهذا العلم منه، ولا أحفظ له منه، ولا أوسع فيه منه.

فلما انتهيت إلى أوله أقرؤه تقطيعاً على الجرجاني وتقديماً على الجرجاني
حضر معنا عنده محمد بن الحسن اعترافاً للجرجاني وتقديماً له.

وشهد قراءتي له على الجرجاني.

وكان الجرجاني قد أخذ هذا العلم عن الحسن بن سهل بن السمح
ببغداد، وأخذه الحسن بن سهل عن متى.

وأخبرني ثابت أنه ساكن الحسن في منزل واحد أعواماً.

التعليق على النص

* هذا النص نفيس جداً أضاف جديداً إلى دراسة حياة ابن حزم.

* تيقناً أن ابن حزم ألف التقريب قبل شهر صفر سنة ٤٣٩ هـ.

وقد يكون ألفه قبل ذلك بمدة على فرض أن هذه النسخة الخطية المؤرخة
في ٤٣٩ هـ ليست أول أصل ألفه أبو محمد.

وقد ألفه بيقين بعد ٤١٦/٣/٢٥^(١).

* هذه النسخة عليها تملك محمد بن القاسم بن المنقار شمس الدين مع
تملكات أخرى.

وردت هذه النسخة بعنوان (المدخل إلى كتب المنطق الأولى).

والناسخ محمد بن عبد الملك بن عبد العظيم الحنفي.

* سبق أن عرفت بالتقريب فقلت :

كتاب ابن حزم (التقريب) طبع في بيروت بتحقيق الدكتور إحسان
عباس بعنوان (التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة

(١) انظر السفر الأول من النوادر ص ١٨ - ١٩.

الفقهية) وهذه هي تسمية الحميدي في الجذوة، وقد قال الحميدي عن التقريب.

(فإنه سلك في بيانه وإزالة سوء الظن عنه وتكذيب المخرقين به طريقة لم يسلكها أحد قبله فيما علمناه)^(١).

وعنوانه في المخطوطة (التقريب لحد المنطق) وسماه صاعد (التقريب لحدود المنطق).

وسماه الذهبي في السير (التقريب لحد المنطق بالألفاظ العامة).

وسماه في التذكرة (التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بألفاظ أهل العلم لا بألفاظ أهل الفلسفة).

قال : ومثله بالأمثلة الفقهية.

قال أبو عبد الرحمن : يريد أبو محمد بالألفاظ العامة الألفاظ المألوفة بين علماء الشريعة.

أما أبو محمد فسماه بأسماء مختلفة على هذا النحو :

التقريب لحدود الكلام، والتقريب في حدود الكلام، وكتبنا التي جمعناها في حدود المنطق، والتقريب لحدود المنطق، والتقريب في مائة البرهان.

قال أبو عبد الرحمن : بهذا يترجح لدي أن اسمه (التقريب لحدود المنطق)، وماعدا ذلك من عبارات فهي إما تعبير عن الاسم بالوصف، وإما شرح للعنوان.

قال أبو محمد عن كتابه التقريب : (في كتابنا المرسوم بالتقريب

(١) الجذوة ص ٢٩١.

لحدود المنطق، وهو كتاب جليل المنفعة عظيم الفائدة لاغنى لطالب الحقائق عنه، فن أحب الثلج وأن يقف على علم الحقائق فليقرأه).

وذكر الدكتور إحسان النسخة التي طبع عنها الكتاب وأنها محفوظة بالمكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة وتونس ورقها ٦٨١٤ أحضرها معهد المخطوطات قال: نسخة وحيدة لا أعرف لها ثانية.

قال أبو عبد الرحمن : لأبي محمد بن حزم بمكتبة السليمانية بأزمير برقم ٢/٧٦٤ استانبول كتاب بعنوان (تفسير ألفاظ تجري بين المتكلمين) ومن مراسلتي لبعض الأخوان بتركيا ظهر لي أنه هو التقريب ^(١) .

قال أبو عبد الرحمن : ثم أتيت لي الاطلاع على هذه النسخة نسخة أزمير، وعنها نقلت الفقرة ٢٤١ و ٢٤٣.

* وصاحب النسخة الأصل أبو بكر هو الخطيب البغدادي، وأبو عبد الله الرصافي هو الحميدي تلميذ ابن حزم.

* * *

٢٦٨ - قال أبو محمد :

وحكم صاحب الصلاة أن يكون قريباً من الجامع كما كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويتخذ مؤذنين أو ثلاثة صيتين فاضلين فصيحين بالأذان عالين بالأوقات.

ويجب على الإمام التوسعة عليهم إن كانوا فقراء لئلا ينشغلوا عن المسجد وأوقات الصلاة.

(١) ابن حزم خلا ألف عام ٣٥١ - ٣٧.

ولا بد من خدمة يتكفلون بالمسجد وكنسه وتنظيفه وفتح أبوابه وإغلاقها
وتسوية صفوف المصلين^(١) .

* * *

٢٦٩ - وقال مؤلف كتاب السياسة :

ابن حزم : يجب على الملك أن يجعل يوماً في الجمعة يركب فيه فيراه
العامة كلها ولا يمنع منه مشتك كائناً من كان.

ويجعل سائر أيامه للنظر في الأمور، ولا يسرف على نفسه لأكثر طرفي
النهار من صلاة الصبح إلى نحو ثلاث ساعات من النهار ومن صلاة العصر
إلى إصفرار الشمس.

ويجعل وسط نهاره لراحة جسمه والنظر في ماله وأهله، فلا يطمع أحد
في الوصول إليه لغير معنى.

ويجعل الإمام عشية نهاره للجلوس مع أهل العلم والفضل والعقل وحسن
التدبير يخوض معهم في العلوم الدينية والفقه والأمر الشرعية، فقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس مع أصحابه ويذاكرهم ويشاورهم
ويعلمهم.

وكذلك كان الخلفاء بعده^(٢) .

* * *

(١) كتاب في السياسة لمجهول ص ١٨٨ - ١٨٩ .

(٢) كتاب السياسة ص ١٥٧ - ١٥٨ .

٢٧٠ - وجاء في كتاب السياسة لمجهول :

ابن حزم :

ويتخذ الملك من وجوه الكتاب ووجوه الأطباء والعلماء والقضاة والأمراء
قوما ذوي آراء سديدة وكتمان للسر^(١) ، فيجعلهم وزراءه الذين يحضرون
مجلسه ويلازمونه في التدبير لجميع ماقلده الله من أمور عباده.
وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الدين
النصيحة.

قيل لمن : يارسول الله؟.

قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامةهم.

والنصح في الجملة : فعل الشيء الذي به الصلاح^(٢) .

* * *

٢٧١ - ورد في كتاب السياسة لمؤلف مجهول :

في تولية الخطط الدينية وغيرها

ابن حزم في سياسته :

ينبغي للإمام أن يولي الصلاة رجلاً قارئاً القرآن حافظ له عالماً بأحكام
الصلاة والطهارة فاضلاً في دينه خطيباً فصيحاً معرباً فقيهاً في جميع ذلك.

(١) في الأصل : السر.

(٢) السياسة ص ١٦٠.

ومن ولاء الإمام الصلاة بأهل بلد كانت له الجمعة والعيدان^(١)
والصلوات الخمس المفروضات والكسوف والاستسقاء في جميع البلدة التي
ولي صلاتها^(٢) .

التعليق على تلك النصوص

* يوجد في الخزانة العامة بالرباط مختصر من كتب السياسة لمؤلف
مجهول برقم ٧٧ق/٢ ضمن مجموع من ١٣٨ إلى ٢١٠ بقلم نسخ مغربي
كتب سنة ١١٢٠.

جمعه مؤلفه من عدة كتب كالأحكام السلطانية للماوردي، وسراج الملوك
للطرطوشي، وهجة المجالس لابن عبد البر، والمهجع للثعالبي، والسياسة لابن
حزم.

* قال أبو عبد الرحمن : نقلت هاهنا كل ما فيه من نقل عن ابن حزم
من كتابه المفقود في السياسة إضافة إلى ما ذكرته في السفر الأول من نقول
عن سياسة ابن حزم.

* * *

٢٧٢ — قال أبو محمد :

سمى الأوائل النوع في بعض المواضع اسماً آخر وهو الصورة، وأرى هذا
اتباعاً للغة يونان، فربما كان هذا الاسم عندهم، أعني الذي يترجم عنه في
اللغة العربية بالصورة واقعاً على النوع المطلق، ولا معنى لأن تشتغل بهذا إذ
لا فائدة فيه^(٣) .

(١) هكذا في الأصل، ووجه تقدير كلمة (صلاة) قبلها.

(٢) كتاب السياسة.

(٣) التقريب ص ٢١٠.

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن : في هذا دلالة على أن أبا محمد لا يعرف اللغة اليونانية ^(١) .

* * *

٢٧٣ — قال أبو محمد :

على أن السؤال بما، والسؤال بأي : قد يستويان في اللغة العربية، وينوب كل واحد من هذين اللفظين عن صاحبه، ويقعان بمعنى واحد.

ومن أحكم اللغة اللطينية عرف الفرق بين المعنيين اللذين قصدنا في الاستفهام، فإن فيها للاستفهام عن العام لفظاً غير الاستفهام عن أبعاض ذلك العام ببيان لا يختل على صاحبه أصلاً ^(٢) .

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن : في هذا النص دلالة على معرفة أبي محمد للغة اللاتينية ^(٣) .

* للحروف ظواهر كما لمعاني المفردات ظواهر، وكما للصيغ ظواهر.

فإذا استوت دلالتا (ما) و (أي) : فلا بد أن يكون معناهما أو معنى أحدهما مجازياً ^(٤) ، ويظهر لي أن (ما) أعم في الاستفهام، وأن أي — كما

(١) انظر التقريب أيضا ص ٧٥.

(٢) التقريب ص ١٥.

(٣) راجع أيضا مقدمة الدكتور إحسان عباس للتقريب ص ط.

(٤) انظر ما قرره في كتابي اللغة العربية بين القاعدة والمثال ص ١٧.

قال الزجاجي — تكون استفهاماً عن شيء هو بعضه كقولك: أي القوم أخوك (١).

* * *

٢٧٤ — قال أبو محمد :

وقد لاح بالحقيقة التي بينا أن الأوصاف والأخبار كلها إنما تقع علي المسميات لا على الأسماء وأن المسميات هي المعاني، والأسماء هي عبارات عنها.

فشئت بهذا أن الاسم غير المسمى، ووضح غلط من ظن غير ذلك من أصحابنا الذين يقولون بالكلام غير محققين له: أن الاسم هو المسمى.

وقد احتج بعضهم في خطئه ذلك بقوله الله تعالى : ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [سورة الأعلى: ١].

وهذا منهم سقوط شديد، وإنما بيان ذلك أن المسميات لما لم يتوصل إلى الإخبار عنها أصلاً إلا بتوسط العبارات المتفق عليها عنها: جعلت المسميات عين تلك العبارات، وإنما المراد المعبر بها عنها.

ولما لم يكن سبيل إلى الثناء على الله عز وجل إلا بذكر الاسم المعبر به عنه: لم يقدر على إيقاع الثناء والمدح والتسبيح له تعالى إلا بتوسط الاسم، فأمرنا تعالى بما نقدر عليه لا بما لانقدر عليه أصلاً، والمراد بالتسبيح هو

(١) انظر كتاب حروف المعاني للزجاجي ص ٦٦.

ومن أراد تحقيق ظواهر الحروف فلا يستغني عن البدء بكتب حروف المعاني كمعظم مباحث المغني لابن هشام، والجنى الداني للمرادي، ومعاني الحروف للرماني، ومعاني الحروف للزجاجي، ورصف المباني للمالقي، وسر الصناعة لابن جني، واللامات للزجاجي، وحديث ما للدكتور المفدى.

تعالى، لا الصوت الفاني المنقطع المعدوم إثر وجوده، الواقع تحت حد الكمية في نوع القول كما قدمنا، فاعلم هذا^(١).

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن : قضية الاسم والمسمى شغلت العلماء والمتكلمين في كتب العقائد والكلام، وألف فيها باستقلال الإمام ابن جرير الطبري والبطلاني وغيرهما.

ومذهب أبي محمد في هذه القضية غير سديد.

وبيان ذلك أن كلمة كلفظ (زيد) لا تخلو من أحد أمرين :

أحدهما : أن تكون لفظاً لم يصطلح به على شيء، فحينئذ لا تعني شيئاً إلا أنها صوت ورسم لحروف معروفة. وهذا خارج عن محل الخلاف، لأنها لم تكن اسماً لشيء، والخلاف في الاسم والمسمى. وثانيهما : أن تكون لفظاً سمي به معنى من المعاني كشخص من بني آدم، فلا ننظر إلى هذا اللفظ إلا من جهة أنه رمز لشيء معين واسم له.

وإذ نظرنا محصور في هذه الجهة فالاسم هو المسمى، لأننا إذا تكلمنا بهذا اللفظ الذي اصطالحنا به أو اصطالح به غيرنا أو من قبلنا على ذلك الشخص بعينه لم نتصور إلا ذلك الشخص.

فن قال الاسم غير المسمى، لأن المسمى شخص ذو لحم وعظم وعصب ودم ناطق... إلخ، ولفظ (زيد) ليس غير صوت مؤلف من حروف : فقد أبعد النجعة، لأن المسمى هاهنا ليس ذلك الصوت، وإنما المسمى بهذا الصوت ذات معينة فلا ننظر إلا من جهة التسمية.

(١) التقريب ص ٨٠.

والبرهان على ذلك أنك إذا قلت : الاسم غير المسمى أصبح قولك قضية فاسدة. لأنك أثبتت اسماً ومسمى ثم أثبتت الغيرية فكان معنى ذلك أن ذلك الاسم ليس اسماً لذلك المسمى.

فإذا تناقضت القضية استحال تصور حكمها، إذ الحكم لا يكون إلا على هوية.

فلا بد إذن من تحرير الهوية، فإذا أثبت أن هذا الاسم اسم لهذا المسمى فهما واحد بلا ريب، وإن أثبتت الغيرية فلا بد أنك أثبتت هوية القضية بأنها عن اسم لغير ذلك المسمى فيكون الاسم غير المسمى.

مثال ذلك من قال : من الممكن في قدرة الله أن يلتقي طرفا الخط المستقيم.

فنقول حينئذ هوية القضية متناقضة، لأن من هوية المسمى مستقيماً أن لا يلتقي طرفاه فإن وجد خط يلتقي طرفاه فهو غير مستقيم.

وكذلك الصفة إذا أطلقها لمجرد الصفة فهي بمعنى الموصوف من المسمى فحسب.

فإن تجوزت بها إلى التسمية فهي كالاسم بمعنى المسمى في الاصطلاح بحكم المجاز. فإن قائل قائل: لو قال إنسان عن ولده زيد: (غيرت زيدا) كان في ذلك مجال للاستيضاح: هل غير ذات زيد أم غير اسم زيد؟!.

وهذا الاستيضاح معقول، ومادام معقولاً فالاسم غير المسمى، لأن الاستيضاح يعني تمييز غيرين!.

فالجواب : نعم هما غيران قبل التسمية وبعد تغيير التسمية، وليس هذا محل خلاف.

أما حال التسمية فهما واحد، لأن المسمى هو المعبر عنه يزید، ولأن زيدا هو نفس المعبر عنه.

ويرد الكلام مشعراً بالغيرية إذا اشترك مسمون في اسم واحد.

فإذا قلت : لايعجبني زيد.

احتمل أنك تعني الاسم القابل إيقاعه على عدة، واحتمل أنك تعني مسمى معيناً.

إلا أن هذه الغيرية ليست بين الاسم والمسمى المعين، وإنما هي بين الاسم وبين المسمين.

واحتجاج من رد عليهم أبو محمد « سبح اسم ربك » احتجاج صحيح، لأننا ننزه ربنا بأسمائه وصفاته، لأن المسمى هو الاسم.

وما اختاره أبو محمد في التأويل هو نفس مذهب من رد عليهم، والفارق أنهم جعلوا التسبيح للمسمى والاسم حقيقة فيها لأنها واحد.

وأبو محمد جعل التسبيح للاسم مجازاً وللمسمى حقيقة.

فهو أسعد بالظاهر.

وهناك مذاهب محتملة تقضي بأن التسبيح للاسم، وليس ذلك على أساس أن الاسم غير المسمى، بل على أساس أن يراد بالاسم مسميان آخران.

فالغيرية ليست بين الاسم والمسمى حالة التسمية، بل بين المسمين والاسم حال إرادة نقل التسمية إلى مسمى آخر.

فمن تلك المذاهب : أن المراد : نزه اسم الله أن يسمى به صنم.

أو نزه اسم الله أن تذكره إلا وأنت خاشع.

وثمة وجه ثالث : وهو أن حرف الجر محذوف، والتقدير سبّح ربك باسمه^(١).

فالوجه الأول والثالث هما الأرجحان وهما بمعنى المسمى.

والوجه الثاني مرجوح.

وإذا كان منكرو أن الاسم هو المسمى هارين من أن يكون اللفظ ذو الأصوات المخلوقة هو الخالق فهذا الهرب ذاته هو الغفلة.

لأن الملحوظ — كما ذكرت آنفاً — ليس هو حقيقة اللفظ بالحروف ذات الأصوات المخلوقة، وإنما الملحوظ دلالة الحروف ذات الأصوات المخلوقة حال التسمية، فن جهة التخاطب باللغات التي أوجدها ربنا جعل الله مدلول اللفظ هو ذات اللفظ حال التسمية.

فالكلمة (زيد) هي ذات شخص زيد من ناحية أن الذات تعرف باللفظ واللفظ دال على الذات.

أما حقيقة اللفظ ذي الحروف والأصوات فغير حقيقة الذات، ولكن هذه الغيرية غير معتبرة في الخلاف، بل المراعى مدلول اللفظ توقيفاً أو مواضعاً.

وهذا الهروب الذي سمّيته غفلة هو الذي جعل أبا محمد يعتبر أسماء الله وصفاته ألفاظاً مترادفة، وهذا المذهب منتهى التعطيل.

وبهذا تعرف الفرق بين قولنا : الاسم هو المسمى، وقولنا : المسمى غير لفظ الاسم.

قال أبو عبد الرحمن : هذه معالم بسيطة، وعسى أن أعان على حل هذه العقدة الكلامية بما هو أوعب وأجلى في مناسبة أليق، والله المستعان.

* * *

(١) راجع البحر المحيط ٤٥٨/٨.

٢٧٥ - قال أبو محمد :

وأما قول القائل : (فلان لا يظلم في حبة خردل) فلا يفهم من ذلك عند التحقيق وترك المسامحة إلا ما اقتضاه اللفظ خاصة من أنه لا يظلم في الخردل خاصة، وهذا الذي وضع له اللفظ في اللغة.

ولا يفهم من ذلك أنه لا يظلم في الآطام والضياع والدور لأن الضياع والدور لا تسمى خردلاً أصلاً.

ولكن إن قال قائل : لا يظلم الناس شيئاً، أو قال لا يظلم في شيء، فحينئذ يعم بالنفي كل ما وقع عليه اسم ظلم.

فإن لم يكن هذا فلا ي معنى علقته في الأساء على المسميات وثبت في العقول أنه لا بيان إلا بالألفاظ المعبر عن المعاني التي أوقعت عليها في اللغة.

هذا ما لا يعلم أحد سواه إلا مغالط لنفسه مكابر لحسه، مسامح حيث لا تنبغي المسامحة.

وكذلك قوله تعالى : ﴿فَلَا تَقْلُ لَهَا أَفٌ﴾ [سورة الإسراء: ١٧] فإنه لا يفهم من اللفظ أصلاً إلا منع أف فقط.

وأما القتل والضرب وغير ذلك فلا منع منه في هذا اللفظ أصلاً.

لأن كل ذلك لا يسمى (أف) ولا يعبر عنه بأف.

ولو أن إنساناً قتل آخر وأخبر عنه بخبر وشهد شاهد : أنه قال له (أف) لكان كاذباً وشاهد زور وآتياً كبيرة من الكبائر بحكم المختار للوسائل بيننا وبين الواحد الأول صلى الله عليه وسلم عز باعته وجل، إذ قضى أن شهادة الزور من الكبائر فن لم يردعه قبح الخروج عن المعقول فليردعه خوف النكال الشديد يوم الجزاء، نعود بالله من ذلك.

ولو أن حالفاً حلف على القاتل : أنه قال للمقتول (أف) لكانت يمينه

غموساً، فكيف استجاز من يصف نفسه بالفهم أن يقضي قضاء يقربه على نفسه أنه كاذب إذا حقق الحكم؟.

ولعمري إن كثيراً منهم لأفاضل فهاء أختيار صالحون معظمون باستحقاقهم، ولكن النقص لم يعر منه بشر إلا المعصومين بالقوى الإلهية من الأنبياء عليهم السلام خاصة.

وزلة العالم مؤذية جداً ولو لم تعده إلى غيره لقل ضررها، لكن لما قال الله عز وجل: ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ : اقتضت هذه اللفظة إتيان كل ما يسمى إحساناً، ودفع كل ما يسمى إساءة، لأن الإساءة ضد الإحسان والإحسان واجب فالإساءة ممنوعة، لأن قولك أحسن إلى فلان يقوم مقام قولك لا تسيء إليه، وذلك معنى مقتضاه فقط.

وأما قولك لا تسيء إليه فليس فيه الإحسان إليه، وكذلك إذا قلت لا تحسن إليه فليس فيه أن تسيء إليه أصلاً، لأن هذا من الأضداد التي بينها وسائط والوسيلة هاهنا هي التي بين الإساءة والإحسان: المتاركة.

وأما إذا قلت أسيء إلى فلان ففيه رفع الإحسان عنه، لأن الضد يدفع الضد، إذا وقع أحدهما بطل الآخر.

فتدبر هذه المعاني تستضيء في جميع مطلوباتك بالنور الذي منحك خالقك تعالى، وقرب به شباك من الملائكة وأبانك عن البهائم، وإلا كنت كخابط عشواء حيران لا تدري ما تقدم عليه بالحقيقة ولا ما تترك باليقين.

لكن بالحدس^(١) والهجمة اللذين لعلهما يوردانك المتالف ويقذفانك في المهالك هداًنا الله وإياك بمنه^(٢).

(١) في المطبوع : بالحس.

(٢) التقريب ص ١٥٤ - ١٥٥.

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن : هاهنا غفلة من أبي محمد أوقعته في المغالطة والتشنيع. وبيان هذا بمقدمة موجزة، وهي أن أبا محمد لم يحرر الظواهر التي نذر لها عمره وعلمه.

وقد بينت في مقدمة السفر الرابع من كتابي ابن حزم خلال ألف عام الظاهر العقلي والنصي.

وحيث أن قضيتنا هذه نصية فإنني مذكر بأن ظواهر النصوص على هذا النحو:

- أ — ظاهر المادة للمفردة اللغوية من ناحية المعنى كالعين بعدة معاني.
 - ب — ظاهر الصيغة كمعنى الحقد على صيغة فعول.
 - ج — ظاهر الرابطة كالأصل في معنى الباء.
 - د — ظاهر السياق وهو دلالة عدة ألفاظ وصيغ وروابط في جملة مفيدة، والسياق بواسطة علم النحو يحدد معنى المفردة والصيغة والرابطة ويعين حقيقتها من مجازها.
 - هـ — ظاهر السياقات، وهو استخلاص المراد من عدة نصوص.
- وكما يحتكم إلى علم النحو في الظاهرين الأخيرين : يستفاد من القرائن الخارجة عن دلالات اللغة كالضرورات والشواهد الحسية والعقلية.

وإذ أوضحت ظواهر النص فلا بد من بيان الأصول في حمل النص على ظاهره فأقول القاعدة كالتالي:

- أ — يحمل النص على مصطلح المتكلم إن عرف له اصطلاح خاص.
- ب — إن لم يوجد الأول حمل على عرف المخاطب كالمجاز الغالب الاستعمال أصبح بغلبته عرفاً للمخاطب.

جـ - إن لم يوجد عرف غالب الاستعمال حل على حقيقة اللغة.
د - يحمل على مجاز غير غالب الاستعمال إذا لم يوجد مصطلح للمتكلم، ولا عرف للمخاطب، وقام البرهان على أن حقيقة اللغة غير مرادة أو قام برهان على أن المجاز هو المراد.
ولا يحمل على المجاز حتى يصح في لغة العرب، ولا يحمل على أحد المجازات الصحيحة في لغة العرب حتى يقوم برهان بتعيينه أو ترجيحه.
قال أبو عبد الرحمن : وإذ وضحت هذه الحقائق عن الظواهر فلنعد إلى مناقشة أحكام ابن حزم:

* ليس بصحيح قول أبي محمد أن المفهوم محدد في حبة الخردل في قولهم: فلان لا يظلم في حبة خردل.

بل المفهوم أنه لا يظلم مطلقاً بظاهر اللغة، لأن هذه الجملة دلالة سياق وقرائن وليست دلالة مفردة.

وعرف المخاطب جرى على هذا المعنى، فهو مجاز غالب الاستعمال.

والبرهان على ذلك أن النفوس تغتفر الظلم في حبة خردل، فلما نفي الظلم في ذلك علم أن المراد نفي الظلم بإطلاق.

* جملة (لا يظلم في حبة خردل) في معنى (لا يظلم في شيء).

إلا أن دلالة الأول دلالة بلاغية سياقية تركيبية.

ودلالة الثاني دلالة عموم مفردة لغوية.

* يراد بالأف أدنى الإيذاء لنفي جميعه بخلاف ماذهب إليه أبو محمد.

والسبب أننا لانبث عن معنى (أف) بحثاً معجمياً مجرداً عن السياق، وإنما معناها في الآية الكريمة معنى سياق وبلاغة حسب عرف المخاطب فهو مجاز غالب الاستعمال.

ولا يتصور المعنى اللغوي المعجمي إلا بقرينة كأن يخشى المتكلم على السراج أن ينطفئ فينهى عن أف أو يريد زوال الدخان من الخطب فيأمر بأف.

* استدلال ابن حزم بنصوص شرعية منعت من إيقاع أدنى الأذى على الوالدين يعني أن (أف) في الآية الكريمة مصروفة عن ظاهرها.

وهذا سهو من أبي محمد، بل معنى (أف) المجازي هو الظاهر السياقي. والنصوص التي استدلل بها أبو محمد أكدت ذلك الظاهر السياقي ولم تصرفه.

* * *

٢٧٦ - قال أبو محمد :

وقد أضجرتني بعض أصدقائنا ببلية أدخلها عليه حسن ظنه بكلام قرأه لكثير الهذر المكنى بأبي العباس المعروف بالناشئ، فكان أبدا يسومني الفرق بين المحمول والمتمكن!

ولم يعنه الخالق تعالى إلى وقتنا الذي كتبنا فيه كتابنا هذا على فهم الفرق بينهما، وهو أن المحمول إنما نقوله في الصفات التي تبطل ماهي فيه: كبياض زيد، وحياته.

فإن زيدا إن بطل بطلت حياته وبياضه بلا شك.

وقد يبطل أيضاً بياضه، ولا يبطل زيد، بل يكون صحيحاً سوياً : إما لشحوب، وإما لبعض الحوادث.

والمتمكن إنما نقوله في الجواهر التي لا تبطل ببطلان ماهي فيه ككون زيد في البيت ثم يهدم البيت ويصير رابية أو هوة وزيد قائم صحيح ينظر في أسبابه.

ويزايل زيد البيت ولا ييطل واحد منها.

وهكذا أجزاء الجسم في الجسم إنما هي متمكنة لا محمولة، وهذا فرق لا يحتل على ذي حس سليم أو إنصاف^(١).

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن : لم يبين أبو محمد من هو صديقه الذي أضجره.

ولم يوضح تاريخ تأليفه لكتابه التقريب إلا أننا علمنا من نص آخر سبق في السفر الأول أنه ألفه بعد موت المستكفي.

هذا النص مع نصوص أخر دال على أن مجلس أبي محمد عامر بالنقاش في قضايا الفكر، وهي سنة في المجالس تكاد تكون غريبة على أهل الأندلس.

وما سبقها من ومضات عن بعض المجالس لم تنل ترحيباً كما سبق في السفر الأول من كلام أبي محمد بن أبي زيد، وكما أثر عن ابن مسرة.

* * *

٢٧٧ — قال أبو محمد :

وذكروا أيضاً — وهو من غامض اختراعهم — قول الله تعالى بعد أمره بني إسرائيل بذبح البقرة —: ﴿وَإِذ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مَخْرُجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ [سورة البقرة: ٧٢].

وذكروا مع هذه الآية ماناه أحمد بن عمر بن أنس العذري : عن عبد

(١) التقريب ص ٤٣.

الله بن الحسين بن عقال الزبيري: نا إبراهيم بن محمد الدينوري: نا محمد بن الجهم: نا أبو بكر الوزان: نا علي بن عبد الله — هو ابن المديني — نا يحيى بن سعيد القطان: نا ربيعة بن كلثوم: نا أبي: عن سعيد بن جبير: أن ابن عباس قال: إن أهل مدينة من بني إسرائيل وجدوا شيخاً قتيلاً في أصل مدينتهم فأقبل أهل مدينة أخرى فقالوا: قتلتم صاحبنا.

وابن أخ له شاب يبكي ويقول: قتلتم عمي.

فأتوا موسى عليه السلام فأوحى الله تعالى إليه ﴿أَنْ أَمُرَّكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾ فذكر حديث البقرة بطوله.

قال: فأقبلوا بالبقرة حتى انتهوا بها إلى قبر الشيخ وهو بين المدينتين وابن أخيه قائم عند قبره يبكي فذبحوها فضرب ببضعة من لحمها القبر فقام الشيخ ينفض رأسه ويقول: قتلني ابن أخي طال عليه عمري وأراد أكل مالي ومات.

وبه إلى ابن الجهم: نا محمد بن سلمة: نا يزيد بن هارون: نا هشام: عن محمد بن سيرين: عن عبدة السلماني قال: كان في بني إسرائيل عقيم لا يولد له، وكان له مال كثير، وكان ابن أخيه وارثه: فقتله، ثم احتمله ليلاً حتى أتى به حي آخرين، فوضعه على باب رجل منهم، ثم أصبح يدعيه عليهم، فأتوا موسى عليه السلام، فقال: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، فذكر حديث البقرة، فذبحوها فضربوه ببعضها فقام فقالوا: من قتلك؟

فقال: هذا — لابن أخيه — ثم مال ميتاً.

فلم يعط ابن أخيه من ماله شيئاً ولم يورث قاتل بعد.

وبه إلى ابن الجهم: نا الوزان: نا علي بن عبد الله: نا سفيان بن سوقة قال: سمعت عكرمة يقول: كان لبني إسرائيل مسجد له اثنا عشر باباً

لكل سبط باب، فوجدوا قتيلاً قتل على باب، فجروه إلى باب آخر، فتداعوا قتله، وتدارى الشيطان، فتحاكموا إلى موسى عليه السلام، فقال: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة.

فذبجوها، فضربوه بفخذها، فقال : قتلني فلان وكان رجلاً له مال كثير وكان ابن أخيه قتله وفي حديث البقرة زيادة اقتصرتها.

قال أبو محمد رحمه الله : كل ما احتجوا به من هذا فيأثم وتمويه على المغترين.

أما الآية فحق، وليس فيها شيء مما في هذه الأخبار ألبتة، وإنما فيها أن الله تعالى أمر بني إسرائيل بذبح بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين مسلمة لاشية فيها غير ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك، وأنهم كانوا قتلوا قتيلاً فتداروا فيه فأمرهم الله تعالى أن يضربوه ببعضها إذ ذبحوها كذلك يحیی الله الموتى ويریكم آیاته.

وليس في الآية أكثر من هذا : لا أن المقتول ادعى على أحد، ولا أنه قتل به، ولا أنه كانت فيه قسامة.

فكل ما أخبر الله تعالى به فهو حق، وكل ما أقحموا بآرائهم في الآية فهو باطل، فبطل أن يكون لهم في الآية متعلق أصلاً.

ثم نظرنا في الأخبار التي ذكرنا فوجدناها كلها مرسله لاحجة في شيء منها إلا الذي صدرنا فهو موقوف على ابن عباس، ولا حجة في أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبطل أن يكون لهم في شيء منها متعلق، ثم لو صحت الأخبار المذكورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكانت كلها لاحجة لهم فيها لوجوه :

أولها : أن ذلك حكم كان في بني إسرائيل ولا يلزمنا ما كان فيهم،

فقد كان فيهم السبوت وتحريم الشحوم وغير ذلك، ولا يلزمنا إلا ما أمرنا به نبينا عليه السلام.
قال الله تعالى : ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [سورة المائدة: ٤٨].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فضلت على الأنبياء بست، فذكر فيها أن من كان قبله إنما كان يبعث إلى قومه خاصة وبعث هو عليه السلام إلى الأحمر والأسود.
فصح يقيناً أن موسى عليه السلام وسائر الأنبياء قبل محمد عليه السلام لم يبعثوا إلينا، فبيقين ندري أن شرائع من لم يبعث إلينا ليست لازمة لنا، وإنما يلزمنا الإقرار بنبوته فقط.

وثانيها : أنه لا يختلف اثنان من المسلمين في أنه لا يلزمنا في شيء من دعوى الدماء ذبح بقرة، وصح بطلان احتجاجهم بتلك الأخبار إذ ليس فيها أن يسمع من المقتول بعد أن تذبح بقرة ويضرب بها.

وثالثها : أن تلك الأخبار فيها معجزة نبي وإحالة الطبيعة من إحياء ميت، فهم يريدون أن نصدق حياً قد حرم الله تعالى علينا تصديقه على غير نفسه ممكناً منه الكذب من أجل أن صدق بنو إسرائيل ميتاً أحياه الله تعالى بعد موته.

وهذا ضد القياس بلا شك وضد ما في هذه الأخبار بلا شك.

والأمر بيننا وبينهم في هذه المسألة قريب، فليرونا مقتولاً رد الله تعالى روحه إليه بحضرة نبي أو بغير حضرته ونخبرنا بالشئ ونحن حينئذ نصدقه.

وأما أن نصدق حياً يدعي على غيره فهو أبطل الباطل بعينه.

فذكرهم لهذه الآية وهذه الأخبار قبيح لو تورع عنهم لكان أسلم ونسأل
الله تعالى العافية^(١).

* * *

التعليق على النص

قال أبو عبد الرحمن :

هذا أنموذج جيد لمنهج أبي محمد في تحرير دلالة النص ومدافعة الخصم
من خلال أصل مذهبه.

٢٧٨ — قال أبو محمد :

فصح أن قوماً من قريش سيقتلون صبراً، ولا خلاف بين أحد من الأمة
كلها في أن قرشياً لو قتل لقتل، ولو زنى وهو محصن لرجم حتى يموت.
وهكذا نقول فيه لو ارتد، أو حارب، أو حد في الجمر ثلاثاً ثم شرب
الرابعة.

وكذلك قال الله تعالى : ﴿ولا تقتاتلوهم عند المسجد الحرام حتى
يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم﴾ [سورة البقرة: ١٩١].

ولا خلاف بين أحد من الأمة في أن مكة أعزها الله وحرسها لو غلب
عليها الكفار أو المحاربون أو البغاة فننوع فيها من إظهار الحق أن فرضاً على
الأمة غزوهم مكة، فإن انقادوا أو خرجوا فذلك، وإن لم يمتنعوا ولا خرجوا
أنهم يخرجون منها، فإن هم امتنعوا وقتلوا فلا خلاف في أنهم يقاتلون فيها
وعند الكعبة، فكانت هذه الإجماعات وهذه النصوص وإنذار النبي عليه

(١) المحلى ٨٠/١١ - ٨٢.

السلام بهدم ذي السويقتين للكعبة، وبالضرورة ندري أن ذلك لا يكون ألبتة إلا بعد غزو منه.

وقد غزاها الحصين بن نمير، والحجاج بن يوسف، وسليمان بن الحسن الجنابي لعنهم الله أجمعين، وألحدوا فيها وهتكوا حرمة البيت، فن رام الكعبة بالمنجنيق وهو الفاسق الحجاج وقتل داخل المسجد الحرام أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير، وقتل عبد الله بن صفوان بن أمية رضي الله عنها وهو متعلق بأستار الكعبة، ومن قالع للحجر الأسود وسالب المسلمين المقتولين حولها وهو الكافر الملعون سليمان بن الحسن القرمطي، فكان هذا كله مبينا إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أخبر في حديث مطيع بن الأسود والحارث بن البرصاء، وأنه عليه السلام إنما أخبر بذلك عن نفسه فقط، وهذا من أعلام نبوته عليه السلام أن أخبر بأنه لا يغزوها إلى يوم القيامة، وأنه عليه السلام لا يقتل أبدا رجلا من قريش صبورا.

فكان كذلك، ولا يجوز أن يقتصر على بعض كلامه صلى الله عليه وسلم دون بعض، فهذا تحكم فاسد، بل تضم أقواله عليه السلام كلها بعضها إلى بعض فكلها حق ولا يجوز أن يحمل قوله عليه السلام: (لا تغزى مكة بعد هذا العام إلى يوم القيامة ولا يقتل قرشي صبورا بعد هذا اليوم) على الأمر لما ذكرنا من صحة الإجماع على وجوب قتل القرشي قودا أو رجما في الزنا وهو محصن، وعلى وجوب غزو من لاذ بمكة من أهل الكفر والخرابة والبغي.

فإن قيل : إنما منع بذلك من غزوها ظلماً ومن قتل قرشي ظلماً: قلنا وبالله تعالى التوفيق: هذه أحكام لا يختلف فيها حكم مكة وغيرها، ولا حكم قريش وغيرهم، فلا يحل بلا خلاف أن تغزى بلد من البلاد ظلماً، ولا أن يقتل أحد من الأمة ظلماً، وكان يكون الكلام حينئذ عارياً من الفائدة، وهذا لا يجوز، وبالله تعالى التوفيق^(١).

(١) الإحكام ٩٦/١١ - ٧

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن : هذا النص أنموذج لجمع أبي محمد بين النصوص، وأنموذج لحدته على ظلمة بني عبد شمس مما يدحض الزعم بأنه ناصبي.

٢٧٩ — قال أبو محمد :

إن قولهم : لما كان ثمن الغرة في جنين الحرة خمسين ديناراً وهو نصف عشر ديتته لو خرج حياً وكان ذكراً، وعشر ديتها لو خرجت حية وكانت أنثى، فوجب أن يكون ما في جنين الأمة كذلك فباطل من وجوه :

أولها : أنه قياس والقياس كله باطل.
الثاني : أنه لو صح القياس لكان هذا منه عين الباطل، لأن تقويم الغرة بخمسين ديناراً باطل لم يُصح قط في قرآن ولا سنة ولا عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم فصار قياسهم هذا قياساً للخطأ.

الثالث : أنه لو صح لهم تقويم الغرة بخمسين ديناراً فمن أين لهم أن المقصود في ذلك هو أن يكون من ديتته أو من دية أمه؟
ويقال لهم : من أين لكم هذا؟

وهلا قلتم : إنها قيمة نافذة مؤقتة كالغرة ولا فرق؟
ولكن أبوا إلا التزيد من الدعاوى الفاسدة بلا برهان.
الرابع : أن يعارض قياسهم بمثله، فيقال لهم : ما الفرق بينكم وبين ما روي عن مالك والحسن من أن الخمسين ديناراً التي قومت بها الغرة في جنين الحرة إنما اعتبر بها من دية أمه لا من دية نفسه؟

فقالوا : إن كان جنين الأمة ذكراً أو أنثى ففيه عشر قيمة أمه
كما في جنين الحرة ذكراً كان أو أنثى عشر دية أمه.
فهل هنا إلا دعوى مقابلة بمثلها وتحكم بلا دليل^(١) ؟

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن : هذا أنموذج جيد من منهج أبي محمد الجدلي،
وهو أنموذج مبسط مستوعب للرد على الخصم من أصل مذهبه تنزلاً ومعارضة
معا.

٢٨٠ — قال أبو محمد :

وأيضاً : فإن مالك بن أنس رحمه الله لم يدع إجماع أهل المدينة في
موطنه إلا في نحو ثمان وأربعين مسألة فقط، مع أن الخلاف موجود من أهل
المدينة في أكثر تلك المسائل بأعيانها.

وأما سائرهما فلا خلاف فيها بين أحد، لا مدني ولا غيره.

ولم يدع إجماعاً في سائر مسائله، فاستجاز أهل الجهل على الحقيقة من
أتباعه الكذب المجرد، والجهل الفاضح، ونعوذ بالله من الخذلان في إطلاق
الدعوى على جميع أقوالهم أو أكثرها: أنها إجماع أهل المدينة^(٢).

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن : هذا أنموذج لإحصاءات ابن حزم لمسائل الموطأ

(١) المحلى ٢٦/١١.

(٢) الإحكام ١٧٢/٦.

التي استفادها من شرحه لهذا الكتاب مما يدل على أن شرحه لكتاب الموطأ من أوائل كتبه في الفقه.

٢٨١ - قال أبو محمد :

وكثيراً ما يحتج علينا اليهود بأننا قد وافقناهم على أن دينهم قد كان حقاً ونبيهم حق، ويريدون من هاهنا إلزامنا بالإقرار به حتى الآن.

فاضبط هذا المكان واعلم أنا إنما وافقناهم على مقدماتهم، وهي مقدمات أنتجت لنا موافقتهم فيما ذكروا فأضربوا عن تلك المقدمات واتباعها فيما أنتجت، وتعلقوا بالموافقة بالنتيجة فقط، فلا تغتر بموافقة في النتيجة أصلاً حتى تصح المقدمات.

وإنما صححنا نحن وهم أن من ثبت أنه أتى بمعجزات أنه نبي.

وموسى عليه السلام أتى بمعجزات فوسى نبي.

وهذه المقدمة نفسها تنتج نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فنقول : كل من أتى بمعجزة فهو نبي ومحمد صلى الله عليه وسلم أتى بمعجزات فهو نبي، فاضبط هذا جداً.

وقد وافقنا أصحاب القياس في نتائج كثيرة إلا أن مقدماتهم غير مقدماتنا، فليس إلزامنا إياهم ولا إلزامهم إيانا رافعاً للشغب بتلك النتائج واجباً.

لكن حتى نتفق على المقدمات الموجبة لها.

فإن شغب مشغب فقال : قد أبنا لكم مقدمات يختلف انتاجها، وذكر استدلال الخارجي والمرجىء بقول الله عز وجل: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [سورة الليل: ٩٢].

فإن الخارجي قال : قد صحت آثار وآيات بأن القاتل يصلها، ولا يصلها إلا الأشقى الذي كذب وتولى، فالقاتل هو الأشقى الذي كذب وتولى.

وقال المرجىء : قد صحت آثار وآيات بأن المقر بالتوحيد والإيمان يدخل الجنة، والنار لا يصلها إلا الأشقى الذي كذب وتولى، فالزاني لم يكذب ولا تولى فالزاني لا يصلها.

فاعلم أن هذا من البرهان الذي نهتك عليه فتذكر عليه، إذ أخبرتك أن من المقدمات المقبولة كلاماً فيه حذف.

والحذف في هذه المقدمات التي قدر الجاهل أنها أنتجت إنتاجاً مختلفاً هو شيء قد دل عليه البرهان، وهو المراد: لا يصلها صلي خلود، وأنها نار بعينها من جملة نار جهنم لا يصل تلك النار إلا أهل هذه الصفة.

وليس في هذا أن كل نار في جهنم لا يصلها إلا أهل هذه الصفة.

وهذا أيضاً مما ينبغي أن تحفظ منه بأن تستوعب كل ما هو متصل بالمقدمات، وإلا فهي مقدمة ناقصة.

وليست في هذه الآية وحدها مقبولة عندنا لكن آيات كثيرة وأخبار فنضمها كلها إلى بعضها بعض ولا نأخذ بعض الكلام دون بعض فتفسد المعاني.

وأحذر من شغب قوم إذا ناظروا ضبطوا على أنه آية واحدة أو حديث واحد، وهذا سقوط شديد وجهل مفرط، إذ ليس ماضبطوا عليه أولى بأن يتخذ مقدمة يرجع إلى إنتاجها من آيات أخر وأحاديث أخر، وهذا تحكم وسفسطة فاحذره أيضاً جداً^(١).

(١) التقريب ص ١٤٤ - ١٤٥.

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن : من آخر مؤلفات ابن حزم كتابه الجليل المحلى شرح المجلى، وهو يحيل فيه إلى كتابه المنطقي التقريب الذي نقلت منه هذا النص وجعله ضابطاً لاستنباط المجتهد من نصوص الشرع.

وهذا يعني أن أبا محمد رحمه الله ملتزم إلى آخر عمره ما فرغ منه في التقريب.

وعلى هذا فهذا النص النفيس وأمثاله من كتاب التقريب يجب أن يفاد منه بدراسة منهج ابن حزم في الجدل ومحكمة جدله بموجبه.

* * *

٢٨٢ — قال أبو محمد :

فلا يوجد مفت في الديانة وفي الطب أبداً إلا أحد ثلاثة أناسي:

إما عالم فيفتي بما بلغه من النصوص بعد البحث والتقصي كما يلزمه، فهذا مأجور أخطأ أو أصاب، وواجب عليه أن يفتي بما علم.

وإما فاسق يفتي بما يتفق له مستديماً لرياسة أو لكسب مال وهو يدري أنه يفتي بغير واجب.

وإما جاهل ضعيف العقل يفتي بغير يقين علم، وهو يظن أنه مصيب ولم يبحث حق البحث، ولو كان عاقلاً لعرف أنه جاهل، فلم يتعرض لما لا يحسن؟.

حدثني أبو الزناد سراج بن سراج، وخلف بن عثمان البهام، وأبو عثمان سعيد بن محمد الضراب كلهم يقول: سمعت عبد الله بن إبراهيم الأصيلي يقول:

قال لي الأبهري أبو بكر محمد بن صالح:

كيف صفة الفقيه عندكم بالأندلس؟.

فقلت له : يقرأ المدونة وربما المستخرجة فإذا حفظ مسائلها أفتى.

فقال لي : هذا ماهو؟.

فقلت له : نعم.

فقال لي : أجمعت الأمة على أن من هذه صفته لا يحل له أن يفتي ^(١) .

التعليق على النص

* أبو الزناد هو سراج بن سراج بن محمد بن سراج القرطبي ولد سنة ٣٦٤ هـ وتوفي سنة ٤٢٢ هـ بسرقسطة ^(٢) .

* خلف بن عثمان البحام.. هكذا ورد في هذا النص من كتاب الأحكام.

* وقال الحميدي : ابن اللجام من أصحاب أبي محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي، وقد سمع من أبي بكر يحيى بن هذيل.

ذكره أبو محمد علي بن أحمد ^(٣) .

وقال ابن بشكوال : قرطبي ^(٤) .

الضراب لم أهدت إلى ترجمته بعد.

(١) الأحكام ١٢٨/٥ - ١٢٩ .

(٢) ترجمته في الصلة ٢٢١/١ .

(٣) الجذوة ص ٢٠٨ .

(٤) الصلة ١٦٢/١ .

الأصيلي توفي سنة ٣٩٢هـ.

وفي جذوة المقتبس أن أبا محمد روى عنه ^(١) .

قال أبو عبد الرحمن : إنما روى عن تلاميذه عنه.

* قال أبو عبد الرحمن : الأخرى أن يكون هذا الإسناد إسناداً إلى كتاب الدلائل للأصيلي.

* * *

٢٨٣ — قال أبو محمد علي بن أحمد :

وحدثني أبو مروان عبد الملك بن أحمد المرواني. قال : سمعت أحمد بن عبد الملك الإشبيلي المعروف بابن المكوى — ونحن مقبلون من جنازة من الربض بعدوة نهر قرطبة وقد سأله سائل فقال له: ما المقدار الذي إذا بلغه المرء حل له أن يفتي؟ فقال له.

إذا عرف موضع المسألة في الكتاب الذي يقرأ حل له أن يفتي ^(٢) .

* * *

٢٨٤ — قال أبو محمد :

ثم أخبرني أحمد بن الليث الأنسري أنه حمل إليه وإلى القاضي أبي بكر يحيى بن عبد الرحمن بن واقد كتاب الاختلاف الأوسط لابن المنذر، فلما طالعه قال له: هذا كتاب من لم يكن عنده في بيته لم يشم رائحة العلم.

(١) الجذوة ص ٢٥٨.

(٢) الإحكام ١٢٩/٥.

قال : وزادني ابن واقد أن قال : ونحن ليس في بيوتنا، فلم نشم رائحة العلم.

قال أبو محمد : لم نأت بما ذكرنا احتجاجاً لقولنا، ولكن إلزاماً لهم بما يلتزمون، فإن قول أكابر أهل بلادنا عندهم أثبت من العيان، وأولى بالطاعة مما رووا في حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

وبالله تعالى نعوذ من الخذلان^(١).

التعليق على النصين

* عبد الملك بن أحمد المرواني هو المعروف بابن المش من الفقهاء الزهاد توفي بإشبيلية سنة ٤٣٦ هـ^(٢).

* ابن المكوى من فحول العلماء له ترجمة مشرقة عند ابن بشكوال توفي سنة ٤٠١ هـ^(٣).

* الأنسري قال عنه ابن الأبار :

أحمد بن الليث الأنسري من أهل قرطبة يكنى أبا عمر، وينسب إلى قرية أنسر، وأصله من البربر.

أخذ عن أبي عمر بن المكوى الإشبيلي، وسمع منه، وحضر المناظرة عنده زماناً طويلاً، وكان فقيهاً مقدماً على القبشي^(٤).

وابن واقد رحمه الله توفي ممتحناً بفتنة البربر سنة ٤٠٤ هـ^(٥).

* * *

(١) الإحكام ١٢٩/٥.

(٢) أنظر عنه الصلة ٣٤٢/١ - ٣٤٣ وجهرة أنساب العرب ص ٩٧.

(٣) انظر عنه الصلة ٢٨/١ - ٢٩.

(٤) التكملة ١٩/١.

(٥) انظر عنه الصلة ٦٢٧/٢.

٢٨٥ - قال الحميدي :

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد. قال :

أخبرني غير واحد من أصحابنا :

عن أبي عبد الله الفهري اللغوي.

قال : دعاني يوماً رجل من إخواني إلى حضور عرس له في أيام
الشبيبة والطلب فحضرت مع جماعة من أهل الأدب وأحضر جماعة من الملهين
وفيهم ابن مقيم الزامر، وكان طيب المجلس، صاحب نوادر، فلما اطمأن
المجلس واستمر السرور بأهله انخرق ابن مقيم إلينا وأقبل علينا، فقال:

يا معشر أهل الإعراب واللغة والآداب، ويا أصحاب أبي علي
البغدادي: أريد أن أسألكم عن مسألة حتى أرى مقدار علمكم وسعة
جمعكم؟.

فقلنا له : هات بالله : قل وأعد يا طيب الخبر، فقال :

بماذا تسمى الدويبة السوداء التي تكون في الباقلاء عند أهل اللغة
العلماء؟.

فرجعنا إلى أنفسنا نفكر فوالله ما عرفنا مانقول فيها، ولامرت بأذننا قط
وبهتنا، ثم قلنا له: مانعرف؟.

فقال : سبحان الله : ما هذا وأنتم الضابطون للناس لغتهم بزعمكم؟.

فقلنا له : أفدنا ما عندك؟.

فقال : نعم هذه تسمى البيقران.

قال الفهري : فتصورت والله في ذهني، وقلت : فيعلان من بقر يقرر
يوشك أن يكون هذا وعددها فائدة.

فبينما نحن بعد مدة عند أبي علي إذ سألنا عن هذه المسألة بعينها.
قال الفهري : فأسرعت الإجابة ثقة بما جرى فقلت : تسمى البيقران.
فقال : من أين تقول هذا؟.

فأخبرته بالمشهد الذي جرى فيها، والحال في استفادتها.
فقال : إنا لله! رجعت تأخذ اللغة من أهل الزمر، لقد ساءني مكانك
وجعل يؤنبني، ثم قال:
هي الدفنس والدفنس.
قال الفهري — يطيب الحكاية — : فتركت روايتي عن ابن مقيم
لروايتي عن أبي علي^(١) .

* * *

٢٨٦ — قال أبو محمد :

وحدثني أبو عبد الله محمد بن عمر بن مضا : عن رجال من بني مروان
ثقات يستندون الحديث إلى أبي العباس الوليد بن غانم: أنه ذكر أن الإمام
عبد الرحمن بن الحكم غاب في بعض غزواته شهوراً، وثقف القصر بابنه
محمد الذي ولي الخلافة بعده ورتبه في السطح، وجعل مبيتة ليلاً وقعوده
نهاراً فيه، ولم يأذن له في الخروج ألبته، ورتب معه في كل ليلة وزيراً من
الوزراء وفقى من أكابر الفتيان يبيتان معه في السطح.

قال أبو العباس : فأقام على ذلك مدة طويلة، وبعد عهده بأهله وهو

(١) الجذوة ص ٣٩٨ — ٣٩٩ ولعل هذا النص من أحد كتب ابن حزم المفقودة عن
الأندلس.

في سن العشرين أو نحوها إلى أن وافق مبיתי في ليلتي نوبة فتى من أكابر
الفتيان، وكان صغيراً في سنه وغاية في حسن وجهه.

قال أبو العباس : فقلت في نفسي : إني أخشى الليلة على محمد بن
عبد الرحمن الهلاك بمواقعة المعصية وتزيين إبليس واتباعه له.

قال : ثم أخذت مضجعي في السطح الخارج ومحمد في السطح الداخل
المطل على حرم أمير المؤمنين، والفتى في الطرف الثاني القريب من المطلع،
فظلت أرقبه ولا أغفل، وهو يظن أنني قد نمت ولا يشعر باطلاعي عليه.

قال : فلما مضى هزيع من الليل رأيته قد قام واستوى قاعداً ساعة
لطيفة، ثم تعود من الشيطان ورجع إلى منامه، ثم قام الثالثة ولبس قيصه
ودلى رجله من السرير، وبقي كذلك ساعة ثم نادى الفتى باسمه فأجابه،
فقال له: انزل عن السطح، وابق في الفصيل الذي تحته، فقام الفتى مؤتمراً
له.

فلما نزل قام محمد وأغلق الباب من داخله وعاد إلى سريره.

قال أبو العباس : فعلمت من ذلك الوقت أن الله فيه مراد خير^(١) .

التعليق على النص

* ابن مضالم أجد عنه سوى قول الحميدي : محمد بن عمر بن مضالم
أهل الأدب مشهور بالفضل ذكره أبو محمد علي بن أحمد^(٢) .

* وابن غانم ترجم له ابن الأبار والدكتور محمود مكّي في تعليقه على
المقتبس.

* * *

(١) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ٢٩٨/١ - ٢٩٩.

(٢) الجذوة ص ٧٦ - ٧٧.

٢٨٧ — قال أبو محمد :

وإني أذكر أنني دعيت إلى مجلس فيه بعض من تستحسن الأبصار صورته، وتألف القلوب أخلاقه، للحديث والمجالسة دون منكر ولا مكروه، فسارعت إليه، وكان هذا سحراً فبعد أن صليت الصبح، وأخذت زبي: طرقتني فكر، فسنحت لي أبيات ومعني رجل من إخواني، فقال لي: ما هذا الإطراق؟.

فلم أجبه حتى أكملتها، ثم كتبتها، ودفعتها إليه، وأمسكت عن المسير حيث كنت نويت، ومن الأبيات:

أراقك حسن غيبه لك تأريق وتبريد وصل سره فيك تحريق
وقرب مزار يقتضي لك فرقة وشكا ولولا القرب لم يك تفريق
ولذة طعم معقب لك علقما وصابا وفسح في تضاعيفه ضيق^(١)

* * *

٢٨٨ — قال الحميدي عن ابن لبابة :

والذي حقق لنا أبو محمد علي بن أحمد وغيره : محمد بن يحيى، فأما محمد بن عبد الله بن يحيى، فلا نعلمه والله أعلم بالصواب^(٢) .

التعليق على النص

* قال أبو عبد الرحمن : ذكره أبو محمد في رسالة فضل الأندلس باسم محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة^(٣) .

(١) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ٢٩٩/١ - ٣٠٠ .

(٢) الجذوة ص ٦٤ وص ٩٨ .

(٣) نفح الطيب ١٧١/٣ .

وهذا هو اسمه كما حققه ابن الفرضي وغيره^(١) .

* * *

٢٨٩ — قال الحميدي عن الجليقي :

عبد الرحمن بن مروان الجليقي منسوب إلى بلده، كان من الخوارج في أيام بني أمية بالأندلس، جمعت في أخباره كتب هنالك.
ذكره أبو محمد علي بن أحمد^(٢) .

التعليق على النص

لعل هذا النص من تأريخ أبي محمد لبني أمية في الأندلس، وهو كتاب مفقود.

ويريد بقوله من (الخوارج) أي الثائرين على الأمير محمد بن عبد الرحمن سنة ٢٥٤^(٣) .

* * *

٢٩٠ — قال الحميدي عن ابن المعلم :

عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن المعلم أبو بكر أديب شاعر، يروي عن أبيه ذكره أبو محمد علي بن أحمد، وروى عنه شيئاً من شعر أبيه^(٤) .

* * *

(١) انظر معجم المؤلفين ١٠٧/١٢ — ١٠٨ .

(٢) الجذوة ص ٢٧٩ .

(٣) انظر عنه المغرب ٣٦٢/١ — ٣٦٣، ودولة الإسلام في الأندلس ٣٠٠/١ — ٣٠٤ .

(٤) الجذوة ص ٢٨٨ وص ٧٠ والصلة ٣٥١/١ .

٢٩١ - قال الحميدي عن ابن أخي نفيل :

عبد الملك بن أخي نفيل الكاتب شاعر من شعراء الدولة العامية،
وفارس من فرسانها.

ويقال عبد بن نفيل والصواب أنه ابن أخيه. كذا قال أبو محمد ابن
حزم^(١).

التعليق على النص

لم أهتم إلى ترجمة المذكورين، ووجدت من يقال له ابن نفيل تلقياً أبا
أيوب سليمان بن خلف القرطبي من الفقهاء توفي سنة ٤٠٨ هـ^(٢).

ولعل هذا النص من كتاب أبي محمد المفقود عن الدولة العامية.

* * *

٢٩٢ - قال الحميدي عن ابن أبي عامر :

عبد الملك بن يحيى بن أبي عامر أبو مروان الوزير من أهل الأدب
والشعر والجلالة وهو ابن أخي المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر أمير
الأندلس في أيام هشام المؤيد بالله ذكره أبو محمد علي بن أحمد^(٣).

* * *

٢٩٣ - قال الحميدي عن ابن شبلق :

عبد الرحمن بن شبلق الحضرمي الإشبيلي أبو المطرف.

(١) الجذوة ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

(٢) انظر الصلة ١٩٤/١ - ١٩٥.

(٣) الجذوة ص ٢٨٨ وانظر ما كتبه عن آل أبي عامر في السفر الأول ص ٨١ - ٨٥.

كذا كان يقول أبو محمد علي بن أحمد باللام، ومنهم من يقول ابن شبراق بالراء.

أديب شاعر مشهور كثير الشعر قديم، كان في أيام ابن أبي عامر، وله مع أبي عمر يوسف بن هارون الرمادي مخاطبات بالشعر.

عمر طويلاً وعاش إلى دولة بني حمود^(١).

التعليق على النص

كناه ابن بشكوال أبا القاسم وسماه عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ابن شبراق، وذكر له كتاباً في الأخبار والغرائب، وذكر أنه توفي سنة ٤١٣ هـ^(٢).

ولعل هذا النص من كتاب أبي محمد المفقود عن ابن أبي عامر.

٢٩٤ — قال الحميدي عن الأصيلي :

روى عنه أبو محمد علي بن أحمد^(٣).

٢٩٥ — قال الحميدي عن عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن جهوز:

ذكره أبو محمد علي بن أحمد وروى عنه^(٤).

(١) الجذوة ص ٢٧٣.

(٢) الصلة ٣١١/١ — ٣١٢.

(٣) الجذوة ص ٢٥٨.

(٤) الجذوة ص ٢٥٧.

٢٩٦ - قال الحميدي عن عبد الرحمن بن خلف بن سعيد بن سعد :

ذكره أبو محمد علي بن أحمد^(١) .

التعليق على النصوص

إنما روى أبو محمد عن تلاميذ الأصيلي.

ابن جهور لم أجد عنه أكثر من إفادة الحميدي، وقد نقلها ابن بشكوال^(٢) .

لم أهتم إلى ترجمة ابن خلف بعد.

٢٩٧ - قال الحميدي :

سكن بن سعيد أديب أخباري له كتاب في طبقات الكتاب بالأندلس. ذكره أبو محمد علي بن أحمد^(٣) .

٢٩٨ - قال الحميدي :

محمد بن عبد العزيز بن المعلم أديب شاعر، يروي عنه ابنه عبد العزيز، ذكره أبو محمد علي بن أحمد^(٤) .

(١) الجذوة ص ٢٧٢.

(٢) الصلة ٢٥٢/١.

(٣) الجذوة ص ٢٣٦ وانظر رسالة ابن حزم عن فضل الأندلس بنفع الطيب ١٧٥/٣.

(٤) الجذوة ص ٧٠.

٢٩٩ - قال الحميدي :

الجرفي بالجيم وضمها، نحوي مشهور له كتاب شرح فيه كتاب الكسائي
في النحو ذكره أبو محمد علي بن أحمد وأثنى عليه^(١) .

* * *

٣٠٠ - قال الحميدي :

قال لي أبو محمد علي بن أحمد :

كان المنصور أبو عامر محمد بن أبي عامر معافري النسب من حمير، وأمه
تميمية، وهي بريهة بنت يحيى بن زكريا التيمي المعروف بابن برطال،
ولذلك قال فيه أحمد بن دراج من قصيدة له فيه:

تلاقت عليه من تميم ويعرب
شموس تلالى في العلى وبدور

من الحميرين الذين أكفهم
سحائب تهمي بالندى وبحور^(٢)

* * *

٣٠١ - قال أبو محمد :

وقال بعضهم : لو كنا مكلفين إصابة الحق لكان تعالى قد نصب عليه
دليلاً، من أصابه علم أنه أصابه، ومن أخطأه علم أنه أخطأه.

قال أبو محمد : والجواب عن هذا : أن أوائل مذاهبننا كلها نحن نقول

(١) الجذوة ص ٤٠٨ ونفع الطيب ١٧٢/٣.

(٢) الجذوة ص ٧٩ ولعل هذا من كتاب ابن حزم المفقود عن ابن أبي عامر.

فيها بذلك، وأصل مذهبنا أن الأخذ بظاهر القرآن والحديث الصحيح حق، ونحن على يقين من أننا مصيبون في ذلك، وفي كل قول أدانا إليه أخذنا بظاهر القرآن والحديث الصحيح، وأن من خالفنا مخطيء عند الله عز وجل، ونحن على يقين من ذلك لانشك فيه ولا يمكن خلافه، وإنما يخفى علينا الحق في بعض الجزئيات:، مثل بناء حديثين بأعيانها لاندري أيهما الناسخ من المنسوخ، ولسنا ننكر خفاء الحق علينا في بعض هذه المواضع، وقد علم غيرنا بلا شك وجه الحق فيما خفي علينا كما علمناه نحن فيما خفي على غيرنا، ومن شاهد النبي صلى الله عليه وسلم وورود الأوامر منه علم اليقين فيما غاب عنا بلا شك^(١).

* * *

٣٠٢ — قال أبو محمد :

ولي كلمتان قلتهما معرضاً — بل مصرحاً — برجل من أصحابنا كنا نعرفه من أهل الطلب والعناية والورع وقيام الليل واقتفاء آثار النساك وسلوك مذاهب المتصوفين القدماء باحثاً مجتهداً، وقد كنا نتجنب المزاح بحضرته، فلم يمض الزمن حتى مكن الشيطان من نفسه وفتك بعد لباس النساك، وملك إبليس من خطامه فسول له الغرور وزين له الويل والثبور، وأجره رسنه بعد إباء، وأعطاه ناصيته بعد شماس فخب في طاعته وأوضع، واشتهر — بعد ما ذكرته — في بعض المعاصي القبيحة الوضرة.

ولقد أطلت ملامه، وتشددت في عذله إذ أعلن بالمعصية بعد استتار إلى أن أفسد ذلك ضميره علي، وخبثت نيته لي، وتربص بي دوائر السوء.

وكان بعض أصحابنا يساعده بالكلام استجراراً إليه فيأنس به ويظهر له عداوتي إلى أن أظهر الله سريره فعلمها البادي والحاضر، وسقط من عيون

(١) الإحكام ٨١/٥.

الناس كلهم بعد أن كان مقصداً للعلماء ومنتاباً للفضلاء، ورذل عند إخوانه
جملة أعاذنا الله من البلاء، وسترنا في كفايته ولاسلبنا ما بنا من نعمته.

فيا سوءتاه لمن بدأ بالاستقامة ولم يعلم أن الخذلان يحل به وأن العصمة
ستفارقه. لا إله إلا الله ما أشنع هذا وأفظعه!!.

لقد دهمته إحدى بنات الخرس وألقت عصاها به أم طبق من كان لله
أولاً ثم صار للشيطان آخراً ومن إحدى الكلمتين:

أما الغلام فقد حانت فضيحته	وأنه كان مستوراً وقد هتكا
ما زال يضحك من أهل الهوى عجباً	فالآن كل جهول منه قد ضحكا
إليك لا تلح صبا هائماً كلفا	يرى التهتك في دين الهوى نسكا
قد كان دهرًا يعاني النسك مجتهداً	يعد في نسكه كل امرئ مسكا
ذو محبر وكتاب لا يفارقه	نحو المحدث يسعى حيث ما سلكا
فاعتاض من سمر أقلام بنان فتي	كأنه من لجين صيغ أو سبكا
يالائمي سفها في ذاك قل فلم	تشهد حبيبين يوم الملتقى اشتبكا
دعني ووردي في الآبار أطلبه	إليك عني كذا لا أبتغي البركا
إذا تعففت عف الحب عنك وإن	تركت يوماً فإن الحب قد تركا
ولا تحل من الهجران منعقدا	إلا إذا ما حللت الأزر والتككا
ولا تصحح للسلطان مملكة	أوتدخل البرد عن إنفاذه السككا
ولا بغير كثير المسح يذهب ما	يعلو الحديد من الأصداء إن سبكا

وكان هذا المذكور من أصحابنا قد أحكم القراءات إحكاماً جيداً،

واختصر كتاب الأنباري في الوقف والابتداء اختصاراً حسناً أعجب به من رآه من المقرئين، وكان دائباً على طلب الحديث وتقييده والمتولي لقراءة ما يسمعه على الشيوخ المحدثين، مثابراً على النسخ مجتهداً به، فلما امتحن بهذه البلية مع بعض الغلمان رفض ما كان معتنياً به، وباع أكثر كتبه، واستحال كلية نعوذ بالله من الخذلان.

وقلت فيه كلمة وهي التالية للكلمة التي ذكرت منها في أول خبره ثم تركتها^(١).

التعليق على النص

قال أبو عبد الرحمن : هذا النص دليل على تعدد الأنماط الاجتماعية في الأندلس وأن من تلك الأنماط مجتمعات متهكة خلية.

وفيه دلالة على رحابة أفق أبي محمد واختلاطه بمختلف الأوساط وبمختلف أهل المذاهب والملل.

إلا أنه رحمه الله لا يعاود بيئة فاسدة لا يستطيع تغييرها.

ولم أهتد بعد إلى معرفة ذلك العالم المقرئ الذي اختصر كتاب الوقف والابتداء لابن الأنباري ثم تهتك وانحرف، ولا يزال في بالي للبحث عن هويته.

وبنات الخرس الدواهي جمع خرساء بمعنى داهية، أو الأفعى.

وهذا هو نفسه معنى بنات طبق.

وربما كان الصواب ضبط الدكتور إحسان عباس، وهو (الخرس) — بالحاء المهملة — وهو الدهر.

(١) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ٢٧٦/١ — ٢٨٢.

٣٠٣ - قال الحميدي :

محمد بن عبد الله بن يحيى بن أبي عامر من أهل الأدب والفضل، ومن أبناء البيت العامري أمراء الأندلس في دولة هشام المؤيد ذكره أبو محمد علي بن أحمد^(١) .

* * *

٣٠٤ - قال أبو محمد :

وقد احتج بعض الموافقين لنا في هذا الفصل بأن قال : يقال لمن قال قد اتفق على وجوب حكم ما في هذه المسألة، فلا نبراً من ذلك الحكم إلا بإجماع آخر على البراءة منه.

قال : فيقال له : لو شهد عدلان على أن زيدا غصب مالا من عمرو ولم يثبت قدر ذلك المال، للزم على قولكم أن يقال للمشهود عليه:

قد ثبت عليك حق فلا تبرأ حتى يقر المغصوب منه ببراءتك من كل حق له عندك.

فلما أجمع الناس بلا خلاف على أنه لا يقال له ذلك، لكن يقال له قد ثبت قبلك حق ما فأقربما شئت واحلف على ما أنكرت، ولا يلزمك غير ذلك: صح قولنا بأقل ما قيل، وبطل اعتراضكم وبالله تعالى التوفيق.

واحتج أيضاً بأن قال : من الدليل على الأخذ بأقل ما قيل : أن شاهدين لو شهدوا على زيد أنه سرق (وقال أحدهما : ربع دينار، وقال آخر: سدس دينار) فإنه يؤخذ بأقل ما اتفقا عليه فلا يقطع ولا يغرم إلا سدس دينار، فقط.

(١) الجذوة ٦٦ وانظر عن آل أبي عامر السفر الأول ص ٨١ - ٨٦.

قال أبو محمد : وهاتان حجستان تلزم أصحاب القياس، وليست مما نرضى أن نحتج به، وإنما اعتمادنا على البراهين الضرورية التي قدمنا وبالله تعالى نعتصم.

وقال هذا القائل أيضاً : إن المقدرين إذا اختلفا في تقدير السلعة فإننا نأخذ بما اتفقا عليه.

قال فإن قال لنا قائل : فلم تأخذون بالزيادة في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم، وتقولون: عند هذا الزائد علم لم يكن عند من لم يأت بتلك الزيادة؟ فهلا قلتم: وعند هذا المقدر علم زائد بقيمة هذه السلعة فهلا أخذتم به؟.

قال أبو محمد : وهذا الذي اعترض به على القائل بما ذكرنا اعترض فاسد، لكننا نقول الجواب عن هذا:

أن تقدير المقدار ليس من باب الخبر في الدين، لأن الخبر نقل عن مشاهدة يوجب حكماً على الناس كلهم، وتقدير المقدار إنما هو من باب الشهادة التي لا يقبل فيها إلا اثنان أو واحد مع يمين الطالب، فلو كان مع هذا المقدار الزائد آخر عدل يشهد بتلك الزيادة لأخذنا بها، وإن كان ذلك فيما يؤخذ باليمين مع الشاهد حلف المشهود له مع ذلك المقدر الزائد، واستحق الزيادة، وبالله تعالى التوفيق^(١).

التعليق على النص

الحجستان اللتان احتج بها موافقو أبي محمد في الاحتجاج بأقل ما قيل حجستان نيرتان مشرقتان، ولست أدري لماذا لم يعتمدهما أبو محمد استقلالاً وهما موافقتان لأصوله.

(١) الإحكام ٦٢/٥ - ٦٣.

*من روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم زيادة خبر وهو عدل فواجب الأخذ بروايته.

وإذا اختلف مقدرا السلعة لم يجب الأخذ بزيادة أحدهما، بل يؤخذ بما اتفقا عليه.

وحجة التفريق بين هذين الأمرين لم تلح لأبي محمد رحمه الله، لأنه احتج بأن شهادة المقدر من باب الشهادة التي لا يقبل فيها إلا اثنان.

قال أبو عبد الرحمن : الصواب عندي أن زيادة خبر العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب الأخذ بها — إذا لم يوجد ما هو أثبت منها يعارضها — لأن العدالة موجبة للقبول، ولأنه لا سبيل إلى معرفة النقل إلا عن طريق العدول.

أما اختلاف المقدرين فيقتضي ندب غيرهما أبداً حتى يحصل الاتفاق، لأن الخلاف في شيء موجود ممكن معرفته.

ويكون نظر المنتدبين في زيادة تقدير أحد الأولين السابقين فحسب.

* * *

٣٠٥ — قال أبو محمد :

حدثني أبو مومسى هارون بن موسى الطيب قال : رأيت شاباً حسن الوجه من أهل قرطبة قد تعبد ورفض الدنيا، وكان له أخ في الله قد سقطت بينهما مؤنة التحفظ، فزاره ذات ليلة وعزم على المبيت عنده، فعرضت لصاحب المنزل حاجة إلى بعض معارفه بالبعد عن منزله، فنهض لها على أن ينصرف مسرعاً ونزل الشاب في داره مع امرأته، وكانت غاية في الحسن وترباً للضيف في الصبا، فأطال رب المنزل المقام إلى أن مشى العسس ولم يمكنه الانصراف إلى منزله، فلما علمت المرأة بفوات الوقت وأن زوجها لا يمكنه المجيء تلك الليلة تاقت نفسها إلى ذلك الفتى، فبرزت إليه ودعته

إلى نفسها ولا ثالث لهما إلا الله عز وجل، فهم بها، ثم تاب إليه عقله وفكر في الله عز وجل، فوضع أصبعه على السراج فتفقق ثم قال: يانفس ذوقي هذا وأين هذا من نار جهنم؟!.

فهاهنا المرأة مارأت، ثم عاودته، فعاودته الشهوة المركبة في الإنسان، فعاد إلى الفعلة الأولى فانبليج الصباح وسبابته قد اصطلمتها النار.

أفتظن بلغ هذا من نفسه هذا المبلغ إلا لفرط شهوة قد كلبت عليه؟!.

أو ترى أن الله تعالى يضيع له هذا المقام؟.

كلا إنه لأكرم من ذلك وأعلم^(١).

التعليق على النص

لم أهتمد إلى معرفة هارون، وإنما وجدت القاضي الفقيه أبا موسى هارون بن موسى ابن أبي درهم المتوفى سنة ٤٨٤ هـ إلا أنه لم يذكر بالطب^(٢).

* * *

٣٠٦ — قال أبو محمد :

ولقد حدثني امرأة أثق بها : أنها علقها فتى مثلها في الحسن وعلقته وشاع القول عليها، فاجتمعا يوماً خالين فقال: هلمي نحقق مايقال فينا؟.

فقال: لا والله لا كان هذا أبداً، وأنا أقرأ قول الله : ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ [سورة الزخرف: ٦٧].

(١) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ٢٩٦/١ — ٢٩٧.

(٢) انظر الصلة ٦٦٢/٢.

قالت : فما مضى قليل حتى اجتمعا في حلال^(١) .

* * *

٣٠٧ - قال أبو محمد :

ولقد حدثني ثقة من إخواني : أنه خلا يوماً بجارية كانت له مفارقة في الصبا، فتعرضت لبعض تلك المعاني، فقال لها: لا : إن من شكر نعمة الله فيما منحني من وصالك الذي كان أقصى آمالي أن أجتنب هواي لأمره.

ولعمري إن هذا لغريب فيما خلا من الأزمان، فكيف في مثل هذا الزمان الذي قد ذهب خيره وأتى شره.

وما أقدر في هذا الأخبار - وهي صحيحة - إلا أحد وجهين لاشك فيها:

إما طبع قد مال إلى غير هذا الشأن، واستحكمت معرفته بفضل سواه عليه، فهو لا يجيب دواعي الغزل في كلمة ولا كلمتين ولا في يوم ولا يومين، ولو طال على هؤلاء الممتحنين ما امتحنوا به لملت طباعهم وأجابوا هاتف الفتنة، لكن الله عصمهم بانقطاع السبب المحرك نظراً لهم وعلماً بما في ضمائرهم من الاستعاذة به من القبائح واستدعاء الرشداً لا إله إلا هو.

وإما بصيرة حضرت في ذلك الوقت، وخاطر تجرد انقمعت به طوال الشهوة في ذلك الحين، لخير أراد الله عز وجل لصاحبه جعلنا الله ممن يخافه ويرجوه، آمين^(٢) .

* * *

(١) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ٢٩٧/١ .

(٢) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ٢٩٧/١ - ٢٩٨ .

٣٠٨ - قال أبو محمد :

. ولقد امتحنت مرة ببعض أصدقائنا، فإنه سامنا أن نريه العرض منخزلاً عن الجواهر قائماً بنفسه، وقال لي: إن لم ترني ذلك فإني لا أصدق بالعرض.

فلست أحصي كم مثلت له تربيعة الطين ثم تدويره وذهاب التربيعة وبقاء الطين بحسبه، وحركات المرء من قيامه وقعوده، وحمرة الثوب بعد بياضه، فأبى كل ذلك إلا أن أريه العرض مزالاً عن الجواهر باقياً بحسبه يراه في غير جوهراً!!.

فلا أحصي كم قلت له : إن العرض لو قام بنفسه، وكان كما تريد مني لم يكن عرضاً، وإنما هو عرض لأنه بخلاف ماتريد.

فلج فعدت إلى أن قلت مهزلاً : لو أمكنك إخراجي عن كرة العالم فربما كان يمكن حينئذ لو أمكن انخزال العرض عن الجواهر ولا سبيل إلى كل ذلك أن تراه في غير جوهراً.

فأما والعالم كله كرة مصمتة وجوهرة متصلة متجاورة الأجزاء لا تخلخل فيها ولا خلل، فحتى لو انفصل العرض من جوهراً، وجاز أن يبقى بعد انفصاله عنه: لما صار إلا في جوهراً آخر. فما ردعه هذا الهزء عما هجس في نفسه وفارقه آيباً، فما أدري أوفق بعدي لرفض هذا المراء الهائج أم لا؟.

فليس مثل هذا التكليف الفاسد، وكون المراء لا تتشكل له الحقائق : بقادح في البرهان ولا بملتفت إليه.

وكفى من ذلك وحسبنا قيام صحة ذلك في النفس بدلالة العقل على أنه حق فقط، ولو جاز لكل من لا يتشكل في نفسه شيء أن ينكره لجاز للأخشم أن ينكر الروائح، والذي ولد أعمى أن ينكر الألوان، ولنا أن ننكر الفيل والزرافة وكل هذا باطل.

وإنما يجب على العاقل أن يثبت ما أثبت البرهان، ويبطل ما أبطل البرهان، ويقف فيما لم يثبت ولا أبطله برهان حتى يلوح له الحق.

وكذلك ليس علينا قسر الألسنة إلى الإقرار بالحق، لكن علينا قسر النفوس إلى الإقرار به وقطع الألسنة عن المعارضة الصحيحة لعدم وجودها، إذ لا يتعارض البرهان.

وإذا أقنناه فقد أمنا أن يقيمه خصمنا.

وكذلك أيضاً إن قصر مقصر عن إقامة البرهان على حق يعتقد، فذلك لا يضر الحق شيئاً.

ولا يفرح بهذا من خصمه إلا الذي يفرح بالأمني، وهو الأحق المضروب به المثل.

ولا تقنع لغفلة خصمك في كل ما يمكن أن يصحح قوله، فإن وجدت حقاً ببرهان فارجع إليه ولا تتردد، ولا ترض لنفسك ببقاء آتيا من قبول الحق، وإن وجدت تمويهاً فبينه ولا تغتر بذهاب خصمك عنه، فلعل غيره من أهل مقالته يتفطن لما غاب عنه.

هذا ولا تقنع إلا بحقيقة الظفر، ولا تبال إن قيل عنك إنك مبطل، فلك فيمن نسب إليه ذلك من المحققين أكرم أسوة من الأنبياء عليهم السلام ومن دونهم.

نعم حتى أن كثيراً منهم قتل دفعاً لحقه ونسباً للباطل إليه.

ولا تستوحش مع الحق إلى أحد، فن كان معه الحق فالخالق تعالى معه.

ولا تبال بكثرة خصومك ولا بقدم أزمانهم، ولا بتعظيم الناس إياهم،

ولا بعدتهم، فالحق أكثر منهم وأقدم وأعز وأعظم عند كل أحد وأولى بالتعظيم^(١).

* * *

٣٠٩ — قال أبو محمد في رده على العتقي :

أما بعد، فإن بعض من تكلم بما وقر في نفسه بغير حجة وانطلق به لسانه بغير برهان: كتب كتاباً خاطبنا فيه معنفاً على ما لم يفهمه، ومتعرضاً لما لا يحسنه، واستتر عنا مدة، ثم ظهر إلينا، فلزمنا أن نبين له موضع الخطأ من كلامه ونوقفه على مخالفته للحق، تأدية للنصيحة التي افترضها تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، إذ يقول: الدين النصيحة.

قيل : لمن يارسول الله؟.

قال : لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين عامة.

ونحن نورد نص ألفاظهم، على ركاكتها وغثاتها لئلا يظنوا بجهلهم أنها إن أوردت مصلحة قد بخست حقها ولم توف مرتبتها ونبين بعون الله عظيم مافيه من الفساد والهجنة وما توفيقنا إلا بالله العلي العظيم^(٢).

التعليق على النص

قال أبو عبد الرحمن : يظهر لنا أن هذا العتقي كتب هذا الرد متستراً يوم كان لأبي محمد صولة في ميورقة في حماية واليها الرئيس أبي العباس بن رشيق.

(١) التقريب ص ١٩٢ — ١٩٤.

وهذا النص رسم لمنهج ابن حزم في الجدل مبني على النزاهة والتجرد للحق.

(٢) رسائل ابن حزم ٧٣/٣.

فلما ظهر الباجي وناظر ابن حزم وتغلبت العامة عليه ظهر العتقي وبين نفسه، فكتب أبو محمد هذا الرد بعد مغادرته ميورقة.

وربما — وهو الأرجح حسب دلالة رسالة الرد على الهاتف من بعد — أن أبا محمد بحث عن صاحب الرد يوم كانت له الصولة بميورقة حتى عرفه فرد عليه بميورقة، وربما أنه أدبه وأغرى به الرئيس كما أغراه بابن البارية.

* * *

٣١٠ — قال أبو محمد :

فهذه والله طريقتنا لا طريقتهم، وسبيلنا لا سبيلهم، هذا أمر لا يستطيعون إنكاره لأنهم لا يشتغلون بحديث أصلاً، ولا بأثر إنما هو قول مالك وابن القاسم وهذا رأي ولا مزيد إلا في الندرة فيما لا يعرفون صحته من سقمه وفيما يأخذون بعضه ويخالفون بعضه تظارفاً ولا مزيد، ونسأل الله التوفيق^(١).

* * *

٣١١ — قال أبو محمد :

وأما تغليبنا الظاهر وإعماله على مفهوم خطابه، فكلام لا يعقل لاستعمال الظاهر دالاً بمفهوم خطابه، وهو نفسه الذي يبدو للسامع منه، لامتني للظاهر غير ذلك.

فلو عقل هؤلاء المساكين ما تكلفوا ما يفتضحون فيه من قرب، لكن من يفضل الله فلا هادي له^(٢).

(١) رسائل ابن حزم ٧٩/٣.

وفي هذا النص تأريخ لواقع الفقهاء في عهد ابن حزم.

(٢) رسائل ابن حزم ٨٠/٣.

التعليق على النص

استغل أبو محمد سوء تعبير المالكيين عن مرادهم، فجعل كلامهم، متناقضاً لا يعني شيئاً.

* قال أبو عبد الرحمن : على فرض سوء تعبيرهم فإن أبا محمد يعرف مرادهم واصطلاحهم بالظاهر والمفهوم، فكان عليه أن يوجه لفظهم حسب اصطلاحهم ومرادهم ثم يناقشهم.

وهم يريدون بالظاهر الواضح من النص، ويريدون بالمفهوم إيماء النص ولوازمه.

* قال أبو عبد الرحمن : ولهذا أحس بالحاجة إلى تحرير مفهوم سريع لمعنى الظاهر عند ابن حزم^(١).

فأقول : الظاهر عند ابن حزم : ظاهر عقلي، وهو مالا يحتمل العقل غيره من القضايا.

وظاهر نصي، وهو قسمان :

نص بالاسم كالنص على أن للأم الثلث إذا لم يكن وارث غير الأبوين.

ونص بالمعنى كالنص على أن للأب الباقي إذا لم يكن وارث غير الأبوين.

والنص بالمعنى هو الدليل، وهو لوازم اللغة والعقل.

* * *

(١) من أراد التفصيل فليراجع كتيبي الأخرى كمقدمتي للجزء الرابع من كتابي ابن حزم، وكتابي تحرير المسائل.

٣١٢ - قال أبو محمد راداً على العتقي وأصحابه :

ثم قالوا : وهو مع ذلك ضعيف الرواية عار من الشيوخ، وإنما هي كتب حسنها وأتقنها وضبطها، فمنها مروى مما قد رواها على شيخ أو شيخين لا أكثر، ومنها كتب مشهورة ثابتة بيده صحيحة مثل المسانيد والمصنفات والصحيح كمسلم والبخاري لا يمتري في شيء منها، ومنها ما قد خفي على المحتج لعدم الراوي لها، وقلة استعمالها، أو لطروئها وحدوثها في بلدتنا لم يروها علماء بلدتنا، ولا شغلوا بها، ولا سمعوا بها فيما مضى عمن مضى، فنافروها ولم يقبلوا عليها، فهم لا مكذبون لها، ولا عاملون بها، ثم إنهم رأوا فيها تغليب أحاديث قد تركت وسكت عنها الصحابة والتابعون، والعلماء الماضون، ومخالفة أحكام قد حكم بها السلف الصالح وقضوا بها واستمر الحكم عليها.

فالجواب - وبالله تعالى التوفيق - : أن هذا كلام مخلط في غاية التناقض.

أما قولهم عنا بضعف الرواية والتعري من الشيوخ، فلو كان لهم عقول لأضربوا عن هذا، لأنهم ليسوا من أهل الرواية فيعرفوا قوتها من ضعفها، ولا اشتغلوا بها قط ساعة من الدهر، وما يعرفون إلا المدونة على تصحيفهم لها، وما عرفوا قط من الصحابة رضي الله عنهم رجالاً ولا من التابعين عشرة رجال، ولا يفرقون بين تابع وصاحب سوى من ذكرنا.

فلا حياء يمنعهم من أن يتعرضوا للكلام في الرواية.

وأكثر المتكلمين في هذا الباب لا يقيمون الهجاء، ولا يعرفون ما حديث مسند من حديث مرسل، ولا ثقة من ضعيف، ولا حديث النبي صلى الله عليه وسلم من كعب الأخبار، وما منهم أحد يمزج له حديث موضوع مع صحيح فيميزه ثم يقولون: عار من الشيوخ!!.

وهم ما كان لهم شيخ قط، ولا عمروا لمجلس حديث ولا اشتغلوا بتنفيذه، إنما كان عندهم عبد الملك بن سليمان الخولاني، فكان شيخاً صالحاً لم يكن أيضاً أكثر من الرواية، ربما ألم به بعضهم إمام من لا يدري ما يطلب، يخرجون من عنده كما دخلوا لم يعتدوا قط عنه كلمة، ولا اهتبلوا بما يروي بلفظة، إنما يقعدون عنده قعود راحة، إذا لم يكن عليهم شغل.

ثم لم يلبث هؤلاء الحشارة أن نقضوا كذبهم خذلاناً من الله تعالى، فشهودا لنا بأنها كتب أتقناها وضبطناها: منها مروى روينها عن شيخ أو شيخين، ومنها كتب مشهورة ثابتة بأيدينا مثل المسانيد والمصنفات لا يمترون فيها.

وهذا ضد ما حكوا من تعريتنا من الشيوخ ومن ضعف الرواية، فهم لا يدرون ما يقولون، ولا يبالون بالكذب والفضيحة، ولكننا والله نصفهم بما هم أهلهم: بأنهم ماضبطوا قط كلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن صاحب ولا عن تابع، ولا يحسنون قراءة حديث لو وضع بأيديهم، ولا يفرقون بين جابر بن عبد الله وجابر بن زيد، ولا يفرقون بين رأي ورواية.

وأما أن من كتبنا ما خفي على المحتج لعدم الراوي لها وقلة استعمالها: فما خفاء العلم على الحمير حجة على أهل العلم، ولا قلة طلبهم لرواية السنن دليلاً على عدم الراوي، بل الرواة والله الحمد موجودون.

فمن أراد الله تعالى به خيراً وفقه لطلب ما يقرب منه، ولم يشغله عما يغنيه مالا يغنيه ومالا يغني عنه من الله شيئاً.

وكذلك ليس قلة استعمالهم لتلك الكتب عيباً على الكتب إنما العيب في ذلك على من ضيعها، وحظ نفسه ضيع لو عقل.

وأما ما ذكره من طروئها في بلدهم : فما بلدهم حجة على أهل العلم، ولكن هكذا يكون إزاء السكارى على الأصحاء، واعتراض أهل النقص على أهل الفضل.

والعجب كله قوهم : (علماءنا بلدنا) وهذه والله صفة معدومة في بلدهم
جملة، فما يحسنون والله الحمد لا رأياً ولا حديثاً ولا علماً من العلوم إلا الشاذ
منهم والنادر ممن هو عندهم مغموز عليه.

والجاهلون لأهل العلم أعداء، ومن جهل شيئاً عاداه.

والعجب أيضاً عيهم كتب العلم بأنهم لم يسمع ذكرها عندهم ولا
سمعوا بها فيما مضى فنافروها ولم يقبلوا عليها.

إن هذا لعجب فإذا نافرت كتب العلم هذه الطبقة المجهولة الجاهلة.

فكان ماذا؟.

لقد أذكرني هذا الجنون ماحكاه الأصمعي : فإنه ذكر أنه مر بكناسين
على حش أحدهما يكيل والثاني يستقي والأعلى يقول للأسفل: إن المأمون
سقط من عيني مذ قتل أخاه!.

فما سقوط هذه الكتب عند هؤلاء الجهال إلا كسقوط المأمون من عين
الكناس وحسبنا الله ونعم الوكيل^(١).

التعليق على النص

* لقد ذكرت في كتابي (ابن حزم خلال ألف عام) نص الشاطبي
في الموافقات على أن ابن حزم عار من الشيوخ.

والواقع أن شيوخ ابن حزم كثيرون — حسب فهرس مروياته الموثق
في كتبه — إلا أن أكثر روايته بالإجازة، كما أن تتلمذه الفعلي لمشايعه
قليل جداً، وكانوا بصفة مآدين لم يقلدهم.

وإنما استظهر الكتب وقرأها — بعد روايته لها بالإجازة — بفكره

(١) رسائل ابن حزم ٨١/٣ — ٨٣.

ووسائله الثقافية ولم يقبل حضانة أحد، وهذا من محاسنه رحمه الله، لأنه أتقن الرواية وحرر الدلالة.

* خلال هذا النص لفتات تاريخية عن واقع فقهاء الأندلس في عهد ابن حزم، وأن فيهم عوام متسمين بالفقه.

الخولاني لم أجد عنه سوى قول ابن بشكوال :

يكنى أبا مروان محدث سمع بالأندلس وإفريقية ومصر ومكة.

ذكره الحميدي وقال : سمعنا منه بالأندلس الكثير، ومات قبيل الأربعين وأربع مئة بجزيرة ميورقة، وكان شيخاً صالحاً^(١).

قال أبو عبد الرحمن : ولأبي محمد كتاب مفقود اسمه (العتاب على أبي مروان الخولاني).

* نصهم الذي كتبوا به إلى ابن حزم دليل على استغرابهم لما لم يرد في كتب المالكية واختياراتهم الموجهة على أصول إمامهم.

* * *

٣١٣ — قال أبو محمد عن العتقي وجماعته :

ثم قالوا : وإن معنى الفقه غير معنى الكلام.

فالجواب — وبالله تعالى التوفيق — : أن هؤلاء القوم ليسوا من أهل الفقه ولا من أهل الكلام، ولا يحسنون شيئاً غير التناغي والقول الفاسد، نحو ما أوردنا آنفاً من كلامهم آنفاً.

(١) الصلة ٣٤٣/١.

وطريقة الفقه والكلام الصحيح إنما هي اتباع القرآن والسنة فقط،
وماعدا ذلك فباطل لا يجوز اتباعه وبالله تعالى التوفيق.

ثم قالوا : فحملوا كتاب حد المنطق لأجل ذلك ولما فيه التعمق
والعرض، وترتيب الهيآت.

فالجواب — وبالله تعالى التوفيق — إن هذا من ذلك الباطل.

ليت شعري أدخل حد المنطق في السنة؟.

إن هذا لعجب عجيب، ومن كانت هذه منزلته من الفهم ما كان حقه
أن يعود إلا إلى كتاب الهجاء.

ومن طرائف الدهر قولهم : إن في حد المنطق ترتيب الهيآت وهذا أمر
مأعلمه قط أحد في حد المنطق، ونسأل هؤلاء السعوات عن حد المنطق هذا
الذي يذمونهم: هل عرفوه أم لم يعرفوه؟.

فإن كانوا عرفوه فليبينوا لنا ما وجدوا فيه من المنكرات؟.

وإن كانوا لم يعرفوه، فكيف يستحلون أن يذموا ما لم يعرفوه؟.

ألم يسمعوا قول الله تعالى : ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم
تأويله﴾ [سورة يونس: ٣٩].

ولكن إعراضهم عن القرآن إلى ما يطول عليه ندمهم يوم القيامة، هو
الذي أوقعهم في الفضائح والقبائح ونعوذ بالله من الخذلان^(١).

التعليق على النص

قال أبو محمد هنا : ومن كانت هذه منزلته من الفهم ما كان حقه إلا
أن يعود إلى كتاب الهجاء.

(١) رسائل ابن حزم ٨٦ — ٨٧.

وقال أبو محمد شعراً : وإلا فعودا للمكاتب بدأة.

وليس في كلام ابن حزم مبالغة، لأنه وجد عوام حقيقة متسمين بالفقه، وقد أيد ذلك ابن العربي في العواصم، إذ ذكر أن أبا محمد يتضحك بهؤلاء العوام.

* * *

٣١٤ — قال أبو محمد :

وحدثني ثعلب بن موسى الكلاذاني قال : حدثني سليمان بن أحمد الشاعر: قال: حدثتني امرأة اسمها هند كنت رأيته في المشرق، وكانت قد حجت خمس حجات وهي من المتعبدات المجتهدات.

قال سليمان : فقالت لي : يا ابن أخي : لاتحسن الظن بامرأة قط، فإنني أخبرك عن نفسي بما يعلمه الله عز وجل: ركبت البحر منصرفة من الحج وقد رفضت الدنيا وأنا خامسة خمس نسوة كلهن قد حججن، وصرنا في مركب في بحر القلزم، وفي بعض ملاحي السفينة رجل مضمر الخلق مديد القامة واسع الأكتاف حسن التركيب، فرأيت أول ليلة قد أتى إلى إحدى صواحيبي فوضع إحليله في يدها وكان ضخماً جداً، فأمكنته في الوقت من نفسها، ثم مر عليهم كلهن في ليال متواليات، فلم يبق له غيرها — تعني نفسها —.

قالت : فقلت في نفسي : لأنتقم منك، فأخذت موسى وأمسكتها بيدي، فأتى في الليل على جاري عادته، فلما فعل كفعله في سائر الليالي سقطت الموسيقى عليه فارتاع، وقام لينهض.

قالت : فأشفقت عليه وقلت له وقد أمسكته : لازلت أو آخذ نصيبي منك.

قالت العجوز : فقضى وطره واستغفر الله.

وإن للشعراء من لطف التعريض عن الكناية لعجبا، ومن بعض ذلك
قولي حيث أقول:

أتاني وماء المزن في الجويسفك كمحض لجين إذ يمد ويسبك
هلال الدياجي انخط من جو أفقه فقل في محب نال ماليس يدرك
وكان الذي إن كنت لي عنه سائلا فإلي جواب غير أنني أضحك
لفرط سروري خلستني عنه نائما فيا عجبا من موقن يتشكك
وأقول أيضاً قطعة منها :

أتيتي وهلال الجو مطلع قبيل قرع النصارى للنواقيس
كحاجب الشيخ عم الشيب أكثره وأخص الرجل في لطف وتقويس
ولاح في الأفق قوس الله مكتسبا من كل لون كأذ ناب الطواويس^(١)

التعليق على النص

* وجدت في تكملة ابن الأبار ٢٣٥/١ تغلب — بالتاء المثناة — ابن
عيسى الكلابي، وليس عنه سوى قوله:

حكى عنه ابن حزم في رسالته المسماة بطوق الحمامة.

* أحمد بن سليمان لعله أحمد بن سليمان بن عبد الرحمن المرواني^(٢) .

(١) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ٢٨١/١ — ٢٨٢ .

(٢) انظر كتابي ابن حزم ٤٨/١ و ٥٤ .

٣١٥ - قال أبو محمد بعد أن ذكر قصة ابن الجزيري الآنفه الذكر:

ومما يشبه هذا أني أذكر أني كنت في مجلس فيه إخوان لنا عند بعض مياسير أهل بلدنا، فرأيت بين بعض من حضر وبين من كان بالحضرة أيضاً من أهل صاحب المجلس أمراً أنكرته وغمزا استبشعته وخلوات الحين بعد الحين، وصاحب المجلس كالغائب أو النائم فنبهته بالتعريض فلم ينتبه، وحركته بالتصريح فلم يتحرك، فجعلت أكرر عليه بيتين قديمين لعله يفطن وهما هذان:

إن إخوانه المقيمين بالأمس (م) أتوا للزنا لا للغناء

قطعوا أمرهم وأنت حمار موقر من بلادة وغيباء

وأكثر من إسنادهما حتى قال لي صاحب المجلس : قد أملتنا من سماعها، فتفضل بتركها أو إنشاد غيرها، فأمسكت وأنا لا أدري أغافل هو أم متغافل، وما أذكر أني عدت إلى ذلك المجلس بعدها، فقلت فيه قطعة منها :

أنت لاشك أحسن الناس ظنا ويقينا ونية وضميرا

فانتبه إن بعض من كان بالأمس (م) جليسا لنا يعاني كبيرا

ليس كل الركوع فاعلم صلاة لا ولا كل ذي لحاظ بصيرا^(١)

٣١٦ - قال أبو محمد :

وقد يعظم البلاء، وتكلب الشهوة، وهون القبيح، ويرق الدين حتى

(١) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ٢٨٠/١ - ٢٨١.

يرضى الإنسان — في جنب وصوله إلى مراده — بالقبائح والفضائح كمثله
مادهم عبيد الله بن يحيى المعروف بابن الجزيري فإنه رضى بإهمال داره
وإباحة حريمه والتعريض بأهله طمعاً في الحصول على بغيته من فتي كان
علقه — نعوذ بالله من الضلال ونسأله الحياطة وتحسين آثارنا وإطابة أخبارنا
— حتى لقد صار المسكين حديثاً تعمربه المحافل وتصاغ فيه الأشعار.

وهو الذي تسميه العرب الديوث — وهو مشتق من التدبث، وهو
التسهيل — ومابعد تسهيل من تسمح نفسه بهذا الشأن تسهيل، ومنه بغير
مدبث: أي مذلل.

ولعمري إن الغيرة لتوجد في الحيوان بالخلقة، فكيف وقد أكدتها عندنا
الشرية وما بعد هذا مصاب.

ولقد كنت أعرف هذا المذكور مستوراً إلى أن استهواه الشيطان ونعوذ
بالله من الخذلان، وفيه يقول عيسى بن محمد بن مجمل الخولاني:

يا جاعلاً إخراج حر نسائه شركاً لصيد جاذر الغزلان
إنني أرى شركاً يمزق ثم لا تحظى بغير مذلة الحرمان
وأقول أنا أيضاً :

أباح أبو مروان حر نسائه ليلبغ ما بهوى من الرشأ الفرد
فعاتبته الديوث في قبح فعله فأنشدني إنشاد مستبصر جلد
(لقد كنت أدركت المنى غير أنني يعيرني قومي بإدراكها وحدي)
وأقول أيضاً :

رأيت الجزيري فيما يعاني قليل الرشاد كثير السفاه
يسبع ويبتاع عرضاً بعرض أمور وجدك ذات اشتباه

ويأخذ مما بإعطاء هاء ألا هكذا فليكن ذو النواهي
ويبدل أرضاً تغذي النبات بأرض تحف بشوك العضاه
لقد خاب في تجره ذو ابتياع مهيب الرياح بمجرى المياه
ولقد سمعته في المسجد الجامع يستعيز بالله من العصمة كما يستعاذ به
من الخذلان^(١) .

التعليق على النص

قال أبو عبد الرحمن : الميم رمز للغلام والهاء رمز للمرأة.

والمولدون يكونون بالميم والصاد. قال أحدهم :

لعجم الصاد أرضى الله قدما
وعبد الله يعجم كل ميم^(٢)

* * *

٣١٧ - قال أبو محمد :

وأقول مخاطباً لعبيد الله بن يحيى الجزيري الذي يحفظ لعمه الرسائل
البليغة^(٣) وكان طبع الكذب قد استولى عليه، واستحوذ على عقله، وألفه

(١) رسائل ابن حزم ٢٧٩/١ - ٢٨٠ .

(٢) الكناية والتعريض للثعالبي ص ٢٦ .

(٣) قوله : يحفظ لعمه الرسائل البليغة الأرجح أنه يقصد بهذا العم عبد الملك بن إدريس
الجزيري (انظر الذخيرة ١/٤ : ٤٦ ومراجع ترجمته مذكورة في الحاشية) أما ابن أخيه
عبيد الله فن العيث مسألة المصادر عن أخبار من كان مثله سقوطاً وخسة، ولكن الأمر
الذي يستحق التنبيه هو: لماذا لم يحاول ابن حزم أن يخفي اسمه كما أخفي أسماء كثيرين
غيره؟ وجعله مرمى لسهام هجائه، حتى كأنه كان مباءة لشق ضروب الرذائل (انظر ص:
٢٧٩) . (إحسان عباس).

ألفة النفس الأمل، ويؤكد نقله وكذبه بالآيمان المؤكدة المغلظة مجاهراً بها،
أكذب من السراب مستهتراً بالكذب مشغولاً به، لا يزال يحدث من قد صح
عنده أنه لا يصدقه، فلا يزجره ذلك عن أن يحدث بالكذب :

بدا كل ما كتمته بين مخبر وحال أرتني قبح عقدك بيننا
وكم حالة صارت بياناً بحالة كما تثبت الأحكام بالجل الزنا
وأقول :

أنم من المرأة في كل مادي وأقطع بين الناس من قضب الهند
أظن المنايا والزمان تعلمنا تحيله بالقطع بين ذوي الود
وفيه أيضاً أقول من قصيدة طويلة :

وأكذب من حسن الظنون حديثه وأقبح من دين وفقر ملازم
وأمر رب العرب أضيع عنده وأهون من شكوى إلى غير راحم
تجمع فيه كل خزي وفضحة فلم يبق شتا في المقال لشتام
وأثقل من عدل على غير قابل وأبرد برداً من مدينة سالم^(١)
وأبغض من بين وهجر ورقبة جمعن على حيران حيران هائم
وليس من نبه غافلاً، أو نصح صديقاً، أو حفظ مسلماً، أو حكى عن

(١) مدينة سالم: (Medinacelli) : تقع على بعد ١٣٥ كيلومتراً على الطريق من مدريد إلى
سرقسطة، وقد توفي المنصور بها ودفن هنالك، وهي في منطقة شديدة البرودة شتاء، فلذلك
ضرب بها المثل هنا (انظر الإدريسي (دوزي):
١٨٩). (إحسان عباس).

فاسق أو حدث عن عدو — مالم يكن يكذب ولا تعتمد الضغائن — منقلا.
وهل هلك الضعفاء وسقط من لاعقل له إلا في قلة المعرفة بالناصح من
التمام؟.

وهما صفتان متقاربتان في الظاهر متفاوتتان في الباطن: أحدهما: داء،
والأخرى: دواء.
والشاقب القريحة لا يخفى عليه أمرهما، لكن الناقل من كان تنقيله غير
مرضي في الديانة ونوى به التشتيت بين الأولياء، والتضريب بين الإخوان،
والتحريش والتوبيش^(١) والترقيش.

فمن خاف تمييزه ومضاء تقديره فيما يرده من أمور دنياه ومعاملة أهل
زمانه، فليجعل دينه دليلاً وسراجاً يستضيء به، فحيثما سلك به سلك وحيثما
أوقفه وقف، وكفيلاً له بالنظر وزعيماً بالإصابة وضماناً للفليح والخلاص.

فشارع الشريعة وباعث الرسول عليه السلام ومرتب الأوامر والنواهي
أعلم بطريق الحق وأدرى بعواقب السلامة ومغبات النجاة من كل ناظر
لنفسه بزعمه، وباحث بقياسه في ظنه^(٢).

* * *

٣١٨ — قال الحميدي عن ابن حدير:

موسى بن محمد بن حدير الحاجب رئيس كان في أيام عبد الرحمن
الناصر من أهل الأدب والشعر، ومن أهل بيت رياسة وجلالة، ذكره
أبو محمد علي بن أحمد^(٣).

(١) التوبيش: لعلها من وبش الكلام وهو الرديء منه، وقرأ برشييه «والتوحيش». (إحسان عباس).

(٢) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١٧٨/١ — ١٧٩.

(٣) جذوة المقتبس ص ٣٣٧ وانظر تعليق الدكتور إحسان عباس في رسائل ابن حزم ١٥٥/١
(حاشية رقم ٤).

٣١٩ - قال الحميدي عن المرواني :

قاسم بن محمد القرشي المرواني المعروف بالشبانسي، شاعر أديب في الدولة العامرية روى عن وليد بن محمد الكاتب، وابن شبلاق وغيرهما حكايات وأشعاراً، وكان في نفسه جليلاً، ذكره لنا أبو محمد علي بن أحمد، وكان قد قرف وشهد عليه عند القضاء بما يوجب القتل فسجن^(١) .

* * *

٣٢٠ - قال الحميدي عن العتقي :

قاسم بن حداد العتقي، يروى عن أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه، روى عنه أبو الوليد عبد الله بن محمد المعروف بابن الفرضي ذكره أبو محمد علي بن أحمد^(٢) .

* * *

٣٢١ - قال الحميدي : عن القاسم الحماني :

القاسم بن يحيى بن محمد بن الحسين التيمي الحماني، من بني سعد بن زيد مناة بن تميم أبو عمر أديب شاعر من أهل بيت آداب وعلم وشعر، ذكره أبو محمد علي بن أحمد^(٣) .

* * *

(١) جذوة المقتبس ص ٣٢٩ وروى عنه ابن حزم في طوق الحمامة كما في رسائل ابن حزم ٣١٨/١ وانظر تعليقة الدكتور إحسان ص ٩١.

(٢) جذوة المقتبس ص ٣٣٢ ولعل أبا محمد ذكره في أحد كتبه المفقودة عن الأندلس.

(٣) جذوة المقتبس ص ٣٣٣.

٣٢٢ — قال أبو محمد :

وأما عادة رفع اليدين عند كل تكبيرة : فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومن العجب أنه في الموطأ الذي ربما عرفتموه.

وأما سائر كتب العلماء ودواوين الحديث فالعمل بها في هذه البلاد الأندلسية قليل.

وكننت أريد أن أذكر لك من نقل ذلك وتشدد في توكيده، ولكن يكفيني من ذلك أن أشهب وابن وهب وأبا المصعب رَوَوْا رفع اليدين في الركوع.

والرفع في الركوع عن مالك من قوله وفعله.

فإن كنت لا ترضى الصلاة خلفه فحسبك ورأيك في ذلك.

واعلم يا أخي أن ابن عمر كان يحصب من رآه يصلي ولا يرفع يديه في الركوع ولا في السجود، والفاعلون لذلك أكثر من أن يجهلهم الجاهلون^(١).

التعليق على النص

نقل أبو محمد هذا عن مالك، وذكر رواية ابن القاسم عن مالك : أنه لا يرفع، ثم قال : فأما رواية ابن القاسم عن مالك فما نعلم لهم وجهها أصلاً^(٢).

* * *

(١) رسائل ابن حزم ٢١٢/٣.

(٢) المحلى ٨٧/٤.

٣٢٣ - قال أبو محمد :

ولقد أخبرني مؤدبي أحمد بن محمد بن عبد الوارث رحمه الله أن أباه صور لمولود كان له أعمى ولد أكمه حروف الهجاء أجراما من قير، ثم ألمسه إياها حتى وقف على صورها بعقله وحسه، ثم ألمسه تراكبها وقيام الأشياء منها حتى تشكل الخط، وكيف يستبان الكتاب ويقرأ في نفسه؟.

ورفع بذلك عنه غصة عظيمة.

وأما الألوان فلا سبيل إلى ذلك فيها، وليس إلا الإقرار بما قام به البرهان وإن لم يتشكل في النفس أصلا^(١).

* * *

٣٢٤ - قال أبو محمد :

وقد علمنا أن المفتين من الصحابة رضي الله عنهم نيف وثلاثون ومئة، ومن التابعين نيف على مئتين وهل يدعي الإجماع ههنا إلا جاهل متجاهل^(٢).

* * *

٣٢٥ - قال أبو محمد :

لأن الذين روي عنهم الفتيا منهم رضي الله عنهم مئة ونيف وثلاثون، ولا يحفظ الكثير منهم من الفتيا إلا عن عشرين^(٣).

* * *

(١) التقريب ص ١٩٢ وابن عبد الوارث مؤدبه في النحو.

(٢) تنمة المحلى ص ١٥.

(٣) الأحكام ١٨/٦.

٣٢٦ - قال أبو محمد :

ولقد أصابتني علة شديدة ولدت علي ربوا في الطحال شديدا، فولد ذلك علي من الضجر، وضيق الخلق، وقلة الصبر، والنزق أمرا جاشت نفسي فيه، إذ أنكرت تبدل خلقي واشتد عجبي من مفارقتي لطبعي، وصح عندي أن الطحال موضع الفرح إذا فسد تولد ضده ^(١) .

٣٢٧ - قال أبو محمد :

ولقد أخبرني عبد الملك بن طريف ^(٢) - وهو من أهل العلم، والذكاء، واعتدال الأحوال، وصحة البحث - أنه كان ذا حظ من الحفظ عظيم لا يكاد يمر على سمعه شيء يحتاج إلى استعادته، وأنه ركب البحر فر به فيه هول شديد أنساه أكثر ما كان يحفظ وأخل بقوة حفظه إخلالا شديدا لم يعاوده ذلك الذكاء بعد.

وأنا أصابتني علة فأفقت منها، قد ذهب ما كنت أحفظ إلا مالا قدر له، فعاودته إلا بعد أعوام.

واعلم أن كثيراً من أهل الحرص على العلم يجدون في القراءة والإكساب على الدرس والطلب ثم لا يرزقون منه حظاً، فليعلم ذو العلم أنه لو كان بالإكساب وحده لكان غيره فوقه، فصح أنه موهبة من الله تعالى، فأى مكان للعجب ها هنا؟.

ما هذا إلا موضع تواضع وشكر لله تعالى واستزادة من نعمه واستعاذة من سلبها ^(٣) .

* * *

(١) مداواة النفوس ص ٦٨.

(٢) في طبعة إحسان ضمن رسائل ابن حزم ٣٨٨/١ : (ولقد أخبرت عن عبد الملك) وفي نسختي الظاهرية بدمشق ورقة ٢١/أ و ٧٥/أ : أخبرني.

(٣) مداواة النفوس ص ٦٣ - ٦٤.

٣٢٨ - قال ابن حزم :

ثم ذكر هذا المائق الجاهل قوله تعالى في وصف العسل إن: ﴿فيه شفاء للناس﴾ فقال وكيف هذا وهو يؤذي المحمومين وأصحاب الصفراء المحترقة؟.

قال أبو محمد : لو كان مع هذا الجاهل الأنوك أقل معرفة بطبائع الإنسان أو فهم مخارج اللغة العربية لم يأت بهذا البرسام.

أما اللغة فإن الله تعالى لم يقل : العسل شفاء لكل علة، وإنما قال تعالى: ﴿فيه شفاء للناس﴾ وهذا لا ينكره إلا رقيق سلب العقل والحياء أو موسوس، لأن منافع العسل وشفاءه في إسخان البرودين، وتقطيع البلغم، وتقوية الأعضاء حتى صار لا يطبخ أكثر الأشربة إلا به ولا يعجن جميع اللعوقات إلا به.

وما وصف جالينوس وبقرات — وهما عميدا أهل الطب — طبخ شبيء من الأشربة إلا به جملة، وما ذكرا قط أن يطبخ شراب بسكر.

وكيف ينكر هذا الأنوك أن يكون العسل شفاء محضا، وهي أغلب أموره فكيف أن يكون به شفاء؟.

وهم يصفون عن نبي من أنبيائهم أنه شفى أكلة في عضو إنسان بتين مدقوق وجعله عليه؟.

فإذا كان في التين شفاء من بعض العلل فكيف ينكر هذا الخسيس أن يكون في العسل أشفية كثيرة؟.

وقد وجدنا في اختلاطهم الذي يسمونه توراة عن الله تعالى في عدة مواضع أنه إذ بلغ الغاية في مدح أرض القدس التي وعدهم بها قال: إلا أنها أرض تنبع عسلا ولبنا ووعدهم فيها بأكل عسل الصخور.

أفترى إذ ليس في العسل شفاء أصلا إنما وعدهم تعالى بما فيه الداء

والبلاء لا بما فيه الشفاء، هذا مع إنكار العيان وجحد الضرورات في منافع العسل^(١).

قال أبو محمد :

أما قرأ في هذيانهم الذي يسمونه تورا امتنان الله تعالى في صفة الأرض المقدسة بأنها لا تسقى من النيل، كما تسقى مصر لكن من ماء الساء؟.

أترأه إنما من عليهم بضد البركة لا بالبركة؟.

إن هذا لعجب!!.

أما علم أن الأمطار ترطب الأجسام وتذهب بقحلهاء، وأن بالماء الذي عنصره ماء الساء تزال الأوضار وتطيب الروائح، ولولاه ماعمر العالم؟.

فحسبكم أيها الناس بمقدار هذا الخسيس وجهله وهو عميد اليهود وكبيرهم، وهذا مبلغه من الجهل والسخف، ونستعذ بالله من الجهل والضلالة والحمد لله رب العالمين.

التعليق على النص

قال أبو عبد الرحمن : بهذه المناسبة أثبت بحثاً كتبته تعليقاً على حديث للدكتور الزفزاف عن عجائب العسل، وهذا نصه:

وقد استمعت يوم السبت ليلة الأحد الموافق ١٩/١١/١٤٠٣ هـ بتناول الدكتور شوقي ياسين الزفزاف الأستاذ بمعهد المعلمين بالكويت لهذه الآية في برنامج القرآن والعلم الذي يقدمه الأستاذ أحمد فراج في التلفاز السعودي.

والدكتور الزفزاف متخصص في علم الحشرات.

(١) الرد على ابن النفريلة ص ٦٢ - ٦٣ ورسائل ابن حزم ٥٥/٣ - ٥٦.

وهذا الحوار الكريم صورة لنماذج كثيرة وعيتها فأكدت لي أن علماء الشريعة بحاجة ماسة — ولاحظ كلمة ماسة — إلى خبرة رجال العلم في الطب والأحياء والهيئة والجيولوجيا.. إلخ ليبصروهم بمفهوم صحيح أو راجح لعدد من نصوص الشريعة المطهرة.

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتاً ومن الشجر وما يعرشون﴾ ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ [سورة النحل: ٦٨ — ٦٩].

ولست بهذا أزعم أن رجال العلم سيعبرون عن مراد الله بيقين لاشك فيه رافع لكل احتمال.

لا أزعم هذا مطلقاً، ولكنني أجزم بأن أقوال رجال العلم المادي سبيل من سبل الاجتهاد وفيها اليقيني والراجح، لأنها تكشف عن معهود حسي، والمعهود الحسي من أهم طرق اليقين أو الرجحان.

والعلم المادي إذا صح يقينا أو رجحانا زيادة علم يكمل أداة المفسر في الاجتهاد ويجب أن ينقى به كثير من تخرص المفسرين في أحكام لم تسند إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بطريق قطعي أو راجح، ولم يوجبها فهم لغوي لا احتمال فيه، ولم يوجبها قطعيات معروفة من الدين بالضرورة، وليست عن حقائق غيبية لا يهتدي إليها العلم البشري.

وإيمان المسلم بأن الاجتهاد في الدين لا ينقطع، وبأن العلماء أشد خشية لله، وبأن القرآن لا تنفى عجائبه، وبأن في القرآن خبراً عما لم يقع بعد أو لم يحصل العلم به حساً بعد: كل ذلك يعني ضرورة الاهتداء بأقوال العلم المادي في فهم بعض أحكام القرآن لا في تأسيسها.

وحظ القرآن الكريم على الاعتبار والتدبر يعني أن العقل البشري بوسائله الحسية والعلمية طريق إلى فهم الشرع.

ولكنه ليس طريقاً للاقتراح على الشرع أو تأسيسه لأن خالق العقل والعلم هو منزل الشرع. فالمنطق أن يكون حَلَقُ مُنْزَلِ الشرع كاشفاً لحكم الشرع غير مؤسس له ولا مقترح عليه.

وإن من أوجب الواجبات على كل مؤسسة علمية للدعوة والإرشاد أن تستقطب رجال العلم المادي وتدون مختلف فتواهم في القضايا العلمية التي ورد الإيمان إليها في الشرع ثم تترك لعلماء الشريعة العمل المخلص الجاد في إحلال الصحيح من تلك الفتاوى العلمية المادية محلها من تفسير القرآن وشروح الحديث.

وكل نص شرعي تعددت الاحتمالات في فهمه، وكان من بين هذه الاحتمالات ما هو مبني على الإسرائيلية والحكايات أو التأويلات التي لا تقرها اللغة، أو الاجتهادات المرسلة أو الذوقية : فوجب أن ترحزج — ترجيحاً لا قطعاً — بحقائق العلم إذا أيدها مدلول اللغة العربية.

وبلا أدنى مبالغة أقول إن مكتبي الحافلة بأمهات التفسير مابين مطبوع أو مصور عن مخطوط لم يشفني في فهم هذه الآية الكريمة كما شفتني اللحظة الماتعة التي تألق فيها الدكتور الزفزاف والأستاذ الفراج.

وإليكم البيان :

١ — اختلف المفسرون في معاد ضمير (فيه) في قوله تعالى ﴿فيه شفاء﴾ فزعم بعض السلف — وهو خلاف قول الجمهور — أن الشفاء في القرآن لا في العسل.

فأتحفنا الدكتور شوقي بعشرات العلل التي تثبت أن العسل شفاء لها. وأثبت عشرات الأدوية والمواد الغذائية التي اشتمل عليها تركيب العسل.

أفلا نجعل هذه الحقائق الطبية مرجحاً لقول الجمهور لاسيما أن سياق اللغة يؤيده مع الآثار.

٢ - قال تعالى ﴿شفاء﴾ ولم يقل الشفاء فاختلف المفسرون في مدلول التنكير وزعم بعضهم أن التنكير للتعظيم ليفهم منه شمول الشفاء لكل الأمراض.

وأثبت الدكتور شوقي بالحقائق العلمية الطبية أن العسل ليس شفاء لكل الأمراض.

أفلا نجعل هذه الحقائق العلمية مرجحا لقول الجمهور وسياق اللغة أن التنكير بسبب أن العسل ليس شفاء دائما، بل فيه شفاء لبعض الأمراض؟.

٣ - وقال تعالى ﴿يخرج من بطونها شراب﴾ ولم يقل (عسل) بدل (شراب) ولم يقف المفسرون عند هذه اللفظة.

ثم أثبت الدكتور شوقي بحقائق حسية أن من النحل شرابا غير العسل هو العسل، والغذاء الملكي، وسم النحل، ولبن النحل. أليس في هذه الحقائق الحسية نكتة بلاغية تضاف إلى التفسير فتؤكد الإيمان بأن هذه الآية الكريمة خبر خالق الحقيقة؟!.

٤ - وخاطب الله النحل في هذه الآية الكريمة بضمير المؤنث : اتخذني.. كلي.. اسلكي.. بطونها.

ولم يقف المفسرون عند هذه اللفظة البلاغية.

وأثبت الدكتور شوقي وأثبتت الشرائح المصورة لخلايا النحل أن دور ذكر النحل دور ثانوي وهو إلقاح ملكة النحل، وأنه في فصل الصيف عالية على الإناث، ولهذا يصفين الخلايا من الذكور في الصيف بالإبادة أو الطرد.

أليست هذه نكتة بلاغية حسية تضاف إلى التفسير؟!.

٥ - وقال تعالى ﴿من كل الثمرات﴾.

وأثبت الدكتور شوقي أن النحلة تمتص مليون زهرة لأجل ١٠٠ جرام من العسل.

أليس هذا مصداقاً حسياً لكلام رب العالمين خالق الحس ومن أصدق من الله حديثاً.

٦ — روى ابن أبي شيبة بإسناده إلى ابن عمر رضي الله عنهما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: مثل المؤمن كمثل النحلة تأكل طيباً وتدع طيباً.

وهكذا رأينا النحل في الشرائح وفي حديث الدكتور شوقي تمتص رحيقاً حلواً لأنها لا تمتص مرأً ولا ساماً، وتترك رحيقاً حلواً لأنها لا تخرب الزهر ولا تؤثر فيه.

٧ — ورأينا في الشرائح عمل النحل الدؤوب وانتظامه في طاعة الملكة، ودقة وحسن نظامه في بناء البيوت والخلايا.

ولا مجال للمصادفة هاهنا في عالم لا يعقل، فعلمنا العناية الإلهية المدلول عليها بقوله تعالى ﴿وَأوحى ربك﴾.

وتأ الله ما قصد علماء المادة أن يصدقوا كلام الله، لأن جمهورهم وروادهم نصارى ويهود وعلمانيون، ولكن تدير الله الكوني اقتضى أن يكون كشفهم العلمي الحسي الصحيح مصداقاً لخبر الشرع، لأن الذي علمهم الكشف الحسي هو الذي علمنا الخبر الشرعي.

فخبره جل جلاله خبر خالق الحقيقة.

وخبر غيره خبر مكتشف الحقيقة.

وخبر خالق الحقيقة قطعي دائماً.

وخبر مكتشف الحقيقة يظل ظناً ما ظل خبره أثناء محاولة اكتشاف الحقيقة.

وقبل ختام هذه البادرة أحب لفت النظر إلى أن مفهوم النص الشرعي قد يكون قطعياً بالنفي أو الإثبات، وقد يكون ظنياً راجحاً من أحد الطرفين، وقد يكون ظنياً احتمالياً مستوي الطرفين يقتضي التوقف.

وهكذا اكتشاف العلم المادي قد يكون قطعياً أو ترجيحياً أو احتمالياً.

ومجتهدو علماء المسلمين إذا حذقوا أقوال العلم المادي ففي تأصيل واجتهاد
أسلافهم في الجمع والترجيح ما يريحهم من مؤونة المخرج والله المستعان.

* * *

٣٢٩ - قال الحميدي عن ابن جرج :

محمد بن سعيد بن جرج : أبو عبد الله، فقيه مشهور من أهل قرطبة.
حدثنا عنه أبو محمد علي بن أحمد^(١) .

* * *

٣٣٠ - قال الحميدي :

صعصعة بن سلام أندلسي فقيه من أصحاب الأوزاعي، وهو أول من
أدخل الأندلس مذهب الأوزاعي، مات سنة اثنتين وتسعين ومئة، قاله
أبو محمد علي بن أحمد^(٢) .

* * *

٣٣١ - قال الحميدي :

سعيد بن القزاز يروي عن أحمد بن محمد بن عبد ربه، روى عنه أبو عمر
بن عفيف ذكره أبو محمد علي بن أحمد^(٣) .

* * *

(١) - الجذوة ص ٦٠ والصلة ٤٨٧/١ .

(٢) - الجذوة ص ٢٤٤ .

(٣) - الجذوة ص ٢٣٣ .

٣٣٢ - قال الحميدي عن الناصر :

قال لي أبو محمد علي بن أحمد :

وكانت امتلأت الأندلس بالفتن، وصار في كل جهة متغلب، فلم يزل كذلك طول ولايته إلى أن مات مستهل ربيع الأول سنة ثلاث مئة.

ولايته من المستطرف لأنه كان في هذا الوقت شاباً وبالخضرة جماعة أكابر من أعمامه وأعمام أبيه، وذوي القعد في النسب من أهل بيته فلم يعترض معترض واستمر له الأمر وكان شهماً صارماً^(١).

* * *

٣٣٣ - قال أبو محمد :

ولقد أخبرني أبو بكر محمد بن الوزير عبد الرحمن بن الليث رحمه الله: أن سبب هروبه إلى محلة البرابر أيام تحوّلهم مع سليمان الظافر إنما كان لجارية يكلف بها تصيرت عند بعض من كان في تلك الناحية، ولقد كاد أن يتلف في تلك السفرة^(٢).

* * *

٣٣٤ - قال الحميدي عن أحمد بن خالد :

قال أبو محمد علي بن أحمد :

مولده سنة ست وأربعين ومئتين، ومات بقرطبة سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة روى عنه جماعة منهم ابنه محمد، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن

(١) الجذوة ص ١٢.

(٢) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ٢٨٤/١.

علي الباجي، ومحمد بن محمد بن أبي دليم، وخالد بن سعد، وعبد الله بن محمد بن عثمان، وغيرهم.

أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد. قال :

حدثنا عبد الرحمن بن سلمة. قال : أخبرني أحمد بن خليل. قال:

ناخالد بن سعد. قال : حدثنا أحمد بن خالد. قال : أخبرنا يحيى بن عمر قال:

أخبرنا الحارث بن مسكين. قال :

أخبرنا ابن وهب. قال : قال لي مالك :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إمام المسلمين يسأل عن الشيء فلا يجيب حتى يأتي الوحي من السماء^(١) .

* * *

٣٣٥ - قال الحميدي عن ابن شهيد :

قال لنا أبو محمد علي بن أحمد :

توفي أبو عامر بن شهيد ضحى يوم الجمعة آخر يوم من جمادى الأولى، سنة ست وعشرين وأربع مئة بقرطبة ودفن يوم السبت ثاني يوم وفاته في مقبرة أم سلمة وصلى عليه جهور بن محمد بن جهور أبو الحزم.

وكان حين وفاته حامل لواء الشعر والبلاغة لم يخلف لنفسه نظيراً في هذين العلمين جملة، مولده سنة اثنتين وثمانين وثلاث مئة، ولم يعقب وانقرض عقب الوزير أبيه بموته وكان جواداً لا يلقى شيئاً، ولا يأسى على

(١) الجذوة ص ١٢١ - ١٢٢.

فأنت، عزيز النفس، مائلاً إلى الهزل، وكان له من علم الطب نصيب وافر، وكانت علة أبي عامر ضيق النفس، والنفخ، ومات في ذهنه وهو يدعو الله عز وجل، ويشهد شهادة التوحيد والإسلام، وكان أوصى أن يصلي عليه أبو عمر الحصار الرجل الصالح، فتغيب إذ دعي وأوصى أن يسف عليه التراب دون لبن ولا خشب فأغفل ذلك ^(١).

* * *

٣٣٦ - قال الحميدي :

إسحاق بن سلمة بن إسحاق القيني أخباري عالم، له كتاب يشتمل على أجزاء كثيرة في أخبار رية من بلاد الأندلس وحصونها وولاتها وحروبها، وفقهاؤها وشعرائها ذكره أبو محمد علي بن أحمد ^(٢).

* * *

٣٣٧ - قال الحميدي :

كامل بن غفيل أبو الوفاء البحتري، أديب شاعر من العرب، دخل الأندلس ذكره لنا أبو محمد علي بن أحمد، وقال : أنشدني أبو الوفاء كامل ابن غفيل لرجل من العرب لقيه بالبادية وكان قد بعثه قومه رائداً، وعاهدوه إن وجد خصباً ألا ينذر به بني فلان لحي كانوا في طريقه.

قال : وكان له في ذلك الحي عجيبة.

قال : والعجيبة عندهم : المحبوبة فضى فارتاد فوجد الخصب، فرجع إلى قومه ليعلمهم، وجعل طريقه على ذلك الحي، وأراد أن يخلصهم بمعرفة

(١) الجذوة ص ١٣٥ - ١٣٦.

(٢) الجذوة ص ١٦٩ ورسالة فضل الأندلس في نفع الطيب ١٧٤/٣.

ذلك لمكان عجيبته وألا يشافهم بمكان ماعوهده عليه، فلما صار حيث يسمعونه
ضرب ناقته بالسوط، وأنشأ يقول:

خطر من الوسمي أرخى شيلوه
كأن نداه مطلع الشمس لولو

تركنا بها الوحش الأوبد ترتعي
ولا بد أنا زائلون فزولوا

قال : فارتحل ذلك القوم يؤمون أثره من حيث جاء، فلما رحل قومه
صادفوه بالمكان^(١).

* * *

٣٣٨ — قال الحميدي عن ابن الطائف :

موسى بن الطائف شاعر مشهور، كان في أيام المنصور أبي عامر محمد
ابن أبي عامر أخبرنا الرئيس أبو العباس أحمد بن رشيق الكاتب قال:

كتب موسى بن الطائف إلى بعض العمال :

لا تنسني من سحتك المكسوب
واجعل نصيبك منه مثل نصيبي

فاذا اغترى بك في القيامة مغتر
فبمثل ما تغرى به تغري بي

وزادني فيها أبو محمد بيتاً ثالثاً. قال :

أنشدني غير واحد عنه، وبه يتم المعنى :

(١) الجذوة ص ٣٣٤ — ٣٣٥.

وهي الذنوب وغاية في بخله
من كان فينا باخلا بذنوب^(١)

* * *

٣٣٩ - قال الحميدي عن ابن هذيل :

يحيى بن هذيل أبو بكر من أهل العلم والأدب والشعر، غلب عليه
الشعر فصار من المشهورين به، وقد سمع الحديث من أحمد بن غالب وغيره.

حدثني أبو محمد علي بن أحمد قال :

حدثني خلف بن عثمان المعروف بابن اللجام. قال :

حدثني يحيى بن هذيل :

أن أول تعرضه للشعر إنما كان لأنه حضر جنازة أحمد بن محمد بن عبد
ربه.

قال : وأنا يومئذ في أوان الشيبة.

قال : فرأيت فيها من الجمع العظيم وتكاثر الناس شيئاً راعني فقلت:
لمن هذه الجنازة؟.

فقال لي : لشاعر البلد.

فوقع في نفسي الرغبة في الشعر، واشتغل فكري بذلك، وانصرفت إلى
منزلي، فلما أخذت مضجعي من الليل أريت كأنني على باب دار فيقال

(١) الجذوة ص ٣٣٧ - ٣٣٨، وهو من أحد الكتابين المفقودين اللذين صنفها أبو محمد حول
ابن أبي عامر.

لي: هذه دار الحسن بن هانئ، فكنت أقرع الباب فيخرج إلي الحسن
فيفتح لي الباب وينظرني بعين حواء ثم ينصرف.

قال : فاستيقظت من ساعتى وقت سحراً إلى المفسر فقصصتها عليه،
فقال: سيكون محلك من قول الشعر بمقدار ما كان يتحول إليك من عين
الحسن.

قال لي أبو محمد : مات أبو بكر ابن هذيل سنة خمس أو ست وثمانين
وثلاث مئة وهو ابن ست وثمانين، وكان قد بلغ من الأدب والشعر مبلغاً
مشهوراً^(١).

* * *

٣٤٠ — قال الحميدي :

صفية بنت عبد الله الربيعي، أديبة شاعرة موصوفة بحسن الخط، ذكرها
أبو محمد علي بن أحمد وأنشدني. قال:

أنشدني أبو عبد الله محمد بن سعيد بن جرج لها وقد عابت امرأة خطها
فقلت :

وعائبة خطي فقلت لها اقصري
فسوف أريك الدر في نظم أسطري
وناديت كفي كي تجود بخطها
وقربت أقلامي ورقى وغبري
فخطت بأبيات ثلاث نظمها
ليبدو لها خطي وقلت لها انظري

(١) الجذوة ص ٣٨١.

قال : وتوفيت في آخر سنة سبع عشرة وأربع مئة وهي دون ثلاثين سنة^(١) .

* * *

٣٤١ - قال الحميدي عن اليحصبي :

فإن أبا محمد علي بن أحمد أخبرني قال :

كان بالأندلس شاعر ضعيف الشعر مشهور، يُتضحك بشعره إلا أنه كان يقع له في أثنائه البيت النادر، والمثل المستحسن.

وأنشدني من جيد ماوقع له :

أعلى ابن يعلى يدي بعد انخفاض يدي
حتى مسحت بها عن غرة القمر^(٢)

* * *

٣٤٢ - قال الحميدي عن العباس بن عمرو الصقلي :

أخبرني أبو محمد علي بن أحمد. قال :

أخبرنا أبو الوليد بن الصفار، قال :

أخبرنا العباس بن عمرو الصقلي. قال :

أخبرنا ثابت بن قاسم بن ثابت السرقسطي.

قال : أخبرني أبي.

(١) الجذوة ص ٤١٢ .

(٢) الجذوة ص ٤٠٩ - ٤١٠ .

قال : أنشدني إسماعيل الأسدي :

عن محمود بن مطر.

قال : أنشدني أحمد بن أبي المغا :

أما ترى قضب الريحان مشرقة
عن كل أزهر لماع التبشير
كأنها مقل أحداقها ذهب
جفونها فضة زينت بتدوير

وأخبرنا أبو محمد بكتاب (الغريب) كله لفظاً بالإسناد المذكور إلى
قاسم بن ثابت المصنف له ^(١).

* * *

٣٤٣ - قال الحميدي عن ابن الاستجي :

علي بن عبد الله بن علي من أهل الأدب والفضل يعرف بابن
الاستجي، ذكره أبو محمد علي بن أحمد ^(٢).

* * *

٣٤٤ - قال الحميدي :

الحسين بن علي الفاسي أبو علي من أهل العلم والفضل، مع العقيدة
الخالصة والنية الجميلة، لم يزل يطلب ويختلف إلى العلماء، محتسباً حتى
مات.

(١) الجذوة ص ٣١٨.

(٢) ص ٣١٤.

قال لنا أبو محمد علي بن أحمد : قلت له يوماً : يا أبا علي متى تنقضي قراءتك على الشيخ؟.

وأنا حينئذ أريد سماع كتاب آخر من ذلك الشيخ.

فقال لي : إذا انقضى أجلي، فاستحسنها منه.

قال أبو محمد : وكان رحمه الله ناهيك به سروا وديننا وعقلا وعلمنا وورعا وتهذيبنا وحسن خلق^(١) .

* * *

٣٤٥ — قال الحميدي :

جعفر بن يوسف الكاتب روى عن أبي العلاء صاعد بن الحسن اللغوي وغيره أخباراً وأشعاراً.

حدثنا عنه أبو محمد علي بن أحمد^(٢) .

* * *

٣٤٦ — قال الحميدي عن الخليفة الأموي الأندلسي عبد الله بن محمد:

وكانت ولايته في سنة خمس وسبعين وتمادت إلى الثلاث مئة.

هكذا أخبرنا أبو محمد فيما جمعه من ذكر أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس^(٣) .

* * *

(١) الجذوة ص ١٩٣ .

(٢) الجذوة ص ١٨٧ .

(٣) الجذوة ص ١٧٨ .

٣٤٧ - قال الحميدي عن ثابت الجرجاني :

وأخبرني عنه أبو محمد علي بن أحمد.

قال : أخبرني علي بن حمزة ضيف المتنبي، (قال : وعنده نزل المتنبي ببغداد) أن القصيدة التي أولها:

هذي برزت لنا فهجت رسيسا

قالها في محمد بن زريق الناظر في زوامل ابن الزيات صاحب طرسوس وأنه وصله عليها بعشرة دراهم فقليل له:

إن شعره حسن.

فقال : ما أدري أحسن هو أم قبيح؟ ولكن أزيده لقولكم عشرة دراهم فكانت صلته عليها عشرين درهما^(١).

٣٤٨ - قال الحميدي :

أغلب بن شعيب الجياني، شاعر مقدم، سكن قرطبة وكان من شعراء عبد الرحمن الناصر ومن بعده، ذكره أبو محمد علي بن أحمد من الشعراء المتقدمين^(٢).

* * *

٣٤٩ - قال الحميدي :

إسحاق بن إبراهيم بن مسرة، من العلماء المذكورين، مات بمدينة طليطلة

(١) الجذوة ص ١٨٥ ولعل هذا النص من رد ابن حزم على ابن الإفليبي في شرح شعر المتنبي.

(٢) الجذوة ص ١٧٤.

ليلة السبت لثمان بقين من رجب سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة. قاله أبو محمد علي بن أحمد^(١).

* * *

٣٥٠ - قال الحميدي :

إبراهيم بن قاسم الأضرابلسي من المغرب، دخل الأندلس روى عنه أبو محمد علي بن أحمد^(٢).

* * *

٣٥١ - قال الحميدي :

أحمد بن مسعود الأزدي السمناني. أديب شاعر. ذكره أبو محمد علي بن أحمد^(٣).

* * *

٣٥٢ - قال الحميدي :

أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التاهرتي البزاز أبو الفضل ولد بتاهرت، وأتى مع أبيه صغيراً إلى الأندلس، وكان أبوه من جلساء أبي بكر بن حماد التاهرتي ومن أخذ عنه.

قاله أبو محمد علي بن أحمد^(٤).

* * *

(١) الجذوة ص ١٦٨.

(٢) الجذوة ص ١٥٦ وانظر الصلة ١٠١/١.

(٣) الجذوة ص ١٤٨.

(٤) الجذوة ص ١٤١ وانظر الصلة ٨٦/١.

٣٥٣ - قال الحميدي عن ابن مروان :

ذكره أبو محمد علي بن أحمد في المتقدمين من الشعراء فأثنى عليه ^(١) .

٣٥٤ - قال الحميدي عن ابن بدر :

أحمد بن عبد الله بن إسماعيل بن بدر أبو مروان : من شيوخ الأدب المشهورين، عاش إلى أيام الفتنة بعد الأربع مئة، وكان حيا في سنة ست بعدها.

ذكره أبو محمد علي بن أحمد ^(٢) .

٣٥٥ - قال الحميدي عن أحمد بن عبد الله اللؤلؤي :

روى عن أبي صالح أيوب بن سليمان، ومحمد بن عمر بن لبابة، مات سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة.

ذكره أبو محمد علي بن أحمد ^(٣) .

٣٥٦ - قال الحميدي :

محمد بن موسى بن هاشم النحوي يعرف بالأفشتين. له كتاب في طبقات الكتاب بالأندلس. ذكره أبو محمد علي بن أحمد ^(٤) .

(١) الجذوة ص ١٣٢ ولعله تلميذ ابن حزم المترجم له في الذيل والتكملة ٢٦٦/١ - ٢٦٨ .

(٢) الجذوة ص ١٣١ وانظر الصلة ٤٥/١ .

(٣) الجذوة ص ١٢٨ .

(٤) الجذوة ص ٨٨ وانظر تعليق الدكتور إحسان عباس على نفع الطيب ١٧٤/٣ - ١٧٥ .

٣٥٧ - قال الحميدي :

أحمد بن حبرون بالحاء المهملة، والباء المعجمة بواحدة، من أهل العلم، والأدب والجلالة، كان في أيام الدولة العامية، ذكره أبو محمد علي بن أحمد^(١).

* * *

٣٥٨ - قال الحميدي :

أحمد بن الحباب أبو عمر قرطبي من أهل العربية والأدب، كان أستاذاً مقدماً أخبرني أبو محمد علي بن أحمد وغيره: أنه كان مع حذقه بالأدب وتصرفه في العربية شديد الغفلة في غير ذلك من أموره^(٢).

* * *

٣٥٩ - قال أبو محمد :

وقد أخبرني محمد بن عبد الله الهمداني : عن أبيه : أنه ترك تينه سنين دون تذكير فاستغنى عن التذكير، فلعل النخل كذلك، لو توبع عليه ترك التلقيح سنة بعد سنة لاستغنى عن ذلك^(٣).

* * *

٣٦٠ - قال أبو محمد :

وإنما ذكر في بعض التفاسير التي لا تصح، وذلك من نحو ما ذكر فيها أن ملكين زنيا وقتلا النفس التي حرم الله تعالى وشربا الخمر، وقد نزه الله

(١) الجذوة ص ١٢٠.

(٢) الجذوة ص ١١٩ - ١٢٠ وانظر الصلة ٣٢/١ واسمه أحمد بن محمد بن مسعود.

(٣) الأحكام ١٣٨/٥.

تعالى الملائكة عن ذلك، وأن الزهرة كانت زانية فسخت كوكباً مضيئاً
يهتدى به في البر والبحر، حتى أدت هذه الروايات الفاسدة بعض أهل
الإلحاد إلى أن قال: لو كان هذا لما بقيت محصنة إلا زنت لتمسح
كوكباً!!!^(١).

* * *

٣٦١ - قال أبو محمد :

لقد رأيت طوائف من الخاسرين شاهدتهم أيام عنفوان طلبنا، وقبل
تمكن قوانا في المعارف، وأول مداخلتنا صنوفاً من ذوي الآراء المختلفة:
كانوا يقطعون بظنونهم الفاسدة من غير يقين أنتجه بحث موثوق به: على أن
الفلسفة وحدود المنطق منافية للشريعة، فعمدة غرضنا وعملنا إنارة هذه
الظلمة بقوة خالقنا الواحد عز وجل لا قوة لنا إلا به وحده لا شريك له.

واعلم أن الكلام الذي نتأهب لإيراده دأباً، وننبهك على الإصاحبة إليه
هو الغرض المقصود من هذا الديوان، وهو الذي به نقيس جميع ما اختلف
فيه من أي علم كان، فتذوقه ذوقاً لا يخونك أبداً، وتدبره متعملاً، وتحفظ جداً،
فهو الذي وعثرته الأوائل وعبرت عنه بحروف الهجاء ضنانه به، واحتسبنا
الأجر في إبدائه وتسهيله وتقريبه على كل من نظر فيه للأسباب التي ذكرنا
في أول ديواننا، هذا ولم نقنع إلا بأن جعلنا جميع الأنحاء من لفظ واحد في
الإيجاب ولفظ واحد في النفي ليلوح رجوع بعضها إلى بعض ومناسبة بعضها
بعضاً ووجوه العمل في أخذ البرهان بها، فقربنا من ذلك بعيداً، وبيننا
مشكلاً، وأوضحنا عويصاً، وسهلنا وعراً، وذللتنا صعباً.

مانعلم أحداً سمح بذلك ولا أتعب ذهنه فيه قبلنا، والله الحمد أولاً
وآخراً.

(١) الإحكام ١٦٦/٥ - ١٦٧.

وبوقوفك على هذا الفصل تدفع عنك غيمة الجهل والنفار الذي يولده
الهلح من سوء الظن بهذا العلم وشدة الهم بمخرقة كثير ممن يدعيه ممن ليس
من أهله وفقنا الله وإياك وسائر أهل نوعنا عامة وأهل ملتنا خاصة لما
يرضيه، آمين^(١) .

التعليق على النص

هذا النص أحد نماذج لإيمان ابن حزم بالمنطق الأرسطي، وهذا النص
يدفع تهمة صاعد وابن حيان أن ابن حزم لم يفهم المنطق على ما أراده
ووضعه واضعه، لأن أبا محمد عامد إلى تسهيله وتعميق شواهد بالأمثلة
الشرعية بحيث يكون منطقاً إسلامياً في اعتباره.

* * *

٣٦٢ - قال أبو محمد :

أخبرني أبو بكر بن أبي الفياض قال : كتب عثمان بن محامس على
باب داره بأستجة (ياعثمان لا تطمع)^(٢) .

٣٦٣ - قال أبو محمد :

أخبرني بعض من صحبناه في الدهر عن نفسه أنه ما عرف الغيرة قط،
حتى ابتلي بالمحبة فغار، وكان هذا المخبر فاسد الطبع، خبيث التركيب إلا أنه
من الفهم والجود^(٣) .

* * *

(١) التقريب ص ١١٥ - ١١٦ .

(٢) مداواة النفوس ص ٤٦ وانظر جذوة المقتبس ص ٢٨٨ .

(٣) مداواة النفس ص ٤٧ ورسائل ابن حزم ٣٧٥/١ .

٣٦٤ — قال أبو محمد :

من عجيب تدبير الله عز وجل للعالم أن كل شيء اشتدت الحاجة إليه كان ذلك أهون له.

وتأمل ذلك في الماء فما فوقه وكل شيء اشتد الغنى عنه ذلك أعز له.
وتأمل ذلك في الياقوت الأحمر فما دونه ^(١) .

* * *

٣٦٥ — قال أبو محمد :

كنا نظن أن العشق في ذوات الحركة والحدة من النساء أكثر : فوجدنا الأمر بخلاف ذلك، وهو في الساكنة الحركات أكثر مالم يكن ذلك السكون بلها.

وفي أنواع صباحة الصور — وقد سئلت عن تحقيق الكلام فيها —
فقلت:

الحلاوة دقة المحاسن، ولطف الحركات وخفة الإشارات، وقبول النفس
لأعراض الصور وإن لم تكن ثم صفات ظاهرة القوام.

جمال كل صفة على وحدتها، ورب جميل الصفات على انفراد كل صفة
منها بارد الطلعة غير مليح، ولا حسن ولا رائع ولا حلو الروعة.

بهاء الأعضاء الظاهرة وهي أيضاً الفراهة.

والعنق الحسن، وهو شيء ليس له في اللغة اسم يعبر به عنه، ولكنه
محسوس في النفس باتفاق كل من رآه.

(١) مداواة النفوس ص ٥٦.

وهو برد مكسو على الوجه وإشراق يستميل القلوب نحوه، فتجتمع الآراء على استحسانه وإن لم تكن هناك صفات جميلة، فكل من رآه راقه واستحسنه وقبله، حتى إذا تأملت أفراداً لم تر طائلاً، وكأنه شيء في نفس المرثي يجده نفس الرائي، وهذا أجل مراتب الصبابة.

ثم تختلف الأهواء بعد هذا : فن مفضل الروعة ومن مفضل للحلاوة، وما وجدنا أحداً قط يفضل القوام المنفرد.

الملاحاة اجتماع شيء بشيء مما ذكرنا^(١).

التعليق على النص

قال أبو عبد الرحمن : التفريق بين الملاحاة (الجازبية) والجمال من اللفتات الرائدة في تراث الأسلاف، وكذلك الحكم بذاتية الحب في الملاحاة المفهومة من قول أبي محمد :

(وكانه شيء في نفس المرثي يجده نفس الرائي) فكلمة (وكانه) أكدت أن الموجود في نفس الرائي فحسب.

وقد فرق شعراء العامية في نجد بين الجمال والملاحاة، فقال شاعرهم:

ترى المكلفخ يجي ملموح
والزين من دقت أشباهه^(٢)

* * *

(١) مداواة النفوس ص ٤٨ — ٤٩.

(٢) اعلم أن خشن الملامح قد يصير مليحاً، أما الجميل فهو من دقت ملامحه.

٣٦٦ - قال أبو محمد :

فكان أول ما اعترض به هذا الزنديق المستسر باليهودية على القرآن بزعمه أن ذكر قول الله عز وجل: ﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك﴾ [سورة النساء: ٧٨].

قال هذا المائق الجاهل : فأنكر في هذه الآية تقسيم القائلين بأن ما أصابهم من حسنة فمن الله وما أصابهم من سيئة فمن عند محمد، وأخبر أن كل ذلك من عند الله.

قال : ثم قال في آخر هذه الآية : ﴿وما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [سورة النساء: ٧٩].

قال هذا الزنديق الجاهل : فعاد مصوباً لقولهم، ومضاداً لما قدم في أول الآية.

قال أبو محمد بن حزم : لو كان لهذا الجاهل الوقاح أقل بسطة أو أدنى حظ من التمييز لم يعترض بهذا الاعتراض الساقط الضعيف، والآية المذكورة مكتفية بظاهرها عن تكلف تأويل، مستغنية ببادي ألفاظها عن تطلب وجه لتأليفها، ولكن جهله أعمى بصيرته وطمس إدراكه.

وبيان ذلك أن الكفار كانوا يقولون : إن الحسنات الواصلة إليهم هي من عند الله عز وجل وأن السيئات المصيبة لهم في دنياهم من عند محمد صلى الله عليه وسلم، فأكذبهم الله تعالى في ذلك، وبين وجه ورود حسنات الدنيا وسيئاتها على كل من فيها بأن الحسنات السارة هي من عند الله تعالى بفضلها على الناس وأن كل سيئة يصيب الله تعالى بها إنساناً في دنياه فمن قبل نفس المصاب بها بما يجني على نفسه من تقصيره فيما يلزمه من أداء حق الله تعالى الذي لا يقوم به أحد.

وكل ذلك من عند الله تعالى جملة، فأحد الوجهين وهو : الحسنات

فضل من الله تعالى مجرد لم يستحقه أحد على الله تعالى إلا حتى يفضل به عز وجل من أحسن إليه من عباده، والوجه الثاني وهو السيئات تأديب من الله تعالى أوجبه على المصاب بها تقصيره عما يلزمه من واجبات ربه تعالى.

ولا يستوحش مستوحش فيقول : كيف يكون النبي صلى الله عليه وسلم المخاطب بهذا الخطاب مقصرا في أداء واجب ربه تعالى؟.

فليعلم أن التقصير ليس يكون معصية في كل وقت، إنما يكون النبي عليه السلام منزلها عن تعمد المعصية صغیرها وكبیرها.

وأما تأدية شكر الله تعالى وجميع حقوقه على عباده فهذا مالا يستوفيه ملك ولا نبي، فكيف من دونها، كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أحدكم لا يدخل الجنة لعمله.

فقل له : ولا أنت يا رسول الله؟.

فقال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته، أو كما قال عليه السلام.

فإنما أنكر الله تعالى على الكفار في الآية المتلوة آنفاً قولهم للنبي عليه السلام: إن ما أصابهم من سيئة فهي منك يا محمد، وأخبر عز وجل أنها من عند أنفسهم، وأن كل ذلك من عند الله تعالى، فلم يفرق المجنون بين ما أوجبه الله تعالى من أن كل من أصابته سيئة فن نفسه، وبين ما ذكر الله تعالى من قول الكفار لمحمد صلى الله عليه وسلم: إن ما أصابهم من سيئة فنك يا محمد، فأی ظلم يكون أعظم من ظلم من جهل أن يفرق بين معنيي هذين اللفظين؟.

وإنما كان الكفار يتطرون بمحمد صلى الله عليه وسلم عندما يرد عليهم من نكية تعرض لهم بكفرهم وخلافهم له عليه السلام، كما تطير إخوانهم قبلهم بموسى صلى الله عليه وسلم إذ قال تعالى حاكياً عنهم قولهم : ﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا

إنما طائـرهم عند الله ﴿ [سورة الأعراف: ١٣١] وما أرى هذا الزنديق الأنوك
إذ اعترض بهذا الاعتراض كان إلسكران سكر الخمر، وسكر عجب الصغفر
إذا كبر، والخسيس إذا أشر، والدليل الجائع إذا عز وشبع، والسفلي إذا أمر
وشط، والكلب إذا دال ونشط.

فإن لهذه المعائب مسالك خفية في إفساد الأخلاق التي تقرب من
الاعتدال، وكيف بخلق سوء متكرر في الخساسة والهجنة والردالة والنذالة
واللعنة والمهانة؟.

ولله در القائل :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلـا مضر كوضع السيف في موضع الندى
وهذا الذي قلنا هو المفهوم من نص الآية دون تزيد ولا انتقاص ولا
تبديل لفظ، والحمد لله رب العالمين كثيرا.

ولكن لو تذكر هذا المائق الجاهل ما يقرؤونه في كفرهم المبدل وإفكهم
المحرف بأخرق تحريف وأنتن معان حاشا ماخذهم الله تعالى في تركه
على وجهه ليبيد فضائحهم، فأبقوه تخبيثاً من الله تعالى لهم ليكون حجة
عليهم من ذكر عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم في كتابهم الذي يسمونه
التوراة، إذ يقولون فيه في السفر الرابع عن موسى صلى الله عليه أنه قال
مخاطباً لله عز وجل: يارب كما حلفت قائلاً: الرب وديع ذو حن عظيم يعفو
عن الذنب والسيئة وليس ينسى شيئاً من المآثم، الذي يعاقب بذنب الوالد
الولد في الدرجة الثانية والرابعة.

ويقرؤون فيه أيضاً في أول السفر الأول: إن قايـن ابن آدم عاقبه الله
في السابع من ولده، ثم يقرؤون في الكتاب المذكور نفسه في السفر

الخامس منه: إن الله تبارك وتعالى قال لموسى: لا تقتل الآباء لأجل الأبناء، ولا الأبناء لأجل الآباء، ألا كل واحد يقتل بذنبه.

فلو تفكر هذا الجاهل المائق وعظيم التناقض لشغله عظيم مصابه عن أن يظن بقول الله تعالى الذي هو الحق الواضح الواحد غير المختلف: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ فما هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً. ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴿﴾ وهذا قد بينا كما مر آنفاً أنه لا مجال للتناقض فيما أصلاً، وإنما التناقض المحض مانسبوا إلى موسى عليه السلام من أنه قدر بربه أنه يغفر الذنب لفاعله، ويعاقب بذلك الذنب من كان من ولد المذنب في الدرجة الرابعة، ثم يقول في مكان آخر: أن لا تقتل الأبناء لأجل الآباء ولا الآباء لأجل الأبناء، هذا مع إقرارهم بأنه ليس في التوراة ذكر عذاب ولا جزاء بعد الموت أصلاً، وإنما فيها الجزاء بالثواب والعقاب في الدنيا فقط، فهذا هو التناقض المجرد الذي لاخفاء به، وبالله تعالى التوفيق ^(١).

التعليق على النص

قال أبو عبد الرحمن: آثار أبي محمد في تفسير القرآن الكريم والجمع بين النصوص مفقودة، ورد أبي محمد على ابن النغيلة أنموذج مصغر للجمع بين النصوص والتفسير.

* * *

٣٦٧ - قال أبو محمد :

وإنما ذكرنا التآليف المستحقة للذكر، والتي تدخل تحت الأقسام السبعة ^(٢) التي لا يؤلف عاقل عالم إلا في أحدها، وهي:

(١) الرد على ابن النغيلة ٤٧ - ٥١ ورسائل ابن حزم ٤٣/٣ - ٤٦.

(٢) قارن هذا بما ذكره ابن حزم في كتاب (التقريب لحد المنطق) ص : ١٠.

إما شيء لم يسبق إليه يخترعه.

أوشيء ناقص يتمه.

أوشيء مستغلق يشرحه.

أوشيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه.

أوشيء متفرق يجمعه.

أوشيء مختلط يرتبه.

أوشيء أخطأ مؤلفه يصلحه.

وأما التواليف المقصرة عن مراتب غيرها فلم نلتفت إلى ذكرها، وهي عندنا من تأليف أهل بلدنا أكثر من أن نحيط بعلمها^(١).

* * *

٣٦٨ — قال أبو محمد :

وقد سألتني بعضهم، فقال : ماتقول فيمن أفطر ناسياً لصومه؟.

فقلت له : صومه تام.

قال : فما تقول فيمن ترك ركعة من صلاته ناسياً؟.

فقلت : يصلّيها مالم ينتقض وضوؤه، أو يعيد الصلاة كلها إن انتقض وضوؤه.

فقال لي : لم فرقت بين الأمرين؟.

(١) نفح الطيب ١٧٦/٣.

وهلا أجزت الصلاة مع نسيان بعضها، كما أجزت الصيام مع نسيان بعضه بإفطاره في بعض نهاره؟.

فالجواب وبالله تعالى التوفيق : أننا لسنا من أصحاب القياس فيلزمنا هذا السؤال، وإنما اتبعنا النص الوارد فيمن أفطر ناسيا أنه يتم صومه، واتبعنا النص فيمن نسي صلاته أو بعضها أن يصليها، لأننا مأمورون بالصلاة بالنص، وبعض الصلاة صلاة، فن لم يصل ناسيا، قيل له بالنص: أقم الصلاة التي نسيت إذ ذكرتها ولا مزيد^(١).

* * *

٣٦٩ - قال أبو محمد :

وأما جهتنا فالحكم في ذلك ماجرى به المثل السائر : أزهد الناس في عالم أهله.

وقرأت في الإنجيل أن عيسى عليه السلام قال : لا يفقد النبي حرمة إلا في بلده.

وقد تيقنا ذلك لما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من قريش - وهم أوفر الناس أحلاما، وأصحهم عقولا، وأشدهم تثبتا، مع ماخصوا به من سكناهم أفضل البقاع، وتغذيتهم بأكرم المياه - حتى خص الله تعالى الأوس والخزرج بالفضيلة التي أبانهم بها عن جميع الناس، والله يؤتي فضله من يشاء ولاسيا أندلسنا فإنها خصت من حسد أهلها للعالم الظاهر فيهم الماهر منهم، واستقلالهم كثير ما يأتي به، واستهجانهم حسناته، وتبعضهم سقطاته وعثراته، وأكثر ذلك مدة حياته بأضعاف مافي سائر البلاد: إن أجاد قالوا: سارق مغير، ومنتحل مدع، وإن توسط قالوا: غث بارد وضعيف

(١) الإحكام ١٥٣/٥ - ١٥٤.

ساقط، وإن باكر الحيازة لقصب السبق قالوا، متى كان هذا؟ ومتى تعلم؟
وفي أي زمان قرأ؟ ولأمة الهبل؟!!

وبعد ذلك إن ولجت به الأقدار أحد طريقين: إماشفوفا بائنا يعليه على
نظرائه، أو سلوكا في غير السبيل التي عهدوها: فهناك حي الوطيس على
البائس، وصار غرضا للأقوال، وهدفا للطلب، ونصبا للتسبب إليه، ونهبا
للألسنة، وعرضة للتطرق إلى عرضه، وربما نخل مالم يقل، وطوق مالم يتقلد،
والحق به مالم يفه به ولا اعتقده قلبه.

وبالحري — وهو السابق المبرز — إن لم يتعلق من السلطان بحظ أن
يسلم من المتالف وينجو من المخالف.

فإن تعرض لتأليف غمز ولز، وتعرض وهمز، واشتط عليه وعظم يسير
خطبه، واستشنع هين سقطه، وذهبت محاسنه، وسترت فضائله، وهتف
ونودي بما أغفل، فتتكسر لذلك همته، وتكل نفسه وتبرد حميته، وهكذا عندنا
نصيب من ابتدأ يحوك شعرا، أو يعمل رسالة: فإنه لا يفلت من هذه الجبائل،
ولا يتخلص من هذه النصب إلا الناهض الفاتت والمطفف المستولي على
الأمم^(١).

* * *

٣٧٠ — قال أبو محمد :

ومن عجائب الدنيا ما حدثناه أحمد بن محمد بن الجصور : ثنا وهب بن
مسرة: ثنا ابن وضاح: ثنا سحنون: ثنا ابن القاسم قال: احتج مالك في
جواز فعل الرجل بإنكاح ابنته البكر بغير رضاها بقول الله تعالى عن صهر
موسى: ﴿إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانين
حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك﴾ [سورة القصص: ٢٦].

(١) نفع الطيب ١٦٦/٣ — ١٦٧.

قال علي : فأني عجب أعجب من احتجاجة بهذه الآية فيما لا يوجد في الآية أصلاً، وفي الممكن أنها رضيت فلم يذكر؟!.

ثم يخالف الآية نفسها في أربعة مواضع :

أحدها : إنكاح إحدى ابنتيه بغير عيناها.

والثاني : إنكاحه بإجازة.

الثالث : الإجازة إلى أحد أجليين أيها أوفى، فالنكاح ثابت.

والرابع : إنكاح امرأة بخدمة أبيها؟!.

ثم بعد هذا كله : من له بأنها كانت بكراً، ولعلها ثيب؟.

أليس في هذا الاحتجاج عبرة لمن اعتبر؟.

ولعلها بكر عانس وهو لا يرى إنكاح هذه إلا بإذنها ورضاها، فكيف والاحتجاج بالآية لا يصح لما قدمنا من أن شرائع الأنبياء عليهم السلام لا تلزمنا^(١)؟.

* * *

٣٧١ — قال أبو محمد :

وهذا مكان ينبغي أن تتحفظ به، فربما غالط فيه بعض النوكي كما فعل الناشئ المكنى بأبي العباس إذ قال: إذا كانت عشرة في عشرة مئة فالخمس في الخمسة خمسون؟!

وذلك لأن الخمسين نصف المئة والخمسة نصف العشرة ونسبة العشرة من

(١) الإحكام ١٧٠/٥ — ١٧١.

المئة كنسبة الخمسة من الخمسين، ونسبة الخمسة من العشرة كنسبة الخمسين في المئة.

وإنما وقع هذا الإيهام الساقط لأن المتكلم أتى بلفظ غير واضح في المقدمة، وكان الصواب أن يقول: إذا كانت عشرة مكررة عشر مرات مئة فخمسة مكررة خمس مرات خمسة وعشرون.

لكن أهل صناعة الحساب اختصروا التطويل بلفظ اتفقوا على وضعه للتفاهم بينهم وليس عليهم أكثر من ذلك البيان للجاهل فقط^(١).

* * *

٣٧٢ — قال أبو محمد :

ووالله إن العجب ليعظم ممن ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم بما في التوراة في رجم يهوديين زنيا، وهو يرفع نفسه الخسيصة عن هذا، فيقول: إن قدم إلي يهوديان زنيا لم أقم عليهما الحد ورددتها إلى أهل دينها، فهو يترفع عما يصف به نبيه صلى الله عليه وسلم، نبرأ إلى الله تعالى من نصر كل مذهب يؤدي إلى مثل هذه البوائق والكبائر وحسبنا الله ونعم الوكيل^(٢).

(١) التقريب ص ١٣٣.

(٢) الأحكام ١٧٩/٥.

المحتويات

- ٢٢١ - حكم ابن حزم على حديثين في الصحيحين بأنها
موضوعان، وتعليق للشيخ أبي تراب الظاهري ١٧ - ٥
- ٢٢٢ - بطلان التقليد ١٧ - ١٨
- ٢٢٣ - أخبار العشاق من منقول أبي محمد وتجربته ١٩ - ٢٦
- ٢٢٤ - مخالفة عمر لأبي بكر رضي الله عنها ٢٧ - ٣٢
- ٢٢٥ - المفتون من الصحابة رضي الله عنهم ٣٢ - ٣٣
- ٢٢٦ - المفتون من الصحابة أيضاً رضي الله عنهم ٣٣ - ٤٦
- ٢٢٧ - المفتون من الصحابة أيضاً رضي الله عنهم ٤٦ - ٦٦
- ٢٢٨ - بعض قضايا الدليل ٦٦ - ٦٨
- ٢٢٩ - التأصيل للدليل ٦٨ - ٧١
- ٢٣٠ - من عجائب المفتين بالأندلس ٧٢
- ٢٣١ - رد أبي محمد على من قال بنفي وتأديب من قتل
مسلمًا عمداً فعفي عنه ٧٢ - ٧٦
- ٢٣٢ - مخاطبة ابن حزم لصديقه ابن إسحاق ٧٧ - ٨٠
- ٢٣٣ - فتوى لسحنون ٨٠
- ٢٣٤ - أبو المحشى التميمي ٨١
- ٢٣٥ - ابن الهيثم ٨١
- ٢٣٦ - ابن سيد ٨١
- ٢٣٧ - ابن طريف ٨٢ - ٨٣
- ٢٣٨ - ابن آمنة ٨٣ - ٨٤
- ٢٣٩ - ابن عفيف ٨٤

٢٤٠ —	أبو الوليد ابن حريش	٨٤
٢٤١ —	ابن بطلال	٨٥
٢٤٢ —	الرياحي	٨٥
٢٤٣ —	ابن عاصم	٨٥
٢٤٤ —	ابن مفلت	٨٦
٢٤٥ —	ابن إسحاق	٨٦
٢٤٦ —	ابن أزهر	٨٦
٢٤٧ —	ابن نصر	٨٦
٢٤٨ —	قول ابن الراوندي في النظام	٨٧
٢٤٩ —	نص نادر من الجزء الأول من الإعراب	٨٧ — ١٠٠
٢٥٠ —	فصل نادر لأبي محمد عن أصل الاختلاف	
١٠٩ — ١٠٠	الشرعي وأسبابه	
٢٥١ —	رجل من الجن وشيطان من الإنس	١٠٩
٢٥٢ —	فصل نادر لأبي محمد رحمه الله عن خلافة أبي بكر	
١١٠ — ١٠٩	رضي الله عنه	
٢٥٣ —	نص نادر لأبي محمد حول اختلاف مسميات الآخرة عن	
١١٢ — ١١٠	مسميات الدنيا	
٢٥٤ —	قصيدتان لأبي محمد وأبي عبد الرحمن في أصول	
١٣٠ — ١١٢	الفقه	
٢٥٥ —	القصاص من العين العمياء	١٣٣ — ١٣٠
٢٥٦ —	خلاف صاحب	١٣٥ — ١٣٣
٢٥٧ —	الرد على القول بأن مذهب مالك وسط	
١٣٦ — ١٣٥	بين الطرفين	
٢٥٨ —	عن الإجماع	١٣٩ — ١٣٦
٢٥٩ —	كلام عن الظاهر	١٤٥ — ١٣٩
٢٦٠ —	كلام الله	١٤٦ — ١٤٥

٢٦١	— الاستطاعة ومعنى الظاهر	١٤٦ — ١٤٧
٢٦٢	— من أساليب ابن حزم في التشنيع	١٤٧ — ١٤٩
٢٦٣	— منهج ابن حزم في الجدل	١٥٠ — ١٥٥
٢٦٤	— ومنهج آخر في الجدل	١٥٥ — ١٥٧
٢٦٥	— نص نادر لابن حزم في تفسير بعض الألفاظ	١٥٧ — ١٨١
٢٦٦	— نص آخر في تفسير بعض الكلمات والحروف ...	١٨٢ — ٢٠٣
٢٦٧	— شيوخ ابن حزم في المنطق	٢٠٣ — ٢٠٦
٢٦٨	— نص من كتاب السياسة لابن حزم	٢٠٦ — ٢٠٧
٢٦٩	— نص لابن حزم من كتابه السياسة	٢٠٧
٢٧٠	— نص لابن حزم من كتابه السياسة	٢٠٨
٢٧١	— نص لابن حزم من كتابه السياسة	٢٠٨
٢٧٢	— التعبير عن النوع بالصورة	٢٠٩
٢٧٣	— معاني بعض الحروف في اللغة اللطينية	٢١٠ — ٢١١
٢٧٤	— الاسم والمسمى	٢١١ — ٢١٥
٢٧٥	— دليل الخطاب والظواهر	٢١٦ — ٢٢٠
٢٧٦	— الفرق بين المحمول والمتكمن	٢٢٠ — ٢٢١
٢٧٧	— منهج ابن حزم في تحرير دلالة النص	٢٢١ — ٢٢٥
٢٧٨	— منهج ابن حزم في الجمع بين النصوص، وعنقه	
٢٢٧ — ٢٢٥	على ظلمة بني أمية	
٢٢٨ — ٢٢٧	— منهج ابن حزم في الجدل	
٢٢٩ — ٢٢٨	— إحصاء ابن حزم لبعض مسائل الموطأ	
٢٣١ — ٢٢٩	— تأصيل ابن حزم للجدال	
٢٣٣ — ٢٣١	— ظاهرة الفتوى في الأندلس	
٢٣٣	— عن الفتوى في الأندلس	
٢٣٤ — ٢٣٣	— تقصير أهل الأندلس في طلب العلم	
٢٣٦ — ٢٣٥	— أبو عبد الله الفهري اللغوي	

٢٨٦	— عفة الخليفة عبد الرحمن بن الحكم	٢٣٦ — ٢٣٧
٢٨٧	— ثلاثة أبيات لابن حزم في الغزل مرتجلة	٢٣٨
٢٨٨	— ابن لبابة	٢٣٨ — ٢٣٩
٢٨٩	— الجليقي	٢٣٩
٢٩٠	— ابن المعلم	٢٣٩
٢٩١	— ابن أخي نفيل	٢٤٠
٢٩٢	— ابن أبي عامر	٢٤٠
٢٩٣	— ابن شبلاق	٢٤٠ — ٢٤١
٢٩٤	— الأصيلي	٢٤١
٢٩٥	— ابن جهور	٢٤١
٢٩٦	— عبد الرحمن بن خلف	٢٤٢
٢٩٧	— سكن بن سعيد	٢٤٢
٢٩٨	— محمد ابن المعلم	٢٤٢
٢٩٩	— الجرفي	٢٤٣
٣٠٠	— المنصور ابن أبي عامر	٢٤٣
٣٠١	— نسبة اليقين في مذهب ابن حزم	٢٤٣ — ٢٤٤
٣٠٢	— ابتلاء ابن حزم بأندلسي ديوث	٢٤٤ — ٢٤٦
٣٠٣	— محمد بن يحيى ابن أبي عامر	٢٤٧
٣٠٤	— أقل ما قيل	٢٤٧ — ٢٤٩
٣٠٥	— عفيف يقاوم إغراء المرأة بإحراق أصبعه	٢٤٩ — ٢٥٠
٣٠٦	— يعفان فيجتمعان على الحلال	٢٥٠ — ٢٥١
٣٠٧	— تعليل ابن حزم للعفة	٢٥١
٣٠٨	— انخزال العرض عن الجوهر	٢٥٢ — ٢٥٤
٣٠٩	— رد ابن حزم على العتقي	٢٥٤ — ٢٥٥
٣١٠	— تقصير أهل الأندلس في طلب العلم	٢٥٥
٣١١	— رد ابن حزم على العتقي وتحرير معنى الظاهر	٢٥٥ — ٢٥٦

- ٣١٢ - نبذة عن حياة ابن حزم تؤخذ من رده
على العتقي ٢٥٧ - ٢٦٠
- ٣١٣ - تقصير أهل الأندلس في طلب العلم ٢٦٠ - ٢٦٢
- ٣١٤ - أخبار العشاق من رواية ابن حزم وشعر له
في ذلك ٢٦٢ - ٢٦٣
- ٣١٥ - تنديد ابن حزم بابن الجزيري لأنه كان ديوثا ٢٦٤
- ٣١٦ - كلام عن ديوث آخر ٢٦٤ - ٢٦٦
- ٣١٧ - كلام عن ابن الجزيري أيضا ٢٦٦ - ٢٦٨
- ٣١٨ - ابن حدير ٢٦٨
- ٣١٩ - المرواني ٢٦٩
- ٣٢٠ - العتقي ٢٦٩
- ٣٢١ - القاسم الحماني ٢٦٩
- ٣٢٢ - تحرير ابن حزم لمذهب المالكية في رفع الأيدي
في الصلاة ٢٧٠
- ٣٢٣ - شيخ ابن حزم ابن عبد الوارث ٢٧١
- ٣٢٤ - المفتون من الصحابة ٢٧١
- ٣٢٥ - المفتون أيضاً من الصحابة رضوان الله عليهم ٢٧١
- ٣٢٦ - ابن حزم يتكلم عن نفسه ٢٧٢
- ٣٢٧ - ابن حزم يتكلم عن ابن طريف وعن نفسه ٢٧٢
- ٣٢٨ - رد ابن حزم على ابن النغالة حول العسل ٢٧٣ - ٢٧٩
- ٣٢٩ - ابن جرج ٢٧٩
- ٣٣٠ - صعصعة بن سلام ٢٧٩
- ٣٣١ - ابن القراز ٢٧٩
- ٣٣٢ - الخليفة الناصر ٢٨٠
- ٣٣٣ - ابن الليث ٢٨٠
- ٣٣٤ - أحمد بن خالد ٢٨٠ - ٢٨١

٢٨٢ — ٢٨١	ابن شهيد	٣٣٥ —
٢٨٢	إسحاق بن سلمة	٣٣٦ —
٢٨٣ — ٢٨٢	كامل بن غفيل	٣٣٧ —
٢٨٤ — ٢٨٣	ابن الطائف	٣٣٨ —
٢٨٥ — ٢٨٤	ابن هذيل	٣٣٩ —
٢٨٦ — ٢٨٥	صفية بنت عبد الله	٣٤٠ —
٢٨٦	اليحصي	٣٤١ —
٢٨٦	العباس بن عمرو	٣٤٢ —
٢٨٧	ابن الاستحي	٣٤٣ —
٢٨٧	أبو علي الفاسي	٣٤٤ —
٢٨٨	جعفر بن يوسف	٣٤٥ —
٢٨٨	الخليفة عبد الله بن محمد	٣٤٦ —
٢٨٩	ثابت الجرجاني	٣٤٧ —
٢٨٩	أغلب بن شعيب	٣٤٨ —
٢٨٩	ابن مسرة	٣٤٩ —
٢٩٠	إبراهيم بن قاسم	٣٥٠ —
٢٩٠	أحمد بن مسعود	٣٥١ —
٢٩٠	أحمد بن قاسم	٣٥٢ —
٢٩١	ابن مروان	٣٥٣ —
٢٩١	ابن بدر	٣٥٤ —
٢٩١	اللؤلؤي	٣٥٥ —
٢٩١	الأفشتين	٣٥٦ —
٢٩٢	أحمد بن حبرون	٣٥٧ —
٢٩٢	أحمد بن الحباب	٣٥٨ —
٢٩٢	عبد الله الهمداني	٣٥٩ —
٢٩٣ — ٢٩٢	تكذيب ابن حزم لبعض الاسرائيليات	٣٦٠ —

- ٣٦١ - دفاع ابن حزم عن الفلسفة والمنطق ٢٩٣ - ٢٩٤
- ٣٦٢ - ابن محامس ٢٩٤
- ٣٦٣ - رجل لم تكن عنده غيرة حتى أحب ٢٩٤
- ٣٦٤ - ظاهرة أن ما اشتدت الحاجة إليه كان أهون ٢٩٥
- ٣٦٥ - كلام ابن حزم عن الجمال والملاحة ٢٩٥ - ٢٩٦
- ٣٦٦ - جمع ابن حزم بين النصوص في رده على
ابن نغزالة ٢٩٧ - ٣٠٠
- ٣٦٧ - التأليف السبعة ٣٠٠ - ٣٠١
- ٣٦٨ - تفريق ابن حزم بالنص ٣٠١ - ٣٠٢
- ٣٦٩ - حال العالم المبرز في الأندلس ٣٠٢ - ٣٠٣
- ٣٧٠ - معارضة ابن حزم للإمام مالك في احتجاجه بآية
﴿إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي﴾ ٣٠٣ - ٣٠٤
- ٣٧١ - جهل الناشئ بالحساب ٣٠٤ - ٣٠٥

قال أبو عبد الرحمن : تم السفر الثاني من نوادر ابن حزم و يليه إن شاء
الله السفر الثالث وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على عباده
المرسلين.

(طبع بتصريح من وزارة الإعلام حسب خطاب سعادة مدير عام
المطبوعات رقم ٥٨٧٧ في ٢/٩/١٤٠٤هـ.)

أذن بطبعه بترخيص من سعادة مدير
عام المطبوعات بوزارة الإعلام رقم
٥٨٧٧ في ٢ / ٩ / ١٤٠٤ هـ

الطبعة الأولى
عام ١٤٠٥ هـ